دخلنا بلداً يقال لها الكويت

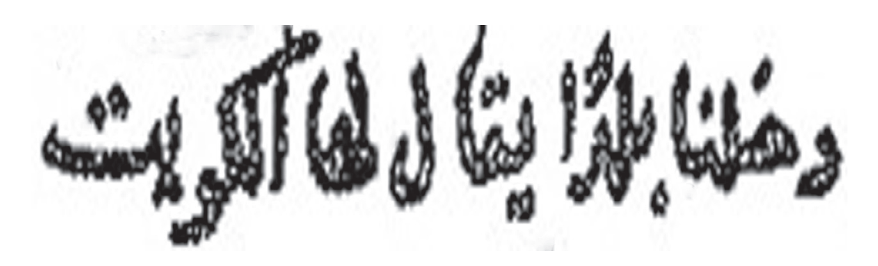
سياحة تاريخية وجغرافية وأدبية
في ماضي الوطن



تأليف

إبراهيم حامد الخالدي

الكويت - 2011 م



سياحة تاريخية وجغرافية وأدبية في ماضي الوطن

تأليف

إبراهيم حامد الخالدي

عنوان الكتاب: دخلنا بلداً يقال لها الكويت

(سياحة تاريخية وجغرافية وأدبية في ماضي الوطن)

المؤلف: إبراهيم حامد الخالدي

الطبعة الأولى

نوفمبر ٢٠١١م

طبع في مطابع القبس – الكويت

* تصميم الغلاف: المؤلف إبراهيم حامد الخالدي

* مصادر صور الغلاف: البوابة من استطلاع لمجلة لايف سنة ١٩٥١ – ساحة الصفاة: صورة ملونة للساحة من أرشيف شركة نفط الكويت تعود إلى أوائل الخمسينيات – ترويسة الكتاب: مأخوذة من مخطوطة مرتضى بن علوان

كويت

بحرٌ

وصيّادونَ ملتفّونَ حول كُوتْ

نَسَجوا على صخر الشُّطوطِ أكفَّهُمْ

واستشعروا في الماءِ حوريّاتهمْ

ومدائنَ الياقوتْ

رَسَموا على غَبَشِ المدى أحلامَهمْ

وغناؤُهمْ

أضحى حدودَ بلادنا

وشوارعاً وبيوتْ

* شعر: إبراهيم

المقدمة

قبل ثلاثة قرون كتب حاج دمشقي جال بين فيافي الجزيرة العربية وحواضرها فقرة بدأت بهذه الجملة: (دخلنا بلداً يقال لها الكويت)، فافتتح بذلك دون أن يدري سيل الحبر الذي تدفق للحديث عن هذه البلاد، وبهذه العبارة دارت سجلات التاريخ منذ ذلك اليوم.

كتب ذلك الحاج، واسمه مرتضى بن علوان فقرة تعد أول إشارة مكتوبة لهذا البلد الذي صار مع الأيام وطناً جميلاً نفخر بالانتماء إليه.. أحياء فوق ترابه، وأمواتاً تحت ثراه.

جاء في تلك الفقرة قوله:

(دخلنا بلداً يقال لها الكويت بالتصغير. بلد لا بأس بها. تشابه الحسا إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها، وكان معنا حج من أهل البصرة فرق عنا من هناك على درب يقال له الجهرا، ومن الكويت إلى البصرة أربعة أيام، وفي المركب يوم واحد لأن مينا البحر على كتف الكويت، وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب لأنها أسكلة البحر.

أقمنا بها يوماً وليلتين، وتوجهنا على بركة الله تجاه النجف الأشرف نهار الحادي عشر من الشهر المذكور (جمادى الأولى ١١٢١هـ — ١٨ يوليو ١٧٠٩م).

وهذه الكويت المذكورة اسمها (القرين)، ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار البحر ثلاثة أيام، والمراكب مسايرتنا، والميناء على حدود البلدة من غير فاصلة، وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من البحر.. حنطة وغيرها لأن أرضها لا تقبل الزراعة حتى ما فيها شيء من النخيل، ولا غير شجر أصلاً، وأسعارها أرخص من الحسا لكثرة الدفع (أي الاستيراد) من البصرة). انتهى كلام ابن علوان!

وعندما جمعت موضوعات هذا الكتاب احترت في تسمية العقد الذي يجمعها، والكتاب الذي يضمها، فكان مسمى (حكايات على سيف الكويت) هو الغالب على رأيي، ولكني في النهاية وجدت أن تلك الجملة الرائدة: (دخلنا بلداً يقال لها الكويت) تستحق مني أن أعنون بها هذا الكتاب بل أنني قررت أن أترك لابن علوان أن يخطها بيده على غلاف الكتاب مستنسخاً العبارة كما جاءت في مخطوطته.

هذا الكتاب ليس تاريخاً شاملاً لوطني الكويت، ولكنه جهد سنوات كان فيها تاريخ الكويت، وتراثه الأدبي والشعبي، ورجالاته وشخوصه مداراً لجانب مهم من اهتماماتي الكتابية والبحثية والصحافية، فكانت هذه الموضوعات التي أردت من خلالها إضاءة تجليات متعددة لهذا الجانب، وقد قسمتها إلى أربعة فصول حسب نوعيتها.

ففي الفصل الأول، وعنونته (شخصيات من الكويت) تحدثت فيه عن بعض الشخصيات الكويتية سواء كانوا من حكام البلاد أو أعيانها أو عامتها أو شخصياتها المجهولة.

أما الفصل الثاني، فكان عنوانه (حوادث وأبحاث في تاريخ الكويت)، وهو من أكبر فصول الكتاب، ويحتوي على مجموعة من المباحث تجاوزت العشرين موضوعاً متنوعاً تناولت جوانب متعددة من تاريخ الكويت السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

وجاء الفصل الثالث بعنوان (من جغرافيا الكويت)، وهو أقل الفصول عدداً من حيث الموضوعات، ولكنه احتوى على ثلاثة موضوعات مهمة عن جزر الكويت، وطرقها البرية، وأسماء مناطقها.

وأخيراً احتوى الفصل الرابع على جولة ممتعة مع عدد كبير من الرحالة الذي مروا بالكويت، وباقة من أقوالهم، وحكاياتهم التي ترسم صورة معبرة عن ماضي الكويت منذ بدايات تأسيسها حتى استقلالها قبل خمسين عاماً.

والآن.. أترككم مع كتاب (دخلنا بلداً يقال لها الكويت) متمنياً أن يحوز على رضاكم، ويليق بذائقتكم.

إبراهيم حامد

الكويت يوم السبت الأول من أكتوبر ٢٠١١م

الثالث من ذي القعدة ١٤٣٢هـ

الفصل الأول

شخصيات من الكويت

أشعار في مدح عبد اللّه الأول ثاني حكام الكويت

يعاني تاريخ الشعر النبطي في الكويت من شحة في المعلومات عن أعلامه ونصوصه في فترة البدايات، فكل ما وصلنا من شعر يعود إلى فترة الحاكم الثالث الشيخ جابر العيش مع قصائد ابن مسلم، وابن لعبون، ونلاحظ أنها لشعراء من خارج الكويت، وليست لشعراء كويتيين، وأقدم ما وصلنا من الشعر النبطي لشعراء كويتيين يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع جيل عبد الله الفرج ومحمد الفوزان.

وأثناء بحثي في مخطوطات الشعر عثرت في مخطوطة (لباب الأفكار) لابن يحيى على قصيدة لشاعر يدعى (عبد الرحمن بن مانع) قالها في مدح ثاني حكام الكويت الشيخ عبد الله الأول بن صباح المتوفى سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م)، وهي بذلك تمتلك أهمية بالغة حيث أننا لا نملك قصائد غيرها في مدح هذا الشيخ.

وجاء في تقديم ابن يحيى للقصيدة قوله:

(مما قال عبد الرحمن بن مانع يمدح شيخ الكويت سنة ١٢٢١هـ (١٨٠٦م)):

وفيما يأتي نص القصيدة، ونتبعها ببعض التعليقات:

الجفن مني حارب النوم من زوم ... حوادثٍ أسبابها تشده البال

مع ذا، ودمعي فوق الاوجان مسجوم ... من ناظري.. عزّي لحالي، وعزّال

لى نام خالي البال.. كلّفت بهموم ... وهاجت هواجيسي، وجدّدت الامثال

لا وا شقا من أصبح اليوم مكلوم ... مما أقاسي من تصاديع واهوال

يا راكبٍ وشرٍ من الساج معلوم ... اتجه نويّك.. لا تعرّضك باقبال

ريّض لي اشويٍّ.. إلى حيث ما قوم ... وادير أفكاري.. قدر شرب فنجال

بانشي جوابٍ كنّه الدرّ منظوم ... صعب البنا.. ما يحزنه كلّ قوّال

فالى مني أكملت مضمون منظوم ... نظمي بتوفيقٍ من الله، واقبال

فخذه، وسر به.. عشت بالخير مكروم ... بساجٍ صليخٍ.. للأباعيد بتّال

مهما كسا عزله، وأدنوه ياهوم — أوحيت عند الصدر بالموج ينشال
يقطع مسير الخمس.. لا شكّ في يوم — حديد.. تلفي دار ذربين الافعال
دارٍ بها لي غلمةٍ.. قوم اوي قوم — يثنون للعاني.. إذا حال به حال
ليت الدهر ما خان في لابتي يوم — ولا خلت من لابتي.. ذيك الاطلال
وجدي عليهم في ضميري له ارسوم — وجدي على شوف المناعير الابطال
منّي سلامٍ.. عدّ ما باح مكتوم — أشرف سلامٍ واضحٍ.. عدّ الارمال
مبداه بالعنبر، وبالمسك مختوم — أخن، وانوج.. دايمٍ من شذا الهال
من جانبي اهديه، والراس مرغوم — لاهل المكارم، والثناً.. ضدّ من عال
واختصّ رجلٍ شامخ الجاه.. شغموم — باشرف سلامٍ ضاويٍ.. يشعل اشعال
ما ناح قمريٍّ.. على عالي احزوم — أو ما تشكّى مغرم الحال.. إن حال
يغشاه منّي.. ريف من جاه مضيوم — زبن المجلاّ.. لا عدمنا له امثال
بيت المروّة.. باذل الجود.. من يوم — توّه صغيرٍ.. ما عرف نطق الاقوال
(ابن صباحٍ).. عاش بالخير مكروم — عبد الله اللي للجميلات فعّال
أنشيت مدحٍ في حسانيه.. منظوم — يستاهله بالعون.. كسّاب الانفال
وختمي صلاةٍ.. عدّ ما باح مكتوم — على النبي المختار، والصحب، والآل

في القصيدة بعض الهنات في الوزن اضطررنا لإصلاحها، وهذا متوقع في مخطوطة ابن يحيى لأنه ليس شاعراً في الأساس.

وسياق القصيدة يثبت أن الشاعر ليس من أهل الكويت، ولكنه قريب من سواحل الخليج بدليل أنه يخاطب فيها راكب سفينة ليوصل رسالته، ولكن يبدو أن له أقارباً من سكان الكويت.

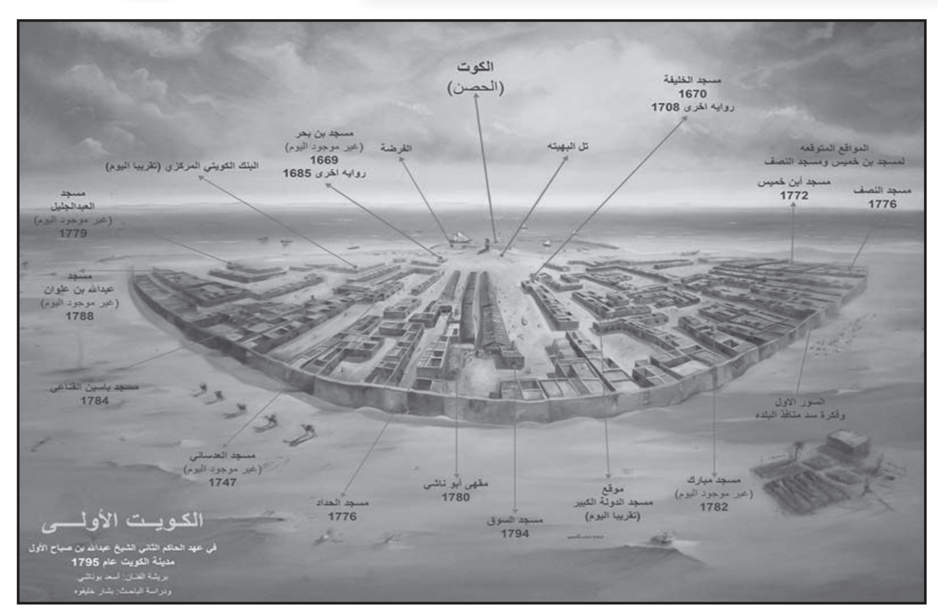
كما يبدو أن القصيدة أطول من ذلك لأن أبيات المدح فيها قليلة، وهذا غير مألوف في مدائح الشعر النبطي.

وأتبعت هذه القصيدة في المخطوطة بقصيدة أخرى مطلعها:

تالي النهار امسٍ مع السوق مرّيت — طربٍ ولا بالقلب همٍّ وشاطون

وهي في رثاء رجل ذي صيت عالي اسمه (عبد الله)، وفيها:

يوم التفتّ الى وقوفٍ ورا البيت — نحرتهم قلت الخبر ويش توحون؟



لوحة تمثل مدينة الكويت سنة ١٧٩٥م بريشة الفنان أسعد بو ناشي ودراسة الباحث بشار خليفوه

قالوا: سمعنا جا خبر شايع الصيت ... غادي تسمّع للحبايب ينوحون

هذا رفيقك غادي كان ما اوحيت ... علمه، فعبد الله بالاجداث مدفون

أقفيت منهم يوم عنهم تعدّيت ... أبحت سدٍّ بين الاضلاع مكنون

هلّيت دمعٍ فوق الاوجان وابديت ... ما كنّ جاشي، والملا لي يقولون

ما هو ولدٍ عمك، ولا اخوٍ تصابيت ... على جهل.. يا تايه الراي مجنون

وربما كانت هذه القصيدة لابن مانع أيضاً في رثاء الشيخ عبد الله الصباح.

من سيرة ثالث حكام الكويت الشيخ (جابر العيش)

يعد الشيخ جابر العيش بن عبد الله الصباح حاكم الكويت الثالث واحداً من أبرز الشخصيات السياسية التي عرفتها المنطقة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، فبحكمته، وعلاقاته الطيبة بمعظم القوى الإقليمية والدولية في ذلك الوقت استطاع أن يمنح بلاده دفعة قوية لتتحول تلك البلدة الصغيرة إلى إمارة مستقلة تتمتع باحترام الجميع، وهو بذلك يكون قد وضع لبنة أساسية لما أكمله حفيده (أسد الجزيرة) الشيخ مبارك الصباح بعد ذلك.

واليوم نتطرق لجوانب من حياة هذا الحاكم الذي جمع خصالاً طيبة لعل أبرزها الكرم، والشجاعة، وإغاثة الملهوف، وحب الخير، وهي خصال تمثل القيم الأعلى عند الحاكم المسلم العربي.

* * *

* مولده ونشأته:

كما هو الحال بالنسبة للكثير من الشخصيات المهمة في تاريخنا لا نمتلك معلومات محددة عن العام الذي ولد فيه الشيخ جابر العيش، ولكن يمكننا الاستدلال بالشواهد التاريخية لتقريب ذلك التاريخ.

فإذا علمنا أن (عبد العزيز الرشيد) في تاريخه قد ذكر أن الشيخ عبد الله بن صباح بن جابر العيش ولد في سنة وفاة جد أبيه عبد الله الأول ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) مما يعني أن جابر العيش صار جداً في تلك السنة بولادة الابن الأكبر لابنه البكر، فإننا يمكن أن نستنتج أن عمره يومها كان في سن الأربعين أو بعده بقليل، ويؤيد ذلك وصف الشاعر محمد بن مسلم له في قصيدة المدح بالفتى أكثر من مرة.

أي أن جابر العيش ولد حوالي سنة ١١٩٠هـ (١٧٧٦م) أو قبلها بسنوات قليلة، وهذا يتوافق مع كونه قد عجز عن أمور الحكم في أخريات أيامه، فأوكلها لابنه صباح قبل وفاته سنة ١٢٧٦هـ (١٨٦٠م)، وهو بحسابنا يكون قد قارب التسعين من العمر، وهو سن معقول لمن يعجز عن إدارة الحكم.

أما ما ذكره لويس بيلي رواية عن الشيخ صباح بن جابر العيش من أن والده توفي عن مئة وعشرين عاماً (أي أنه من مواليد ١١٥٦هـ (١٧٤٣م))، فلا يعول عليه كثيراً لأن العرب يبالغون عادة في أعمار المسنين من آبائهم، ولو صح ذلك لكان الشيخ جابر العيش قد تولى الحكم، وقد تجاوز السبعين من عمره؟، وهذا لا يتوافق مع قيادته للجيوش إبان حكمه، ووصف خلافه مع أبيه بأنه خلاف الأب المسن مع ولده الشاب الطموح؟!

ونشأ جابر العيش نشأة صالحة دلت عليها صفاته التي تجلت إبان حكمه من شجاعة وكرم، وقد أسند إليه أبوه بعض المهمات، ومنها قيادة القوة الكويتية لمساعدة حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة في صراعه مع الشيخ رحمة بن جابر الجلاهمة، وذلك في معركة بحرية وقعت في ربيع الأول ١٢٢٥هـ (أبريل ١٨١٠م)، وقتل في المعركة التي جرت في (خوير حسان) عدد كبير من الطرفين حتى قال المؤرخ ابن لعبون: (مات خلق كثير من الفريقين قتلاً، وحرقاً، وغرقاً، واحترقت السفن بمن فيها)، ومن بين القتلى كان الشيخ دعيج بن سلمان الصباح، والشيخ راشد بن عبد الله آل خليفة.

* * *

* توليه الحكم:

شهدت السنوات الأخيرة من حكم الشيخ عبد الله الأول بن صباح خلافاً بينه وبين ابنه جابر لم تذكر المصادر سببه سوى أنه كان مجرد (مغاضبة)، وهو وصف لا يوحي بأكثر من خلاف عادي بين حاكم وولده الوحيد المفروغ من أمر وراثته للحكم من بعده، ويذكر (حسين الشيخ خزعل) أن هذا الخلاف الذي وقع سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) كان سببه التفاوت بين حكمة وتروّي الأب المسن، وحماسة واندفاع الابن الشاب.

ومن جراء هذه المغاضبة توجه جابر إلى البحرين التي كانت تعدّ على الدوام الضفة الأخرى من حكم العتوب مما يعني أن جابر لم يذهب بعيداً في خلافه مع أبيه بل بقي بين أقربائه فترة من الزمن قدّر خلالها أن يتوفى الأب يوم الخميس ١٤ جمادي الأولى سنة ١٢٢٩هـ (٥ مايو ١٨١٤).

ولكون جابر هو الولد الوحيد المتبقي لأبيه إضافة إلى ما ذكر عن ميل أهل الكويت له لأخلاقه العالية، وكرمه، فقد تم استدعائه من البحرين لاستلام الحكم الذي تولاه بالنيابة عنه خلال فترة الفراغ ابن عمه الشيخ محمد بن سلمان بن صباح الأول، وبالفعل وصل الشيخ جابر إلى الكويت

بحراً، واستلم زمام الحكم، وتمت المبايعة له.

ويذكر الحاتم في (من هنا بدأت الكويت) أن الشيخ محمد السلمان أراد الاستئثار بالحكم لنفسه، ولكن أهل الكويت كاتبوا جابر العيش طالبين منه الإسراع بالعودة، واستلام حكم أبيه دون أن يذكروا له شيئاً عن أمر الشيخ محمد السلمان، وعندما وصل جابر العيش استقبله أعيان الكويت في عرض البحر مبايعين مما دعا السلمان لمد يده مبايعاً جابر العيش على رأس المبايعين.

وهذا ما انفرد به الحاتم من ذكر لمطامح الشيخ محمد السلمان في حكم الكويت، وذلك يتعارض ما ورد في رواية شفوية أخرى أوردها الأستاذ أحمد بن برجس في إحدى مقالاته، وتذكر أن الشيخ جابر العيش عندما نزل في (بنيد القار) – موقع على البحر جنوب شرق مدينة الكويت العاصمة – استقبله الشيخ محمد السلمان، وقال له: (يا شيخ جابر. أنا سيفك بيمناك، والبلد حفظتها لك بغيابك، واليوم هذي بلادك، والأمر والسلطان بيدك، وأنا عوينك في المعسرات، وعضدك الذي لا يخالفك أو يعصيك)، فشكره جابر العيش، وأثنى على مروءته وشهامته.

* * *

* صفات جابر العيش:

كتب عبد العزيز الرشيد في تاريخه واصفاً شخصية الشيخ جابر العيش قائلاً:

(كان جابر.. عاقلاً حليماً حازماً كريماً يضرب بكرمه المثل، وقد سمي (جابر العيش) لكثرة ما يتصدق به على الفقراء والمساكين، والعيش في لسان الكويتيين يطلق على الرز، ومن الغريب أنه مع هذا البذل العظيم لم تكن له من المصادر التي يستقي منها إلا نزر يسير لا ينقع غلة، ولا يطفئ ظمأ، ولقد عرف كرمه، وارتفاع قدره في السخاء بعض معاصريه من الحكام والأمراء، فرفعوه إلى أعلى مقام تحسده عليه الكواكب النيرة).

ومن الشهادات لجابر العيش في هذا المجال تذكر مقولة الشيخ بندر بن محمد السعدون شيخ المنتفق المتوفى سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)، وكان موصوفاً بالكرم هو الآخر، ومدائح ابن ربيعة الشاعر في بندر تدل على ذلك، فحين سأل جلساه: (من الذي يستحق وصف الكريم في هذه الجزيرة؟) قال الحاضرون جميعاً: (أنت أيها الأمير)، فقال بندر: (ما الكريم في الحقيقة إلا جابر الصباح أخو مريم الذي يبسط الحصر في الأسواق، ويملؤها من التمن للمحتاجين، وليس له واردات تغنيه. أما أنا، فلا فخر لي، وكثير من أملاك البصرة بيدي).

ويقول المصلح الكويتي يوسف بن عيسى القناعي في صفحاته عن الشيخ جابر:

(المشهور عنه أنه رجل عاقل هادئ الطبع. محب لقومه مشفق عليهم. اشتهر بجابر العيش لكرمه، ولأنه كان يطبخ الأرز للفقراء، وله عريش قرب بيته يجتمعون فيه، ويقدم لهم الطعام).

ويذكر الشاعر الأحسائي محمد بن مسلم هذا الوصف أيضاً في قصيدته بمدح الشيخ جابر العيش حين يقول:

إلى من جا العصر نادوا عبيده: هلمّ الى العشا.. ياللي تريده
تزيد مروّته.. الله يزيده وفضل الله جزلٍ بالعطيّة

وإضافة إلى الكرم يورد الرشيد حكاية تدل على ما كان يتمتع به جابر العيش من وفاء، وحفظ للجميل، وملخصها أن جابر عندما كان في البحرين خلال مغاضبته لأبيه حل عليه ضيف ليلاً، فذهب إلى تاجر بحريني يدعى (أبو هناد) لشراء شاة لإكرام الضيف، ولكن أبا هناد رفض أخذ مقابل للشاة، وأصر على تقديمها لجابر مجاناً.

ومرت السنوات، وتولى جابر حكم الكويت، وأتى أبو هناد لشراء تمر كثير من أملاك جابر الزراعية في الفاو دون أن يعرف أن صاحبه في تلك الليلة هو الحاكم الآن، وبعد الاتفاق على الثمن شرع أبو هناد في عدّ القيمة، وعندها قال جابر متجاهلاً: (يا أبا هناد. إننا لا نريد إلا حقنا الواجب، وأنت عددت أكثر منه، فكأنك أردت أن تختبرنا في أخذ ما زاد على الحق، فالذي لنا هو نصف ما عددت لا غير).

وحاول أبو هناد إقناعه بصحة الحساب، ولكن جابر رفض ذلك، وأصر على أخذ نصف القيمة، وذهب أبو هناد بالنصف الآخر، وهو لا يعرف سبباً لتلك المغالطة الكريمة إلى أن أخبره من يعرف أطراف الحكاية.

وإضافة إلى ما سبق، فإن جابر العيش امتاز بالدهاء كسياسي، وبالحنكة كقائد عسكري، ويورد الرشيد حادثة تبين ذلك عندما قدم جابر بأسطوله إبان محاصرة البصرة خلال الصراع على مشيخة المنتفق بين عجيل بن محمد بن ثامر السعدون وأبناء عمه حمود بن ثامر سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م) لمساندة الطرف الأول، وحدث أن السفن الكويتية لم تنضم مباشرة لحلف (عجيل السعدون، ومتسلم البصرة، وحاكم الزبير علي بن يوسف الزهير)، فأراد الأخير تدبير حيلة (توقع جابر عند الحكومة العثمانية)، فأرسل إليه حوالة بأضعاف راتب جابر من التمر الذي كان يستلمه

من العثمانيين، فرفض جابر قبول تلك الحوالة، ولم يأخذ إلا ما هو مقرر له سابقاً.

ولم يقبل جابر العيش نصائح كاتبه (ابن هاشم) بقبول الحوالة الكبيرة لمعرفته بغرض علي الزهير الذي كان يريد إيهام العثمانيين بأن جابراً كان قادماً لمساعدة الطرف الآخر، ولم يغير رأيه إلا بسبب ما قدمه له الزهير في الحوالة!

وبالحديث عن الصفات النبيلة لجابر العيش، فلا نغفل ما يُمدح به الزعيم المحلّي في الأشعار النبطية بأنه: (زبن الخائف، وحامي الجاني)، وهي صفة كان الشيخ جابر العيش يتمتع بها بشكل واضح، وتكررت الحوادث المؤكدة لها في عهده مرات عديدة، ويبدو أنه ورثها عن أبيه الشيخ عبد الله الأول الصباح الذي استقبلت الكويت في عهده عدداً من اللاجئين السياسيين الهاربين من سلطة بغداد، ونعني شيخ المنتفق ثويني بن عبد الله آل شبيب، وحليفه متسلم البصرة السابق مصطفى آغا الكردي، وذلك سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٩م).

وتضاعفت أعداد حالات اللجوء إلى الكويت في عهد الشيخ جابر العيش كما يتضح لنا من الحوادث الآتية:

١- رغم مشاركة الشيخ جابر العيش في حصار الزبير لصالح عيسى بن محمد السعدون إلا أن هذا لم يمنعه من استقبال راشد بن ثامر السعدون الذي كان من أقطاب الجانب الآخر في ذلك الحصار.

وكان راشد قد وصل الكويت سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) برفقة لاجئ آخر من آل الزهير (رغم أن المؤرخ الرشيد يفصل بين الحادثتين) خلال غياب جابر العيش في أحد أسفاره، فقامت أخته (مريم) مقامه في إكرام الضيف، فأكبر راشد نباهة تلك المرأة كما أن الإكرام الذي غمره به جابر العيش جعلته حال عودته يقوم بإهداء أراض زراعية في العراق للشيخ جابر الصباح.

ويذكر الرشيد أن راشد السعدون عرض على جابر العيش أرض المعامر كاملة أو ثلاثة أحواز من الفاو، فاختار جابر الثلاثة أحواز رغم أن المعامر أكبر مساحة، وأكثر نخيلاً وعمارة معللاً اختياره بأن الفاو على شاطئ البحر مما يجعل أرضها مرشحة للاتساع لما يرميه النهر من الطمي.

وإضافة لما ذكره الرشيد، فإنني أرى أن جابر العيش اختار الفاو لما يوفره موقعها البحري من حماية لسفن الكويتيين القادمين للاتجار مع البصرة إضافة إلى أن اتصالها الحدودي المباشر مع الكويت يعطي لمالكها استقلالية تبعده عن ضغوطات الأتراك، وتنأى به عن الصراعات التي كانت

تموج بها البصرة في تلك الفترة.

٢- ممن تذكر المصادر التجاءهم للكويت التاجر السوري (ضامر بن حويمد) الذي تصدى لجباة الرسوم التابعين لوالي الشام مصطفى باشا، وقتل قائدهم برهان بك خلال مواجهة بين قافلة تجارية تابعة لضامر، وبين الجباة قرب دمشق، وبعد ذلك توجه ضامر إلى الكويت طالباً الحماية من جابر العيش الذي أجابه إلى ذلك، وقال له: (أنت، وأهلك في حمانا، وضيافتنا، فكن آمناً هادئاً، ولن يصلك أحد بسوء مازلت مقيماً في حمانا، وسأمنع عنك كل أذى حتى لو أحوجت الضرورة إلى سل الحسام، وهؤلاء الكرام جميعهم شهود) مشيراً إلى حضور مجلسه.

وعندما علم مصطفى باشا بوجود ضامر في الكويت أرسل رسلاً يحملون توصيات من والي بغداد وقتئذ داود باشا، ومتسلم البصرة عزيز آغا لتسليم ضامر، ولكن جابر العيش رفض تسليم ضيفه، ولم يستجب لتلك الوساطات، وظل ضامر في الكويت إلى أن عزلت الدولة العثمانية مصطفى باشا عن ولاية الشام، وأعادته إلى اسطنبول، فأخبر جابر العيش ضامراً بذلك، وخيّره بين العودة إلى بلاده أو البقاء في الكويت ، فاختار ضامر بن حويمد البقاء في الكويت قائلاً: (لن أرحل عن بلد آوتني، وحمتني من عدوي اللدود في أشد أيام المحن).

٣- ضمن سلسلة الملتجئين إلى الكويت في عهد الشيخ جابر العيش نقرأ اسم الأمير خالد بن سعود الكبير آل سعود الذي عينته الحملة المصرية حاكماً اسمياً في نجد حتى تمت إزاحته على يد ابن عمه الأمير عبد الله بن ثنيان سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م)، فتوجه خالد إلى الكويت، ولكنه لم يطل مقامه بها حيث عاد إلى القصيم، ومنها إلى مكة المكرمة حيث ظل يتلقى راتباً كبيراً من والي مصر محمد علي باشا حتى توفي.

٤- من بين تلك السلسلة نجد أيضاً الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة الذي هزم في معركة ضد ابن عمه الشيخ محمد آل خليفة في نزاع على الحكم في البحرين جرى سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م)، فتوجه إلى الكويت طالباً النصرة من شيخها جابر العيش، ولكن الظروف لم تسمح للكويت بتلبية طلبه، فاضطر لتركها، والتوجه إلى الرياض حيث لقي نفس الرفض.

٥- ولجأ إلى الكويت أيضاً في عهد الشيخ جابر العيش شيخ بني كعب ثامر بن غضبان، وذلك سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) بعد أن طرده الفرس من مشيخته، ولم تطل بثامر الإقامة في الكويت حيث غادرها فيما بعد إلى البصرة، وسبق لثامر هذا أن لجأ للكويت أيضاً بعد أن دمر

والي بغداد المحمرة سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) حيث خشي ثامر على عاصمته (الفلاحية) من التدمير أيضاً، وظل في الكويت حتى استقرت الأوضاع، وعاد إلى بلاده.

* * *

* أشهر الحوادث في عهده:

- (بناء سور الكويت الثاني، وترميمه) - سنة ١٢٣٠هـ:

رغم أن الحاتم يذكر أن بناء السور الثاني لمدينة الكويت تم في عهد الشيخ عبد الله الأول والد جابر العيش إلا أن تحديد ذلك بسنة ١٢٣٠هـ (١٨١٥م) يبيّن لنا أن بناء السور كان أول الأعمال التي التفت إليها جابر في بداية حكمه.

ونظراً لأن السور بني بمادة هشة هي الطين، فإنه سرعان ما تصدع قبل مرور أقل من ثلاثين عاماً على بنائه مما شجع شيخ المنتفق بندر بن محمد السعدون لمحاولة غزو الكويت الأمر الذي دعا الكويتيين لترميمه خلال استعداداتهم لصد الهجوم كما سنذكر لاحقاً كما تم توسيع سور الكويت من جهة الغرب لتكون نهايته عند (نقعة ابن عبد الجليل) بإضافة بوابة جديدة له هي بوابة (البدر) ليصل طول السور الثاني (٣٢٠٠ متراً) كما بلغت مساحة المدينة المسوّرة (٤،٢٧ هكتاراً تقريباً).

- (الدفاع عن البصرة، وغزوة النصار) - سنة ١٢٤٢ و١٢٤٣هـ:

استنجد متسلم البصرة عزيز آغا بجابر العيش خلال محاصرة أبناء حمود بن ثامر السعدون للمدينة سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) رداً على عزل أبيهم عن مشيخة المنتفق، وتعيين ابن عمهم عجيل بن محمد السعدون بدلاً منه، وسار الشيخ جابر العيش بأسطوله البحري لإنجاد المدينة، وبالفعل شارك مع أطراف أخرى في إنقاذها، ورد المحاصرين الذين انسحبوا إلى المحمرة.

وقد قدرت الدولة العثمانية هذه المشاركة لجابر العيش، فأمرت بتقرير راتب سنوي له يقدر بمئة وخمسين كارة من التمر، وأهدت إليه فرماناً، وعلماً أخضر، ويذكر الرشيد أن هذا الراتب ظل يجري لآل الصباح إلى أول أيام الشيخ مبارك الصباح حفيد جابر العيش.

وبعد أشهر قليلة قرر متسلم البصرة عزيز آغا استكمال اللحاق بأبناء حمود بن ثامر السعدون الذين تحالفوا مع بني كعب في الأحواز، فسارت حملة أخرى قادها المتسلم، وعجيل السعدون شيخ المنتفق الجديد، وعلي الزهير حاكم الزبير، وبعد مكاتبة عزيز آغا للشيخ جابر العيش سار

الأخير بأسطوله لمواكبة الحملة، وأرسى سفنه في الهارثة مقابل البريم، ولكن هذه الحملة لم تكلل بالنجاح المطلوب إذ استطاع بنو كعب الانتصار عليها يوم ٢٤ صفر ١٢٤٣هـ (الأحد ١٦ سبتمبر ١٨٢٧م).

ورغم أن الرشيد يفصل بين الحادثة السابقة، وما درج على تسميته في التاريخ الكويتي بغزوة النصار إلا أن وقائع التاريخ خاصة ما ذكره مؤرخو الأحواز تبين أن تلك الغزوة حدثت في الجولة الثانية التي شارك فيها الأسطول الكويتي سنة ١٢٤٣هـ، ولا يستبعد أن قتل النصار (فرع من بني كعب) لرجل كويتي في واقعة سابقة كان الدافع الرئيس لمشاركة الكويت في تلك الجولة حيث يذكر الرشيد أنهم قتلوا رجلاً من آل الدبوس الكويتيين.

وكان الأسطول الكويتي قد تكبد أثناء القتال الذي جرى في شهر صفر عشرين قتيلاً، وعدداً كبيراً من الجرحى، وبينما هم يستعدون للانسحاب قام رجل من الكويتيين يدعى (سالم) فقد أخويه في القتال برمي نفسه من السفينة عاضاً على سيفه بفمه سابحاً تجاه الأعداء، وظل الآخرون ينادونه (سالم.. سالم).

وصادف أن لفظة (سالم) هي صيحة الحرب لدى العتوب، (ومنهم آل صباح)، فاعتقدت بقية السفن أن الحرب قد قامت، فبدأوا القتال لتحدث معركة انتصر فيها جيش الكويت انتصاراً كبيراً، وسيطر على منطقة البريم، وغنم الكثير من جيش النصار الذين انسحبوا، فأراد الكويتيون اللحاق بهم لكن جابر منعهم، وقال بأخلاق الفارس النبيل: (اتركوا لهم منهزما).

ويبدو أن الغنائم في هذه المعركة كانت كبيرة للدرجة التي دعت شاعراً كويتياً للقول:

خاسرٍ.. ياللي قعد في الديرة ما حضر يومٍ.. على النصار

وبعد استيلاء الكويتيين على البريم ارتفعت معنويات متسلم البصرة وحلفائه، ورابطوا أمام المحمرة يقصفون حصون بني كعب بالمدافع في حين اتخذ الشيخ جابر العيش لأتباعه حصناً في (أم الجبابي) بالقرب من سفنه المرابطة في (أم الرصاص)، واستمر الحصار حتى حدثت مفاوضات بين الأطراف المتحاربة، وتم الصلح في رمضان ١٢٤٣هـ (١٨٢٨م).

- (الطاعون) - سنة ١٢٤٧هـ:

وقع هذا الوباء الرهيب بين عامي ١٢٤٦هـ و١٢٤٧هـ في كثير من أنحاء العالم، وعم العراق، والكويت، وزحف إلى الجزيرة العربية، وكان من الشدة كما وصفه ابن بشر حين قال: (انقطع

منه حمائل وقبائل، وخلت من أهلها المنازل، وإذا دخل في بيت لم يخرج منه حتى لم يبق فيه عين تطرف، وجثا الناس في بيوتهم لا يجدون من يدفنهم، وأموالهم عندهم ليس عندها حارس، ولا والي، وأنتنت البلدان من جيف الإنسان، وبقيت الدواب والأغنام تائهة في البلدان ليس عندها من يعلفها ويسقيها).

وممن مات في الكويت بسبب ذلك الطاعون الشاعر النبطي المعروف محمد بن لعبون، وكان قد استقر في الكويت قبل وفاته بفترة قصيرة، وله في جابر العيش أبيات مدح في معرض هجائه للشاعر عبد الله بن ربيعة منها قوله:

وان طعتني عن ذا السباع المظاهير   عندك (أخو مريم) تصلفط بداره

أبو صباحٍ ريف ركبٍ معابير   هو زبن مضيومٍ جلا عن دياره

جابر لكم سدرة، وأنتم عصافير   لى ضيم عصفورٍ لجا في جواره

يستاهل البيضا بروس المقاصير   واولاده اللي كل منهم نعارة

- (المشاركة في حصار المنتفق للزبير) - سنة ١٢٤٨و ١٢٤٩هـ:

وقع هذا الحصار في أواخر سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٣)، ورغم اجتهاد المؤرخين في تعديد أسبابه الكثيرة، فإن من الواضح أنه تم بإيعاز من الدولة العثمانية لموقف مناوئ سابق من شيخ الزبير عبد الرزاق بن يوسف الزهير، وقاد المنتفق في ذلك الحصار شيخهم عيسى بن محمد بن ثامر السعدون، وكان داخل الزبير عمه راشد بن ثامر السعدون الذي كان على خلاف مع ابن أخيه مما ضاعف حماسة عيسى السعدون لإحكام الحصار.

وعندما اشتد الحصار وطال جاء الشيخ جابر العيش على رأس قوة كويتية لمساعدة عيسى، ويبدو أن ذلك تم بدعوة من العثمانيين بالإضافة إلى عامل داخلي آخر هو أن عبد الرزاق الزهير كان قد أجلى في وقت سابق بعضاً من أهالي الزبير من آل الثاقب، ومن شايعهم، فلجأوا إلى جابر العيش في الكويت، وصاهرهم الشيخ جابر بزواج ابنه صباح من لولوة بنت محمد بن إبراهيم الثاقب (أم الشيوخ محمد وجراح ومبارك الصباح).

وبعد سبعة أشهر من الحصار أي بعد حلول سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) دخل المنتفق الزبير، وقبضوا على عبد الرزاق وإخوته، وقاموا بإعدامهم بسبب مقتل علي بن ثامر السعدون (أحد أعمام عيسى الثمانية) أثناء الحصار، وتولى حكم الزبير محمد بن إبراهيم الثاقب، وعاد من كان جالياً من

أهالي الزبير إلى بلدهم.

- (المشاركة في غزو المحمرة) - سنة ١٢٥٣هـ:

أغضب بروز ميناء المحمرة على الساحل الشرقي لشط العرب السلطات العثمانية خشية منها أن يؤدي ذلك إلى سحب الحركة التجارية من البصرة، فأزمع والي بغداد علي رضا باشا القضاء على المحمرة، فسار في سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) بجيش نظامي وعشائري، وكاتب الشيخ جابر العيش طالباً منه القدوم إليه بسفنه ورجاله.

وقد جاء الشيخ جابر العيش رغبة منه في إبقاء علاقاته الجيدة بالدولة، والتحق بالقوة البحرية للحملة العسكرية التي استطاعت في ٢٠ رجب ١٢٥٣هـ (الجمعة ٢٠ أكتوبر ١٨٣٧م) دخول المحمرة، وتدميرها، وبعد هذا النصر رافق والي بغداد علي رضا باشا الشيخ جابر العيش في طريق العودة حيث زار الكويت، وأظنه أول مسئول عثماني بهذا الحجم يزور الكويت.

ويذكر المؤرخ حسين الشيخ خزعل أن غرض الوالي من زيارة الكويت كان محاولة الاستفادة من الخلاف الواقع في تلك الأيام بين الأميرين السعوديين عبد الله بن ثنيان وخالد بن سعود ظاناً أن وجوده في الكويت سيشجع أحدهما لطلب مساعدته مما يسهل على الأتراك دخول نجد، والسيطرة عليها سيطرة مباشرة بدلاً من الوجود المصري الذي كانت فوائده الرئيسة تعود على مصر لا على الباب العالي، ولكن ظن الوالي خاب، وعاد إلى ولايته دون تحقيق المراد.

ولشاعر الوالي عبد الباقي العمري قصيدة طويلة في وصف تدمير المحمرة، والثناء على المشاركين في تلك الحملة، وقد ذكر جيش الكويت في بيتين هما:

وجابر في حصن الكويت قد التجا ... إلينا، وقاد الصافنات المضمّرة

وقد شملته من (عليٍّ) مراحمٌ ... وخلعة فخرٍ فيه كمّل مفخره

- (المراسلات مع خورشيد باشا) - سنة ١٢٥٥هـ:

بعد انتهاء حملة خورشيد باشا من تحقيق أهدافها في نجد تطلع قائدها نحو الخليج العربي والعراق، فأرسل سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) مبعوثاً إلى الكويت يدعى (محمد أفندي) لشراء الإمدادات اللازمة لقوات خورشيد المقيمة في نجد من أسواق الكويت والبصرة والساحل الإيراني بالإضافة إلى مهمات سياسية من أهمها جمع الأخبار الأمر الذي أقلق السلطات البريطانية بعد أن أبدى الشيخ جابر العيش تعاوناً ملحوظاً مع مهمات محمد أفندي في التموين كما سبق لسفينة كويتية أن حملت شحنة

من الذخيرة والعتاد من ميناء الحديدة اليمني إلى القطيف لصالح حملة خورشيد باشا.

ولا نغفل أن استجلاب غضب خورشيد باشا لم يكن في مصلحة الكويت خاصة وأن نيته بالزحف على البصرة، والسيطرة على العراق كانت شبه معلنة.

وأمام هذا القلق تم إرسال المقيم البريطاني المساعد في الخليج (المستر آدمونز) إلى الكويت لمقابلة الشيخ جابر العيش، فوصلها في ١٢ رجب ١٢٥٥هـ (الجمعة ٣٠ سبتمبر ١٨٣٩م) إلا أنه لم يلق استقبالاً لائقاً به في حين أن خصمه محمد أفندي كان يلقى تسهيلات واضحة مكّنته من شراء كمية من الشعير (الغلال) حملها في عدة قوارب إلى القطيف في رمضان ١٢٥٥هـ (نوفمبر ١٨٣٩م).

ويذكر محمود آغا المورودي أحد قادة العساكر الأتراك الموجودين في البصرة ممن فروا من العراق، وتوجهوا إلى الكويت خلال الأيام التي تواجد فيها محمد أفندي حسن استقبال الشيخ جابر له، وحمايته له إذ يقول هذا القائد في مذكرة له: (بينما كان محمد أفندي ناوياً الإقامة في الكويت بضعة أيام جاء خطاب مع رجل مخصوص من البصرة لابن صباح – أمير الكويت – يطلب القبض علينا، وإعادتنا إلى البصرة، فلم يعبأ ابن صباح بذلك الكتاب، وأجاب بأنه غير قادر على القبض علينا، وإرسالنا بالإجبار. ثم أن الأمير المرقوم أركبني أنا ومحمد أفندي والعسكر الذي معنا سفينة، فوصلنا إلى الأحساء).

ومعروف أن خطط خورشيد باشا للتوسع نحو العراق لم تنفذ في نهاية الأمر، ولكن تعاون الشيخ جابر العيش معها ظل دليلاً على ما كان يتمتع به كحاكم مستقل من شبكة واسعة من العلاقات مع مختلف القوى الإقليمية، وقدرة على التعامل المتزن مع مختلف التحديات.

– (دخول الكويت في المهادنة البحرية) – سنة ١٢٥٧هـ:

كانت الاعتداءات العربية على السفن البريطانية المبحرة في الخليج العربي أو ما كان

اتفاقية المهادنة البحرية في زمن جابر العيش

الانكليز يسمونه بالقرصنة البحرية مصدر قلق لهم مما دعا القبطان هنل (باليوز الخليج) لعقد اتفاقية مع مشايخ الخليج للالتزام بعدم التعرض للملاحة في الخليج، وقد وقع الاتفاقية عن الكويت الشيخ صباح بن جابر نيابة عن أبيه يوم السبت ٧ رمضان سنة ١٢٥٧هـ (٢٣ أبريل ١٨٤١م)، وفيها تعهد جابر بمنع رعاياه من التعرض لسفن الموقعين على الاتفاقية، ومعاقبة من يتجاوز ذلك، وإبلاغ السلطات البريطانية بذلك.

- (الوساطة في نزاع آل خليفة) - سنة ١٢٥٩هـ:

ظلت الكويت ترتبط بالبحرين بعلاقات ودية على مر القرون ساعد على توطيدها علاقة القربى التي تجمع أسرتي آل صباح وآل خليفة، وهذا ما دعا الشيخ جابر العيش للقيام برحلة بحرية تضم ثمانية سفن في رجب ١٢٥٩هـ (أغسطس ١٨٤٣م) للوساطة بين الشيخين محمد بن خليفة وعبد الله بن أحمد في الخلاف الدائر بينهما، ولكن تلك الوساطة لم يكتب لها النجاح بعد أن رفض الشيخ عبد الله الالتقاء بخصمه في جلسة صلح، وتوجه إلى بوشهر لطلب مساعدة فارسية.

وقد تطور الخلاف بين الشيخين البحرينيين لصالح الشيخ محمد بن خليفة فيما بعد مما دعا الشيخ عبد الله بن أحمد للجوء إلى الكويت سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م)، وغادرها إلى بوشهر ثم عاد للكويت في السنة التالية، وتركها سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م).

- (غزوة بندر السعدون) سنة ١٢٦٠هـ:

يفصل المؤرخ عبد العزيز الرشيد بين محاولتين لبندر بن محمد السعدون شيخ المنتفق لغزو الكويت دون ذكر تواريخ لهما، ولكن المنطق يجمع بين الحادثتين إذ أن فترة تولي بندر لمشيخة المنتفق لا تتعدى الخمس سنوات (١٢٥٩ - ١٢٦٤هـ) ناهيك عن مشكلاته الكثيرة مع الدولة العثمانية خاصة في السنتين الأخيرتين من مشيخته، وبالتالي فمن الصعب أن يقوم بمحاولتين منفصلتين باتجاه الكويت كما أن سياق الحادثتين كما ذكره الرشيد يمكن وصله بسهولة كما فعل سيف الشملان في تاريخه.

وملخص الحادثة بعد جمعها أن بندر السعدون استغل فرصة تهدم أجزاء من سور الكويت سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) للهجوم عليها، ولكن الكويتيين حال سماعهم بذلك قاموا بإصلاح السور، ونصبوا عليه المدافع، وهم ينشدون:

قل لبندر قل له لا يغرّه ماله

الاطـــــــــــــواب جـــــــرت لـــه والـــــــــســـــــــور يـــبـــــــنى لـــه

وتجدر الإشارة إلى أن المدافع التي نصبت على السور قام بإرسالها إلى الكويت الشيخ عبد الرسول بن نصر آل مذكور أمير بوشهر الذي كانت تربطه صداقة قوية بالشيخ جابر العيش تعود إلى أيام إقامة الأخير في البحرين قبل توليه حكم الكويت، ويذكر حسين الشيخ خزعل أن عبد الرسول عرض أيضاً إرسال مقاتلين، وسفن، وأسلحة إلى الكويت، ولكن جابر العيش شكره، واكتفى بطلب الأسلحة الثقيلة، ومن بينها المدافع، وعبد الرسول في ذلك يرد جميلاً سابقاً لجابر العيش عندما أرسل إلى بوشهر سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) سفينتين مملوءتين بالرجال والسلاح حفظاً للمدينة من قيام ثورة مضادة لحكم الشيخ عبد الرسول أثناء غيابه لأداء فريضة الحج.

وإضافة إلى التحصينات الدفاعية، فقد أرسل أهل الكويت إلى بندر السعدون عند وصوله بجيشه إلى (ملح) على مقربة من الكويت واحداً من أعيانهم هو (عبد الرحمن الدويرج) الذي كان صديقاً مقرباً من بندر السعدون في ذات الوقت ليعاتبه، ويعلمه بصعوبة ما يريد، فقال له:

(مالك، ولحرب أهل الكويت؟، فإنهم تعاهدوا على مناجزتك، وعلى أن يقاتلوك قتال المستميت، وقد أودعوا أموالهم ونساءهم والعزيز لديهم في سفن شراعية، فإذا ما خذلوا في الميدان امتطوا غواربها إلى حيث لا تنالهم قوتك، ولا ترهبهم سطوتك. ثم ما الذي يدفعك إلى هذا المضيق؟، وجابر لا يرى بينك وبينه ما يقتضي خوض غمار الحرب، وسفك الدماء البريئة، وهو مع هذا كله مستعد لأن يقدم لك ما أنت في حاجة إليه من ذخيرة وطعام).

ويذكر الرشيد أن بندر السعدون فت في عضده هذا الكلام، وكسا الدويرج كسوة فاخرة، وأرجعه مزوداً بالتحية لجابر، وأهل الكويت، وعاد إلى دياره.

* * *

* علاقاته الخارجية:

يذكر بيلي المقيم البريطاني في الخليج في تقرير كتبه سنة ١٨٦٣م (١٢٧٩هـ) أن حاكم الكويت الشيخ صباح بن جابر العيش أخبره أن والده أوصاه قائلاً: (يا بنيّ. سوف أموت قريباً، ولم أترك لك ثروة، ولكنني أترك لك الكثير من الأصدقاء الحقيقيين، فتمسك بهم، ولاحظ أن دول الخليج حولنا تعاني من المشاكل الداخلية، وسوء الإدارة بينما التزمت أنا بطريقتي، واتبعت أسلوبي الخاص. لهذا، ورغم أنك محاط بالصحراء، ومهدد بقبائل البدو، فإنه سيأتيك يوم تحقق فيه لبلدك

الازدهار والرفاه).

وهذه الوصية تبيّن لنا طبيعة السياسة التي اتبعها الشيخ جابر العيش للمرور بسفينة بلاده إلى بر الأمان في ظل الصراعات الإقليمية والدولية التي كانت المنطقة تموج بها في أيامه، وسنلاحظ تطبيقات عملية لهذه السياسة في المحاور الآتية لعلاقات الكويت الخارجية مع القوى المختلفة في عهد جابر العيش:

١- الأتراك:

تظهر الحوادث التاريخية أن علاقة الكويت بالدولة العثمانية إبان حكم الشيخ جابر العيش كانت تسير بوتيرة حسنة خاصة وأن العراق في السنوات العشرين الأولى من حكمه كان خارج نطاق السيطرة المباشرة للعثمانيين بسبب حكم الولاة المماليك المستقلين نسبياً عن الباب العالي، وكان جابر العيش على علاقة حسنة بهؤلاء، فنجده يلبي طلب متسلم البصرة عزيز آغا بالمشاركة في الدفاع عنها ضد هجوم قام به أبناء حمود بن ثامر السعدون سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م).

ويذكر تقرير بريطاني سنة ١٨٢٩م (١٢٤٤هـ) أن حاكم الكويت يتلقى سنوياً خلعة شرفية من العثمانيين (لعله يعني ولاية بغداد) مقابل دفعه ضريبة هي عبارة عن أربعين كيساً من الأرز، وأربعمئة سباطة من التمور، ومعروف أن تلك السنة التي كتب فيها ذلك التقرير هي السنة التي بدأ فيها الشيخ جابر العيش برفع العلم العثماني على السفن الكويتية.

وبعد عودة الحكم العثماني المباشر بسقوط داود باشا والي بغداد سنة ١٢٤٦هـ، وحكم علي رضا باشا استمرت العلاقة الحسنة بين العثمانيين والشيخ جابر العيش، ويشهد لذلك إسهام جابر العيش بقواته في حصار المنتفق للزبير سنة ١٢٤٩هـ، والذي تم بإيعاز من الأتراك فيما يبدو، ومشاركته في استيلاء الأتراك على المحمرة سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م).

وفي سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) وصلت الأخبار للمنطقة أن خورشيد باشا قائد الحملة المصرية الجديدة على نجد يزمع احتلال الأحساء والزحف شمالاً باتجاه العراق، ولدينا رسالة أشار إليها خورشيد باشا موجهة من تاجر كويتي هو (عبد الله الفداغ) للإمام فيصل بن تركي آل سعود اعتبرها خورشيد باشا دليلاً على وجود تحريض من ولاة الترك في بغداد للإمام فيصل من أجل مقاومة المصريين.

ويبدو أن هذه الرسالة لم تؤثر على العلاقات الرسمية بين الكويت وخورشيد باشا إذ تذكر

الوثائق المصرية أيضاً أن الأخير اعتمد على أسواق الكويت في تموين حملته بالعلف والمؤن، ونقله لجيوشه في الأحساء ونجد.

٢- الانكليز:

كانت العلاقات بين الشيخ جابر العيش والانكليز في بداية حكمه جيدة كما يبدو من انتقال مقر الوكالة الانكليزية من البصرة إلى الكويت في الفترة من (١٥ ديسمبر ١٨٢١م) إلى (١٩ أبريل ١٨٢٢م) - أي من (٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٣٧هـ) إلى (٢٧ رجب من نفس السنة) — خلال خلاف مسئولي الوكالة مع سلطات الأتراك في البصرة.

ورغم قصر الفترة التي أمضتها الوكالة في الكويت، والتي لم تمتد لأكثر من أربعة أشهر إلا أنها تعطينا دلالة قوية على الاستقلالية التي كانت تمتع بها الكويت منذ تأسيسها رغم رفع سفنها للعلم العثماني لسبب اقتصادي بحت، وهو تسهيل مرورها في الموانئ العثمانية، وخاصة البصرة.

إلا أن طموحات الانكليز تجاه الكويت تطورت فيما بعد لتصبح أطماعاً استعمارية، فيذكر الرشيد أن مجموعة من الانكليز حاولوا إقناع جابر العيش بحمل السفن الكويتية للعلم الانكليزي بدلاً من العلم العثماني، فرفض جابر قائلاً: (أن الحكومة العثمانية جارتنا، وجل ما نحتاجه يأتينا من بلدها البصرة التي لها فيها الأمر والنهي)، فحاولوا إقناعه بالحجة قائلين: (أن الكويتيين أيضاً محتاجون إلى الهند، وسفنهم تصل إليها، وهي من مستعمرات انكلترا).

وانتهى النقاش برفض جابر العيش تلبية ما طلبوه كما رفض طلباً آخر تقدموا به، وهو بناء مقر لهم في الكويت، ويشير الرشيد إلى أن الانكليز سألوا جابر: (أتسمح للحكومة العثمانية في نزول بلدك، والبناء فيها. أم تمنعها كما منعتنا؟)، فرد عليهم: (نمنعها من ذلك إذا كان فيه ضرر علينا، وعلى بلدنا)، فحاولوا أن يأخذوا منه صكاً بذلك، فرفض، وعادوا من حيث أتوا.

ويوضح حسين الشيخ خزعل هذه الحادثة مؤرخاً لها بسنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) أي في السنوات الأخيرة من حكم جابر العيش عندما قدّم بعض قادة القطع البحرية الانكليزية القادمة للاستيلاء على المحمرة عرضاً بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية، فاعتذر لهم جابر العيش مبيناً أن مصالح بلاده ورعاياه مرتبطة بالدولة العثمانية كما رفض منحهم أرضاً لتموين بواخرهم.

ورغم هذه الحادثة يذكر لوريمر: (أن العلاقات الانكليزية مع الشيخ جابر كانت دوماً طيبة، فقد كان يُنظر إليه على أنه صديق للحكومة البريطانية إذ أنه كان دوماً مجاملاً دمثاً في رسائله معها).

وقد أدت هذه العلاقة الطيبة إلى مرور عدد من الرحالة الأجانب، وخاصة الانكليز منهم بالكويت في عهد جابر العيش، وكان من أولهم البريطاني باكنجهام الذي زار الكويت سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م) أي بعد عامين فقط من بداية حكم جابر العيش، وكتب عنها ثماني صفحات في كتاب رحلته، فقال أنه: (لا ميناء يلي القطيف شمالاً له أهمية تذكر سوى ميناء القرين — الاسم القديم للكويت) ذاكراً أن الكويت قد احتفظت باستقلالها حتى في الوقت الذي خضعت فيه (هرمز، ومسقط، والبحرين، والأحساء) للحكم الأجنبي.

وبعد أربعة أعوام من مرور باكنجهام كتب الميجور كوليبرك في تقرير عن ساحل الخليج العربي بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٨٢٠م (الأحد ٢ ذي الحجة ١٢٣٥هـ) ما يلي: (إن الكويت هي أول مستوطنة على رأس الخليج العربي، وتقع في ميناء واسع يصلح لرسوّ السفن، ويسكنها مجموعة من العرب يخضعون لآل الصباح، وهم فرع من قبيلة العتوب، وتحميها قلعة مجهزة بعشرين مدفعاً، وبناء على أكثر التقديرات احتمالاً، فإن السكان المسلحين يتراوح عددهم بين خمسة آلاف إلى سبعة آلاف رجل، وإن بضع مئات منهم من العتوب أما الباقي فهم عبارة عن خليط، وأنهم يعملون بالتجارة، ويعيشون بسلام).

أما الرحالة ستوكويلر الذي زار الكويت في سنة الطاعون الرهيبة ١٨٣١م (١٢٤٦هـ)، فقد زعم أنه الأوربي الوحيد الذي زار هذه البقاع منذ أمد بعيد!، وذكر أن مدينة الكويت في زمنه تمتد نحو ميل على الشاطئ، وسكانها لا يزيدون على أربعة آلاف نسمة، ولعل هذا التناقص الرهيب في عدد السكان كان نتيجة لفتك وباء الطاعون بأهل الكويت قبيل زيارة ستوكويلر لها.

٣- الدولة السعودية:

تولى الشيخ جابر العيش الحكم في نفس العام الذي توفي فيه الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود لتبدأ بعد وفاته الحملات المصرية لإسقاط الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت فعلاً بسقوط العاصمة الدرعية في يد إبراهيم باشا بعد أربع سنوات، وذلك سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٨م).

وشهدت فترة حكم جابر العيش ضعف الدولة السعودية الأولى ثم سقوطها، وتأسيس الإمام تركي بن عبد الله للدولة السعودية الثانية، وخلافة ابنه الإمام فيصل له، ولم تكن للدولة السعودية في تلك الفترة مطامح باتجاه الكويت أو حتى التخوم الشمالية في العراق، وبالتالي لم تحدث مصادمات بين الكويت وقوات السعوديين كما حدث في فترة الشيخ عبد الله الأول.

ويبدو أن سقوط الدرعية أدى إلى لجوء أحد أمراء آل سعود إلى الكويت، ويورد الحاتم قصيدة له دون توضيح اسم ذلك الأمير يشكو فيها من دورة الزمن، ويمدح جابر العيش بأبيات منها:

نشكي إلى من هو ذرا الخايفينا هو سورنا (جابر)، وللكسر جبّار

جيناك عن دار البلا.. نازحينا ناصين دارك.. يا ذرى الجار لو جار

واستمرت العلاقة الطيبة بين جابر العيش وآل سعود حتى أن جابراً رحب بنزول الإمام تركي بن عبد الله آل سعود في الصبيحية (ماء جنوبي الكويت) خلال حملة له لتعقب بعض القبائل الخارجة عليه سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م)، وقام جابر العيش بإهداء الإمام تركي بعض الهدايا، وأقام الأخير في الصبيحية أكثر من أربعين يوماً ثم قفل راجعاً إلى دياره.

ولجأ إلى الكويت سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م) القائد عمر بن عفيصان أمير الأحساء في عهد الإمام فيصل بن تركي آل سعود، وذلك عندما احتل خورشيد باشا الرياض، وأرسل الإمام فيصل إلى مصر أسيراً، وطلب من ابن عفيصان القدوم إليه، فما كان من الأخير إلا أن توجه إلى الكويت، وأقام فيها حيث وجد الأمان لمدة ثلاث سنوات عاد بعدها إلى الرياض بعد رجوع الإمام فيصل إلى الحكم، وهناك قول بأن ابن عفيصان هو صاحب القصيدة السابقة المنسوبة لأحد أمراء آل سعود.

٤- المشيخات القبلية:

كانت الكويت عند تولي الشيخ جابر العيش للحكم محاطة بثلاث قوى قبلية هي: (بني خالد في الجنوب، والمنتفق في الشمال، وبني كعب في الشمال الشرقي)، وقد تعامل جابر العيش بحكمة مع القوى الثلاثة حتى استطاع تحجيم خطرها على بلده.

بالنسبة لبني خالد، فإن علاقة الكويت بهم كانت على الدوام حسنة خاصة في بداية التأسيس، ولم يشهد التاريخ الكويتي معارك أو أزمات بين الطرفين، ويضاف إلى ذلك إلى أن جابر العيش تولى الحكم بعد سقوط إمارة بني خالد على يد القوات السعودية، ورغم العودة المؤقتة للإمارة بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، فلم يكتب لهذه العودة النجاح بعد هزيمة آل عريعر في معركة الرضيمة سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٣م).

أما المنتفق، فقد ساعدت العلاقات المتميزة بين الشيخ جابر العيش والسلطة العثمانية في بغداد على توطيد العلاقات الكويتية بالمنتفق، وهذا ما نشهده من مساعدة الشيخ جابر العيش لجيش المنتفق المحاصر للزبير سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م)، وما يحمله شيوخ المنتفق من امتنان لطبيعة

الاستقبال الذي لقيه راشد السعدون في الكويت، وما ترتب عليه من إهدائه ثلاثة أحواز من الفاو للشيخ جابر العيش، ورغم أن هذه العلاقات تأثرت بمحاولة بندر السعدون غزو الكويت سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) إلا أن الحكمة التي عالج بها جابر العيش الأزمة أدت إلى عودة العلاقات إلى ما كانت عليه من الودية.

وأخيراً، فإن الشيخ جابر العيش ورث عن أبيه توتر العلاقات مع بني كعب منذ معركة الرقة البحرية بين الطرفين التي جرت في عهد الشيخ عبد الله الأول، واستمرت العلاقات متوترة بين الطرفين مع مشاركة الشيخ جابر العيش في المصادمات التركية مع بني كعب سنتي ١٢٤٢ و١٢٤٣هـ، وفي استيلاء الأتراك على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م)، ولكن العلاقات ما لبثت أن تحسنت خاصة بعد لجوء ثامر بن غضبان شيخ بني كعب إلى الكويت مرتين كان آخرها في سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م).

* * *

* السياسة الداخلية لجابر العيش:

امتازت سياسة الشيخ جابر العيش الداخلية بالرفق تجاه رعيته، وحبه لأبناء وطنه، وحرصه عليهم، ونستخلص ذلك من ذهابه لمحاربة قبيلة النصار في الأحواز ثأراً لقتلهم أحد الكويتيين إضافة إلى حادثة أخرى يذكرها المؤرخ الرشيد، وملخصها أن أحد آل صباح ضمن نخيلاً لبعض المنتفق في البصرة لكنه لم يسلم لهم شيئاً، فرفع صاحب الأرض المنتفقي الأمر إلى جابر العيش، وطالبه بأخذ حقه من ضامن الأرض، فأخبره الشيخ جابر بأن الضامن مفلس، وليس في يده شيء.

وبعد فترة قصيرة قام تاجر من آل البدر الكويتيين بالسفر إلى سوق الشيوخ، فقبض عليه هناك شيخ المنتفق، وصادر أمواله، وسجنه رداً على الحادثة السابقة مما دعا جابر العيش لتجهيز أسطوله البحري، وسار به، فاحتل مقاطعة زراعية تابعة للمنتفق في البصرة، وحاصرها حتى يتم إطلاق سراح التاجر الكويتي، وإعادة أمواله إليه الأمر الذي حدث فعلاً، وتمت الاستجابة لما طلبه جابر.

أما رفقه برعيته، فنتلمسه من قيامه بإلغاء ضريبة فرضها ابنه (صباح) على الدكاكين في سوق الكويت دون علمه، وذلك حال سماعه عنها حين اشتكى إليه أحد أصحاب الدكاكين من البسطاء الذين عجزوا عن دفع الضريبة.

وقد استدعى الشيخ جابر ابنه صباح، وأغلظ عليه القول لفرضه هذه الضريبة قائلاً له:

(إن لأهل الكويت علينا حقوقاً عظيمة، ولو كان تحت يدي ثروة طائلة لقمت بحاجات الفقراء، والمحتاجين منهم إلى أن يموتوا).

وإلى جانب رفقه كان جابر العيش لا ينكر ما يقدمه أبناء شعبه من أعمال خيّرة لدعم حاكمهم، وله في الرجال نظرة ثاقبة لا تخيب، فيذكر عبد العزيز الرشيد في تاريخه أن جابر العيش كان يعفي أموال وبضائع التاجر علي بن إبراهيم من كافة الرسوم مما أغاظ تاجراً آخر هو عبد اللطيف بن خميس، فعاتب جابر في ذلك، ولكن الحاكم الرزين لم يزد على القول: (سأنظر في الأمر).

وبعد عشرة أيام بعث جابر خادمه إلى ابن خميس ينبئه بحاجته إلى قهوة لمجلسه، فملأ التاجر وعاء صغيراً من البن، وأعطاه للخادم ثم أرسل جابر الخادم إلى ابن إبراهيم بنفس الطلب، فما كان من الأخير إلا أن دعا بإحضار عدة دواب حمّلها بنحو ثمانية أكياس كبيرة من البن، وأرسلها إلى الشيخ جابر.

وعندما وصل الطلبان وضع جابر الوعاء الأول فوق الأكياس الثمانية واستدعى المعترض ابن خميس، فأراه الفارق بين ما قدمه هو، وبين ما قدمه ابن إبراهيم ليعرف سبب إعفاء الأخير من الضرائب، وما يستحقه من تكريم.

ويذكر الرشيد أيضاً حادثة أخرى من نفس النوع، ومفادها أن جابر احتاج لمجموعة من البشوت لخدامه، ولمهاداة من يفد إليه من البدو، فأرسل إلى تاجر كويتي هو فهد الفهيد يطلب منه ما يريد على سبيل القرض، ولكن الفهيد خشي من طول مدة القرض، فأنكر وجود البشوت لديه، ولما علم جابر العيش بذلك أسرّها في نفسه منتظراً الفرصة المناسبة لمجازاة ذلك التاجر.

وبعد فترة قام أحد الأعراب بأخذ أموال للتاجر الفهيد ثم استطاع الأخير الظفر بالأعرابي، فرفع الأمر إلى جابر الذي قال له: (من أنت؟، ومن تكون؟)، فقال: (أنا فلان بن فلان)، فقال جابر: (أنا لا أعرف أحداً من أهل الكويت هذا اسمه. نعم أعرف بهذا الاسم رجلاً من أهل الزبير أو الأحساء)، فأكثر التاجر الكلام يحاول التعريف بنفسه دون فائدة حتى قال له جابر منهياً الحديث: (نحن لا نطالب إلا بأموال رعيتنا لا غير)، وانصرف التاجر، وهو يعرف أن تجاهل جابر العيش له ما هو إلا رد على فعلته السابقة.

* * *

* الموارد الاقتصادية في عهده:

لم يكن للحاكم في زمن الشيخ جابر العيش موارد اقتصادية كثيرة بل كان بعض التجار من رعيته أثرى مالاً منه، ويقرر الرشيد في تاريخه الموارد الاقتصادية التي كان يتحصل عليها جابر العيش في الآتي:

١- رسوم طفيفة يتقاضاها على بعض الأموال التي ترد الكويت.

٢- ما رتبته له الحكومة العثمانية من التمر.

٣- ما كان يجنيه من نخل آل الزهير (الصوفية)، ومن الثلاثة الأحواز التي أهداه إياها راشد السعدون.

٤- ما يتبرع به الكويتيون للقيام بما يحتاجه لإصلاح البلد، وحمايتها من الأعداء أو لبعض حاجاته الضرورية.

ويذكر الميجور جورج بروكس في تقرير مؤرخ في أغسطس ١٨٢٠م (صفر ١٢٤٥هـ) أن الواردات الكويتية تبلغ خمسة ملايين روبية بينما لا يتجاوز حجم صادرتها المئة ألف روبية. أما النظام الضريبي فيها، فيوضحه الرحالة ستوكويلر الذي زار الكويت سنة ١٨٣١م (١٢٤٦هـ) بالقول أن الكويت تتقاضى رسماً جمركياً على الواردات قدره ٢ ٪.

ويضيف الكابتن هنيل المقيم البريطاني في الخليج سنة ١٢٥٧هـ (١٤٨١م) أن شيخ الكويت لا يحصّل الضرائب، والعوائد الجمركية سوى فرضه ضريبة صغيرة على سلع البدو الذين يأتون إلى مدينته. أما ميناء الكويت، فهو حر لا قيود فيه، ويكاد الدخل الذي يحققه الشيخ لا يتجاوز ثلاثة آلاف ريال (دولار) في حين يذكر بيلي بعد أربع سنوات من وفاة الشيخ جابر العيش أن الضرائب التي يحصل عليها شيخ الكويت تصل إلى عشرين ألف ريال، وهو ما يتوافق مع فرض الشيخ صباح بن جابر العيش بعض الضرائب على التجار بالإضافة إلى اتساع الكويت، وازدهارها، وزيادة عدد سكانها.

واهتم الشيخ جابر العيش في عهده بتسهيل التجارة، وتنظيم الأمور في أسواق الكويت، فعيّن ابنه دعيج مسئولاً عن أمن هذه الأسواق، وظل دعيج يتولى هذه المهمة حتى وفاته في عهد ابن أخيه الشيخ مبارك الصباح سنة ١٣٢٩هـ (١١٩١م).

* * *

* شعر ابن مسلم فيه:

يبدو أن جابر العيش لكرمه وهيبته كان مقصداً للشعراء، ووصلتنا عدة قصائد في مدحه من شعراء من خارج الكويت، ولعل ما قال شعراء الكويت فيه أكثر، ولكنه ضاع مع الأيام، وسبق أن نوهنا بما قاله الأمير السعودي الذي لجأ للكويت، وما قاله ابن لعبون، ونعطي المساحة القادمة لما قاله محمد بن مسلم في جابر العيش.

ومحمد بن مسلم شاعر مشهور في الأحساء، ويكفي للتنويه إليه القول بأنه القائل الحقيقي لقصيدة (البارحة يوم الخلايق نياما) المنسوبة خطأ لنمر العدوان.

ولابن مسلم قصيدتان طويلتان في مدح الشيخ جابر العيش، ونبدأ مع الأولى التي قالها الشاعر، وهو في الأحساء، ولم يسبق له الالتقاء بالشيخ، ومنها:

ألا يا بو حسين ان رمت نيّة ... وزمّت بك عن الدار المطيّة
وجيت الدار في حال السلامة ... أمانتك الثنا لي، والتحية
على كل الجميع، وخصّ (جابر) ... خليفة من غدا تحت المقابر
ومن علمه علا كل المنابر ... بمعروفه، وبرّه في الرعيّة
فتى ما شاخ مثله في البرايا ... بسكّان المدن، واهل القرايا
عسى، وان حامت طيور المنايا ... تحطّ الغير عن عمره فديّة
حكم باهل الكويت، وصار رحمة ... بوصله في أهل داره، ورحمه
لراعي العايلة ما فيه رحمة ... يجيه بعسكرٍ تسمع دويّه
إلى من قيل: إرقى للطلايع ... تكسّر عنه سكّان الجمايع
كأنّ المال في كفّه ودايع ... وبيض الأريله عنده جنيّة
إلى فكّرت في كل العبادي ... تسبّ شيوخها حضرٍ، وبادي
سوى جابر، وقومه في الودادي ... تقاسموا المحبة بالسويّة
إلى من جا العصر نادوا عبيده ... هلّم الى العشا باللي يريده
تزيد مروّته، الله يزيده ... وفضل الله جزلٍ بالعطيّة
غفر زلّات نفسه طيب خيمه ... ونفسٍ في مساجيها كريمة
فتى يضحك إلى سوّى الوليمة ... كأنّه معطيٍ فيها عطيّة

إلى من زاد ضيفه زاد جوده ويوم الكون يظهر من وجوده
عباد الله على قولي شهوده وعين الشمس ما هي بالغبيّة
وهو ما قصده بغير السماتي وستر الحال عن أهل الشماتي
وتكسيه المحرمة، والعباتي وبرقا.. أو عباة دويرقية
إلى قالوا له البس، قال لا لا يعرفوني بلا ذاك الرجالا
تغير الخيل رثّات الجلالا وكم جلٍّ حسن تحته بليّه
ينادي (العيش) يا جوعان عبده ولا شيٍّ سوى ربّه يعبده
وربّ العرش لى من حبّ عبده دفق في الما محبّته الشهيّة
ألا يا بو حسين قل له تراني أحبّه بالذكر.. لو ما رآني
وما في القلب يظهره اللساني إلى حلّ الذكر في مطرويّه
لـ (عبد الله) شابه في طبوعه يبرّه في القصير، وفي ربوعه
ثقيل الروز.. رزنٍ ما يروعه رجيح الحرب الى شبّت ضويّه
فتى شرّع بكعب اقعد صغاها وعقب اهدارها.. جرّت رغاها
خصال المجد بالدنيا شراها بحكمه ردّت الديرة صبيّة
وهو شفّه من الدنيا ثلاثة: حصان او مهرةٍ فيها عباثة
وقدرٍ فيه للجايع غياثه وبيضا ما عداها قهوجيّة
وشفّه من طوال الروم ساجة عريضٍ جنبها فيها لجاجة
إلى من صار له في الحرب حاجة طعنها بآلة الحرب النضيّة
أنا جيت له من قبلٍ أشوفه سواة العشب يطرب في وصوفه
إلا واهنّي من قبّل كفوفه وشافه بالنظر قبل المنيّة
عليّه نذر.. إن شفته بعيني لاقبّل هامته، والراحتيني
فالى حال القدر بينه، وبيني عليه تحيّتي بكرة، وعشيّه

والقصيدة الأخرى لمحمد بن مسلم في مدح الشيخ جابر العيش قالها، والشاعر في الثلاثينيات من عمره، وذلك لقوله في أحد أبياتها أنه في (حرف اللام)، واللام تساوي عدد (٣٠) بحساب الأبجدي، وهي طويلة، ومنها:

قال الذي عينه عن النوم حاربه ولا لحلو الزاد كبده مقاربة

تفكّرت بالدنيا عجايب فعالها ... من حادثاتٍ موجعاتٍ وكاربة

كم جرّعتني كاس الامرار والشقا ... واسعر بجوفي ضامرٍ شبّ لاهبه

ولا نا ب أوّل واحدٍ ذاق سوّها ... كثير من مثلي به الهمّ تاعبه

كم منعمٍ فيها.. برغدٍ ونعمة ... وخيرٍ كثيرٍ بين اياديه قاضبه

كفا.. كفاً الدنيا.. كفا الله شرّها ... غدّارةٍ ما هي لعهدٍ بقاضبة

ميّالةٍ.. وش عاد لو بان صفوها ... غرورٍ، وردّت للكدور.. امتجانبه

فلا عاقلٍ يامن لليعات مكرها ... واخدوشها.. لو نال فيها مطالبه

محنّي بها فجر المشيب، ولاح بي ... وانا بـ (حرف اللام) توّي مقاضبه

عزّي لحالي كم اقاسي من الأسى ... هموم وغمومٍ على القلب قاطبة

ف سر يا نديبي باعتجالٍ وهمّة ... بـ (وشارٍ) سبوقٍ يوصل البعد راكبه

ساجٍ صليحٍ كلّ ما فيه معجب ... محروس بالله عن لقا كلّ نايبة

ف الى ما تجاوز روس الامواج، وانتهى ... كنّه عقابٍ طايرٍ في مواجبه

وتلفي بعون الله ربي وخالقي ... دار (الكويت) اللي بالافاق ثاقبة

سقاها الحيا وسمٍ علاها، ومدّها ... ربي بعزٍّ دايمٍ يستلاذ به

رجال القنا. بحر الغنا. جود من عنا ... إلى من شكا من شين الاوقات صايبه

(أبو صباح.. جابر الجابر) الذي ... مدحه على جمل المراجل وهايبه

كريم ما قدٍ فارق الضيف سيفه ... وجهٍ يصيّب مع تفاريض صايبه

ف ان قيل مثله بالملا. قلت: لا.. حشا ... للضيف ألطف من حبيبٍ لصاحبه

ومع ذا نديّ الكفّ بالبذل والعطا ... كم معسرٍ نال الغنا من وهايبه

حرٍّ شجاعٍ في ضحى الكون نادر ... إلى صاح داعي الحرب لبّى منادبه

بعزمٍ وحزمٍ واجتهادٍ وهمّة ... لا أرشد الله بالملا من يحاربه

إلى حلّ يوم الحرب، واشتدّ عجّه ... ومن عانه الله نال غاية مطالبه

ف هناك (ابو صباح) مشير بالقنا ... ويوصل مواصيلٍ على العين قاربة

فهذا بحقٍّ منه ذلٍّ وطايع ... وهذاك مومٍ به، وهذاك ضاربه

مرحوم (عبد الله).. لنا خلّف الذي ... عجزت هل الأشعار تحصي مناقبه

فلا تحسب ان اليوم بالناس مثله ... ومن قال مثله.. ذاك اشافيه كاذبة

ومنين يوجد بالملا مثل (جابر) ... ولا طلع بالكون مثله يقاربه

قـرمٍ سخي يكفي عن الغيث جوده ... حـرٍّ نجيـبٍ زاكـيـاتٍ مـناسبه
أديـبٍ لبيبٍ ذات حلمٍ وشيمة ... نـزهٍ عفيفٍ عـاليـاتٍ مـراتبه
نـال المحـامـد كـلّهـا، واستحازها ... والجـود والمعـروف أعـلا مناصبه
وهـو نقمة الأعـدا، ومأمول من غدا ... يشكي الصدا.. مما قدا.. به ونال به
أبـقـاه ربي في سـرورٍ ونعمة ... ومجدٍ على رغم العدا يستجار.. به
ويـديم سعـده، ويفسح الله بعمره ... أرجي الذي فضله على الخلق قاطبة
وصلّـوا على خير البرايا محمّد ... مـن شرّفـه ربّـه بـأعـلا مخاطبة

* * *

* وفاة جابر العيش:

توفي الشيخ جابر العيش بن عبد الله الصباح سنة ١٢٧٦هـ، (١٨٦٠م)، وهو يناهز التسعين من عمره، وقد مات على فراشه رغم كثرة الحروب التي خاضها، فلا نامت أعين الجبناء.

وتولى الحكم من بعده ولده الأكبر صباح، (وبه كان يكنّى)، وقد سبق لصباح أن أوكل إليه أبوه معظم أمور الحكم لما كبرت سنه قبيل وفاته.

* * *

* ذريته:

كان للشيخ جابر العيش اثنا عشر ولداً ذكراً هم: (صباح، وعبد الله، وخليفة، وسلمان، ومحمد، ومقرن، وعلي، وحمود، وجراح، ومبارك، وشملان، ودعيج).

هذا ما ذكره الرشيد في تاريخه، وتابعه في ذلك المؤرخون من بعده، ولكن وثيقة حصر الإرث الخاصة بآل صباح، والصادرة عن قاضي الكويت سنة ١٩٤٢م (١٣٦١هـ) تذكر أن الشيخ جابر العيش عند وفاته لم يكن له من البنين والبنات سوى أولاده الثلاثة: (صباح، وعلي، ودعيج)، ويبدو أن امتداد العمر بجابر، والأوبئة التي حدثت في عهده أدت إلى وفاة جميع أبنائه وبناته عدا هؤلاء الثلاثة.

والقسم الأكبر من (آل صباح) الأسرة الحاكمة في الكويت حالياً هم من ذرية جابر العيش.

ألبوم صور الشيخ مبارك الكبير

رغم أن البشرية عرفت التصوير الفوتوغرافي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ويعتقد أنه صار متاحاً في البلاد العربية منذ سنة ١٨٧٠م (١٢٨٧هـ)، فإن الكويت لم تشهد وجوداً للتصوير الفوتوغرافي قبل سنة ١٩٠٠م (١٣١٨هـ) مع زيارة البواخر الروسية والانكليزية للكويت، وهناك اعتقاد أن بعض الكويتيين عرفوا التصوير في الهند أثناء ذهابهم إليها للتجارة.

وكان الشيخ مبارك بن صباح بن جابر العيش بن عبد الله الصباح الحاكم السابع للكويت (١٨٩٦ — ١٩١٥م) أول حاكم كويتي تلتقط له الصور الفوتوغرافية، ومن خلال هذا الموضوع سوف نحاول حصر ما وصلنا من صور فوتوغرافية للشيخ مبارك، والتوقف عند كل صورة منها، والتعرف على ظروفها لما في ذلك من دلالة على أحداث تتعلق بالاتصال الدولي بالكويت.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اعتقاداً بأن بعض الصور التي تنسب للشيخ مبارك هي في الحقيقة لأحد معاصريه، وهو صقر الغانم أحد قادة الجيش الكويتي، ونعني الصور الملتقطة خلال استقبال اللورد كورزون، والتي سنتعرف عليها في السطور القادمة.

والآن نبدأ ألبوم الشيخ مبارك مع.....

أولا: الصور الفردية:

* الصورة الأولى:

هي أشهر صور الشيخ مبارك على الإطلاق، والمستخدمة في الإصدارات الرسمية حالياً، وقد التقطها الألماني هيرمان بوردخاردت عصر ١١ ديسمبر ١٩١٣م (١٣ محرم ١٣٣٢هـ) في قصر السيف، وفي الصورة يجلس الشيخ مبارك موجهاً نظره نحو العدسة، وقد ارتدي كامل ملابسه الشتوية بأناقة واضحة.

وقد كتب بورخاردت عن لقائه بالشيخ مبارك: (كان يبدو عظيم الاطلاع، ومن ضمن الشيوخ الذين التقيت بهم خلال أسفاري كان الشيخ مبارك هو الوحيد الذي تحيط به هيبة الملك).



الصورة الأولى



الصورة الثانية

وتجدر الإشارة إلى أن هناك صورة تم نشرها حديثاً على غلاف كتاب ب ج سلوت عن الشيخ مبارك، ويبدو فيها الشيخ مبارك جالساً بملابس شتوية، وهي مجتزأة من الصورة الجماعية للشيخ مبارك مع الملك عبد العزيز، والتي سنذكرها لاحقاً، والتي صورت سنة ١٩١٠م (الصورة الحادية عشر)، وبالتالي لا يحق لنا اعتبارها صورة فردية للشيخ مبارك.

* الصورة الثانية:

صورة التقطها الرحالة الدنماركي باركلي رونكيير خلال زيارته للمنطقة سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ)، وقد مكث في الكويت فترة قبل ارتحاله إلى نجد.

ويبدو الشيخ مبارك في هذه الصورة بملابس شتوية جالساً على كرسي، وقد وضع رجلاً على رجل، ويعتقد أن الصورة التقطت في قصر السيف.

* الصورة الثالثة:

صورة التقطت للشيخ مبارك واقفاً على الجسر الخشبي الموجود في قصر السيف، ويبدو فيها الشيخ مبارك بملابس شتوية، ومرتدياً الدقلة (المعطف الطويل)، ويستند بيده اليمنى على سور الجسر، ويبدو في الخلف من بعيد رجال من حاشية الشيخ مبارك، والصورة ملتقطة في وقت مقارب


الصورة الثالثة


الصورة الرابعة

لصورة الشيخ مبارك مع برسي كوكس سنة ١٩٠٧م تقريباً (الصورة الثانية عشرة).

* الصورة الرابعة:

صورة نشرت حديثاً في جريدة فرنسية معاصرة للشيخ مبارك، ورغم أنها نشرت سنة ١٩٠٣م في جريدة فرنسية إلا أن ملامح الشيب وكبر السن يبدو واضحاً إليه مما يدل على أن الصور اللاحقة كان الشيخ مبارك فيها يصبغ هذا الشيب.

* * *

ثانيا: الصور الجماعية:

* الصورة الخامسة:

أقدم صورة معروفة للشيخ مبارك، والتقطت للشيخ مبارك يتوسط ستة من بحارة السفينة الروسي فارياج في ديسمبر ١٩٠١م (١٣١٩هـ) خلال زيارة طاقم السفينة للكويت، وقد ارتدى



الصورة الخامسة

الشيخ مبارك ثوباً بحزام دون بشت، ويبدو في خلفية في الصورة بعض الكويتيين.

* الصورة السادسة:

صورة التقطت سنة ١٩١١م في البصرة خلال زيارة للشيخ مبارك، ويبدو في الصورة من اليمين: (السياسي الفارسي صمصام بختياري – الشيخ خزعل المرداو حاكم المحمرة – سليمان شفيق



الصورة السادسة


الصورة السابعة

أبو عباية والي البصرة – الشيخ مبارك بملابس صيفية – السيد طالب باشا النقيب).

* الصورة السابعة:

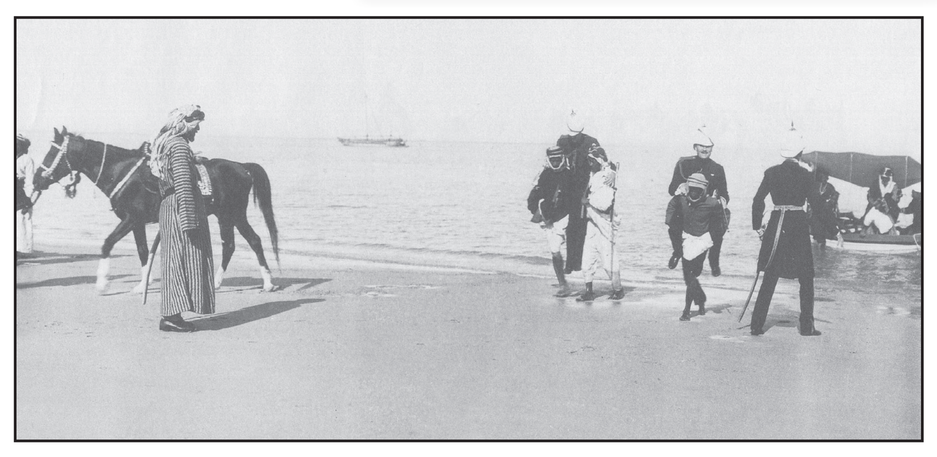
صورة تجمع الشيخ مبارك الصباح بصديقه حاكم المحمرة خزعل المرداو واقفين، ويبدو من خلفية الصورة أنها ملتقطة في خيمة.

* الصورة الثامنة:

صورة التقطت سنة ١٩٠٣م خلال زيارة حاكم الهند البريطاني اللورد كورزون للكويت، ويبدو فيها الشيخ مبارك مرتدياً ثوباً مخططاً على ظهر فرسه على شاطئ الخليج عقب وصول اللورد، ولا يظهر وجه الشيخ بوضوح، وقد وقف بجانبه رجل يرتدي نفس نوعية ثوب الشيخ، وهناك فارس يحمل البيرق الكويتي في خلفية الصورة.

* الصورة التاسعة:


الصورة الثامنة



الصورة التاسعة

صورة التقطت سنة ١٩٠٣م، ويبدو فيها الشيخ مبارك واقفاً في استقبال اللورد كورزون الذي وصل محمولاً على الأكتاف كيلا تبتل ثيابه نظراً لصعوبة رسو سفينته على شاطئ الكويت، فقد ركب قارباً أوصله إلى الشاطئ، ويبدو أن المصور قد نزل أولاً ليتمكن من التقاط الصورة.

وفي هذه الصورة لا يبدو وجه الشيخ مبارك واضحاً.

* الصورة العاشرة:

صورة ثالثة يبدو فيها الشيخ مبارك خلال استقبال اللورد كورزون خلال ركوبه للعربة التي تجرها الخيول، واستوردها الشيخ مبارك خصيصاً لهذه المناسبة، ويبدو الشيخ مبارك معطياً ظهره للكاميرا،



الصورة العاشرة

وفي الصورة عدد من حاشية الشيخ مبارك، ومرافقي اللورد.

ولا يمكننا الجزم بأن الصور الثلاثة الملتقطة خلال استقبال كورزون هي لمبارك، فهناك اعتقاد بأن هذا الشخص الذي يرتدي الثوب المخطط هو صقر الغانم.

* الصورة الحادية عشرة:

واحدة من أشهر صور الشيخ مبارك الجماعية، ويبدو فيها متوسطاً للملك عبد العزيز آل سعود، وأخيه الأمير محمد بن عبد الرحمن آل سعود، ووقف معهم وخلفهم بعض الأطفال والرجال من أسرتي آل صباح وآل سعود.

وقد التقط هذه الصورة الكابتن شكسبير في مقر الوكالة السياسية البريطانية في الكويت سنة ١٩١٠م.



الصورة الحادية عشرة





وتجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاث بروفات لالتقاط هذه الصورة، ويمكن التفريق بينها من خلال التدقيق في حركة أصابع الشيخ مبارك، وحركة الملك عبد العزيز، ففي أحدها تظهر مسبحته بشكل واضح، وفي إحداها يظهر مبتسماً، وقد بدت أسنانه.

* الصورة الثانية عشرة:

صورة التقطت في نفس وقت التقاط الصورة الرابعة أي سنة ١٩٠٧م تقريباً، وفي نفس مكانها، ويبدو إلى يسار الشيخ مبارك السياسي البريطاني برسي كوكس، وهما واقفان.

* الصورة الثالثة عشرة:



الصورة الثانية عشرة



الصورة الثالثة عشرة

صورة التقطت فيما يبدو في أواخر أيام الشيخ مبارك، ويبدو فيها الشيخ مبارك جالساً، وبجانبه أحد الأطفال، ويعتقد أنه ابنه حمد أو حفيده عبد الله السالم، وفي الخلف وقف ثلاثة رجال. أحدهم هو الشيخ سالم المبارك يسار الصورة، وفي الطرف الآخر رجل كنا نعتقد أنه الشيخ جابر المبارك، ولكنه بالمقارنة لا يبدو شبيهاً بجابر، ولعله أحد أخوة الشيخ مبارك أو أبناء عمومته، وبينهما شخص أسمر البشرة غير معروف بالنسبة لنا.

والصورة ملتقطة في ساحة قصر السيف فيما يبدو، ويظهر كرسي فخم في خلفية الصورة.

* الصورة الرابعة عشرة:

صورة للشيخ مبارك ملتقطة في البصرة، ويبدو فيها متوسطاً الشيخ خزعل، ووالي البصرة سليمان شفيق.

* الصورة الخامسة عشرة:

صورة يبدو في عمق منتصفها الشيخ مبارك الصباح جالساً، وقد أسند ظهره على زاوية الجدار، وبجانبه رجلان بريطانيان، وأحاط بهم عدد كبير من الكويتيين جلوس، وقد التفت بعضهم إلى الكاميرا بشكل واضح.

* * *

ولي في نهاية هذا الموضوع كلمة، وهي أن التراث الفوتوغرافي للكويت يعاني من إهمال حقيقي، ويحتاج إلى وقفة تساؤل، فهل هناك جهد حقيقي مبذول للحصول على أصول صور الكويت في الماضي في الأرشيفات العالمية والمحلية أو عمل نسخ بنفس جودة الأصول؟

وهل هناك تفكير بالبحث في الأرشيف العثماني، وخاصة في معهد



الصورة الرابعة عشرة



الصورة الخامسة عشرة

أرسيكا التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي الموجود في إسطنبول، وأنا على ثقة أن في ذلك الأرشيف صوراً تتعلق بالكويت؟

وهل هناك جهد لنشر كتب تحوي الأرشيف المصور للكويت محققاً برعاية الدولة، والاستفادة من جهود الباحثين في هذا المجال؟

من سيرة ثامن حكام الكويت (الشيخ جابر المبارك)

حكم الكويت على امتداد تاريخها ثلاثة شيوخ حملوا اسم (جابر)، وهم ذرية بعضها من بعض، وكان لهذا الاسم المأخوذ من معنى جميل هو (جبر الكسور والعثرات) نصيب من سيرة من حملوا اسمه، فلو جئنا لجابر الأول لوجدناه حاكم الكويت الثالث جابر بن عبد الله بن صباح الأول الملقب بجابر العيش، والذي حكم الكويت بين عامي (١٢٢٩ – ١٢٧٦هـ)، وقد سطر معاصروه من شعراء وأعلام المدائح المنوهة بكرمه منقطع النظير حتى لقب بجابر (العيش) لما كان يفرشه في الأسواق من طعام للفقراء وأبناء السبيل، وسبق لنا أن فصلنا الحديث عنه في مبحث سابق.

أما جابر الثالث، فهو أميرنا الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح (أمير القلوب) الذي ذُرفت الدموع يوم رحيله أنهاراً، وقد قلتُ عند رحيله (الشعر لمؤلف الكتاب إبراهيم حامد):

دعها تبادرُ، فالدموع شفاءُ ... ودواء حزنك عبرةٌ، وبكاءُ
دعها تبادرُ، فالمسجّى (جابرٌ) ... والصمت شجوٌ، والكلام رثاءُ
هذا المسجّى: طاب حيّاً.. ميّتا ... ضمّته أرضٌ، فاحتوته سماءُ
هذا المسجّى، والقلوب تحفه: ... وطنٌ تجسّد.. حين ضاق فضاءُ
هذا المسجّى: حكمةٌ، وعدالةٌ ... هذا المسجّى: رفعةٌ، وإباءُ
هذا المسجّى: صفوةٌ من صفوةٍ ... عِظَمٌ.. تصاغر دونه العظماء
هذا أبونا.. قد كبرتُ بعهدهِ ... هل تُستعاضُ بغيرها الآباء؟
قد كنتُ طفلاً يوم صار أميرنا ... والآن يدرجُ حوليَ الأبناءُ
والفقدُ ما لا تستطيع بقولها ... أن توجزَ الخطباءُ، والشعراءُ
والفقد أعمق ما يكون إذا انطوى ... علمٌ، وغارت قمّة شمّاءُ
تبكيه في يوم الرحيل بحرقةٍ ... أيتام هذا الكون، والفقراءُ
والله يشهد كم لنجدة معوزٍ ... مدّت بخيرٍ كفّهُ البيضاءُ
يا ربُّ.. خذ منّا دعاء مخلصاً ... يا من يجيب، فلا يَخيب دعاءُ
ندعوك وسّع قبره، واغسله بالـ ... بَرَدِ الذي غُسلت به الشهداءُ



الشيخ جابر يتفقد البارجة الروسية

وارحمـــهُ يــا رحمـــانُ، واجـعـل قـبره — روضـــاً، فـــإنّ الـعـفـو مـنـك عــزاءُ
والـيــوم نـعـلـنُ لـلـكـويـتِ محـبّـةً — وبـــه.. تُجـــدّد بـيـعـةٌ وولاءُ
ولـيـحـفـظ الله الـكـويـتَ وأهـلـهـا — عــهــدٌ لــه في الخـافـقــين بـقـاءُ
دعـهـا تــبــادرُ، فـالمـودّع (جـابـرٌ) — والــدمــع في يـــوم الـــوداع دواءُ
سـلّـمْ لأمـر الله، واسـترجـع، وقـل: — شـــاء الإلـــهُ، ولا يُـــردّ قـضـاء

وفي هذه الكتابة سوف نحاول إلقاء الضوء على أوسط هؤلاء الحكام، وهو الشيخ جابر الثاني، والذي كان له في تاريخ الكويت سيرة عطرة، وفي قلوب الكويتيين ذكرى طيبة رغم قصر مدة حكمه، والتي لم تتجاوز الأربعة عشر شهراً إلا بأيام قليلة.

* * *

* نشأته:

الشيخ جابر المبارك حاكم الكويت الثامن، وهو أكبر أبناء مبارك الكبير حاكم الكويت السابع، والذي قفز ببلاده قفزات واسعة، وجعلها دولة تحرص الدول الكبرى على استرضائها، وكسب مودتها، وكان رقماً صعباً بين معاصريه من حكام المنطقة، وعنصراً مؤثراً في الأحداث خارج نطاق بلاده الكويت.

وكان الشيخ مبارك يكنى بابنه جابر، فهذا العوني يمدح الشيخ مبارك قائلاً:

مـادام (ابـو جـابـر) على العـزّ، والبقا عـنّـا ثـقـيـلات الحـمـول ارتـكـى لها
إلى احــترك.. سبـع القـبـايـل تحرّكـت والى رســا.. تـرسـي رواســي جبالها

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ مبارك الصباح كان له ثمانية من الولد هم: (جابر — سالم — صباح – ناصر — فهد — حمد — سعود — عبد الله)، وقد توفى ثلاثة منهم في حياة أبيهم، ولا ذرية لهم، وهم صباح الذي توفي في ٢٠ يونيو ١٩٠٦م (٢٧ ربيع الآخر ١٣٢٤هـ)، وقبله بشهر توفي أخوه فهد في ١٨ مايو ١٩٠٦م (٢٤ ربيع الأول ١٣٢٤هـ)، وتوفي سعود، وهو طفل في الثانية من عمره كما كان للشيخ مبارك ست بنات هن: (شريفة — حصة — موضي — حبابة — موزة — عائشة).

أما والدة جابر، فهي الشيخة شيخة بنت دعيج بن جابر العيش الصباح ابنة عم أبيه.

ويقدر مولد الشيخ جابر في العقد الواقع بين عامي (١٨٦٠م، و١٨٧٠م)، وهو إلى التاريخ الأول أقرب لأن الرحالة الهندي كريتسجي الذي التقى بجابر سنة ١٩١٦م يذكر أنه (رجل في الخمسين من عمره تقريباً أو أكثر من ذلك بقليل إلا أنه يبدو دون سنه الحقيقية).

* قبل الحكم:

كان جابر المبارك قائد الجيش الكويتي في السنوات الأخيرة من حكم أبيه، فكانت أول غزوة قادها على ما يبدو هي (جوّ.. لبن) سنة ١٩٠٤م (١٣٢٢هـ)، وقاد كذلك جيش الكويت في معركة هدية سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، وكان معه في الغزوتين الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية.

* فترة حكمه:

تولى جابر الحكم بعد وفاة أبيه الشيخ مبارك الصباح في ٢٨ نوفمبر ١٩١٥م (ليلة الحادي والعشرين من محرم سنة ١٣٣٣هـ)، وعلى الرغم من قصر فترة حكمه إلا أنه قام خلالها بعدة أمور حببته إلى الشعب الكويتي، فقام بإعفاء الشعب من ضريبة الثلث على العقارات التي كانت قد فرضت في فترة حكم أبيه الشيخ مبارك الصباح، وزاد الخير على الكويت خلال فترة حكمه بسبب ازدياد التجارة مع بلاد الشام حاملة لتلك المناطق مختلف البضائع التي كانوا في أمس الحاجة إليها خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان لذلك أثر سلبي على الانكليز، ولكن نظراً لاحترامهم للشيخ جابر، فقد آثروا عدم اتخاذ إجراء ضده رغم أن هذا يعد كسراً للحصار المضروب من أوروبا على



الشيخ جابر يتوسط ضباط البحرية الروس

الشام باعتبارها جزءاً من الدولة العثمانية.

وعقدت بريطانيا في سنة ١٩١٦م (١٣٣٣هـ) مؤتمراً في الكويت غرضه تطمين زعماء العرب بأنها ستفي بوعودها لتحقيق الاستقلال العربي، ووجهت الدعوة لحضور هذا المؤتمر إلى أمير الأحواز (خزعل)، وجابر الصباح أمير الكويت، وعبد العزيز آل سعود أمير نجد، وترأس المؤتمر السير برسي كوكس المستشار الخاص للحكومة البريطانية لشؤون الشرق الأوسط، وفي نهاية المؤتمر أرسل خزعل والشيخ جابر برقية إلى الشريف حسين (قائد الثورة العربية) في مكة جاء فيها: (أن جل قصدنا من هذا الاجتماع هو دعم مسائل الأمة العربية) كما أرسل جابر برقية إلى السير برسي كوكس جاء فيها: (أن اجتماعنا في الكويت كان يهدف إلى دعم مسائل الأمة العربية، وصيانة حقوقها).

وخلال فترة حكمه انعقد في الكويت سنة ١٩١٧م (١٣٣٤هـ) مؤتمر آخر ضم السير برسي كوكس الحاكم العسكري البريطاني في العراق، والملك عبد العزيز آل سعود، والشيخ خزعل بالإضافة

إلى الشيخ جابر المبارك، ومن أقوال جابر في ذلك المؤتمر، والتي نالت إعجاب الجميع: (نحن مسلمون، وإذا ما أجمع المسلمون على شخص، فنحن له من الطائعين).

ومن الأحداث التي وقعت في حكمه قدوم أمير حائل الشاب سعود بن عبد العزيز الرشيد قرب الجهراء دون إعلام الشيخ جابر الذي خشي أن يكون ابن رشيد قد قدم محارباً، فاستنفر الكويتيين، ونفروا معه، ولكن ابن رشيد لما علم بنفرة الكويتيين ابتعد عن الجهراء، وأرسل يخبر الشيخ جابر بأنه لم يجئ محارباً بل كانت الجهراء على طريقه، فمر بها.

* سماته:

كان الشيخ جابر المبارك حليماً متسامحاً لا يعرف الحقد أو البغض، واشتهر بتواضعه، وبعده عن الظلم حتى غرس محبته في قلوب شعبه بدماثة خلقه، ولطف بشاشته.

ويقول معاصره مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد: (كان جابر من الحلم بحيث يغضي عن كثير من الهفوات، ومن سلامة الصدر بحيث لا يعرف الحقد، ولا البغض. تواضعه حبّبه إلى كثير من رعيته، وبعده عن الظلم والجور رفعه في أعينهم إلى مستوى الإكبار. له من دماثة الأخلاق، وطلاقة الوجه ما جذب إليه القلوب النافرة، وأمال الأفئدة المعرضة إلى جانبه).

وأضاف: (كان حكم جابر على الكويتيين سعيداً، وأيامه مباركة انهالت فيها الأرباح الطائلة عليهم، وسيروا تجارتهم إلى الشاسع من الأمصار إلى نجد والحجاز، وإلى الشام والعراق بل إلى الأستانة أيضاً. سارت إلى تلك الجهات في الوقت الذي ضرب فيه الحصار البحري على سوريا، فلا من الهند، ولا من أوربا يأتي إليها إلا نزر لا يسد الرمق، وكان مع هذا يواسي ويسلي، ويعين ويعاضد، ويسعى السعي الحثيث على راحتهم، ويحوطهم بما كان يحوط نفسه وذويه. من جراء ذلك تعلق به الكويتيون تعلقهم بآبائهم المشفقين، ولا غرو، فإنهم لم يروا منه يوماً اغبرت فيه الوجوه، وثارت من وهجه العواطف. لم يروا منه إلا الشفقة والحنان والعطف والرحمة.

ولقد ضجت الكويت بأسرها، وشق عويلها عنان السماء يوم نعي إليها ذلك الشيخ الجليل.. عويل محرق، وزفرات أججت النار في الفضاء، وعبرات سقت اليابس من الثرى. إن جابراً عاش سعيداً بين قومه، ومات حميداً).

وذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه (الملتقطات) حادثة عن الشيخ جابر المبارك الصباح: (سمعت من المرحوم جابر المبارك يقول: ضاق صدري في أحد الليالي الممطرة، وأرقت،

اسعد الله مساء حضرة المحب اللوودو دكرنل ار. اي. ايه هملتن المفخم دام مجده

جناب الشيخ جابر امس يوم الجمعه والبارحه ليلة السبت الى ساعة تحرير كتابنا هذا ماجات
صحتونه وامس يوم الجمعه كان متكلف من (بوفهاق) ولكن البارحه ليلة السبت ذكت
صار بوفهاق اهون من امس فتره عنه بين كل ساعتين ثلاث يعاوده مره مرتين ويفتر
فكره اليوم احسن من امس قليل وهو نايم وفي منامه ما يصير متكلف ولا يشتهي الاكل
فقط اليوم شرب حليب وسوداء استقر في جوفه ما جذف امس آخر النهار جوا
في راسه وبلعومه عند التقره وحضرة الشيخ بنفسه يقول اشوف نفسي احسن امس
اذا ما عاد عليه بوفهاق اليوم يصير اشوا [illegible] والسلام محبكم
ملا صالح
١١ ربيع ٢ ١٣٣٥

رسالة من الملا صالح يبلغ المقيم البريطاني بحالة الشيخ جابر

فأخذت عصاي، ولبست عباتي، ورحت إلى دخينة (ديوان عبد الله الفرج شاعر الكويت)، فطرقت الباب، وفتح لي، وإذ ليس في الديوان غيره، فتلقاني بالبشرى، وبعد جلوسي أخذ العود، وأنشد قائلاً:

سرى يقطع الظلماء، والليل عاكف	حبيبٌ.. بأوقات الزيارة عارفُ
ما راعني إلا السلام، وقوله	أيدخل محبوبٌ على الباب واقفُ؟

فسررت من إنشاده في هذه المناسبة).

ويضيف الشيخ يوسف على هذين البيتين، وبالقافية نفسها من نظمه:

فقلت له: أهلاً، وسهلاً، ومرحبا	بمن زار في الظلماء، والوبل واكفُ
أنست به حتى بدا الصبح ساطعاً	وودعني، والقلب مني واجفُ

* وفاته:

توفي الشيخ جابر المبارك في الخامس من فبراير ١٩١٧م (١٣ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ) بعد مرض لم يمهله طويلاً، وعثرنا في أوراق المقيمية البريطانية في الكويت على رسائل كان يبعثها سكرتير الشيخ جابر (الملا صالح العنزي) للوكيل السياسي البريطاني هاملتن يخبره بآخر تطورات مرض الشيخ.

ففي ٦ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ كتب الملا صالح للوكيل هاملتن: (حضرة الشيخ جابر اليوم صحته أطيب من أمس. أبو فهاق ينقطع مدة قليلة، ويعود مدة قليلة، ولكن أخف من أمس. إن شاء الله بكرا يصير أطيب. لا تكون في فكر. جناب الشيخ يخصكم بالسلام).

وفي ٨ ربيع الثاني كتب: (حضرة الشيخ صباحه اليوم بالنسبة لصحته بالأمس أحسن. فكره

بالكويت

من كرنل آر إي آ به هملتن بولتكل لجنت الدولة البهية القيصرية الإنكليزية
إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم صاحب السعادة المحب الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل
دام بقاه
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن عزيز خاطركم دمتم بخير وعافية
بعد مع الأسف نفيد جنابكم أن صديقنا العزيز الشيخ جابر المبارك توفي
أمس الله يتغمده بالرحمة وإني أعزيكم في هذه المصيبة إن شاء الله جنابكم
تكونون في حياة دائمة وعمر طويل والآن صار الخلف جناب أخيكم الشيخ سالم
وباشر جميع الأشغال وكل شيء منتظم والحكومة البريطانية تجريا معه
كل المساعدة وإن شاء الله يكون موافق وحضرتكم تشاهد منه كلما
يسركم وتتأيد إن شاء الله محبتكم معه أزيد مما سلف هذا ولأجل أداء
سنة التعزية حررنا هذه الشقة إليكم نؤمل إن شاء الله حضرتكم تكونون
دائماً بالصحة والسعادة هذا ما لزم ودمتم محروسين
في ١٤ ربيع آخر عام ١٣٣٥ مطابق ٦ فبروري عام ١٩١٧

المقيم البريطاني يبلغ الملك عبد العزيز بوفاة الشيخ جابر

زين. بو فهاق ما قطع عنه. يتردد عليه أهون من الأول. إن شاء الله يصير زين بالصحة والعافية).

وفي ١١ ربيع الثاني كتب: (حضرة الشيخ جابر أمس يوم الجمعة والبارحة ليلة السبت إلى ساعة تحرير كتابنا هذا ما جاته صخونة، وأمس يوم الجمعة كان متكلف من (بو فهاق)، ولكن البارحة ليلة السبت والآن صار بو فهاق أهون من أمس. فتر عنه. بين كل ساعتين ثلاث يعاوده مرة مرتين، ويفتر. فكره اليوم أحسن من أمس قليل، وهو نائم في منامه ما يصير متكلف، ولا يشتهي الأكل.. فقط اليوم شرب حليب و(قهوة) سوداء استقر في جوفه ما جذف أمس آخر النهار. كوى في رأسه وبلعومه عند التقرة، وحضرة الشيخ بنفسه يقول أشوف نفسي أحسن من أمس، وإذا ما عاد عليه بو فهاق اليوم يصير أشوا).

وفي ١٢ ربيع الثاني كتب: (حضرة الشيخ جابر صحته اليوم مثل أمس. ما صار فيه صخونة، وفكره ما تغير. لكن بو فهاق اليوم يتبين لي أنه أزيد من أمس قليل. اليوم الصبح شرب حليب و(قهوة) سوداء. البارحة الساعة ثلاث جذف الحليب الذي شربه أمس، وهو متأذي من بو فهاق، ومن قلة القوت. الله يفكه).

وفي ١٢ ربيع الثاني كتب: (حضرة الشيخ جابر صحته الآن مثل ما رأيتموه. ما صار تغير في حاله. إن شاء الله بكره يصير أحسن).

وفي ١٣ ربيع الثاني كتب: (حضرة الشيخ جابر اليوم آخر النهار فتر عنه (الفهاق)، ولكن لسانه صار ثقيل ما يقدر يتكلم مثل أمس، واليوم الصبح يتكلف من نفسه. الله يفكه).

وفي ١٣ ربيع الثاني كتب: (حضرة الشيخ جابر صحته اليوم أحسن من أمس. البارحة نام زين، والفهاق ما عاد عليه، والحرارة التي كانت معه بالجوف هانت، واليوم فكره شوي أحسن من أمس. فقط صاير كسلان واجد من قلة القوة، والصبح شرب حليب، وطلب شوربة يسوّون له للغدا. أنا أشوف اليوم باله أحسن من أمس).

بعد ذلك يكتب هاملتون في ٦ فبراير ١٩١٧م (١٤ ربيع الثاني) ملاحظة: (الصاحب أرسل لي الساعة العاشرة والنصف عربي (الثالثة والنصف عصراً) يسأل: هل الشيخ جابر توفي؟. قلت نعم، فقال: من الشيخ الآن؟، فقلت: سالم).

كما أرسل هاملتون إلى الملك عبد العزيز آل سعود في ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ (٦ فبراير ١٩١٧) يعزيه بوفاة الشيخ جابر، ويخبره بتولي أخيه الشيخ سالم المبارك الحكم من بعده.

* * *

هذا، وقد أعقب الشيخ جابر ولدين هما: (الشيخ أحمد الحاكم العاشر للكويت، والشيخ حمود)، وابنة واحدة هي الشيخة مريم الجابر الصباح التي تزوجها ابن عمها الشيخ عبد الله السالم حاكم الكويت الحادي عشر.

أعيان الكويت في أواخر القرن التاسع عشر

بعد أن تولى الشيخ مبارك الصباح سنة ١٨٩٦م (١٣١٤هـ) حكم البلاد كسابع حكامها، ونظراً للتحديات التي كانت تواجهه بسبب الظروف الاستثنائية التي أحاطت بطريقة توليه الحكم، ووجود تهديدات للبلاد خاصة من جهة والي البصرة رفع الشيخ مبارك عدداً من العرائض للسلطنة العثمانية يشكو فيها من تعديات الوالي على حكمه، ويؤكد فيها عن رضا أهل الكويت بحكمه لهم، وكانت هذه العرائض موقعة بأسماء عدد كبير من أعيان الكويت في تلك الفترة.

وقد عثرت على نسخ من تلك الوثائق، فحاولت استخراج تلك الأسماء منها، ونظراً لتكرار بعض الأسماء، وعدم وضوح البعض الآخر، فقد وضعت هذه القائمة التي تعطينا صورة عن أولئك الرجال الذين وقعوا على تلك العرائض التي أرسلت جميعها في تواريخ متقاربة من سنة ١٨٩٦م، ولم تنشر سابقاً سوى في كتاب صدر حديثاً عن سيرة الشيخ مبارك الصباح حمل عنوان (بيان الكويت)، وهو من تأليف حاكم إمارة الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، ووجدت صوراً عنها في الأرشيف العثماني.

ورغم أهميتها التاريخية، فإن ما يهمنا هنا من تلك الوثائق التي تدل على نزعة الاستقلال المترسخة في نفوس الكويتيين هو أسماء الموقعين عليها إذ أنها تحتوي على أسماء (١٢٠) رجلاً من أعيان مدينة الكويت في ذلك الوقت.

وأود الإشارة إلى أن بعض الأسماء في الوثيقة غير واضحة، واحتمالات التصحيف، والخطأ في النقل واردة بنسبة قد تصل إلى ١٠ ٪، وهذه هي الأسماء التي جمعتها من عدة وثائق، وحذفت بعضها مما لم أستطع قراءته بشكل كبير أو شككت في صحة قراءة الاسم، وقد اضطررت لحذف أكثر من عشرين اسماً، وقد استعنت ببعض التعريفات من شجرة آل الصباح التي أعدتها الدكتورة ميمونة الخليفة، وكذلك من كتاب (تاريخ نزوح بعض العائلات العريقة إلى الكويت) لفوزية صالح الرومي.

والأسماء هي:

* * *

أولاً: أسماء من الأسرة الحاكمة:

– أحمد الصباح، وهو الشيخ أحمد الجابر الصباح الحاكم العاشر للكويت، وكان في الخامسة عشر من عمره وقتئذ.

– جابر بن صباح، وهو أحد أخوة الشيخ مبارك.

– جابر بن عبد الله الصباح، وهو ابن الحاكم الخامس للكويت، وابن أخي الشيخ مبارك.

– حمود السلمان الصباح.

– حمود بن صباح، وهو أحد أخوة الشيخ مبارك.

– جابر بن فاضل الصباح، وهو حفيد دعيج بن جابر عم الشيخ مبارك.

– خليفة بن عبد الله الصباح، وهو ابن الحاكم الخامس للكويت، وابن أخي الشيخ مبارك.

– دعيج بن جابر الصباح أحد أعمام الشيخ مبارك، وهو ابن جابر العيش الحاكم الثالث للكويت.

– دعيج بن حمود الصباح.

- سالم بن جراح الصباح، وذكر القاسمي أنه ابن للشيخ جراح أخو الشيخ مبارك، وهذا غير صحيح، ويبدو من شجرة آل صباح أنه (سالم بن جراح بن سالم بن مبارك بن صباح الأول)، وكتب الاسم في وثيقة أخرى (جراح سالم الصباح)

- سعود بن خليفة الصباح، وهو (سعود بن خليفة بن يوسف بن محمد بن صباح الأول).

- سلمان بن دعيج الصباح.

* * *

ثانياً: قضاة ومعلمون:

- أحمد محمد الشافعي مدرس طلبة العلم بالكويت.

- خالد بن عبد الله العدساني مدرّس طلبة العلم بالكويت، وهو شقيق قاضي البلاد، ومساعده.

- محمد بن عبد الله العدساني قاضي الكويت، وقد توفي سنة ١٩١٩م.

- محمد بن عبد الله الفارس مدرس طلبة العلم بالكويت.

* * *

ثالثاً: أفراد من أسرة الرفاعي:

وقد أفردتهم في قائمة منفصلة لكثرتهم العددية في الوثائق:

- إبراهيم بن السيد حسن بن السيد أحمد الرفاعي.
- إبراهيم بن السيد أحمد الرفاعي، ولعله نفس سابقه.
- سليمان بن السيد علي الرفاعي.
- عبد الله بن السيد يوسف الرفاعي.
- عبد الله بن السيد حسن الرفاعي.
- عبد الوهاب بن السيد حسن الرفاعي.
- محمد بن السيد زيد الرفاعي.
- هاشم السيد الرفاعي.
- ياسين بن السيد عبد الوهاب بن السيد حسين الرفاعي، وهو الداعية المعروف.

* * *

رابعاً: الأسماء الباقية حسب الأحرف الأبجدية:

أ

- إبراهيم الغانم.
- إبراهيم بن أحمد العمر.
- إبراهيم بن حسين.

- إبراهيم بن إسحاق.
- إبراهيم بن أحمد نعمة.
- إبراهيم الحمد الفوزان.
- إبراهيم بن نصيف، ولعله (إبراهيم النصف) أو (إبراهيم المضف).
- إبراهيم العبد العزيز المطوع.
- أحمد السنان، وهو (أحمد بن حمد بن عبد الله السنان).
- أحمد بن جيران.
- أحمد بن يوسف.
- أحمد بن مبارك.
- أحمد العبادلة.
- أحمد بن عثمان.
- أحمد أنور.
- أحمد الغرفان.
- أحمد بن سعيد.
- أحمد العبد السلام.
- أحمد بن سنان.
- أحمد العدواني.
- أحمد العزيز.

ب

- بشر بن رومي، وهو (بشر بن يوسف بن أحمد الرومي) المتوفى سنة ١٩٢٨م، وهو والد الأديب الكويتي المعروف أحمد بشر الرومي.

ج

- جاسم اليوسف.

- جاسم بن راشد.

- جاسم الدبوس، وهو أمير الفحيحيل: (جاسم بن عبد الله الدبوس).

- جبر الغانم.

- جبر بن شاهين.

- جلال بن فجان، ولعله هلال بن فجحان المطيري التاجر المعروف.

ح

- حاجي الشمالي.

- حاجي سيد عبدي.

- حسن الرعيد.

- حسن المرافي.

- حسن البدر.

- حسن بن يوسف.

- حسن بن حاجي عبد الرحيم.

- حسين بن قشمازي.

- حسين بن عليه بن سيف، وهو تاجر اللؤلؤ المعروف المتوفى سنة ١٩٣٧م (١٣٥٦هـ).

- حسين بن حسن.

- حسين بورسلي.

- حمود الغنام.

- حيدر العبد الغفور.. أو أن اسمه (حسن).

خ

- خليل بن سعد.

- خالد البدر.

- خضر بن سليمان.

- خلف النقيب.

- خليفة بن عيسى.

- خليفة بن سنان، ولعله (خليفة بن أحمد بن حمد السنان، وأبوه سبق في حرف الألف).

د

- داود المرزوق.

- داود السلمان.

- راشد بن رزق.

- راشد بن فرج.

ز

- زاحم العثمان.

س

- سالم بو قمّاز.

- سالم بن راشد، وقد يقرأ (سليم).

- سالم العبد الجادر، وقد يقرأ (سليم).

- سالم بن لوقان.

- سعود بن عبد العزيز.

- سعيد بن عبد السلام.

- سلطان بن عبد الباقي.
- سليمان بن جميل.
- سليمان بن لطيف.
- سليمان العبد الجليل.

ش

- شافي القطعان.
- شاهين بن غانم، وهو (شاهين الغانم).
- شبيب الشهاب.
- شعيب بن عبد السلام.
- شملان الرومي، وهو تاجر اللؤلؤ المعروف المتوفى سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ).

ص

- صالح بن جيران.
- صالح السداني.
- صالح بن علي.

ع

- عبد الجليل بن إبراهيم.
- عبد الرحمن المزين.
- عبد الرحمن البدر.
- عبد الرحمن بن شهاب.
- عبد الرحمن العزيز.
- عبد الرحمن المزيد.

- عبد الرحمن بن سليمان.

- عبد الرحمن بن إبراهيم.

- عبد الرحمن العبد الجبار.

- عبد الرحمن بن يوسف الشاهين.

- عبد الرحمن بن سعود.

- عبد الرزاق العبد الجليل.

- عبد الرزاق العدواني.

- عبد السلام إبراهيم.

- عبد العزيز الزبن، ولعله (عبد العزيز بن يوسف بن عبد الرحمن الزبن المتوفى سنة ١٩٢٣م (١٣٤١هـ)).

- عبد العزيز الحسن.

- عبد العزيز الصقر.

- عبد العزيز القحيط.

- عبد العزيز الخزيم.

- عبد العزيز يوسف.

- عبد العزيز المشاري.

- عبد العزيز الفرج.

- عبد العزيز الجاسم.

- عبد العزيز فهد الصالح.

- عبد العزيز المفلوح.

- عبد العزيز الماجد.

- عبد العزيز المطوع.
- عبد الكريم بن محمد العمر
- عبد اللطيف الغانم.
- عبد اللطيف المطوع.
- عبد اللطيف بن عيسى.
- عبد اللطيف الفوزان.
- عبد الله بن عيسى.
- عبد الله الإبراهيم.
- عبد الله بن زايد.
- عبد الله بن محمد راشد.
- عبد الله المناع.
- عبد الله الشمالي.
- عبد الله السليمان.
- عبد الله الإبراهيم.
- عبد العزيز الحزيم.
- عبد الله بن مطرود.
- عبد الله خميس.
- عبد الله بن عيسى.
- عبد الله الماجد.
- عبد الله الرشود، ولعله (عبد الله بن عيسى بن غانم الرشود).
- عبد الله العثمان.

– عبد الله الفرج، ولعله الشاعر المشهور.

– عبد الله السليمان.

– عبد الله بن حسين.

– عبد الله بن عريفان.

– عبد المحسن عبد الكريم.

– عبد المحسن البدر.

– عبد المحسن السيد أحمد.

– عبد المحسن الفارس.

– عبد الوهاب المطوع.

– عبد الوهاب السعدون.

– عبد الوهاب بن عريفان.

– عبد الوهاب العدواني.

– عثمان القفري.

– عثمان بن عبد الله الفارس.

– علي بن محمد.

– علي بن محمد.

– علي بن فضالة.

– علي شيخ أحمد.

– علي بن عبد السلام.

– علي بن محمد باقر.

– علي الدبوس.

– علي الشمالي.

– عيسى المنّاعي.

– عيسى الحزيمي أو الجديمي.

غ

– غانم بن فهد.

ف

– فارس الوقيان، وهو (فارس بن فريح الوقيان) جد شاعرنا الكبير د. خليفة الوقيان، وكان فارس رسولاً للشيخ مبارك في عدد من المهمات.

– فهد الخالد الخضير.

– فوزان الفوزان.

– فهد الدويرج.

– فهد السهلي.

م

– محمد أبو دي.

– محمد الفرج، ولعله والد الشاعر المعروف (خالد الفرج).

– محمد المطوع.

– محمد بن علي.

– محمد السهيلي.

– محمد بن حسين.

– محمد سعيد الهارون.

– محمد النصر الله.

- محمد المناع.

- محمد العثمان.

- محمد بن مبارك.

- محمد الفهد الخشرم.

- محمد بن حسن.

- محمد الصالح.

- محمد العمر.

- محمد المصاعي.

- محمد سعيد العبد السلام.

- محمد المسعود.

- محمد العبد الحميد.

- محمد بودي.

- محمد الدرباس، ولعله (محمد بن عمرو بن درباس العمرو).

- محمد سليمان الجاسم.

- محمد الحمد.

- محمود بن حمد.

- محمود بن السيد أحمد الطبطبائي، وهو (حفيد السيد عبد الجليل الطبطبائي) الشاعر المعروف، وقد قتل محمود شاباً في معركة الصريف سنة ١٩٠١م (١٣١٨هـ).

ن

- ناصح التهامي.

- ناصر الغفاري.

- نصري بن علي الهندي.

- ناصر بن يوسف البدر، وهو (ناصر بن يوسف بن عبد المحسن البدر) المتوفى سنة ١٩٢٨م (١٣٤٦هـ).

هـ

- هلال بن محمد.

- هلال بن حجاج.

ي

- يوسف بن خميس.

- يوسف بن محمد.

- يوسف شاهين، وهو لعله (يوسف شاهين الغانم)، وسبق اسم أبيه في حرف الشين.

- يوسف المطوع.

أبطال منسيون في تاريخ الكويت

البطولة ليست سيفاً فقط.

البطولة موقف.

موقف قد يصنع بالسيف أحياناً، ولكنه يصنع أيضاً بالكلمة الحرة الشجاعة، وبالتصرف النبيل الشامخ، وفي التاريخ الكويتي مواقف بطولية كثيرة صنعها أشخاص عاديون ذهب بعضهم في أدراج النسيان دون أن يخلف شيئاً سوى فعله البطولي بل أن بعضهم لم يترك لنا حتى اسمه، وحتى من عرفنا اسمه لم نتعرف على قدر كاف من سيرته.

وفي السطور التالية سوف نتعرف على مجموعة من هؤلاء الأبطال المنسيين، ونسلط الأضواء على أدوارهم المتميزة في تاريخ الكويت.

* * *

* البطل الأول: (الشاعر المحذر)

بطلنا الأول يعيدنا إلى لحظة مبكرة من تاريخ الكويت.

كانت الكويت وقتئذ كما قلت في إحدى قصائدي (الحديث لمؤلف الكتاب إبراهيم): (بحر، وصيادون ملتفون حول كوت)، وإلى الشمال القريب عند الصبية كانت جماعات العتوب قد حطت الرحال قادمة من (المخراق) في أرياف البصرة، وهي إحدى محطات هجرتهم الطويلة، والتي انتهت على الضفاف القريبة من كوت ابن عريعر شيخ قبيلة بني خالد.

يحدثنا عبد العزيز الرشيد في كتابه الرائد (تاريخ الكويت) عن دور مهم لشاعر مجهول في إنقاذ جماعات العتوب، وتوجيهها للاستقرار في الكويت، وبالتالي بداية التاريخ السياسي للكويت.

نستمع إلى ما يقوله الرشيد:

(أما تركهم — أي العتوب – للصبية، فيقال هو من الحكومة — العثمانية – أيضاً، ويقال بل أن قبيلة الظفير همت بمهاجمتهم، وفي طريقها إليهم قبضت على رجل منهم، ولم تفلته إلا بعد أن أخذت عليه العهد والميثاق أن لا يخبرهم، وما كاد يفلت حتى سار إليهم، وهناك شرع يخاطب أحد

زعمائهم المسمى (دولة) بقوله:

عـمّـر الـغـلـيـون.. يـا دولـة تـرى دنـيـاك مـعـلـولـة
أني حـلـفـت بـالله مـا قـولـه

ففهم الزعيم وإخوانه إشارة الرجل، وعلموا منها بما يراد بهم، ففروا من أرض الصبية، ولم يتراجعوا إلا في أرض الكويت التي هي في حماية ابن عريعر إذاك).

ولي في هذا الحدث التعليقات الآتية:

- رغم أن هذا الحدث غير مؤرخ إلا أن دلائل التاريخ توضح لنا أنه وقع بعد سنوات قليلة من رسالة والي البصرة حول وجود العتوب قرب البصرة سنة ١١١٣هـ (١٧٠١م)

- هذا الحادثة تشير إلى زعيم من زعماء العتوب اسمه (دولة)، وهو غير معروف لدينا، ولعله من أسماء الرواد الذين سبقوا ظهور زعماء العتوب في وقت لاحق مثل: (صباح الأول، وخليفة، وجابر الجلاهمة).

- النص الشعري غير مستقيم البناء والوزن، ويمكن اقتراح إصلاح له ليكون على الشكل الآتي:

عـمّـر الـغـلـيـون.. يـا دولـة لي غـدت دنـيـاك مـعـلـولـة
غـايـتي بـاقـول.. لـكـني حـالـفٍ بـالله مـا قـولـه

* * *

* البطل الثاني: (الرسول المغامر)

بطلنا الثاني شخصية مجهولة، ولكنها صنعت بكلمة واحدة من أشهر انتصارات الكويت في بدايات تأسيسها، وأعني (معركة الرقة) التي تؤرخ بيوم ٢ يونيو ١٧٨٣م، وهو تاريخ لا أعرف مدى صحته لأنه ورد في المراجع المتأخرة، ولم أجده في المراجع الأصيلة لتاريخ الكويت، ويوافق هذا التاريخ يوم الاثنين غرة رجب ١١٩٧هـ.

يحدثنا المؤرخ عبد العزيز الرشيد عن هذا البطل الذي كان رسولاً بعثه الحاكم الشيخ عبد الله الأول لإبلاغ جنده في سفنهم بضرورة الانسحاب، ولكن هذا الرسول المغامر غيّر فحوى الرسالة، فكان الانتصار.

يقول الرشيد: (أخذوا – أي أهل الكويت – للحرب أهبته، وأودعوا نساءهم وأموالهم في سفن، وساروا بسفن أخرى لمقابلة عدوهم، ولكن عبد الله بعد أن ساروا خاف عليهم من تغلب أعدائهم، فندم على ما فرط ندماً عظيماً اضطره إلى أن يبعث من يرجعهم قبل أن يشتبكوا وإياهم في قتال).

وهنا يبرز الدور البطولي لهذا الرسول المجهول حيث يقول الرشيد:

(لكن الرسول عندما أقبل عليهم رفع راية سوداء، وقال أن عبد الله يقول: (سوّد الله وجوهكم... إلى الآن أنتم لم تناجزوا العدو؟.. أتظنون أن المرء يموت قبل يومه!)، فحرك كلامه هذا ساكناً فيهم، وغادرهم يتقدمون بكل شجاعة وجرأة، فجرت وقعة هائلة بين الفريقين في الرقة كان النصر فيها حليف الكويتيين).

وإلى هنا تسكت المراجع عن ذكر هذا الرسول المغامر، ويختفي تماماً بعد أن قام بدوره المهم في صناعة فصل من تاريخ الكويت.

* * *

* البطل الثالث: (عبد الرحمن الدويرج: الناصح المخلص)

في زمن الشيخ جابر العيش سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) أعد الشيخ بندر بن محمد بن ثامر السعدون شيخ عشائر المنتفق العدة لشن هجوم على الكويت مستغلاً تهدم أجزاء من سورها، وعندما سمع الكويتيون باقتراب بندر من حدودهم سارعوا إلى نصب مدافع جاءتهم من أمير بوشهر عبد الرسول بن نصر، وشرعوا في إصلاح ما تهدم من سور مدينتهم، وهم يرتجزون شعراً:

قل لبندر.. قل له لا يغرّه ماله
الأطواب جرتّ له والسور يبنى له

ولما اقترب بندر من الكويت عسكر في موقع يبعد عنها ٢٠ كيلو متراً إلى الجنوب من البلدة يدعى (مَلَح) جاء دور رجل من أهل الكويت للقيام بدور الناصح المنقذ لبلده.

يقول الرشيد: (بعثوا – أي أهل الكويت – إليه عبد الرحمن الدويرج أحد زعمائهم، وأحد أصدقاء بندر المخلصين ليعتب عليه فيما عمل، ويخوفه من سوء العاقبة، فقال عبد الرحمن لبندر بعد أن اجتمع به، وبندر لا يشك في صدقه وإخلاصه:

ما لك ولحرب أهل الكويت؟، فإنهم تعاهدوا على مناجزتك، وعلى أن يقاتلوك قتال المستميت، وقد أودعوا أموالهم، ونساءهم، والعزيز لديهم في سفن شراعية، فإذا ما خذلوا في الميدان امتطوا غواربها إلى حيث لا تنالهم قوتك، ولا ترهبهم سطوتك.

ثم ما الذي يدفعك إلى هذا المضيق؟، وجابر لا يرى بينك وبينه ما يقتضي خوض غمار الحرب، وسفك الدماء البريئة، وهو مع هذا كله مستعد لأن يقدم لك ما أنت في حاجة إليه من الذخيرة وطعام.

ففت عبد الرحمن بكلامه هذا في عضد بندر، وخامره منه اليأس، وعلم أن عاقبة البقاء أو الهجوم وخيمة عليه، فأظهر انصياعه للأمر، وكسا الرسول كسوة فاخرة، وأرجعه معززاً مكرماً، ومزوداً بالتحية لجابر، ولقومه ثم قفل راجعاً من حيث أتى).

* * *

* البطل الرابع: (علي بو كحيل: البحار المبلّغ)

بطلنا بحار كويتي من أهل منطقة القبلة، وتعيدنا حكايته إلى فترة الصراع بين الشيخ مبارك الصباح، والوجيه والتاجر الكويتي يوسف بن عبد الله الإبراهيم.

وفي بدايات ذلك الصراع خرج يوسف الإبراهيم من شط العرب يقود ١٤ سفينة ملأى بالرجال المسلحين، ووجهتهم الكويت، وبعد خروجهم من الشط أبصروا سفينة كويتية سائرة إلى البلد، فقبضوا عليها، وعلى من فيها، وبعد أن أخذوا ما فيها من ماء وطعام أخذوا على صاحبها العهد والميثاق بألا يذهب إلى الكويت.

ولكن صاحبها، وهو (علي بن سليمان أبو كحيل) ما إن أفلت من أيديهم حتى توجه إلى الكويت، وحذر الشيخ مبارك الصباح، فجهز سفناً عديدة لمواجهة الحملة القادمة، وبالفعل ما إن وصلت الحملة المهاجمة حتى وجدت السفن المجابهة بانتظارها على ساحل بنيد القار، فاضطرت للتراجع، والعودة من حيث أتت.

ويذكر عبد العزيز الرشيد الذي أرخ الحادثة بيوم ١٥ محرم ١٣١٥هـ (الأربعاء ١٦ يونيو ١٨٩٧م) أن علي بو كحيل كان موجوداً على قيد الحياة يوم تأليفه للكتاب سنة ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ)، ولكنه قد انحنى ظهره، وابيض شعره، وضعفت قوته، وصفعه الفقر المدقع صفعات

مهلكات، ودعا للاهتمام به، ومكافآته على الخدمة العظيمة التي قدمها للبلاد، والتي لولاها لكانت النتيجة مجهولة، وتجدر الإشارة إلى أن البلاد قد كرمت أبا كحيل بعد وفاته بتسمية شارع في منطقة الروضة باسمه.

* * *

* البطل الخامس: (الأب المحذّر)

بطل هذه الحكاية رجل من خدم الشيخ مبارك الصباح لم يذكر الرشيد الذي أورد الحكاية اسمه، وترتبط بواقعة (أولاد حميدي)، ومحاولتهم اغتيال الشيخ مبارك سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٣م) بتحريض من يوسف الإبراهيم، فقد جاء هؤلاء بسفينة من سفن الإبراهيم، وادّعوا أمام الشيخ مبارك أنهم قتلوا من فيها من رجال يوسف، واستولوا عليها، وكان الشيخ مبارك يعرف أن هؤلاء من قراصنة البحر، فصدق دعواهم، ورحب بهم، واستضافهم في قصره.

ولتنفيذ خطتهم فاتح أولاد حميدي أخوين من خدم مبارك بخطتهما، فوافق هؤلاء، ولكنهما حدثا أبيهما عن الأمر، فما كان من الأب المخلص للشيخ مبارك إلا أن أبلغه بالمخطط الذي ينتويه أولاد حميدي، وهكذا تمكن الشيخ مبارك من إلقاء القبض على أولاد حميدي، فسجنهم ثم أرسلهم إلى المحمرة عند صديقه الشيخ خزعل.

وهكذا فشلت هذه المؤامرة، وذهب اسم هذا الأب الذي أخلص لحاكم بلده دون أن يعرّفنا التاريخ باسمه أو بأية تفصيلات أخرى عنه.

* * *

وهكذا ينتهي حديثنا عن هؤلاء الأبطال في تاريخ الكويت، ولاشك أن في تاريخنا أبطال آخرون كثر، وكانت لهم أدوار بطولية أخرى لكننا ذكرنا منها هذه النماذج المختارة، وقديماً قيل: (ما لا يدرك جله.. لا يترك كله).

شخصيات فلكلورية في تاريخ الكويت

عرف الفلكلور الشعبي في كل حضارات العالم، وفي كل مواطن الاستقرار صغرت أم كبرت شخصيات فلكلورية علقت بذاكرة الشعوب، وحملت رموزاً ودلالات بغض النظر عن صحة وجودها التاريخي.

وإذا تفكرنا في تلك الشخصيات سنجدها على مستويين:

* الأول: المستوى الخرافي، وفيه تظهر لنا مخلوقات عجيبة من الجن، والعفاريت، والغيلان، والوحوش، وغيرها، وهي مخلوقات كثيراً ما تتشابه في أوصافها، وسلوكها، فهي تتميَّز بالشكل المخيف، والقوة الهائلة لكنها في بعض الحالات تغدو وديعة طيبة تخدم الناس.

ومنذ أقدم العصور شكَّلت هذه المخلوقات الخرافية مادة خصبة دارت حولها الأساطير، ومازالت إلى اليوم تنسج حولها الحكايات الكثيرة، ولاختلاقها مغزى تربوي يهدف إلى تدعيم القيم الإيجابية في نفوس النشء، وتقليص القيم السلبية، وقد يكون له أهداف أبسط كتخويف الأطفال من الابتعاد عن المنزل أو السهر ليلاً أو السير في المناطق الموحشة أو التباسط مع الغرباء.

ولا تخلو هذه الخرافات من أصول مسلّم بصحتها، فهي في الغالب تصور محاولة الإنسان لتخيل عوالم الجن والشياطين والملائكة، ولا ننسى أن بعضها مخلوقات مذكورة في القرآن، والإيمان بوجودها أساس من أساس عقيدتنا الإسلامية كما أن وصف (عفريت من الجن) هو وصف قرآني لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

* الثاني: المستوى الشعبي، وفيه تظهر لنا شخصيات مجهولة تمثل قيماً معينة، وقد تكون مضرباً للأمثال، وهي شخصيات قد تكون من فئة المجانين والمجاذيب التي تنطق بالحكمة أحياناً أو مجرد شخصيات عادية لكن الزمان لفها بغموض جعلها تحاط بهالة مثيرة.

وسوف نحاول هنا تناول أشهر هذه الشخصيات (الخرافية ثم الشعبية) الموجودة في التراث الكويتي، وإن كان بعضها مستورداً أو مشتركاً مع مجتمعات أخرى معترفين بأن هناك شخصيات خرافية وشعبية موجودة في كل مجتمع، وبعضها لم يصل خبره إلى الكويت، وبالتالي فلن نتطرق له لأننا سنحاول حصر نطاق بحثنا في الكويت فقط.

* * *

* أولاً: الشخصيات الخرافية في التراث الكويتي:

١- الغول: أشهر الشخصيات الخرافية المخيفة في تراثنا العربي، وورد في السنة النبوية نفي وجود الغيلان بقول رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم): (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول).

وقال الشيخ صالح الفوزان في كتابه (إعانة المستفيد): قوله (صلى الله عليه وسلم): (ولا غول).. الغول – بضم الغين – أحد الغيلان، والغيلان من أعمال شياطين تتشكل أمام الناس في الفلوات خصوصاً إذا استوحش الإنسان تتشكل أمامه أشياء تُضِله عن الطريق إما بأن يرى أمامه ناراً تتنقل أو أصوات يسمعها أو غير ذلك، ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم): (إذا تغوَّلتْ الغيلان، فبادروا بالأذان) بمعنى أنه إذا تغوَّل الغول أمامك، فبادر إلى ذِكر الله، فإن ذكر الله يطرد الشيطان، فإذا ذكرتَ الله أو تلوتَ القرآن ذَهبَ عنكَ هذا العمل الشيطاني.

وكانوا في الجاهلية يعتقدون في الغيلان أنها تُحدثُ لهم شراً، والنبي (صلى الله عليه وسلم) نفى هذا، وقال لا أصل لها، وهي أعمال شيطانية لا تضر أحداً إلا بإذن الله، وذكر لها علاجاً شافياً، وهو ذكر الله، فهذه أمراض جاهلية عالجها النبي (عليه الصلاة والسلام).

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري: (أن الغيلان ذكروا عند عمر، فقال: إن أحداً لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك، فأذّنوا).

وقال ابن الأثير: (الغول أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، فتتغول تغوّلاً أي تتلون تلوناً في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق، وتهلكهم، فنفاه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأبطله).

والتغوّل هو التلوّن كما في قول كعب بن زهير:

فما تدوم على حالٍ تكون بها كما تلوّن في أثوابها الغول

ويقال تغوّلت المرأة إذ تلوّنت.

ويقول الشيخ مشهور حسن سلمان في كتابه (الغول بين الحديث النبوي والموروث الشعبي) تحت عنوان الفرق بين الغول والسعلاة:

(يرى كثيرون أن الغول لا يرى إلا ليلاً، ويزعم بعضهم أنه يتلاشى عندما يطلع النهار، وينطفئ كما ينطفئ السراج، وفرق بعض العلماء بين الغول والسِّعلاة من هذه الحيثية. أعني من حيث وقت خروجه، فقال السهيلي في الروض الأنف: الغول التي تتراءى بالليل، والسِّعلاة ما تراءى بالنهار من الجن، وقال ابن كثير في التفسير: الغول في لغة العرب الجان إذا تبدى في الليل، وفرق الدميري في (حياة الحيوان الكبرى) بينهما بقوله: السِّعلاة أخبث الغيلان، وقال الجاحظ في (الحيوان): السِّعلاة اسم لواحدة من نساء الجن إذا لم تتغول — أي تتلون — لتفتن السُّفار.

وقال النووي: (قال العلماء السعالي بالسين المفتوحة والعين المهملتين، وهم سحرة الجن، ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخيل).

وقال المازري: (منهم — يعني الجن — الغيلان، والسعالى، وطبعهم الفساد في الأرض. يخوفون النساء والصبيان، ويطعنون في خواصرهم وأصلابهم، وينجسون المياه، ويفسدون الأطعمة بأنواع المفاسد، ويتأذى منه من شرب منه أو أكل بقضاء الله تعالى وقدره).

وذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) عن بعض أصحاب التفسير في الآية: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِن الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا): (أن جماعة من العرب كانوا إذا صاروا في تيه من الأرض، وتوسطوا بلاد الوحوش خافوا عبث الجنان، والسّعالي، والغيلان، والشياطين، فيقول أحدهم، فيرفع صوته: إنّا عائذون بسيّد هذا الوادي، فلا يؤذيهم أحد، وتصير لهم خفارة!!).

٢- السعلو: من أشهر الشخصيات الخرافية عند العرب عموماً، وقد وجد ذكر (السعلاة، والسعالي) في التراث العربي منذ الجاهلية كأنثى الغول.

أما وصف السعلو في التراث الكويتي، فيذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه (صفحات من تاريخ الكويت): (السعلو، وهو بصفة عبد نوبي طويل، وله أنياب طويلة يختطف الأولاد الصغار، ويأكلهم، وقد جرى سنة ١٣٢٧هـ (١٩١٠م) عند السواد الأعظم فزع شديد من هذا السعلو، وسببه أنه غرق ولد في البحر، ولم يره أحد، فشاع أن السعلو أكله، وتلا ذلك فقدان ولد سعود بن فهد، وهو صغير، فتحقق عندهم أن السعلو أكله، ولكن الولد بعد عشرين سنة جاء الكويت، وأخبر أنه سرقه رجل من أهل البصرة، وباعه إلى رجل من أهل البادية في شرق الأردن، وهذا الذي اشتراه أمر أولاده عند موته أن يرجعوا الولد إلى أهله).

وقال حمد السعيدان في موسوعته أن السعلو عند الكويتيين تعتبر من المعتقدات الأسطورية،

وهي مادة دسمة للقصص الشعبية، وخاصة عند العجائز، ومن أوصاف السعلو أنها كثيرة الشعر كالغوريلا، وأن لأنثى السعلو ثديان يتدليان حتى الركبتين، وعندما تشرع في المسير تنسفهما على ظهرها، وهي تأكل الآدميين، وتمشط شعرها، ولها سبعة أعين، وفي النهار تتحول إلى شكل آدمي للتودد لمن ترغب في اختطافه ليلاً.

ونقرأ في معجم الألفاظ الإماراتية لفالح حنظل أنه في الأساطير البغدادية كانت السعلو تظهر في أزقة بغداد بعد العشاء، وقد ارتدت ملابس النساء، وغطت نفسها بالعباءة، فإذا شاهدت رجلاً أشارت له أن يلحقها، فإذا لحقها أخذته إلى مكان منزو، وافترسته، وقيل أن رجلاً اسمه (حسين النمنم)، وكان صياد سمك في نهر دجلة اختطفته السعلوة، وأخفته في غار يقع على النهر شمالي مدينة بغداد، وعاشرته، فرزقت منه بولدين، وعاد بعد ثلاث سنين، فوصف لهم السعلوة بأنها تشبه حيوان الغوريلا.

وذكر المؤرخون العرب السعلاة، فقال القزويني في (عجائب الموجودات): (السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول، وأكثر ما تكون السعلاة في الغياض، وهي إذا ظفرت بإنسان ترقصه، وتلعب معه كما يلعب القط بالفأر).

وجاء في (لسان العرب) لابن منظور أن السعلاة أنثى الغول، وذكرها الأعشى في شعره، فقال: (ونساء كأنهن السعالي)، وقال لبيد يصف الخيل:

عليهنّ ولدان الرجال كأنّها   سعالي، وعقبان عليها الرحائل

وقال جران العود:

هي الغول، والسعلاة خلفي منهما   مخدّش ما بين التراقي مكدّح

وشبه ذو الإصبع العدواني الفرسان بالسعالي، فقال:

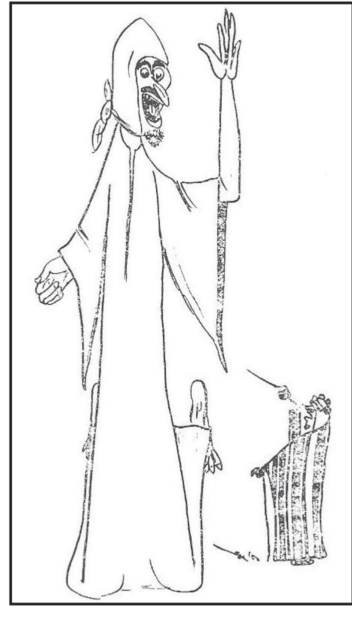
ثم انبعثنا أسود عادية   مثل السعالي نقائيا نزعا

وقال عبيد بن أيوب:

وساحرة مني، ولو أن عينها   رأت ما رأت عيني من الهول جنّت

أبيت بسعلاةٍ، وغول بقفرةٍ   إذا الليل وارى الجن فيه أرنّت

وواضح من الأوصاف التي تضفى على السعلاة أنها تحوير لقرد الغوريلا، وتطوير لصفاته الجسمانية حيث توصف بأن شكلها غريب ومخيف، وجسمها مليء بالشعر كأنها قرد لكن لديها


الطنطل كما تخيله السعيدان

قدرة على التحول في شكل امرأة حسنة الشكل طويلة القد مرتبة الهندام تغري الرجال ثم تفتك بهم، وتقتلهم.

ويعتقد بعض الباحثين أن جذور شخصية السعلو تعود إلى شخصية (ليليث) الموجودة في ملحمة جلجامش، والتي تكاد تتطابق في صفاتها مع السعلوة، وليليث كلمة بابلية آشورية بمعنى أنثى العفريت، وهي جنية أنثى تسكن الأماكن المهجورة، وتغوي الرجال النائمين، وتضاجعهم، وبعد ذلك تقتلهم بمص دمائهم، ونهش أجسادهم.

ويسمى زوج السعلاة بالسعلو أي الغول، وهو في الخرافات الشعبية عجوز كهل يخدع الأطفال بكلامه، فيأخذهم معه ليأكلهم هو، وزوجته.

وتنصح المأثورات الشعبية بأن يبدأ الإنسان السعلوة بالسلام، فهي دائماً ما تعفو عمن يبتدرونها بالسلام قائلة لهم: (لولا سلامك سبق كلامك.. أكلت لحمك، وطحنت عظامك).

وعند أهل البادية يظهر مرادف للسعلوة تحت مسمى (تريترة)، ولها قصة خرافية معروفة لدى البدو تشبه ما يروى عن السعلاة أو السعلوة.

ويبدو أن اختراع هذه الخرافة قد تم من قبل الأمهات لإخافة أولادهن من التباسط مع النساء الغريبات خشية خطفهن، وربما اخترعتها الزوجات أيضاً لتخويف رجالهن من الاستجابة لغواية النساء الماجنات، فقد يتحولن بعد الانسياق لغوايتهن إلى سعالي ينهشن لحومهم لاحقاً!

٣- الطنطل: من المخلوقات الخرافية الشهيرة في الكويت، وما حولها من البلاد، ويوصف الطنطل في التراث الكويتي كما ذكر يوسف القناعي في صفحاته بطول الجسم، وطول الخصى بحيث إذا مشى يسمع لها صوت، وهو يتمثل للسارين بالليل، ويلعب عليهم، ولكن الحيلة في دفعه أن يكون مع السارى (مسلة) أي سلاية من سعف النخيل، فإذا رآها صاح: (هات المسلة)، فهو يهرب منها خوفاً على خصيتيه من غرز المسلة فيهما.

وجاء في معجم فالح حنظل: الطنطل كائن من الأشباح طويل القامة عظيم الجسم، وعند أهل

بغداد كان العوام يزعمون أن الطنطل يظهر ليلاً بصفة إنسان هائل الجسم عظيم الطول عاري البدن يقف في الأزقة، وقد فتح رجليه، ولم يعرف عن الطنطل أنه يفترس الناس بل كان يخيفهم فقط، ويضحك عليهم إذا رعبوا من رؤيته.

٤- الدعيدع: وهو ليس مخلوقاً محدداً، ولكنه من ألعاب الجن مع الإنس، وهو كما ذكره القناعي أن يرى الإنسان في الظلام شيئاً كالجمر ملقى في الطريق، فإذا اقترب منه انتقل إلى محل آخر.

ويقول حسين محمد أحد الباحثين من البحرين أن هذه الظاهرة تسمى في البحرين (إدعيدع، ومديدع المقبرة)، وتسمى في الكويت إدعيدع، وضوّ إدعيدع (أي نار إدعيدع)، وهي من الخرافات التي كانوا يخيفون بها الأطفال في الماضي، ووصفها كما قيل أن يرى الشخص ناراً أو نوراً، وإذا اقترب منه اختفى.

٥- حمارة القايلة: هي خرافة قديمة في التراث العربي، وكانت تقال للأطفال لتخويفهم من اللعب خارج المنزل في فترة الظهيرة (القائلة) خشية عليهم من ضربات الشمس، وحمارة القايلة في التراث الكويتي شخصية خيالية مرعبة تتشكل من امرأة عجوز لها أرجل كأرجل الحمار، ويقال أنها تتجول في وقت القايلة، وعندما ترى الأطفال يلعبون تدوسهم ثم تأكلهم!

ولحمارة القايلة أساس في اللغة العربية، فشدة الحر في وقت الظهيرة تسمى عند العرب (حمّارة القيظ) بفتح الحاء وتشديد الميم، وهي وصف للشمس عند اشتداد حرارة القيظ، وجاء في كتاب (الأزمنة والأمكنة) للمرزوقي: حمّارة القيظ أشدّ ما يكون منه. يقال أتيته في حمارة القيظ، وفي حمر القيظ، وفي حمرة القيظ، وحمر كل شيء أشده، ولكن انزياحاً دلالياً حولها من (حمّارة) إلى (حمارة) لها أوصاف خرافية.

وقد صاغ الشاعر الكويتي صلاح دبشة خرافة (حمارة القايلة) بنص شعري جميل حيث يقول:

(يقول أبي: لا تخرجوا إلى الشارع

فحمارة القايلة تنتظركم خلف الباب لتأكلكم

بينما أصحابنا يلعبون كل ظهيرة في الشارع

لماذا يا حمارة القايلة

نحن بالذات؟)

٦- أم السعف والليف: وصف غريب اخترع أساساً في المناطق التي تعرف بكثرة النخيل ثم انتقلت إلى الكويت، وهي في الأساس وصف للنخلة (الشجرة المباركة)، ولكن الأمهات في أساطيرهن شكلن منها كائناً مخيفاً يساعد في سرعة نوم الأطفال خوفاً من هجوم (أم السعف والليف) عليهم عقاباً على سهرهم!

ومن النوادر التراثية عن (أم السعف والليف) ما يروى أن رجلاً كان يمشى بين المزارع، فرأى جذع نخلة مقطوع، وعندما مر من جانبه رآه يتدحرج، وبقي يتدحرج خلفه حتى وصل إلى آخر الطريق، فأحس بالرعب، وأخذ يتلو آيات من القرآن الكريم حتى اختفى عنه.

٧- الجاثوم: هو جان يقال أنه يجلس على صدر الإنسان، ويسحب لسانه بإحدى يديه، وبالأخرى يخنقه، فيصحو الإنسان، ولا حول ولا قوة له، فلسانه معقود، ونفسه مخنوق، وربما قتل الإنسان.

ويقول الباحثون أن الجاثوم ليس جاناً، وإنما هو مجرد كابوس سببه الإكثار من الأكل قبل النوم الأمر الذي ينتج عنه ضيق في التنفس، وضيقة تسبب الاستيقاظ من النوم بحالة نفسية سيئة، ويشير العلماء إلى الجاثوم، ويسمونه (شلل النوم)، وهي حالة تستغرق من ثوان إلى عدة دقائق، وخلالها يحاول بعض المرضى طلب المساعدة أو حتى البكاء لكن دون جدوى، وتختفي الأعراض مع مرور الوقت أو عندما يلامس أحد المريض أو عند حدوث ضجيج.

وقد أظهرت الدراسات بأن ٢٪ من الناس يتعرضون لشلل النوم على الأقل مرة في الشهر، وقد يصيب هذا المرض المرء في أي عمر، ويتعرض ١٢٪ من الناس لهذه الأعراض لأول مرة خلال الطفولة.

وأفضل ما يمكن أن يفعله مرضى شلل النوم خلال حدوث النوبة أن يحاولوا تحريك عضلات الوجه، وتحريك العينين من جهة إلى أخرى، ففعل ذلك كفيل بإسراع إنهاء هذه الأعراض.

٨- الراعية: شخصية خرافية تصورها العامة على أنها امرأة من الجن تسكن البيوت، وتظهر لأصحاب البيت بين فترة وأخرى، وربما عملت بعض الأعمال الضارة لهم أو بعض الحركات أو إصدار بعض الأصوات أو التشكل بعدة صور مثل الحيوانات.

٩- الخبابة: شخصية خرافية معروفة في الكويت، والبحرين، ومناطق أخرى في الخليج العربي، وتعرف بأنها توجد في مزارع النخيل.

ويقال في وصفها أنها امرأة طويلة متشحة بالسواد من رأسها إلى قدميها تختطف الأطفال، وتغوى الرجال، وتظهر في المزارع الكثيفة، وكانت الأمهات يخوفن بها الأولاد لمنعهم من الخروج ليلاً.

١٠- أبو درياه: شخصية خرافية معروفة عند أهل البحر، وذكره الشيخ يوسف القناعي بصفة إنسان يسمعون صياحه في البحر كأنه غريق، فإن أنقذوه أكل ما قدم له، وإذا غفلوه عنه رجع إلى البحر، وربما أتلف شيئاً من السفينة، وذكر السعيدان أن درياه كلمة فارسية تعني البحر.

ويروي أهل البحر أن أبا درياه، ويسمى في مناطق أخرى (بابا درياه) هو جني كان يتسلل إلى مراكبهم ليلاً بين صلاتي العشاء والفجر، ويختطف أحد البحارة ليأكله، ويعبث في السفينة ليتلفها، فتغرق، ولذا فهم يجعلون في كل سفينة نوبة للحراسة، فإذا سمع الحراس صوته صاحوا: (هاتوا الميشارة، والجدّوم)، فإذا سمعهم هرب، ويذكرون بأنه مخفي الملامح لأنه يظهر دائما في الظلام الدامس، ولكن له هيئة رجل قوي ضخم.

١١- أم خصوة: شخصية خرافية كانوا يعتقدون أنها على شكل امرأة إلا أن لها خصية رجل، وحينما كان الخدم يستقون خارج البلاد قبيل الفجر كانوا يرونها تصحبهم، فإذا عرفوها فرّوا منها راجعين إلى البيوت.

١٢- أبو مغوي: هو كما يعتقد العامة جني يظهر لأهل البحر من صيادي السمك الذين يصطادون ليلاً، فيناديهم بأصوات زملائهم ليتبعوه زاعماً أن الصيد عنده وفير حتى يستدرجهم إلى الأماكن الغزيرة، فيغرقهم، ومن هنا جاء اسمه (أبو مغوي) من إغواء البحارة، وإغراقهم.

١٣- عبد العين: تزعم العامة أنه يوجد في كل عين جان يسكن في التنور، وهو مكان منبع الماء من تحت الأرض، وربما سحب أحد السباحين لمسكنه حتى يغرقه، وتزعم بعض القصص أن بعض العيون تسحب واحداً في كل سنة، ولهذا يقدم السكان ببعض الأماكن بين فترة وأخرى الرز واللحم أو الرز مع السكر والزبيب هدية لعبد العين لكي يتركهم في حال سبيلهم.

وعبد العين مشهور في البحرين أكثر من الكويت لوجود العيون فيها بعكس الكويت.

١٤- أم ارعام: جنية تتعوذ العجائز عند ذكرها، فيقلن: (بسم الله الرحمن الرحيم.. الشر برّا،

وبعيد.. بيننا وبينهم حجاب.. اللهم صل على محمد وآله الطاهرين)، ويبدو أن (أم ارعام) هي مجرد شتيمة مخترعة لتدلل على البشاعة، وسوء الخلق.

١٥- أم حمار: أصلها (أم رجل حمار)، وهي امرأة خرافية يقال لها (شاهوه) - تصغير شاهة - وهو اسم نسائي، وقيل أن أم حمار كما يصفها أهل فيلكا امرأة لها حوافر وسيقان بقرة، وشعرها من الوبر الكثيف، ومنظرها يبعث الرعب في قلوب الناس، ويزعم الناس أنها تظهر في الفجر حيث يشاهدها السقاءون خارج المدينة، ويفرون هرباً منها كما أفاد بذلك الشيخ يوسف القناعي في (صفحات من تاريخ الكويت).

وتروى حكايتها أن أم حمار كانت امرأة عادية عشقها السعلو، وحبسها في قصره ذي الغرف العديدة، وسمح لها أن تتجول في سائر أنحاء القصر سوى غرفة واحدة منعها من فتحها أو الاقتراب منها، وأثناء غياب السعلو فتحت المرأة تلك الغرفة لتكتشف أنها غرفة السعلو الخاصة، وأن السعلو الذي تنكر لها في هيئة آدمي ليس سوى سعلو من السعالي، وكانت محتويات الغرفة عبارة عن جثث، وبقايا لحوم بشرية كان السعلو يأكلها، ووطئت بقدمها الدماء المتناثرة، ولصقت بها تلك الدماء، فاكتشف السعلو ذلك، وخيّرها بين القتل أو أن يجعل رجليها رجلي حمار، فاختارت الخيار الثاني.

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: (الغول تتحول في جميع صور المرأة، ولباسها إلا رجليها، فلا بد أن تكون رجلي حمار!).

وفي سنة ١٩٨٢م عندما تم تدشين الطريق السريع المؤدي إلى الأحمدي (طريق خادم الحرمين الشريفين حالياً) سرت شائعة عن وجود امرأة تستوقف السائقين، وحالما تركب معهم تظهر لها رجل حمار، وتتحول إلى غولة، وانتشرت الشائعة لدرجة أن وزارة الداخلية اضطرت في ١٧ يوليو ١٩٨٢م (٢٥ رمضان ١٤٠٢هـ) لنشر بيان رسمي جاء فيه:

(صرح مصدر مسئول بإدارة العلاقات العامة بوزارة الداخلية حول ما نشرته إحدى الصحف اليومية عن سريان إشاعات بالديوانيات والأماكن العامة بأن هناك ثمة امرأة غريبة تقف على الطريق السريع المؤدي لمنطقتي الفحيحيل والأحمدي، وتقوم بالتأشير للسيارات العابرة، وتطلب نقلها، وما إن يستجيب قائد السيارة لطلبها في ذلك، وفي الوقت الذي يسمح فيه لها بالركوب بسيارته سرعان ما تنقلب المرأة، وتتحول إلى هيئة مخلوقات حيوانية مثيرة للفزع مما كان يسفر عن إصابة قائدي السيارات بالفزع على النحو الذي أحيل بسببه العديد منهم إلى المستشفيات العامة.

وأكد المصدر بأن هذه الشائعات لا تعدو كونها مجرد أقاويل يصيغها خيال صبياني بغرض الإثارة، وأن العلاقات العامة بالداخلية بالتعاون مع وزارة الصحة العامة توضح بأنه لا توجد أية حالة في المستشفيات من هذا القبيل، وأن هذه الشائعات لا أساس لها من الصحة).

١٦- خروف مسلسل: ذكره حمد السعيدان في موسوعته، فقال هو: (حيوان وهمي يزعمون أن من يأخذ جمجمة خروف، ويدفنها في المقبرة، ويبول على ذلك الرأس كل صباح قبل طلوع الشمس مدة أربعين يوماً يختفي ذلك الرأس بعد أن يصبح خروفاً مسلسلاً يختفي في آبار المساجد، ويسمع صياحه الساعة ٦ عربي في الضحى الكبير، ويدعون أن في بئر مسجد مبارك الفاضل خروفاً مسلسلاً، وأظنه دلو ماء سقط في البئر مع حبله، وخيل لمن رآه أنه خروف مسلسل).

ومن هذه الفكرة استلهم أطفال الكويت لعبة طالما لعبناها في صغرنا، ولا داعي لشرحها هنا، ولكن لنقرأ الأنشودة المصاحبة لهذه اللعبة، والتي تدل على الرعب من هذا الخروف المسلسل:

(خروف مسلسل.. هدّوه

تراهو.. ياكم.. هدّوه

خرّب قواكم.. هدّوه

بـ رجله قراحة.. هدوه

كبر البراحة.. هدوه

تراهو جاكم.. هدوه)

* * *

١٧- جنية البحر: يكثر أهل البحر من الحديث عن جنيات البحر، وهي قصص مشهورة في كل الحضارات القريبة من البحر، ويروى المؤرخ عبد العزيز الرشيد في (تاريخ الكويت) حكاية من هذا القبيل عن أحد الغواصين، فيقول: (كنت مع أصحابي يوماً في مغاص اللؤلؤ، فنزل أحدهم إلى البحر، ولم تكد تطأ رجله الأرض حتى صعد إلينا مرعوباً، وأخبرنا بأنه شاهد امرأة من الجان جالسة، وعليها عباءة سوداء، وأتى لزيادة التأكيد بشيء من أوصاف العباءة.

فرأى أحد أخوانه أن ينزل ليتحقق الخبر، فجرى له مثل ما جرى لصاحبه ثم نزل الثالث، والرابع، وهكذا حتى تكامل من كان في السفينة.

فلما رأيت الكل أضربوا عن العمل لتلك الحادثة رأيت أن أكشف الحقيقة بنفسي، ولكن عندما نزلت وجدت الأمر كما قالوا، فدهشت، وأصابني الرعب ما كاد يضطرني إلى الخروج غير أن نفسي أبت علي أن يتحدث الناس عني بأنني جننت، فصممت على حل المبهم، ولو كان فيه القضاء علي، فأقدمت عليها، ولويت بيدي على عنقها، وأنا مغمض العينين، فما شعرت إلا والدم يجري من يدي، فعلمت حينئذ أنني أصبت صخرة سوداء تلبست بعباءة، ولا تسل عن فرحتي عندما عرفت الحقيقة، ولكني أردت مداعبة أصحابي، فلبست العباءة، وخرجت عليهم، فرموا أنفسهم في البحر، وتركوا السفينة، وما بها إذ اعتقدوا أن المرأة قضت علي، وجاءت لتقضي عليهم، ولم يتراجعوا إلا بعد سماعهم صوتي).

ويروي صفوت كمال في كتابه (الحكايات الشعبية الكويتية) قصة مماثلة عن محمد جاسم المضف أنه حدث مثل ذلك في رحلات الغوص، فقد عاد أحد الغواصين من الماء مسرعاً مذعوراً، وأخبر من في السفينة أنه رأى في القاع بيت شعر (خيمة) منصوباً في القاع، وبداخله بشر، وتخيل هو وغيره أن قاع هذا المكان مسكون بالجان.

ولكن أحد الغواصين الشجعان غاص لرؤية تلك الخيمة، وبعد برهة وجيزة رجع إلى السفينة، وأخبر أصحابه بأنه يوجد فعلاً بيت شعر، ولكنه مجرد زولية (سجادة)، وربما تكون سقطت من إحدى السفن، ورست في القاع على صخرة يحوطها بعض الشعب المرجانية، ومع حركة الموج، وتكسرات الماء بدت الصخور المرجانية، وكأنها شخوص بداخلها، وحولها.

وطلب من بعض أصدقائه أن يغوصوا معه لإحضارها، فغاصوا معه، وعادوا بها إلى السفينة.

* * *

* ثانياً: الشخصيات الشعبية في التراث الكويتي:

وبعد أن تطرقنا للشخصيات الخرافية الموجودة في تراثنا سوف نحاول إكمال البحث بالحديث عن الشخصيات الشعبية في هذا التراث، وهي تدور في مجملها في إطار الشخصيات غريبة الأطوار التي عاشت في الماضي، وصارت مع الوقت نماذج فلكلورية تمثل قيماً مختلفة، وقد استفدنا في ذلك من مرجع مهم هو (الموسوعة الكويتية المختصرة) للكاتب الراحل حمد السعيدان:

* * *

١- أم الخلاقين: المشهور عند الناس الآن أن اسمها هو (سحيلة أم الخلاقين)، ويذكر السعيدان أن تسمى أيضاً زهية أم الخلاقين، وسليمة أم الخلاقين، وهي امرأة اشتهرت بأنها تبحث في الزبالة عن الخرق البالية، فتجمعها، وتغسلها، وترقعها، وتصنع منها الثياب، وتبيعها على الفقراء.

يقول السعيدان: (في المرقاب كنا نسميها زهية، وكان الأطفال يجرون ورائها، ويعاكسونها، وبعضهم يقذفها بالحجارة، وكنت من جملة المتحرشين بها، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٤٦م، وتعثرت، ووقعت، وأخذت تركلني برجلها).

٢- أبو كحلة: رجل مخبول كان يلطخ عينيه بالكحل، ويجري خلفه الأولاد، وهم يرددون كلمتي: (أبو كحلة المبايعي) أي الذي باع عقله، ويقذفه الأولاد بالحجارة، وهو بدوره يقذفهم بأقرب شيء تتناوله يده.

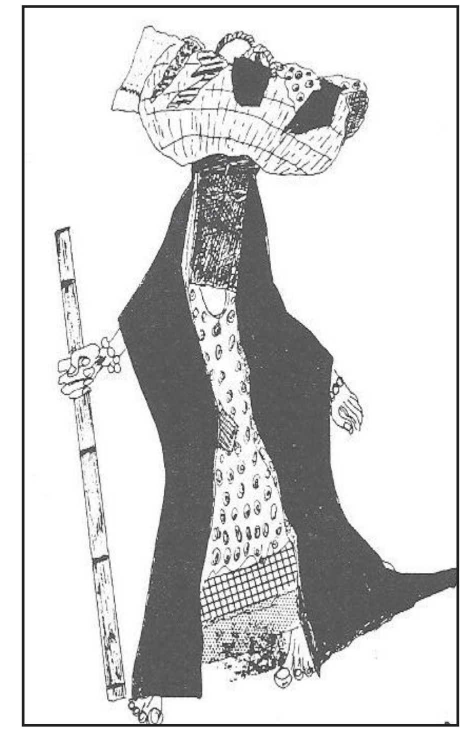
يقول السعيدان: (شاهدته في حياتي مرتين.. الأولى حوالي العام ١٩٤٧م في المرقاب، والثانية حوالي سنة ١٩٥٠م في ملجأ للبلدية كان في الصالحية يطل من مدعاب الملجأ، ويشتم المارة، والآن لا نسمع عنه شيئاً، وأظنه قد مات).

٣- شهابوه: عرّف به السعيدان، فقال: (اسم يطلق على شخص كويتي مشهور بالسقم أو الخبل، ولكنه غير مؤذ يتخذ الأرصفة مكاناً يشحذ فيه من المارة، وهو شاب توفي في سبتمبر ١٩٦٨م. يعطف عليه الكويتيون بسبب سقمه، وعيب في أحد قدميه، وكان ذكياً لا يمد يده بطلب المساعدة إلا للكويتيين، فقد اكتشف أن الآخرين لا يقدمون له شيئاً كذلك قال لي سنة ١٩٥٩م، وأردف: ترسوا السوق.. لكن ما ينقطون!).

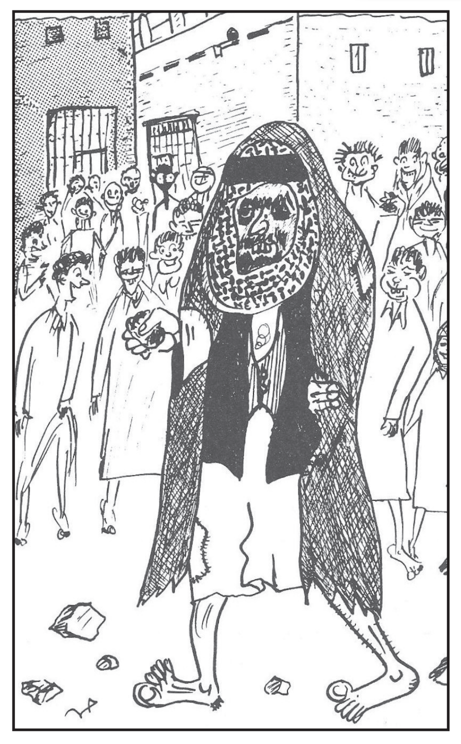
قال الأستاذ خالد خلف في جريدته (الشعب) تحت عنوان (خذوا الحكمة من أفواه المجانين): سألت شهابوه.. متى تنتهي المشاريع في الكويت؟، فأجاب: عندما تنتهي الفلوس!

٤- أم أحمد العكافة: امرأة كانت تعكف (تظفّر) شعر النساء، وخاصة العرائس بالأجرة، ولذا كانت تكثر من مدح جمال العروس أثناء عملية العكاف (التظفير) لتزيد من أجرتها، ولذا صار اسم (العكاف) مرادفاً للنفاق في اللهجة الكويتية، ويعكف بمعنى ينافق، وقد ذكرها الشاعر فهد بورسلي في قصيدته الشهيرة (الدار) حين جعلها رمزاً لكل منافق انتهازي، فقال:

الدار.. ضاقت ما عليها شافة ... والحرّ.. فيها شايفٍ ما عافه
دارٍ.. يعيش ابها الغريب منعّم ... وتعيش فيها أم احمد العكافة



أم الخلاقين كما رسمها السعيدان



أبو كحلة كما رسمه السعيدان

٥- امبايعي: ذكره السعيدان، فقال: (رجل أبله كان يخيف الأطفال، ويصفقون وراءه، والمبايعي من باع الشيء، وفي اصطلاح الكويتيين (فلان بايع، ومخلص) أي مجنون، ولم يبق عنده ذرة من عقل، ولا يهتم لأمر من الأمور، وكل شيء عنده سواء، وباع عقله أي ضيعه)، ورسمه السعيدان كما شاهده سنة ١٩٤٧م رجلاً حافي القدم بدشداشة مهلهلة، وغترة رثة تظهر ناصية شعره.

٦- خميسوه حلاوي: ذكره السعيدان، فقال: (مسكين من السذج، وقيل أنه مجنون يركض وراءه الأطفال، ويصفقون، وهم يرددون (خميسوه حلاوي.. ياكل تمر خضراوي)، وأفاد أنه كان يحمل فوق ظهره وحول جوانبه عدداً من العلب الفارغة يربطها، ويتركها تتدلى كما يحمل فوق ظهره حزمة توحي بأنه على سفر ليستدر عطف الناس.. شاهدته عدة مرات حوالي سنة ١٩٤٧م، والأولاد يجرون خلفه، ويصفقون، وهو رجل عجوز لم ينتبه إلى عبثهم، وكان يسير في سوق التمر باستمرار، وأظنه قد مات).

٧- خبالوه: شخصية قديمة يطلق عليه اسم خبالوه أي المخبول، وكان يخيف الأطفال في الشوارع.

٨- أم دعنوه: لقب امرأة قيل أنها كانت تسف الخوص، وتدعى خصوف، وجاء في الأمثال الكويتية قول: (عقب ما حمى المعلب.. جت أم دعنوه تلعب)، ويضرب هذا المثل لمن يأتي متأخراً لشراء ما يلزمه، ويكون نصيبه أردأ أنواع السلع.

٩- أبو دندول: شخصية كويتية من الماضي يقال: (بو دندول.. دندل الدلو)، وقيل أن أبا دندول كان شيخاً طاعناً في السن يحمل بيده دلواً يضع فيه بعض شؤونه، وقيل أنه كان يطوف بأسواق التمر والدهن في شهر رمضان لجمع ما يجود به المحسنون من تمر أو إقط أو قمح، ونحو ذلك.

١٠- أبو سعبولة: ذكر السعيدان، فقال: (عرف الكويتيون قديماً شخصاً سقيماً كان يفغر فاه، ويترك لعابه يسيل من بين شفتيه، ولا يستطيع التحكم في امتصاص لعابه، وكان يجري خلفه الأطفال، ويسخرون منه ثم يأتي أحد أهل الخير، ويطلب من الأطفال الامتناع هذه السخرية، وإلا أصابهم ما أصابه، فيمتنع الأطفال عن السخرية، ويحمدون الله الذي كرمهم، ولم يصبهم ما أصاب أبو سعبولة، ولكنهم عندما يشاهدونه في اليوم التالي يعيدون الكرة).

١١- السلقلق: صفة أطلقها الأولاد على شخص سقيم طويل القامة قيل أنه عاش في أيام الحاكم الخامس للكويت الشيخ عبد الله الثاني الصباح (١٨٦٦ - ١٨٩٢م)، وكان يجمع القواقع البحرية لغرض التسلية، وكان الأولاد يصفقون خلفه إذا ما شاهدوه، ويرددون:

السلقلق كنه اللقلق - أمه تطلّق   تحت النخلة - تجيب صخلة

١٢- أبو عنكورة: قال السعيدان: (لقب شخصية كويتية ذكر أنه من الظرفاء، وقيل أبو عنكورة، وقيل أبو خنكورة حتى أصبح هذا اللقب صفة تلازم كل شخص يميل إلى التمسك برأيه، ولا سبيل إلى إقناعه، والعنكورة في اصطلاح العامة تعني المناوشة الكلامية، ومن هذا نستنتج أن (أبا عنكورة) هذا شخص يصعب إقناعه، ويميل إلى المجادلة، والتمسك برأيه دون إبداء شيء من المرونة، ويرى أن قوله الفصل).

* * *

١٣- شخصيات متنوعة في الأمثال:

تزخر الأمثال الكويتية بذكر شخصيات عديدة بعضها معروف، والبعض الآخر مجهول النسبة، وسيرة الحياة، ولكنها ظلت تدل على أفعال وصفات متعددة، وسنحاول رصد بعضها في سياق بانورامي دون التطرق إليها بالتفصيل.

فلدينا (عريمان)، وناقته التي إن ثارت نارت (أي هربت)، وإن بركت ما ثارت، وهو في الواقع رجل من قبيلة سبيع، و(ابن برمان)، وطيره الذي أتى بالحية على رأس راعيه، و(ابن تمام) بتسعيرة بتيله الموحدة (شاحن وخالي بريالين)، و(ابن غامس)، وفعلته الغريبة في التانكي، و(عبد حبّابة) الصغير على عمل السيب، والكبير على عمل التبابة خلال رحلات الغوص، و(الخليفي)، وقرايته التي أتت بمفعول عكسي على ابنه الصغير، و(طعيس) الذي باع بيعته سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م)، فهزم حملة عسكرية كاملة بطعنة غادرة من رمحه، و(غليص المسعودي الشمري) الذي التقط لقطة عادت عليه بالمضرة، و(أبو متيح الفضلي) الذي كان يشتري الطلايب من أهلها.

ولدينا أيضاً (أم ناصر) بلسانها الطويل، وحيلها القاصر، و(عرار) بحصانه الذي ما ربح من قاده، و(ضحيان)، وعبيده الذين لا يخافون منه، ولا هو يخاف من عبيده، و(هليل) بغزوه الذي لا يمرح فيه، ولا يقيّل!

وإلى هنا نتوقف مع هذه الشخصيات الفلكلورية في تراثنا الكويتية سواء الخرافية منها أو الشعبية، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

الفصل الثاني

حوادث وأبحاث في تاريخ الكويت

أول رسالة تخرج من الكويت

حكاية البريد في الكويت طويلة، فقد بدأت الخدمات البريدية في الكويت سنة ١٧٧٥م (١١٨٩هـ) في عهد الشيخ عبد الله الأول عندما انتقل مركز الخدمة البريدية الانكليزية إلى الكويت بسبب حصار الفرس لمدينة البصرة.

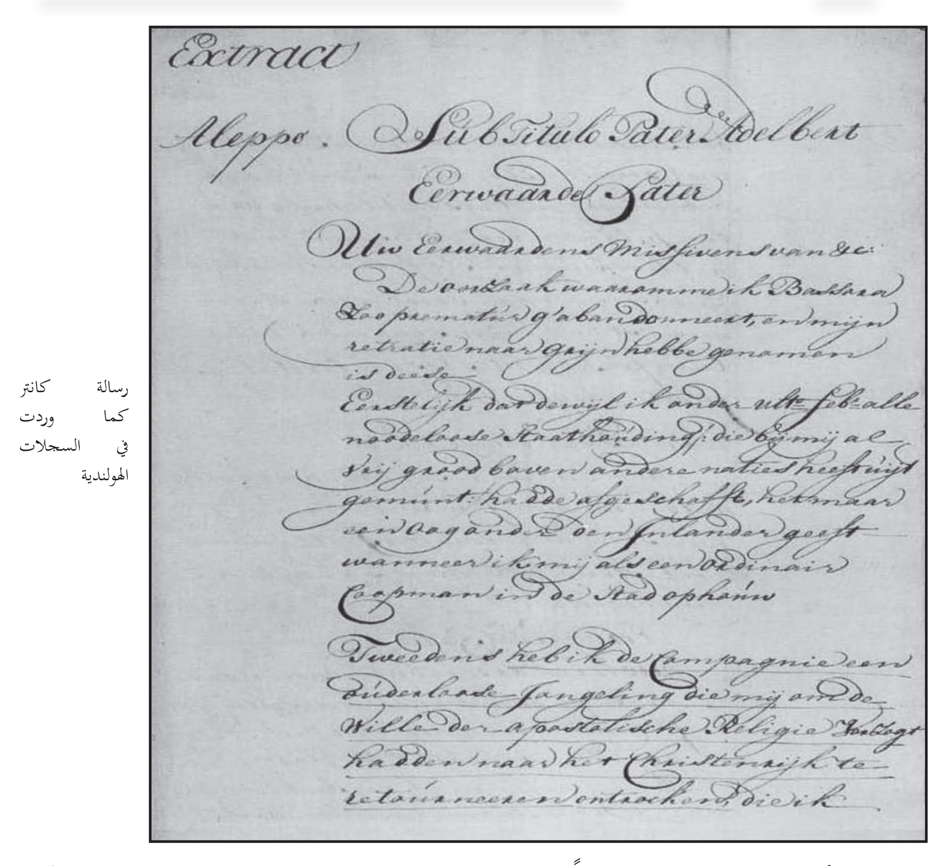
أما الخدمات البريدية الحديثة، فقد بدأت بافتتاح مكتب البريد الهندي في الكويت في ٢١ يناير ١٩١٥م (٥ ربيع الأول ١٣٣٣هـ) في مقر المعتمد السياسي البريطاني، وفي سنة ١٩٢٧م (١٣٤٥هـ) تم تسيير أول سيارة إلى البصرة عن طريق المطلاع، وصار البريد ينقل براً بين الكويت والبصرة.

أما البريد الجوي، فقد انتظم من الكويت وإليها اعتباراً من سنة ١٩٣٣م (١٣٥٢هـ) كما قامت شركة نفط الكويت بإدارة مكتب البريد الخاص بها في شارع فهد السالم منذ سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) ثم نقل إلى الأحمدي في نهاية الأربعينيات، وكان هذا المكتب مستقلاً عن مكتب البريد الهندي الذي كان يدير شؤون البريد في الكويت.

وفي يوم السبت الأول من فبراير ١٩٥٨م (١٢ رجب ١٣٧٧هـ) افتتح في الكويت أول مكتب للبريد تابع لحكومة الكويت في ساحة الصفاة، وكان مختصاً بالخدمات البريدية المحلية فقط، واستمر مكتب البريد البريطاني وفروعه يضطلع بخدمات البريد الخارجية، وألحقت دائرة البريد الجديدة بقسم البرق بالإضافة إلى خدمات الهاتف، وأسست دائرة (البريد والبرق والتلفون) برئاسة الشيخ فهد السالم الصباح، وبعد سنة كاملة تسلمت دائرة البريد الكويتية كافة الخدمات البريدية في البلاد، وألغيت مسؤولية البريطانيين عن الأمر تماماً.

ولكن قبل إنشاء دائرة للبريد في الكويت بقرنين كاملين شهدت الكويت حادثة إرسال أول رسالة مؤرخة من داخل البلاد إلى خارجها، وكان وراءها رحالة من طراز خاص جاء إلى الكويت، ولكن لم يكن هدفه الارتحال بل الهروب!

زار الكويت، وكتب منها رسالة ذات قيمة تاريخية لا تقدّر بثمن رغم أنها لا تحتوي على أية معلومات قيمة بالفعل كما أن كاتبها ليس – فيما يبدو – أكثر من مختلس نصاب!


Extract

Aleppo. Sub Titulo Pater Adelbert

Eerwaarde Pater

Uw Eerwaardens Missive van &c

De oorzaak waarom ik Bassora
zoo prematuur g'abandonneert, en mijn
retratie naar Grijn hebbe genomen
is deeze
Eerstelijk dat dewijl ik onder ult feb. alle
noodeloose staathouding; die bij mij al
vrij groot boven andere naties heeft uijt
gemunt hadde afgeschafft, het maar
een oog ander den Inlander geeft
wanneer ik mij als een ordinair
Coopman in de Stad ophouw

Tweedens heb ik de Campagnie een
onderhoorde Jongeling die mij om de
Wille der apostatische Religie verlegt
hadden naar het Christendom te
retourneeren ontrocken, die ik

رسالة كانتر كما وردت في السجلات الهولندية

قبل أكثر من مئتين وستين عاماً كان هنالك شخص يدعى (فرانس كانتر)، وهو كاثوليكي من مواطني أمستردام (العاصمة الهولندية حالياً) يشغل منصباً رفيعاً في المنطقة إذ كان المقيم الأول في شركة الهند الشرقية الهولندية في مدينة البصرة.

وتولى كانتر منصبه هذا سنة ١٧٤٧م (١١٦٠هـ)، وبعد عامين قررت الشركة إقالته، وتعيين البارون كنيبهاوزن في منصبه، وما إن سمع كانتر بوصول كنيبهاوزن لاستلام العمل منه حتى فر من البصرة، ويبدو أن سبب فراره يعود إلى أنه اختلس لحسابه بعض أموال الشركة، وبضائعها.

لم يهرب كانتر شمالاً بل توجه جنوباً ناحية الكويت التي كانت تحمل وقتئذ اسماً إضافياً مع اسمها هذا هو (القرين)، وكان القرين فيما يبدو هو الاسم الرسمي للبلد الذي يكتب في الخرائط والتقارير الغربية بينما (الكويت) هو الاسم المحلي الذي تعارف عليه أبناء البلد، وما حولها من العرب.

وصل كانتر إلى الكويت في أوائل سنة ١٧٥٠م (أوائل ١١٦٣هـ)، وبقي فيها فترة حتى تمكن من الالتحاق بقافلة برية تخرج منها إلى حلب ثم أكمل طريقه إلى ميناء الإسكندرونة، ومن هناك سافر إلى أمستردام حيث لم تستطع شركة الهند مقاضاته نظراً لأن أمستردام كانت تتمتع بحكم ذاتي في تلك الحقبة.

يذكر المؤرخ ب ج سلوت في كتابه (نشأة الكويت): (أن هروب كانتر إلى القرين يظهر بجلاء صفة أساسية للكويت، فقد كان وضعها السياسي خارج نطاق نفوذ الحكومة العثمانية في البصرة، وهكذا فقد كانت ملاذاً للأشخاص والتجارة على حد سواء عندما كان هناك خطر من القلاقل في البصرة لسبب أو لآخر، فهذه المدينة التجارية الصغيرة الواقعة في الصحراء ولدت، واستمرت في النمو لأنها بكل بساطة كانت خارج منطقة العراق العثماني المضطربة).

وخلال إقامته في الكويت كتب كانتر رسالة وجهها إلى قسيس كرملي في حلب، وهي أقدم رسالة كتبت في الكويت وصلت إلينا، وحقيقة أنه لم يعثر على أصل هذا الخطاب، ولكن خلال الإجراءات القانونية قام كاتب العدل في أمستردام بإعداد ملخص موثق عن ذلك الخطاب، وهو الذي وصل إلينا ضمن الأرشيف الرسمي الهولندي.

ترجمة ملخص الرسالة تفيدنا في أهم مقاطعها بقول كانتر: (السبب في أنني غادرت البصرة قبل الأوان، وانتقلت إلى القرين هو لأنني توقفت عن كل المراسم الرسمية غير الضرورية التي كانت تجعلني في وضع أعلى من تجار الأمم الأخرى، فإذا بقيت في المدينة كتاجر خاص، فإن ذلك قد يسبب الدهشة بين السكان المحليين).

ويذكر أن السبب الآخر لتركه البصرة هو مساعدته لشاب كاثوليكي في العودة لأوربا بينما كان كنيبهاوزن يرغب بإجباره على العمل في البصرة.

وأنهى كانتر رسالته بجملة العنوان والتأريخ، فكتب: (في قرية القرين، ٤ مارس ١٧٥٠م)، ويوافق هذا التاريخ يوم الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر ١١٦٣هـ.

وهناك عدد من الوثائق التي تتحدث عن هروب كانتر، فهذا موظف بالقنصلية الهولندية بحلب يدعى (بولارد) يرفع تقريراً للسفير الهولندي في اسطنبول يوم الاثنين ٤ مايو ١٧٥٠م (٢٧ جمادى الأول ١١٦٣هـ) جاء فيه: (أخبرك بالأنباء المؤكدة أن مستر كانتر قد هرب من البصرة في ليلة الثامن من مارس (بالتقويم القديم) دون تسليم الأموال والبضائع إلى خلفه، ويقولون أنه سيمكث في قرية

عربية تسمى القرين بهدف القدوم إلى حلب في أقرب فرصة).

وبعد أقل من شهر يكتب بولارد نفسه تقريراً في الأول من يونيو جاء فيه: (آخر الأخبار التي لدي هي أن مستر كانتر كان في مدينة القرين بنية السفر مع القافلة التي يتوقع أن تصل في ظرف حوالي ثلاثة أسابيع إلى حلب، وقد كتب قنصلنا أن كانتر قد غادر البصرة سراً دون إبراء ذمته مع خلفه البارون كنيبهاوزن كما أنه أخذ مبلغاً كبيراً من المال).

ويضيف بولارد ملحوظة نصها: (في يوم ٢٧ من الشهر الحالي غادرت قافلة كبيرة من هنا (حلب) إلى البصرة، وقد أرسل معها كمية كبيرة جداً من القرمز إلى فارس، ولكن هذه القافلة سوف تذهب عن طريق القرين دون المرور بالبصرة).

وقد أخبر كنيبهاوزن خليفة كانتر في المنصب رؤساءه عن هروب سلفه، وأشار لذلك باختصار في أحد تقاريره، ورغم ذلك الاختصار إلا أنه أخبر عن زيارة مسئول هولندي للكويت لإقناع كانتر بالعودة للبصرة، وتسليم ما بذمته إلا أنه وصل متأخراً كما يبدو من قول كنيبهاوزن في تقريره: (غادر المقيم السياسي الهارب كانتر القرين عبر الصحراء إلى حلب، وبسبب ذلك، فقد كان سفر المقيم الثاني ده ماي دون طائل).

إلى هنا تتوقف مغامرة المختلس كانتر، وهروبه في الكويت، وتنقضي الوثائق التي تخبرنا بأحداثها التي رغم غرابتها، وعدم تعلقها بالسياق التاريخي للكويت إلا أنها أخبرتنا بمعلومات مهمة عن البلاد منها أن الكويت في تلك الفترة المبكرة من تاريخها كانت نقطة انطلاق مهمة للقوافل البرية إلى حلب، وهو الطريق البري المهم الذي يصل الخليج العربي بالبحر الأبيض المتوسط.. أو الهند بأوربا.

وأخبرتنا الرسالة أيضاً عن حركة بريد مستمرة بين الكويت وحلب، واستقلالية الكويت عن العراق العثماني، واضطلاعها المبكر بدورها الإنساني الذي استمر عبر تاريخها، وهو أنها ظلت على الدوام الحضن والملجأ لكل خائف، ومطارد، ولاجئ.

أما كنيبهاوزن المذكور في الحكاية السابقة كخصم لكانتر، فله حكاية أخرى مع الكويت حدثت بعد أربع سنوات من حادثة كانتر، فقد كتب كنيبهاوزن تقريراً لدولته يصف فيه سواحل الخليج العربي، وسكانه في ذلك الوقت، وسنتحدث عنه في مكان آخر من هذا الكتاب.

حكاية أسوار الكويت

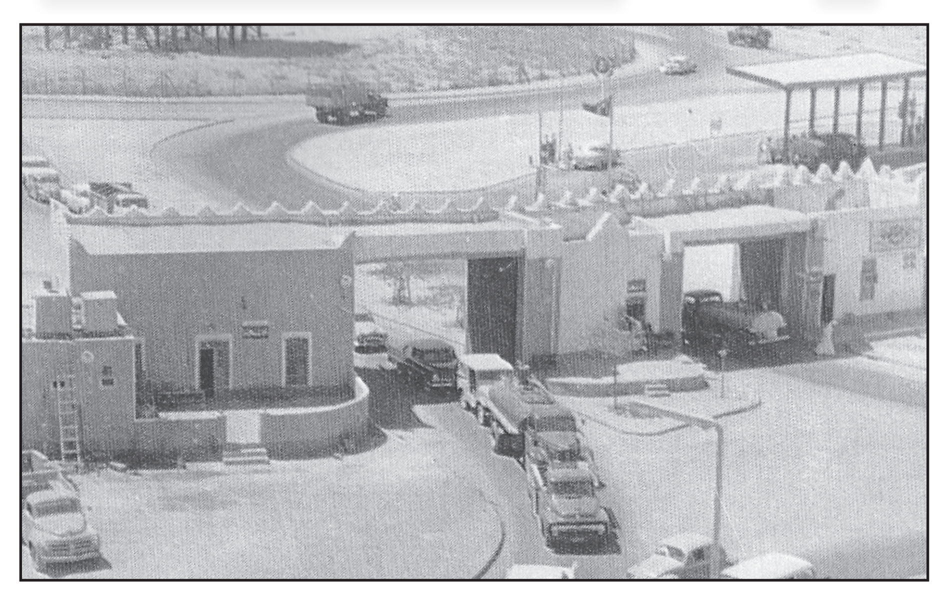
تعالوا نلقي الضوء على أسوار الكويت الثلاثة التي أحاطت بالمدينة في بعض فترات تاريخها، ونجد بعض المؤرخين يخطئون، فيجعلون قيام الكويتيين بترميم سور مدينتهم الثاني سنة ١٨٤٥م (١٢٦٠هـ) عملية بناء لسور ثالث، فيعتبرون أسوار الكويت أربعة بسبب هذا الخلط.

وقد نشأت مدينة الكويت مع بداية القرن الثامن عشر الميلادي كمدينة صغيرة، ولكن مع توسعها وازدهارها في عهد الحاكم الثاني عبد الله بن صباح كثرت الأطماع بها من قبل الدول المجاورة، والقبائل المعادية، ولذلك ترجع الروايات إنشاء سور الكويت الأول في ديسمبر ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) إلى ناقوس الخطر الذي دقته غزوة قام بها أحد قادة الدولة السعودية الأولى، وهو مناع أبو رجلين.

ويذكر السعيدان في موسوعته المختصرة أن ذلك السور كان يبلغ من الطول ميلاً واحداً، وله سبع بوابات هي: (البطي – القروية – العبد الرزاق – الشيخ – السبعان – الفداغ – البدر).

وكانت هذه البوابات تنسب إلى الأسر التي تقيم بالقرب منها كما أن السور كان يمتد من قصر السيف إلى نقعة العبد الجليل.





بوابة الجهراء في الخمسينيات

* * *

أما السور الثاني، فقد بني بعد خمس عشرة سنة فقط من بناء الأول، ولا أرى سبباً لبناء سور آخر بهذه السرعة إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار التطور السريع الذي طرأ على الكويت، وتحولها من مجرد قرية صيادين ترتبط بالصحراء ارتباطاً وثيقاً إلى ميناء مزدهر في المنطقة مع تزايد تجارة أهل الكويت البحرية والبرية حيث اتسعت المدينة بسرعة خارج السور القديم مما أوجب توسيعه، وتحصينه نظراً للأخطار المحيطة بالعاصمة من كل جانب.

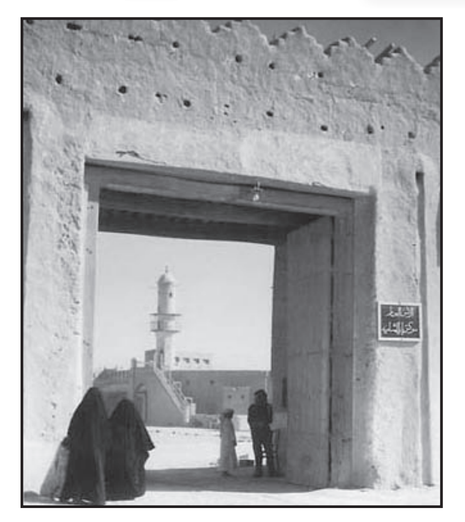
وكانت ثلاثون سنة كفيلة بإحداث تصدعات في ذلك السور بدأت بثلمة فيه يقفز منها الناس سميت بـ (المطبة)، وموقعها كان يسمى فريج المطبة إلى وقت قريب ثم كثرت المطبات كما يقول المؤرخ حمد السعيدان، وكانت تأثيرات السنين كذلك تؤدي دورها في تصدع السور الأمر الذي بلغ قمته سنة ١٨٤٥م (١٢٦١هـ)، وبالطبع كان تصدع السور فرصة للطامعين في الكويت، وإزاء هذا الخطر قام الكويتيون بترميم السور الثاني.

* * *

وبعد ذلك لم تدع الحاجة أهل الكويت إلى تحديث السور طوال خمسة وسبعين عاماً ابتعدت فيها المعارك عن المدينة نفسها بل تحولت إلى أماكن بعيدة، ولكن معركة حمض التي جرت في مايو



خريطة تمثل الأسوار الثلاثة للكويت



بوابة الشامية

١٩٢٠م (شعبان ١٣٣٨هـ) وضحت الحاجة إلى بناء سور جديد لمواجهة الأخطار.

وبين (٢٧ شعبان إلى ٦ شوال) من سنة ١٣٣٨هـ الموافقة لصيف ١٩٢٠م شرع الكويتيون في بناء سور ثالث حول عاصمتهم بسواعد شعبية حيث تكفل أبناء كل حي ببناء الجزء الذي يواجه حيهم حتى اكتمل بناء السور الذي كان يمتد ابتداء من رأس عجوزة (قرب الأبراج حالياً) إلى (موقع يوم البحار) مروراً بشارع السور حالياً، وكانت له خمس بوابات هي: (بنيد القار – البريعصي (الشعب) – الشامية – الجهراء – القصاصيب (المقصب))، وفيه ٢٦ برجاً يسمى كل برج منها بالغولة، ونظرا لكون فترة البناء تخللها شهر رمضان، فقد تم البناء ليلاً بينما كان إعداد اللبن والطين يتم في النهار.

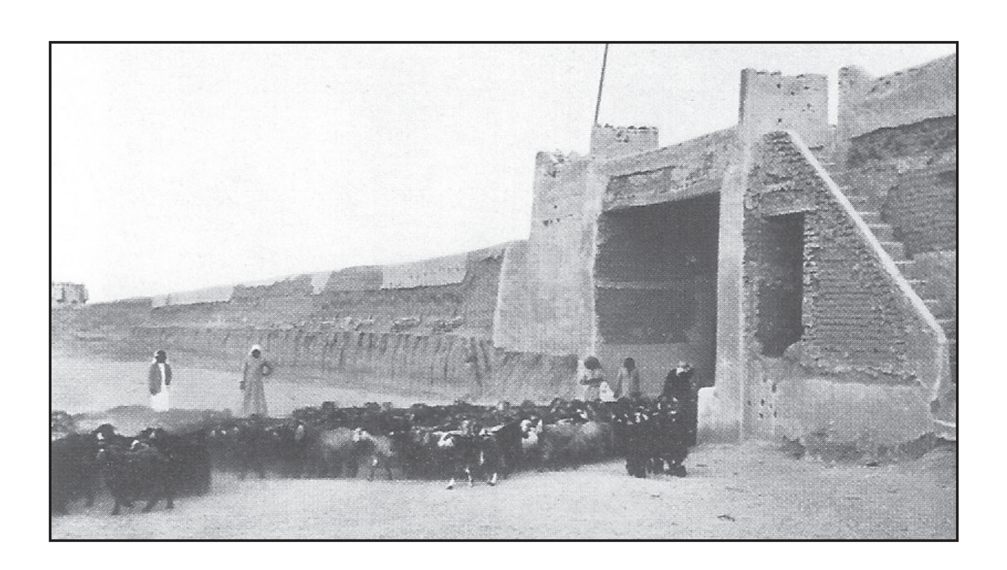
وتقول إليانور كالفري الطبيبة الأميركية التي عاشت في الكويت إبان فترة بناء السور الثالث سنة ١٩٢٠م في كتابها (أيامي ولياني العربية):

(في الثامن والعشرين من مايو ١٩٢٠م (١٠ رمضان ١٣٣٨هـ) دشن الشيخ سالم المبارك بناء سور جديد ضخم لحماية مدينة الكويت، وقد جند للعمل فيه كل ذكر من السكان تقريباً، ولم يكن هناك وقت للتراخي أو الإهمال، فانكب الناس على إنجاز هذه المهمة بحماسة واندفاع كبيرين حتى النساء اللواتي كن يقصدن العيادة لا حديث لهن إلا عن الخطر، وعن السور الذي يشترك رجالهن في بنائه، وفرغ من بناء السور في شهر سبتمبر، وكان يمتد بطول ثلاثة أميال في شبه نصف دائرة تلف المدينة من جهة البر.

أقيم السور فوق أساسات من الحجارة بدءاً من نقطة الشرق التي تقع عند أدنى حد في ساعة الجزر، وتراجع مياه الخليج، وامتداداً إلى الغرب حتى البحر، وعلى مسافة تقارب الثلاثمئة متر فقط من بيتنا، ولقد اصطحبني أدوين (زوجها) ذات مرة معه في السيارة لأرى السور الذي كان مزوداً من جهة الداخل برصيف يمتد على طوله ليقف عليه المقاتلون ببنادقهم أمام فتحات تركت فيه خصيصاً كي تكون منافذ للبنادق، وكانت هناك أبراج ودعامات ذات فتحات للرمي منها أقيمت ضمن السور، وعلى مسافة ٣٠ متراً بين الواحدة والأخرى، وهكذا لم يعد ممكناً لأحد أن يدخل المدينة أو يخرج منها إلا عبر واحدة من البوابات الأربع التي هي أشبه ما تكون بالقلعة).

ويلاحظ هنا أن كالفري ذكرت أن للسور أربع بوابات فقط، وذلك لكون بوابة المقصب قد بنيت في وقت لاحق، واستمر هذا السور الثالث سبعة وثلاثين عاماً حمى خلالها مدينة الكويت من الكثير من الأخطار الخارجية، ونظم حركة المرور من وإلى الكويت، وبقي شاخصاً إلى إن انتفت الحاجة إلى وجوده بعد تأسيس الدولة العصرية، والتوسع العمراني خارج السور ، فكان أن بدأ العمل بهدم السور في ٤ فبراير ١٩٥٧م (٤ رجب ١٣٧٦هـ)، ولكن تم الإبقاء على البوابات الخمس كأثر على السور القديم.

وقد تم ترميم هذه البوابات على مدى السنوات الماضية للحفاظ على طابعها الأصيل كما تم إعادة بناء بوابة المقصب بالكامل على الشكل الأصلي الذي كانت عليه عقب تحرير الكويت سنة ١٩٩١م (١٤١١هـ) بعد أن هدمتها قوات الاحتلال الغاشم.





* * *

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن مدينة الجهراء التي تقع في شمال الكويت كانت محاطة أيضاً بسور تم بناؤه في ٢٨ نوفمبر ١٩٢٠م (١٦ ربيع الأول ١٣٣٩هـ) بعد معركة الجهراء التي حدثت في ذلك العام، وقد هدم هذا السور بعد فترة، ولم تبق له آثار الآن، وكذلك أحيطت قرية الفحيحيل جنوبي الكويت بسور طيني آخر في نفس الفترة ثم هدم بعد انتفاء الأسباب لوجوده.

رسالة نادرة تكشف أحداثا تاريخية

يحدث أحياناً أن تكشف رسالة شخصية أو ورقة عائلية عن معلومة تاريخية هامة، وتجلو الغموض عن وقائع عجزت الكتب والمؤلفات عن تبيانها.

أمر كهذا تكشف عنه هذه الرسالة التي زودنا بها الأخ عدنان بن عبد الله بن جابر الجلاهمة، ونشارككم الاطلاع عليها.

هي رسالة بعثها واحد من رجالات الجلاهمة إلى أحد أقاربه في البحرين يوم الجمعة ١٩ ربيع الآخر ١٣٢٠هـ (٢٥ يوليو ١٩٠٢م)، ورغم أن الهدف الرئيس من الرسالة كان الإخبار عن شراء بعض الأبواب الخشبية إلا أن المرسل تطرق لبعض الأمور العامة التي أكسبت الرسالة أهميتها التاريخية.

وأفاد الأخ عدنان الجلاهمة الذي زودنا بهذه الوثيقة، والشروحات الملحقة بها أن هذه الرسالة تمتاز بعدة أمور منها الحديث عن التحركات الأولية للملك عبد العزيز آل سعود بعد شهور قليلة لا تتجاوز الخمسة شهور بعد دخوله الرياض، وثانيا أنها تتحدث عن اهتمامه بإيصال أخبار انتصاراته للكويت، والحديث عن توجه الإمام عبد الرحمن الفيصل من الكويت إلى الرياض مروراً برماح، والأهم أن الرسالة تفيد بتفصيلات غير معروفة سابقة عن (حادثة كردي بن طوالة) الذي ذكرها عبد العزيز الرشيد في (تاريخ الكويت) باقتضاب، وكذلك حسين الشيخ خزعل في (تاريخ الكويت السياسي)، وتصحح خطأ الأخير في تاريخ الحادثة.

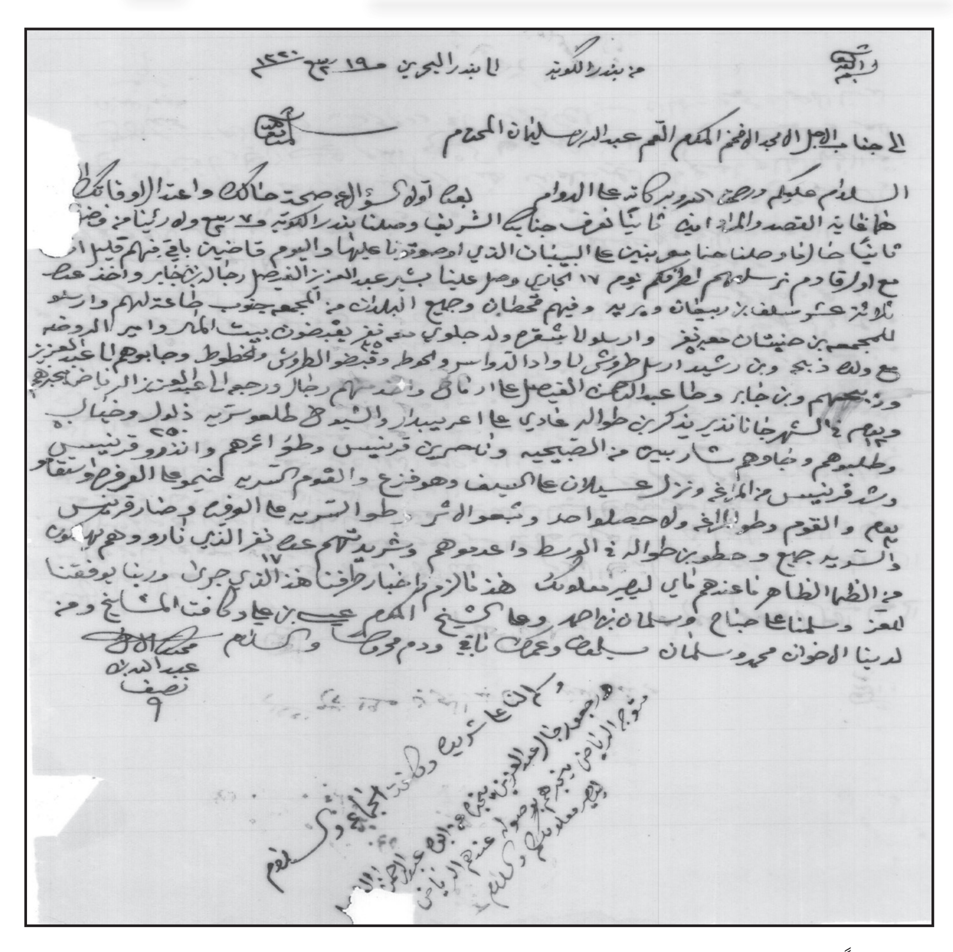
وفيما يلي نص الرسالة:

{بسم الله تعالى

من بندر الكويت إلى بندر البحرين ١٩ ربيع الثاني ١٣٢٠هـ

إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم المكرم العم عبد الله بن سليمان المحترم. سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام. بعده أول السؤال عن صحة حالك، واعتدال أوقاتك اللي هما غاية القصد والمراد.. آمين.



من بندر الكويت الى بندر البحرين ١٩ ربيع ٢ سنة ١٣٢٠

الى جناب الاجل الامجد الافخم المكرم الشيخ عبدالله سليمان المحترم

ثانياً نعرّف جنابك الشريف. وصلنا بندر الكويت في ٧ ربيع ثاني، ولا رأينا من فضا.

ثانياً حال ما وصلنا حنا معربنين على البيبان الذي أوصوتونا عليها، واليوم قاضين. باقي فيهم قليل. ان شاء الله مع أول قادم نرسلهم لطرفكم.

يوم ١٧ الجاري وصل علينا بشير عبد العزيز الفيصل. رجّاله ابن جابر، وأخذ عنه ثلاثة عشر سلف. ابن ربيعان وبريه وفيهم قحطان وجميع البلدان من المجمعة جنوب طاعت له، وأرسلوا للمجمعة ابن صنيتان معه ٥٠ نفر، وأرسلوا إلى شقرا ولد جلوي معه ٣٥ نفر يقبضون بيت المال، وأمير الروضة مع ولده ذبح.

وابن رشيد أرسل طروش إلى وادي الدواسر والحوطة، وقبضوا الطروش والخطوط، وجابوهم إلى عبد العزيز... ، وابن جابر وطا عبد الرحمن الفيصل على رماح، وأخذ منهم رجال، ورجع إلى عبد

العزيز بالرياض يخبرهم.

ويوم ١٢ في الشهر جانا نذير يذكر ابن طوالة غادي على عريب دار، والشيوخ طلعوا سرية ٢٥٠ ذلول، و ٥٠ خيّال، واطلبوهم، وجوهم شاربين من الصبيحية، وناحرين قرينيس وطوا أثرهم، وأنذروا قرينيس، وشد قرينيس من المراغة، ونزل عسيلان على السيف، وهو فزع، والقوم السرية خيموا على الوفرة، واستقاموا ٣ يوم، والقوم وطوا المراغة، ولا حصلوا أحد، وتبعوا الأثر. وطوا السرية على الوفرة، وصار قرينس والسرية جميع، وحطوا ابن طوالة في الوسط، واعدموهم، وشريدتهم عدة ١٧ نفر الذي ناروا، وهم يهلكون من الظما. الظاهر ما عندهم ماي.

ليصير معلومك. هذا ما لزم، وأخبار طرفنا هذا الذي جرى، وربنا يوفقنا للعز.

وسلّم لنا على صباح، وسلمان بن أحمد، وعلى الشيخ المكرم عيسى بن علي، وكافة المشايخ، ومن لدينا الأخوان محمد وسلمان يسلمون، وعمرك باقي، ودم محروساً، والسلام

وسلّم لنا على شريدة وكافة الجماعة والسلام.

(هامش بآخر الرسالة حول الإمام عبد الرحمن الفيصل:

ورجعوا رجال عبد العزيز يخبره عن أبوه عبد الرحمن الفيصل متوجه للرياض. يخبرهم بوصوله عندهم الرياض.. ليصير معلومك والسلام).

محرره الأخ عبد الله بن نصف}.

وقد أفادنا الأخ عدنان بن عبد الله بن جابر الجلاهمة بتفسير بعض المفردات، وتوضيح بعض الأمور الواردة في الرسالة السابقة، فكتب:

- عبد الله بن سليمان (المرسل إليه): هو عبد الله بن سليمان بن عبد الله بن جابر بن عذبي الجلاهمة.

- بندر: ميناء، ويطلق على البلد عموماً.

- معربنين: دفعنا العربون.

- البيبان: الأبواب.

- قاضين: ينتهون من إنجازها.

– بشير عبد العزيز الفيصل: رسول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، ويقال لهذا الرسول (ابن جابر).

– ابن ربيعان: أحد زعماء البادية ممن ناصروا الملك عبد العزيز منذ البداية، وهو الشيخ المعروف في قبيلة عتيبة.

– ابن صنيتان: لعله ابن صنيتان المعروف من آل سعود.

– ولد جلوي: لعله الأمير سعود بن جلوي أو أخوه عبد الله.

– المجمعة – شقرا – الروضة – وادي الدواسر – الحوطة – رماح – الرياض: بلدان ومدن معروفة في نجد.

– الصبيحية – الوفرة – عسيلان – المراغة: موارد مياه في الكويت.

– عريب دار: بدو يقيمون حول الكويت، ولا يرتحلون لذا سميوا بعرب الدار.

– الطروش: مراسيل تحملها الإبل.

– الخطوط: الرسائل.

– ابن طوالة: كردي بن طوالة أحد شيوخ قبيلة شمر، وقد قتل في هذه الغزوة.

– وطوا: وطئوا الأرض بأقدامهم بمعنى نزلوا فيها أو على من فيها من الأعداء.

– ناروا: فروا من المعركة.

– ماي: ماء.

– قرينيس: أحد رجال الشيخ مبارك الصباح، وهو من قبيلة الرشايدة، وقد ذكرته موضي العبيدي في رثاء ولدها بعد معركة الصريف.

– ابن رشيد: الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد أمير حائل.

– القوم: تطلق هنا بمعنى الأعداء.

– ناحرين: متوجهين، وأصلها أن تجعل الاتجاه في نحرك.

– الشيوخ: الصباح حكام الكويت.

– الشيخ عيسى بن علي: حاكم البحرين وقتئذ، وهو نسيب لعبد الله بن سليمان الجلاهمة (المرسل إليه).

– سلمان بن أحمد: هو ابن سلمان بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن جابر الجلاهمة، وهو ابن أخ المرسل إليه، ونسيبه.

– صباح: هو ابن المرسل إليه سليمان بن عبد الله، وله أحفاد من ولده راشد بن صباح موجودون في البحرين، والنسخة الأصلية من هذه الرسالة موجودة لدى أبناء راشد بن صباح، وهم: (عبد الله، وأحمد، وإبراهيم، وصباح).

– عبد الله بن نصف: مرسل الرسالة، وهو أحد رجالات أسرة النصف في الكويت وقتئذ، وليس له عقب.

تعداد السلاح في عهد الشيخ مبارك

في عهد الحاكم السابع للكويت الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦ – ١٩١٥م) كان الانكليز يتخوفون من حركة تهريب السلاح من الكويت عن طريق أهل البادية مما دفع المقيم الانكليزي في الكويت الكابتن شكسبير لأن يطلب في أكتوبر ١٩١١م (شوال ١٣٢٩هـ) من الشيخ مبارك أن يوافيه بأعداد الأسلحة والذخائر التي سلمها لرعاياه من أهل البادية، وغيرهم، فأرسل إليه الشيخ مبارك قائمة عنونها بجملة: (بيان تفصيل السلاح الذي يخصنا بموجب تفصيل أدناه)، ومجموعها ثلاثة آلاف وستمئة بندقية. أما أعداد الفشق أي الذخيرة المصاحبة لها، فوصلت إلى مئة وستة وسبعين ألفاً).

وما يهمنا من هذه الوثيقة أسماء تلك الشخصيات التي كان السلاح الكويتي موزعاً بينها لاعتماد الشيخ مبارك عليها لحماية المصالح الكويتية، ونظراً لما تحتويه تلك القائمة من أهمية، فتعالوا نقرأ نص تلك الوثيقة:

* * *

(بيان تفصيل السلاح الذي يخصنا بموجب تفصيل أدناه)

– ٨٦٠ (تفكة – بندقية): عند سعد بن ماضي، ورفاقته الطواطحة، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٤٢٠ (تفك) عند الفداوية اللي مع الدبش، ورعيان الدبش، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ١٣٠ (تفك) عند أولادنا، وغلمانهم، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٣٢٠ (تفك) عند خدامي الذين في البلد، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ١٣٠ (تفك) عند عبد الكريم بن سعيد راعي الجهرا، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٦٤ (تفك) عند أهل الخيل الذين في الحمى، ومحمد الظفيري، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

ثم بيان تفصيل السلاح الذي يخصنا موجب تفصيل ادناه

فشق تفق

٨٦٠ عند سعد بن ماضي ورفاقته الظواطم تفق ٨٦٠ ومع كل تفق فشقه ٥٠

٤٢٠ عند الفداويه الي مع الدبش ورعيان الدبش تفق ٤٢٠ ومع كل تفق فشقه ٥٠

١٢٠ عند اولادنا وغلمانهم تفق ١٢٠

١٤١٠

٢٢٠ عند خدامي الذي في البلد تفق ٢٢٠

١٣٠ عند عبدالكريم بن سعيد راعي الجهرة تفق ١٣٠

١٨٦٠

٦٤ عند اهل الخيل الذي في الحما ومحمد الفقيدي تفق ٦٤

٩٠ عند مطلق بن مسيلم وتبعه من الرشايده تفق ٩٠

٢٠١٤

٤٠ عند عليان الشهري تفق ٤٠

١٤٠ عند فهد راعي الفحمه وتبعه من العوازم تفق

٢١٩٤

٢٢٠ عند فهد بن معتقه وسيف بن سيحان ومبارك الملعبي وتبعهم تفق ٢٢٠

٣٠ عند غنيم الشهري وتبعه من الرشايده تفق ٣٠

٤٥ عند طلاع بن حنايه وتبعه من البرزان ٤٥

٢٤٨٩

٨٥ عند الدوشان فيصل بن سلطان وهزاع وفيصل بن ماجد وهايف الفغم

٢ عند حطاب وسعد الرميض تفق ٢

٤ عند علي الدبوس وجاسم الدبوس تفق ٤

٢٥٨٠

٢٢٠ عند خدامنا بالفاو تفق ٢٢٠

١٠٠ عند عبدالرحيم الراشد واخوانه بالفاو تفق ١٠٠

٢٠٠٠ // ١٥٠٠٠٠

٦٠٠ والذي عندنا في الانبار تفق ٦٠٠

٢٦٠٠٠ والفشق الذي عندنا بين فلم وصناديق ستة وعشرين الف فشقه

٢٦٠٠ // ١٧٦٠٠٠

– ٩٠ (تفك) عند مطلق بن مسيلم، وتبعه من الرشايدة، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

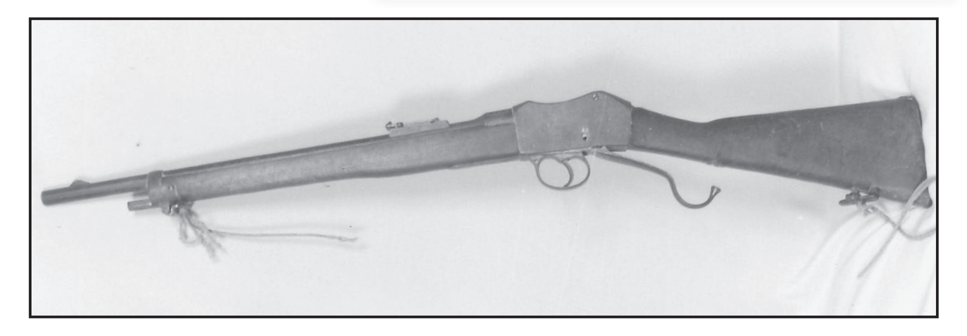
– ٤٠ (تفك) عند عليان الشهري (الرشيدي)، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ١٤٠ (تفك) عند فهد راعي الفحمه، وتبعه من العوازم، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٢٢٠ (تفك) عند فهد بن معتقه، وسيف بن سيحان، ومبارك الملعبي، وتبعهم، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٣٠ (تفك) عند غنيم الشهري (الرشيدي)، وتبعه من الرشايدة، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٤٥ (تفك) عند طلاع بن حنايه (المطيري)، وتبعه من البرزان، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).



– ٨٥ (تفك) عند الدوشان: فيصل بن سلطان، وهزاع، وفيصل بن ماجد، وهايف الفغم، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٢ (تفكتان) عند حطاب، وسعد الهيفي، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٤ (تفكات) عند علي الدبوس، وجاسم الدبوس، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٣٢٠ (تفك) عند خدامنا بالفاو، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ١٠٠ (تفك) عند عبد الرحيم الراشد، وإخوانه بالفاو، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

– ٦٠٠ (تفك) الذي عندنا في الأبنار (؟؟)، ومع كل تفق ٥٠ فشقة (طلقة).

وبهذا يبلغ مجموع البنادق ٣٦٠٠ بندقية، وأردف التقرير بجملة: (الفشق الذي عندنا بين فلم، وصناديق: ستة وعشرين ألف فشقة).

* * *

وهذه هي الأسماء التي وردت في تلك الوثيقة بالإضافة إلى السلاح الذي كان لدى أولاد الشيخ مبارك، وفداويته، وخدمه، وأنصاره، فرحم الله كل أصحاب هذه الأسماء، وعبر هذه الوثيقة نطل عليهم، ونتعرف على جزء من الدور الذي قاموا به تجاه الكويت، وحمايتها في تلك الفترة.

الكويت في مجلة المنار

على العكس مما قد يتبادر إلى الأذهان بأن الكويت لم يكن لها ذلك الحضور الإعلامي قبل ظهور النفط، فإن الباحثين يكتشفون يوماً بعد يوم أن الكويت رغم صغر مساحتها، ووجودها في الطرف الشرقي للوطن العربي، فإنها كانت حاضرة في الصحف العربية والأجنبية منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وربما قبل ذلك.

واليوم سنتصفح الأعداد القديمة لواحدة من المجلات العربية التي كانت تصدر في القاهرة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ونعني مجلة المنار لصاحبها المصلح المعروف رشيد رضا، ونرى كيف كان حضور اسم الكويت في تلك المجلة التي كانت تعد في تلك الفترة مدرسة علمية وإعلامية تتلمذت عليها أجيال من دعاة التيار الديني المستنير.

ولكن تعالوا في البداية نتعرف قليلاً على رشيد رضا، فنذكر أنه (الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد رضا الحسيني) المولود سنة ١٢٩١هـ (١٨٦٥م) في قرية القلمون قرب طرابلس بلبنان، وقد نشأ في أسرة متديّنة تنتسب إلى الإمام الحسين، وقد تأثر بأمّه التي وصفها في كتاباته بأنها كانت على جانب عظيم من الدين مع العلم الكافي لمثلها.

ودرس (رشيد رضا) القرآن الكريم، ومبادئ العلوم الدينيّة واللغويّة في كتّاب القرية ثم التحق بمدرسة تركية ابتدائية، ولما أنشأ العلامة حسين الجسر مدرسته في طرابلس التحق بها رضا سنة ١٣٠٢هـ (١٨٨٥م)، وتخرّج في العلوم العربية والشرعية والعقلية بعد ثماني سنوات، وحصل منها على شهادة العالميّة.

وكان رضا سريع الفهم قوي الحفظ، وأحاط بالتراث الإسلامي إحاطة عميقة، وتصدّى للتدريس والخطابة والإمامة في المسجد، وكان يكثر من إلقاء المواعظ الدينيّة في المقاهي لإرشاد العوام، ودعوة النساء في دار أسرته لتصحيح عقيدتهن، وتغيير زيّهن بما هو أستر حتى تكون المرأة في الشارع كما تكون في الصلاة.

واتصل رضا بالشيخ جمال الدين الأفغاني، وصاحبه الشيخ محمد عبده، وكانت له عند الأفغاني كلمة مسموعة، واتجهت أنظاره إلى مصر، فهاجر إليها سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م).



رشيد رضا بملابسه الدينية وسط المشاركين في مؤتمر باريس حول فلسطين

وفي القاهرة أنشأ رضا صحيفة (المنار) متخذاً منها سجلاً لأحداث عصره، ومنبراً للدفاع عن قضايا الدين والحرية، واستمرت المنار في الصدور حتى وفاته سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، وقد بلغت أعدادها قبيل وفاته ٣٤ مجلداً كما أسس (جمعيّة الدعوة والإرشاد) ومدرستها سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) لتخريج الدعاة، وأصدر كتباً كثيرة منها: (الحكمة الشرعيّة)، و(الوحي المحمدي)، و(تاريخ الأستاذ الإمام)، و(حقيقة الربا)، و(الخلافة والإمامة العظمى)، و(الوهّابيون والحجاز)، و(شبهات النصارى)، و(صحيح الإسلام)، وله منظومة شعريّة هي (المقصورة الرشيديّة)، ولرشيد رضا رحلات كان القصد منها تحقيق أهدافه الدعوية، وحضور بعض المؤتمرات، وكان ينشر أخبارها في مجلة (المنار)، وقد جمعها د. يوسف أيبش في كتاب خاص.

وتوفي رشيد رضا بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، ودفن بقرّافة المجاورين بجوار الإمام محمد عبده، وبوفاته توقفت مجلة المنار عن الصدور بعد أن ظلت على مدى أربعين عاماً حديث المثقفين، ومدار اهتمامهم.

وفيما يلي نتصفح سوية أعداد مجلة المنار، ونتتبع حضور اسم الكويت فيها، وبالطبع فإننا أهملنا مرات كثيرة ورد فيها اسم الكويت لكون وروده جاء عرضياً كالحديث عن أسماء البلاد العربية أو ما يخص مؤتمر الكويت، وما أشبه.



الجزء الاول — المجلد الثالث

المنار

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق

(مصر في يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ١٣١٧ — ٢٥ مارث (آذار) سنة ١٩٠٠)

فاتحة السنة الثالثة

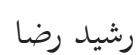
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » كلا لا تغتر بربك فانه الغرور من لوازم الكرم واشكر له نعمة التعديل والتسوية فان الكفران يزيل النعم فبهذه النعمة جعلك خليفة في الارض واستعمرك فيها الى يوم العرض وسخر لك العوالم العلوية والسفلية وذلل لك القوى الطبيعية وهداك النجدين وبين لك السنتين « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

غلاف أحد أعداد مجلة المنار





رشيد رضا

والآن نبدأ الجولة:

* في شوال ١٣١٥هـ (فبراير ١٨٩٨م):

نقلت المنار عن نشر جريدة المؤيد لرسالة وردت إليها من محرر جريدة (وكيل) في بنجاب الهندية ذكر فيها: (ربما لا يخفاكم أن شركة انكليزية تبذل جهدها، وتعمل بكل همة سعياً للحصول على امتياز من الباب العالي بإنشاء خط حديدي من بورسعيد إلى البصرة أو الكويت عن طريق الجوف).

وهذا الخبر يسجل أول ورود لاسم الكويت في بداية صدور المنار.

* في ١٤ ربيع الأول ١٣١٦هـ (الثلاثاء ٢ أغسطس ١٨٩٨م)

تتابع (المنار) موضوع الخط الحديدي، فتذكر أنه قد جاء في الجرائد الأوروبية أن (الكونت ولدمير كاينتز) ابن أخت سفير روسيا من فيينا طلب من حضرة مولانا السلطان امتيازاً بإنشاء سكة حديدية جديدة من ميناء طرابلس الشام إلى الكويت على خليج العجم، وقد أنشئت شركة مختلفة لمدها، وهاتان المسألتان من أهم المسائل المالية الحاضرة الآن.

* في ١٤ ربيع الأول ١٣١٧هـ (الأحد ٢٣ يوليو ١٨٩٩م)

رغم مرور عام كامل إلا أن المنار ما تزال تتحدث عن السكة الحديدية، وتتهم انكلترا بمحاولة الاستيلاء على المشروع، وتسخيره لمصالحها، فتقول أن رغبة انكلترا في الاستئثار بمد السكة الحديدية من طرابلس الشام إلى الكويت على خليج العجم. كل ذلك ما حمل انكلترا عليه إلا محافظتها على

الهند أو يقال أن امتلاكها للهند جرّ للقيام بهذه الأعمال والشؤون مصادفة، واتفاقًا.

* في ١٦ شعبان ١٣١٨هـ (الأحد ٩ ديسمبر ١٩٠٠م)

تتنقل المنار للحديث عن جهود الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود لاستعادة حكمه في نجد، ويلاحظ أن هذا الخبر جاء قبل ظهور ابنه عبد العزيز على الساحة السياسية، وقبل معركة الصريف.

وتذكر المنار أن الأمير عبد الرحمن اغتنم فرصة كون الأمير عبد العزيز الرشيد بن متعب اغتصب إمارة نجد بقتله الأمير عبد الله الرشيد (كذا؟) أميرها السابق منذ نحو سنتين (للعلم: لا أساس لهذه المعلومة)، وغير مرضيّ عنه، فتحالف – أي الإمام عبد الرحمن – مع أمير الكويت، وأخيه أمير البحرين، وأمراء عنزة وطيء على استرجاع إمارة نجد التي غصبها آل الرشيد من آل فيصل.

فاجتمع من هؤلاء نحو أربعين ألفًا ما بين فارس وهجان، وزحفوا على بلاد نجد، فتثاقل الأمير عبد العزيز عن ملاقاتهم لعلمه بأن قومه ناقمون عليه، وتحصن في بلدة حائل التي هي قاعدة الإمارة، وجمع نحو ثلاثين ألفاً معتمداً على جودة أسلحته، فإن عنده بطاريتين من المدافع كان أهداهما إلى الأمير محمد الرشيد السلطان عبد العزيز، وكثيراً من بنادق مرتين.

وقد علمنا أن الزاحفين أوغلوا في البلاد، فقطعوا نحو ثلاث عشرة مرحلة لم يلقوا فيها إلا يسيراً من المناوشات، واستولوا على مدينة الرياض التي كانت قاعدة الإمارة على عهد آل فيصل.

ويرجح العارفون بأحوال البلاد، وأهلها أن الأمر ينتهي بسقوط إمارة آل الرشيد، ورجوع الإمارة إلى آل فيصل، ويرون أن هذا أصلح للبلاد أيضًا لأن الأمير عبد الرحمن الفيصل هذا من أعلم أمراء الجزيرة، فهو واقف على عقيدته على مذهب السلف. عارف بالمذهب الحنبلي. مطلع في الحديث والأدب. بصير بأحوال الزمان. خبير بالسياسة، فإنه سبقت له سياحات طويلة في العراق، والأستانة العلية، والهند، وكانت إقامته منذ بضع سنين في البصرة تارة، وفي الكويت أخرى، وكان له راتب من الحضرة السلطانية قدره ٦٥ ليرة عثمانية في الشهر، ومقدار من الأرز والتمر يعطى من ريع الأراضي السنية في ولاية البصرة كما أن لإمارة نجد مرتباً من الأرز والتمر يصرف لها في كل سنة.

(لاحظ أن خبر المنار تعيبه الكثير من الأخطاء التاريخية).

* في ١٦ رمضان ١٣١٩هـ (الجمعة ٢٧ ديسمبر ١٩٠١م)

نشرت المنار موضوعاً أسمته (فتنة الكويت)، وواضح أن الخبر الوارد من مكة ليس له نصيب

كبير من الصحة، ولكنه يعكس الإرهاصات التي سبقت الإعلان عن اتفاقية الحماية بين الكويت وبريطانيا، ومحاولات الأتراك للتحكم بمقدرات الكويت.

تقول المنار في موضوعها:

كان من أمر هذه الفتنة أخيراً أن الدولة العلية رفعت رايتها على بناء الإمارة، فأنزلها الانكليز المرابطون هناك في البحر، ورفعوا مكانها راية شيخ الكويت أو أميره.

وقد كتب إلينا من مكة المكرمة ما نصه: (يدور عندنا في بعض الأندية (ولا نادي) الحديث في فتنة الكويت التي نخشى أن تطير منها شرارة إلى الحجاز، فتثير الكامن، وتظهر الحقيقة، وينجلي المجاز، فما تنفع القوات، وأساسها خراب، وما تنفع الطاعة، وصاحبها في خلاب)، وهذه العبارة تثير كامن الوساوس، وتبعث ميت الهواجس، وتدل على أن هناك أمراً خفياً، واتفاقاً سرياً، ولعله يكون أمراً فريّاً.

* في غرة ذي القعدة ١٣٢٠هـ (الجمعة ٢٠ يناير ١٩٠٣م)

تحدث المنار في مقدمتها عن موضوع كان يطرح وقتئذ عن تأسيس جمعية باسم (جمعية أم القرى) يكون مركزها في السنين الأولى في بور سعيد أو الكويت ثم ينتقل إلى مكة بعد الرسوخ.

* في ١٦ ذي الحجة ١٣٢٠هـ (الاثنين ١٦ مارس ١٩٠٣م)

نشرت المنار تحت عنوان (فكاهة بدوية في أخبار البلاد العربية) عما رأته من فكاهة في نص خطاب أرسله بدوي نجدي إلى مثله من النجديين الذين يختلفون إلى هذه الديار للتجارة، ونصه:

(ورد علينا جواب من بمباي، ويذكر فيه بأن ابن سعود كان على ابن سبهان، وابن جراد على النبقي، ومعهم سبعة أسلاف من شَمَّر، وحروب، وقحاطين، وصليلات، وقطعهم قطعاً، ومعهم جميع ذخرة ابن رشيد، وجيشه، والذي سلم منهم زَبَنَ بريدة، وابن رشيد نازل على الحفر، ويوم جاءه الخبر شدّ، وشّمل. ويذكر صالح الحسن، وأهل القصيم معهم قيمة ٢٠٠ ذلول نازل البطان، وجابر ابن صباح، وقومهم على الصبيحية. هذا الذي ورد علينا، والكون في ٢٨ شوال).

وتحاول المنار بعد ذلك تفسير مفردات هذا الخطاب، فتذكر: أن (ابن سبهان، وابن جراد: قائدان من قواد ابن رشيد — والنبقي: واد في أرض القصيم — والأسلاف: الطلائع الذين يتقدمون الجيش، وله أصل في الفصيح. قال في الأساس: وسَلَف القوم تقدموا سُلوفًا، وهم سَلَف لمن وراءهم

وهم سُلاف العسكر – وحروب: يريد به طوائف من بني حرب، وعلى هذا النحو جمع قحطان، وصليلة – والذُّخرة: مؤنث الذُّخر بمعنى الذخيرة – وقوله (زَبَنَ بريدة) أي لجأ إليها، وهي قرية من قرى القصيم الكبيرة، والزبن في اللغة الدفع، ومنه سُمي الشرطة، وأعوان النار زبانية لأنهم يدفعون الناس، ويدعُّونهم، وجاء في كلامهم (تحته جمل يزبن المطيّ بمنكبيه) أي يسبقها كأن البدوي هنا يريد أنهم لجئوا إلى بريدة مدفوعين بقوة أعدائهم، والحفر: بين البصرة وبلاد نجد كما يقولون – وشّمل: سار إلى جهة الشمال، وفي الفصيح شمل به أخذ ذات الشمال – والبطان: قال لنا من أرسل إليه الكتاب.. الصواب البطانيات: مياه ينزلون عليها في جهة الدهناء – والذَّلول: الناقة المذللة عربية فصيحة – الصبيحية: بالقرب من الكويت، وهي منسوبة إلى ابن صباح، وجابر هذا هو ابن مبارك الصباح شيخ الكويت – الكون: يريد به الغزو الذي ذكره).

* في ١٦ شعبان ١٣٢٢هـ (الأربعاء ٢٦ أكتوبر ١٩٠٤م)

تحدثت المنار أنها قد تلقت قصيدة من الكويت يزعم ناظمها أنه رد على المنار، وما هي إلا سب وشتم لا يليق بالمؤمن أن يرد على صاحبها إلا بكلمة (سلام)، ولم تفصل أكثر في أسباب هذا الهجوم عليها.

* في ١٦ رمضان ١٣٢٢هـ (الخميس ٢٤ نوفمبر ١٩٠٤م):

تتحدث المنار عن النزعة التوسعية لانكلترا في المنطقة، وتقول: (نرى انكلترا لا تنفك تسعى في تقوية نفوذها في الكويت، وبلاد العرب، والسبب في هذا وذاك الخوف على زقاق البوسفور من روسيا، وعلى الخليج الفارسي منها، ومن ألمانيا، وتتمنى لو تقدر الدولة العثمانية بقوتها على حفظ الخليجين).

* في غرة ربيع الأول ١٣٢٣هـ (السبت ٦ مايو ١٩٠٥م):

تحدثت المنار عن رسالة وصلتها من بلاد العرب كتبها رجل كبير من أهل نجد في (غرة صفَر) يخبر فيها ما ملخصه:

(أرسلت الدولة إلى الشيخ عبد الرحمن الفيصل بأن يواجه والي البصرة مع (الشيخ مبارك)، فتوجه الشيخ عبد الرحمن من نجد إلى أطراف الزبير، وطلع الشيخ مبارك، والتقوا مع الوالي على مسافة ساعتين من بلد سيدنا الزبير، وقدّم الشيخ عبد الرحمن الطاعة لمولانا أمير المؤمنين، وكذّب جميع ما نسب إليه، وأنه خاضع لأوامر مولانا أمير المؤمنين إلا أن ابن رشيد ليس له يد على أهل

نجد.

وبعد ذلك توجه الوالي إلى البصرة، وبلغ الآستانة بما كان، وليلة ٩ ذي الحجة وصل تلغراف من أمير المؤمنين بتولية الشيخ عبد الرحمن على نجد، ورفع يد ابن رشيد، وأن يكون في القصيم عسكر (رسم طاعة)، وأمرهم راجع إلى الشيخ عبد الرحمن، وابنه عبد العزيز آل سعود، وبلغ الوالي عبد الرحمن بذلك.

وبعد ذلك مشى العسكر الذي كان بأطراف النجف إلى نجد، وهو ستة طوابير، وفي نجد عند ابن رشيد ثلاثة طوابير، وبهذا السبب صار عند أهل نجد شك في ممشى العسكر زيادة على ما في نجد، (والجميع حدر نظر ابن رشيد)، والمشير بنفسه طلع، ومعه ابن هذال شيخ عنزة، وشوشوا أهل نجد، واستعدوا للفتنة إن كان العسكر جاء محارباً، وإن كان مصلحاً، فلا حاجة إلى هذه الكثرة، والظاهر أن الفتنة لا تسكن على هذه الحال، وعبد الرحمن ما توجه إلى نجد بل تربص بالكويت ينتظر نتيجة وصول العسكر إلى أهل القصيم، وابنه عبد العزيز الظاهر أنه جهز غزوانه (أي غزاته)، ونحر القصيم (قصده)، وأهل القصيم مستعدون).

وعلقت المنار على رسالة النجدي: (لم يذكر الكاتب ماذا كان بين الوالي، والشيخ مبارك صاحب الكويت، وقد بلغنا من مصدر آخر - دون ذكر ذلك المصدر - أن الشيخ قال للوالي أنه خاضع للدولة، ونادم على تورطه مع الانكليز، ولكن الدولة قد أعوزتها السياسة الحكيمة في هذا الزمان، ولذلك غلبتها سياسة الأجانب في البلاد التي لا يوجد فيها أحد يميل إليهم أو يعبأ بمدنيتهم كاليمن، وحضرموت، والكويت.

وقد جاء أمس في برقيات رويتر أن الباب العالي سأل ناظر خارجية انكلترا عن البوارج الانكليزية الراسية في ميناء الكويت، فأجاب بأنه لم يأته نبأ عنها، وأنه لا يقبل البحث معه فيها على أن البوارج أنزلت العسكر، فاحتلت الكويت).

* في غرة رجب ١٣٢٤هـ (الخميس ٢١ أغسطس ١٩٠٦م):

تذكر المنار ضمن أخبار نجد:

(ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد، وتنكيل ابن سعود به، وبقومه، وبعد أن قُتِل صار ولده متعب أميراً مكانه، وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد، وزحف إليه حتى نزل على ماء يقال له العدوة يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست

ساعات، فاستعد متعب للحصار، وضاقت عليه الدنيا لأن بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من العراق، فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بأن يوسط ابن صباح شيخ الكويت في الصلح بينه وبين ابن سعود، فذهب شيخ الزبير بنفسه إلى الكويت على ما كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء، فأكرم ابن صباح وفادته، وقبل شفاعته، وكتب إلى ابن سعود يرغب إليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي، فأجاب ابن سعود رغبته، ولا ندري على أي شيء تم ذلك الصلح، ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده، وما يحيط به إلا شيئاً قليلاً كما علم مما تقدم).

* في ربيع الآخر ١٣٢٨هـ (أبريل ١٩١٠م):

تحدثت المنار عن جانب من جغرافية المنطقة القريبة من الكويت، وقبائلها، فتقول:

(تأتي منحدراً من الشام على ضفاف الفرات قاصداً العراق، فترى عرب عنزة إلى أواسط العراق ثم ترى شمَّر على أفخاذهم عبدة، فسنجارة حتى تنتهي إلى نصف الفرات الآخر، فترى عرب المنتفك، وعرب الظفير إلى قرب البصرة ثم تنحدر، فترى مطير الدوشان، فعريب دار ثم تنحدر من الكويت، فتري العجمان، فالمناصير، وآل مرة، وبني هاجر، وعرباً لا يحصيهم إلا خالقهم، فهذه القبائل من العرب الذين عددتهم معاملتهم مع أهل النجف وكربلاء، فزبالاء، وسوق الشيوخ، والسماوة، والخميسية، فبغداد منحدراً إلى البصرة ثم الزبير، والكويت، فالحساء، والقطيف، وقطر).

* في ربيع الأول ١٣٣٠هـ (فبراير ١٩١٢م):

تبث المنار خبر تأسيس المدرسة المباركية في الكويت بتفاؤل مبالغ فيه، فكتب صاحب المجلة رشيد رضا تحت عنوان (مدرسة علمية في الكويت):

من أكبر المشروعات العلمية التي هي مناط الرجاء، وموضع الأمل ما توجهت إليه همة الشيخ مبارك آل الصباح صاحب الكويت من إنشاء مدرسة علمية دينية في بلده تكون مثابة للتربية القويمة، والتعليم النافع الذي يحيي البلاد، ويرقي أهلها في أنفسهم، وفي أعمال معايشهم، ويستوري زناد الذكاء العربي الكامن في فطرتهم، وأن هذا الشيخ الجليل في عقله، وغيرته، وسعة تجاربه، ومكانه من الندرة في الأمة العربية لجدير بأن يأتي هذا العمل من بابه، وينوطه بأربابه.

واختار أن يكون لهذه المدرسة لجنة تتولى جمع المال لها، وتتعاون على إنشائها، وإدارتها ليكون ذلك من تربية الأمة على الأعمال الاجتماعية التي يرجى دوامها، ويجعل كثيراً من الفضلاء يغار

عليها، ولو شاء لأنشأها من ماله الخاص، وما ذلك على كرمه وسخائه ونجدته بكبير، وما اختاره هو الأولى، والأنفع إن شاء الله تعالى.

وتألفت اللجنة برياسة نجله الكريم الشيخ ناصر مبارك الصباح، وجمعت من التبرعات لأول وهلة ما يبشر بحسن العاقبة، ونجاح العمل، وكان أول من لبى الدعوة، وسبق إلى تأييد هذه المبرة صديقنا المحسن العظيم الشيخ قاسم بن محمد آل إبراهيم، فقد تبرع لها بألفي جنيه، وتبرع غيره من آل بيته الكريم بمبالغ عظيمة يليه منهم الشيخ عبد الرحمن إبراهيم.

وقد كتب إليّ هذا الصديق الأبرّ الأوفى من بومباي أن لجنة المدرسة كلفته أن يطلب مني وضع برنامج للتعليم في هذه المدرسة، وأن أختار لها المعلمين الأكفاء، فكان هذا الطلب نعمة له، ولأعضاء اللجنة أن يمنوها عليّ إذ رأوني أهلاً لمشاركتهم في هذه الخدمة الجليلة، وقد كتبت إليه ثم إلى اللجنة أسأل عن وقت فتح المدرسة، وعدد من يُرجى أن يكون فيها من الطلاب، ودرجة معرفتهم، وغير ذلك من المسائل التي يتوقف عليها تنفيذ ما شرفوني بطلبه مني، وقد كتبت هذه النبذة قبل أن يجيئني الجواب منهم ببيان ما سألت عنه، وكنت أخرت الكتابة انتظاراً لجوابهم ليكون الكلام أوسع فائدة.

واتفق في أثناء ذلك أن جاءتني دعوة جمعية ندوة العلماء الهندية إلى حضور احتفالها السنوي في هذا العام، واقتضت الحال أن أجيب الدعوة، وأن أزمع السفر قبل مجيء الجواب من الكويت في بيان ما سألت عنه، وستكون المذاكرة الأولى في ذلك بعد وصولنا إلى بومباي إن شاء الله تعالى.

* في جمادي الآخرة ١٣٣٠هـ (مايو ١٩١٢م):

كتب صاحب المنار رشيد رضا عن إحدى مشاهداته في الكويت: (رأيت أهل الكويت لا يتفرقون من دعوة، ولا زيارة عادية إلا بعد أن يعرض عليهم أهل الدار ماء الورد ثم مجامر العود الهندي، فيتعطرون، ويتبخرون، وينصرفون).

* في ذي القعدة ١٣٣٠هـ (أكتوبر ١٩١٢م):

ذكر صاحب المنار عن إعانة تجار الكويت للدولة العثمانية في حربها في البلقان، فقال: (جاءني من صديقي المحسن الشهير والسريّ الكبير الشيخ قاسم محمد آل إبراهيم كبير تجار العرب، وسراتهم في بمباي، ومن غيره من فضلاء العرب فيها خبر تأثير الحرب البلقانية هنالك، ووقعها الشديد من نفوس المسلمين عامة، والعرب خاصة، وإقبالهم على جمع المال للإعانة الحربية.

فقد اجتمع تجار العرب عند زعيمهم الشيخ قاسم إبراهيم، واتفقوا على جمع الإعانة، فاجتمع لديهم في يومين فقط مئة وستون ألف روبية، وكان القدوة الحسنة لهم في البذل الشيخ قاسم، وابن أخيه السخي الكريم الشيخ عبد الرحمن إبراهيم، ووعدنا بعض الكاتبين بإرسال كشف بأسماء جميع الباذلين، ومقدار ما بذلوه.

وقد اجتمع مسلمو بمباي لهذه الغاية الشريفة في نادي (انجمن إسلام)، فجمعوا أولاً ثمانية آلاف روبية فقط ثم رغبوا إلى كل من الرجلين العظيمين الشيخ قاسم آل إبراهيم، والسر كريم باي إبراهيم (وهو من سروات بمباي، وزعماء فرقة آغا خان) في رئاسة لجنة الإعانة لمسلمي الهند في بومباي، فقبلا ذلك، وتبرع كل منهما بعشرين ألف روبية، وتبعهما أهل النجدة والسخاء، فاجتمع لديهم مئة ألف روبية وخمسة عشر ألف روبية، وتقرر أن يجتمعوا مرة أخرى بعد أسبوع.

وجملة ما دفعه تجار العرب إلى يوم ١٣ ذي القعدة الحاضر (١٨٠,٠٠٠ روبية)، وهي تساوي اثني عشر ألف جنيه انكليزي، وجملة ما دفعه مسلمو بومباي من الهنديين يساوي (سبعة آلاف وستمئة جنيه)، وقد دفع الشيخ قاسم إبراهيم وحده (أربعين ألف روبية) من ذلك، وقد كتب إلينا بعض العرب بيان ما دفعوه سيضاعف قريباً، ولا شك أيضًا في مضاعفة ما يدفعه إخوانهم الهنديون لأن السخاء العربي لا يناسبه إلا سخاء مسلمي الهند.

وإنا لننتظر أن نسمع ما هو أكبر من ذلك عن سخاء العرب من جهة السيد الكريم سلطان مسقط، وآله الكرام، وأهل بلاده، ومن الزعيم العربي الكبير العثماني الغيور الشيخ مبارك الصباح، وأهل الكويت، ومن الأمير الكبير شيخ البحرين، وتجار تلك الجزيرة الأخيار، ومن غيرهم من أهل الخليج الفارسي، والعراق، وسائر البلاد العربية.

* في جمادي الأولى ١٣٣٠هـ (أبريل ١٩١٢م):

كتب صاحب المنار عن رحلته إلى الكويت تحت عنوان (شكر علني لأهل عمان، والكويت)، وجاء وصفه لرحلته كالآتي:

جرت السفينة بنا من مسقط ظهر يوم الاثنين، وهي انكليزية تقطع في الساعة ١٢ ميلاً فقط، وفي ضحوة اليوم الثاني خرجت بنا عن محاذاة جبال عمان، ودخلت في الخليج الفارسي، فصرنا نرى بر فارس عن اليمين، وبر العرب عن اليسار، ووقفت بنا فجر يوم الخميس في موضع من عرض البحر كان ينتظرنا فيها مركب شراعي كبير أرسله إلينا الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت،

وكان علِم بأننا نصل إليه في هذا الوقت في هذه الباخرة مما كتب إليه من بمبي ومسقط، فنزلنا فيه قبل طلوع الشمس، فأقلع بنا، والريح لينة، والبحر رهو ثم قويت الريح قليلاً في النهار، فبلغ بنا الكويت قبل غروب الشمس، وكان رجال الشيخ مبارك حملوا فيه خروفين كبيرين، وكثيراً من الحلوى والمشمش والخيار، فأفطرنا، وتغدينا فيه، وقد أعجبني جدّاً طبخ الطاهي الذي كان معهم للخروف بالرز الهندي، وهو طاهٍ متفنن، وطبخ للعشاء ألوانًا متعددة لئلا نتأخر إلى الليل، فبقيت للبحارة، وقد استقبلنا أولاد الشيخ مبارك، وبعض الوجهاء في زورق صغير خارج الميناء.

أنزلني الشيخ مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الإمارة، وتولى مؤانستي، ومجالستي نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لأنه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارسة العلم، ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الإسلامية، وأقمت في الكويت أسبوعاً كنت كل يوم ما عدا يوم البريد ألقي فيه خطاباً وعظيّاً في أكبر مساجد البلد، فيكتظ الجامع بالناس، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى، وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم، وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد، والأصول، والفقه، وغير ذلك على أنه لم يتلقَ عن الأساتذة، فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر.

ومما أحب أن أذكره هنا، وهو من مباحث الرحلة مسألة علاقة مبارك بالدولة العثمانية، والانكليز. كنا نسمع المنافقين لرجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة، ويعيبونه بطلب حماية الانكليز له، فسألته عن ذلك، فقص عليَّ قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجب نقيب البصرة مندوب الحكومة إليه فيها، فكان جوابه موافقاً لجواب الشيخ مبارك ثم ذكرت ما قاله للشيخ فهد بك الهذال شيخ قبائل عنزة في العراق إذ كنت في ضيافته على نهر الفرات مع صديقي مراد بك أخي محمود شوكت باشا، فصدق ما قاله الشيخ مبارك، وزادني فوائد هو أعرف الناس بها.

وملخص ما قاله الشيخ مبارك أنه في أواخر مدة عبد الحميد ساقت الدولة بعض العسكر مع عربان ابن الرشيد إلى قرب الكويت، وأرسل المشير فيضي باشا السيد رجب النقيب، ومعه نجيب بك ابن الوالي إلى الكويت، فبلّغاه أنه قد صدرت إرادة سَنية بوجوب خروجه من الكويت إلى الآستانة أو إلى حيث شاء من ولايات الدولة، والحكومة تعين له راتباً شهريّاً يعيش به، فإن لم يخرج طائعاً دخل الجند مع عرب ابن الرشيد، وأخرجوه بالقوة، فسألهم ما هو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته؟، وذكّر نقيب البصرة بما يعرف من إخلاصه للدولة، وإعانته لها بالمال عند كل حادثة، وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل المنتفك المالكين للبصرة، وإخراجهم منها، وجعلها

في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوتهم الأحساء، وغيرها، وطلب منه أن يعود إلى البصرة، فيقنع المشير بمراجعة الآستانة.

فقال: إنما علينا البلاغ، وليس في يدنا غيره.

قال: فخرجت من عندهما بقصد مشاورة أهلي، وكانت حكومة الهند الانكليزية قد علمت بكل ما دبرته الدولة في ذلك، وبمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر إلى جهة الكويت، فأرسلت مدرعتين، فوقفتا تجاه البلد، فلما عُدتُ رأيتُ أميراً انكليزيّاً قد نزل من إحدى المدرعتين، ومعه بعض الجند، فسألني عما جرى، فأخبرته الخبر، فقال: إن حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على أن تبقى الكويت على حالها.. لا يتعرضون، ولا نتعرض لها، وإذ قد غدروا، وخالفوا، فقد صار لنا حق الدخول في أمرها، ولا يمكن أن نسمح لجندي عثماني أن يدخلها، وإذا دخلوا برضاكم دمرناها على رؤوسكم، ورؤوسهم. ثم بلَّغ الأميرال ذلك لنقيب البصرة رسول الحكومة، فقفل راجعاً، وبلّغ المشير ذلك، فأمر المشير بصرف الجنود والعربان.

قال: فما كان من تدخل الانكليز في أمر الكويت لم يكن بطلب مني بل كان هذا سببه، وقد عرضوا عليَّ أن أختار لنفسي راية أرفعها على البلد، وأعلن الاستقلال تحت حمايتهم، فأبيت ذلك، وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة فوق رأسي، وقد تعجبوا من قولي لهم: أنني أختار أن أكون دائماً عثمانيّاً.. قيل لي: أتقول هذا بعد أن رأيت منهم ما رأيت؟. قلت: إن الوالد إذا قسا في تربية ولده أحياناً لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه طاعته.

* في شعبان ١٣٣١هـ (يوليو ١٩١٣م):

نقلت المنار ما قالته جريدة مانشستر غارديان كما يلي: أما من جهة الكويت، فإننا قد اعترفنا بسيادة الدولة العلية عليها، ولكنا اتخذنا كل الحيطة لمنعها من إتيان أي عمل يشتم منه أن لها أقل حق فيها على أننا دفعنا ثمناً باهظاً جدّاً مقابل هذه الاتفاق، وهو أننا وعدنا الباب العالي بأن نسمح له بزيادة الرسوم الجمركية.

نعم إن هذه الزيادة تتناول جميع الدول على السواء بلا فرق، ولا تمييز، ولكنها ستكون سبباً في إضعاف التجارة الأوربية في السلطنة العثمانية، وتقليل مقطوعيتها، ولا سيما التجارة الانكليزية، فإن خسارتها ستكون أكبر من خسارة كل تجارة سواها.

فهل كانت مسألة الكويت، وخوفنا على خليج العجم مساويين لهذه الخسارة؟

وهل زيادة الرسوم الجمركية أفضل وسيلة لزيادة إيراد الخزينة العثمانية، وتحسين حالها؟. إننا نرتاب في ذلك كثيراً.

وقالت الديلي جرافك: لا ندرك الحكمة من جعل البصرة نهاية لسكة حديد بغداد بدلاً من الكويت بعد تصريح الهرفون جاكو ناظر خارجية ألمانيا، فقد قال هذا الناظر: إن ألمانيا لا توافق على هذا الإبدال إلا إذا جعل شط العرب صالحاً للملاحة، ومفاد ذلك أن ألمانيا ستجد أمامها باباً مفتوحاً يوصلها إلى خليج العجم كما لو كانت في الكويت تماماً، ولكن من غير أن تنفق نفقات طائلة في تمديد الخط الحديدي إلى هناك.

* في شوال ١٣٣١هـ (سبتمبر ١٩١٣م):

نشرت المنار ما ذكرته جريدة التيمس الانكليزية عن مسألة شبه جزيرة العرب، ومنه:

إن تجدد القوة العربية في شكلها الحاضر يرجع إلى عهد يزيد قليلاً عن عشر سنين أما منشئها الحقيقي، فهو مبارك بن الصباح أمير الكويت ذلك السياسي الشيخ، والمحارب المنيع الجانب الذي ينبسط نفوذه على أكثر جهات بلاد العرب مع أنه لم يطمع بأرض خارجة عن حدود مسقط رأسه.

وبيان الأمر أن المصريين بعد أن أخمدوا الحركة الوهابية، وأسقطوا أمراءها بني السعود، وانتقلت السيطرة على أواسط بلاد العرب إلى أيدي أمراء بني الرشيد الذين جعلوا عاصمتهم بلدة حائل في قلب شبه الجزيرة العربية، وحكموا هناك سبعين سنة، وقد كانوا أقوياء الجانب أجرياء.

وفي أوائل القرن الحاضر كان أميرهم المقيم في حائل ذا مطامع تتجاوز قوته، فدعا نفسه ملك بلاد العرب، وباشر الزحف على خليج فارس، وهدد الكويت، فخرج الأمير مبارك بن الصباح من عاصمة إمارته الصغيرة لملاقاته، وقتاله، فقاتله، وانتصر عليه، وتعقب رجاله المغلوبين حتى منتصف الطريق عبر بلاد العرب، واستولى على حائل عاصمة ولايته، وكان غرض الأمير مبارك من هذه الغارة تأديب ابن الرشيد فقط لا بسط حكمه على نجد، ولذلك قفل راجعاً، وعند رجوعه إلى الكويت أخذه ابن الرشيد على غرة، فإنه جمع جموعه، وباغت رجال الأمير مبارك ليلاً، وهم يعبرون معبراً صخريّاً، وضربهم ضربة قاضية، فقتل منهم خلقاً كثيراً، والذين نجوا من الموت في هذه المعركة ترادف كل ثلاثة منهم على متن جواد، ووصلوا سالمين إلى الكويت.

غير أن الأمير مباركا كان شجاعاً جريئاً، فأضمر الشر لابن الرشيد، ودعا أبناء أسرة السعود الوهابية التي أسقطها المصريون، وعالهم، وآواهم، وأعطاهم مالاً وسلاحاً، وأرسلهم إلى الصحراء

العربية لاسترجاع مملكتهم المفقودة.

(لاحظ أن كثيراً من تفصيلات هذا السرد لأحداث معركة الصريف، وما قبلها غير صحيح).

* في رمضان ١٣٣٢هـ (يوليو ١٩١٤م):

ورد للمنار سؤال من أحد أبناء الكويت، وهو السيد سليمان العدساني يستفتي المجلة في حكم السبي في الشرائع القديمة.. هل هو مشروع فيها أم لا؟، وهل له ذكر في هذه الأناجيل، وهذه التوراة الموجودة في أيدي الناس اليوم إثباتاً أو نفياً أم لا؟

* في شوال ١٣٣٥هـ (يوليو ١٩١٧م):

نشرت المنار على لسان رشيد رضا قوله: قد كان رجال الدولة في العهد الأخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة، ولكنني لما لقيته سنة ١٣٣٠هـ منصرفي من الهند أخبرني بما لقيه من عدوان الدولة عليه، وتصديقها لنفيه من الكويت، وأن انكلترا منعتها من ذلك دون طلب منه، وأنه مع ذلك محافظ على نسبته إليها، ورافع لعلمها باختياره، ولو شاء لاستبدل به غيره، ومن كلامه في الترك والعرب: (نحبهم، ولا يحبوننا).

* في جمادي الآخر ١٣٤٠هـ (يناير ١٩٢٢م):

ورد للمنار سؤال من أحد أبناء الكويت، وهو السيد عبد الرحمن النقيب يستفتي المجلة في سؤال نصه: (قتل رجلٌ زوجَه بلا مسوغ، وله بنت قاصر منها.. أفتونا برأيكم في القاتل، وما يكون الحكم عليه في مذهب الشافعي؟).

* في محرم ١٣٤٥هـ (يوليو ١٩٢٦م):

كتبت المنار: (كان بلغنا أن الشيخ محمد الخراشي المصري سافر من مصر إلى العراق ثم كتب إلينا في أواخر العام الماضي (عام ١٣٤٤هـ) أنه قصد الكويت، فالبحرين، وأنه يجاهر بدعوة المسلمين إلى الديانة البهائية، فنحذر إخواننا مسلمي العرب هنالك من هذا الداعية المضل، فالواجب أن يفروا منه فرار السليم من الأجرب لئلا يفتن بعض الضعفاء عن دينهم أو يشككهم فيه، ولا يغرن أحداً منه ادعاؤه للإسلام، وما كان من انتسابه إلى الأزهر، ومدرسة الدعوة والإرشاد، فهو قد تقلب، وتذبذب، وذهب مع أهوائه كل مذهب حتى انتهى أمره إلى البهائي).

* في ذي الحجة ١٣٤٦هـ (مايو ١٩٢٨م):

نشرت المنار خبراً عن صدور مجلة (الكويت)، وجاء التعريف بها كالآتي:

مجلة دينية تاريخية أدبية شهرية. صدر الجزء الأول من هذه المجلة في مدينة الكويت لمحررها الأديب الفاضل الشيخ عبد العزيز الرشيد المعروف من خيرة أدباء تلك البلاد العربية العزيزة، فألفيناه، وقد تناول المواضيع الإصلاحية الدينية بعناية تنم عن مشربه الحسن في الإصلاح الديني كما أنه ألمّ بردّ الشبهات، وبحث بحثاً طريفاً في الآداب والأخلاق، وعني بما يسمونه القديم والجديد، وكذلك أفرد باباً خاصّاً في الكويت للبحث التاريخي، فبدأ الكلام فيه عن نجد، وما جاورها لأهمية الدور الذي لعبته تلك الأقطار في هذا الأيام، وهناك قِطَع مختارة من الشعر العربي، والحكَم العربية، والمجلة مطبوعة على ورق جيد، ومطبوعة طبعاً حسناً، وقيمة اشتراكها في الكويت تسعة روبيات، وفي خارجها ١٢روبية، فنرجو للكويت تقدماً مضطرداً، ورواجاً يليق بهمة وإخلاص منشئها الفاضل.

* في محرم ١٣٤٧هـ (يونيو ١٩٢٨م):

تحدثت المنار عن مشروع عمارة الحرم القدسي الشريف، والتبرعات التي وصلت للجنة المختصة بذلك، ومنها مبلغ (٥٢٠ ١٣٦٢) من أهالي الكويت.

* في محرم ١٣٥٠هـ (مايو ١٩٣١م):

ذكرت المنار أن تجار العرب في بُمبي الهند، وأكثرهم من نجد والكويت قد ألفوا شركة بواخر تمخر بين الهند وشط العرب زاحموا بها الشركات الانكليزية، فزحموها ثم كانت الحرب العامة سبب استيلاء الانكليز عليها بصفة قانونية.

* في ربيع الأول ١٣٥٢هـ (يونيو ١٩٣٣م):

نشرت المنار خبراً عن صدور مجلة (التوحيد)، وجاء التعريف بها كالآتي:

جريدة دينية أدبية يصدرها في سنغافورة الأستاذ الفاضل الشهير الشيخ عبد العزيز الرشيد صاحب مجلة الكويت التي كان يصدرها في الكويت من قبل، والأستاذ كاتب عالم معتدل، فنتمنى لصحيفته الرواج.

وإلى هنا ننهي من انتقيناه من أخبار الكويت في مجلة المنار.

حكاية الماء في الكويت

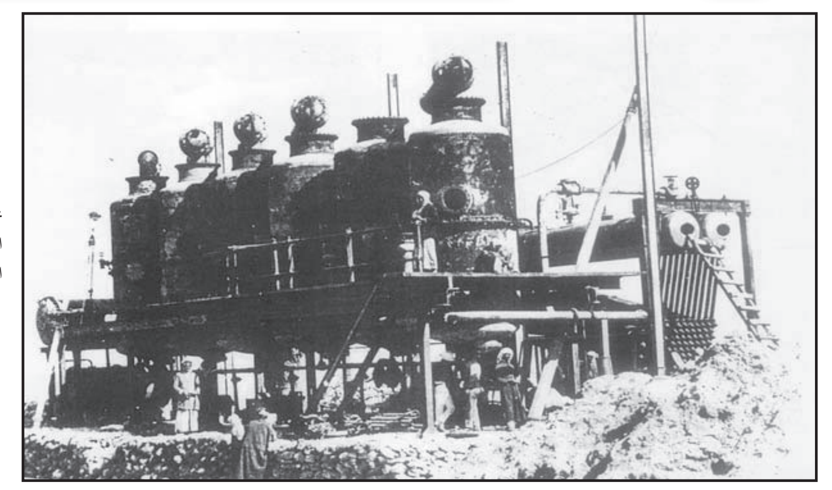
للماء حكاية طويلة في تاريخ الكويت، وقد تعرض لها العديد من المؤرخين والباحثين من قبل، وهذه جولة في بعض ملامح هذه الحكاية.

فقد تأسست كل المدن والقرى على مقربة من مصادر المياه العذبة من أنهار أو آبار جوفية، ولم تكن الكويت استثناء من ذلك، فرغم خلوها من الأنهار إلا أنها لم تكن لتشهد استقراراً بشرياً دائماً بهذا الشكل في الأربعمئة سنة الماضية لولا وجود بعض الآبار العذبة، والتي كانت على قلتها كافية للعدد المحدود من السكان في بداية الأمر.

ولكن التطور السكاني الذي شهدته الكويت مع تحولها إلى دولة ذات اقتصاد ناهض، وعلاقات دولية مزدهرة في بدايات القرن العشرين بفضل جهود حاكمها السابع الشيخ مبارك الكبير أدى ذلك إلى عدم إيفاء الآبار التي تحتويها الكويت بحاجة البلاد، والوافدين الكثر إليها مما دفع القائمين على البلاد للتفكير بموارد مائية جديدة، فكان التفكير يسير باتجاهين: الأول هو محاولة الاستفادة من وجود نهر عذب على بعد ٨٠ كم من العاصمة هو (شط العرب)، فدشن العمل بنقل الماء بالسفن أول الأمر ثم جاء التفكير بمد أنبوب لنقل المياه، وهو الأمر الذي لم يكتب له النجاح، وكان الاتجاه الثاني نحو إنشاء محطات لتقطير مياه البحر، وهو الأمر الذي حل مشكلة المياه في الكويت منذ الخمسينيات، وحتى يومنا هذا، وسمح لها بتحقيق تضاعف سكاني، وعمراني لعشرات المرات خلال السبعين عاماً الماضية.

ولشحة الماء قصة طويلة مع الماء، وكلنا يذكر تلك القصيدة التي قالها شاعر الكويت الشهير فهد بورسلي المتوفى سنة ١٩٦١م (١٣٨٠هـ) عندما ظهر النفط، ومنها:

ليت.. هالنفط الغزير ... ينقلب ماءٍ غدير
ما نبي النفط، ومعاشه ... صرنا للعالم طماشه
أهلنا ماتوا عطاشه ... ضاع بالطوشه الفقير
من الفجر شايل قْربّه ... بس يبي لو درب يصبه
نفطها غرّق أوروبه ... والظما.. بْها يستدير
جابوا (كنديسه) جديدة ... قالوا بالعالم وحيدة



محطة التقطير الأولى في عهد الشيخ مبارك

قلت خير الله يزيده ... وازرعوا حنطة، وشعير
لا زرعنا، ولا شربنا ... كل قيظة نصيح ربنا
من عجمنا، ومن عربنا ... كل من أصبح خطير
عربايـن ما تبيعك ... والمهارا ما تطيعك
من عوينك من فزيعك ... نشتكي عند الأمير
ما نلومك.. يا بلدنا ... والسبب كثرة عددنا
شف بلادك.. يا ولدنا ... ما بها مفرش حصير

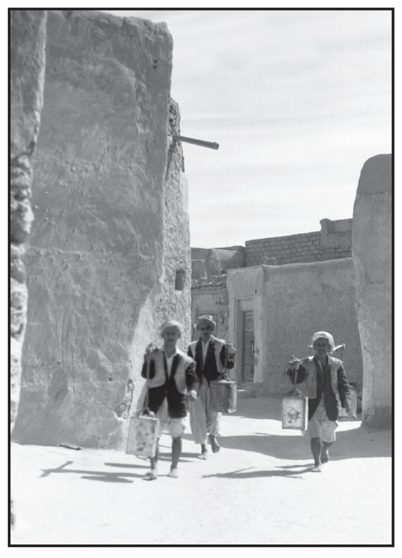
ولبورسلي قصيدة أخرى في تصوير أزمة المياه، ومنها قوله:

طاق، وطرباق على الماي ... وين نولي يا مولاي؟
شايبنا يمشي، ويطيح ... نوبة يصوّت نوبة يصيح
شَزْيَدْ من هذا التصريح ... صوَّت، ولا له حمّاي
وعْجَيّزنا مثل البطة ... تشيل القوطي، وتحطّه
بذمّة من دبّر هالخطة ... خلّى العالم رايح جاي
شيل القوطي يبغى حيل ... وين الحرمة ووين الشيل
كم مرة يدعمها التيل ... وتشَنْقِل مثل السبّاي
طاق، وطرباق على الماي ... وين نولّي يا مولاي؟

إذن، فحكاية الماء في الكويت قديمة، ومتشعبة، وهي في الغالب تدور على ثلاثة مصادر



باعة الماء في زمنهم الأخير



بيع الماء بطريقة (الكندري)

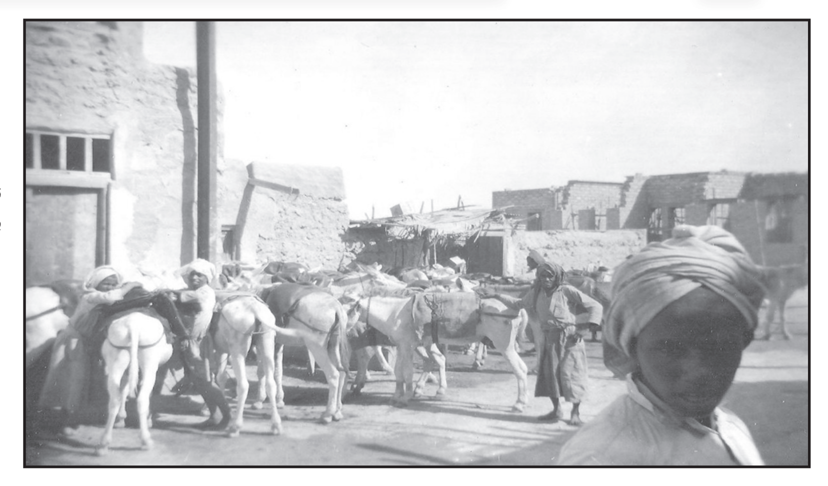
تصوغ تفصيلاتها هي: (الآبار ومياه المطر — مياه شط العرب – تحلية ماء البحر)، فتعالوا نتجول مع هذه المحاور الثلاثة:

* * *

* أولاً: الآبار ومياه المطر:

اعتمدت الكويت في السابق لسد حاجتها من المياه على الآبار الموجودة في عدد من مناطق الكويت، وكانت هي المصدر الرئيسي لمياه الشرب، وأبرز الآبار تلك الواقعة في مناطق (الشامية، وكيفان، والدسمة، والعديلية، والشعب)، وفي البادية المحيطة بمدينة الكويت تقع العديد من الآبار المهمة، ولعل أشهرها آبار (الصبيحية، والوفرة، وبرقان في الجنوب، والروضتين في الشمال، والصليبية (قليلة الملوحة) في الغرب، والآبار العذبة في القرى الزراعية في الجهراء، وحولي، والنقرة، والقصور (الفنطاس وأبو حليفة والفحيحيل)).

وفي سنة ١٩٠٥م (١٣٢٣هـ) عندما قاربت مياه الشامية وكيفان على النفاد اكتشف أول بئر يحتوي على مخزون كبير نسبياً من المياه العذبة في منطقة حولي مما شكل تعويضاً مناسباً، وفي عهد الشيخ أحمد الجابر تم في سنة ١٩٢٧م (١٣٤٥هـ) التنقيب عن المزيد من الآبار لكن تلك المحاولات فشلت لعدم وجود مياه جوفية في المنطقة التي تم الحفر بها.



نقل قرب الماء بواسطة الحمير

وكانت المياه تنقل من الآبار إلى البيوت عبر السقاءين المعروفين بالحمّارة، وكانوا يستخدمون حيواناتهم في نقل قرب الماء، وتفريغها في حبوب الماء الموجودة في البيوت، والحبوب جمع حِب (بكسر الحاء) هو ما يعرف بالزير أو الجحلة لحفظ الماء بارداً في البيوت، وبالإضافة إلى الحمّارة كان المياه تنقل بواسطة سقاءين يعرفون بـ (الكنادرة)، والكندري هو الشخص الذي يحمل الماء ليوصله إلى البيوت مستخدماً علبتين من التنك تسع الواحدة ٤ جالونات، ويتم تعليق كل واحدة منهما بواسطة حبل في أحد طرفي الكندر، وهو عصا أو عمود يضعه الكندري على كتفه، ويذكر حمد السعيدان في موسوعته أن كلمة (كندر) تعني: (عصا يتدلى من طرفيها تنكتان لنقل المياه، وحاملها يسمى كندري).

وتجدر الإشارة إلى وجود سوق في العاصمة الكويتية كان يعرف بسوق الماء، ويقع في المباركية إلى الشرق من مسجد السوق حيث كان يتجمع باعة الماء.

ويذكر الأستاذ محمد عبد الهادي جمال في كتابه عن (أسواق الكويت القديمة) أن سوق الماء كان يقع في الناحية الشمالية الشرقية من ساحة الصرافين قرب مدخل سوق ابن دعيج، وكان بجانبه سبيل للماء تابع للمرحوم عبد العزيز بن دعيج، وكان الحمارة يقفون بجانب حميرهم في تلك الساحة التي كانت تسمى سوق الماء، وعلى ظهورها قرب الماء انتظاراً للمشترين الذين كانوا يشترون الماء من هناك لأخذه إلى بيوتهم في طريق العودة من السوق.

وتجدر الإشارة إلى أن مياه الأمطار على ندرتها كانت تمثل مصدراً مساعداً عبر الخباري التي كانت تتكون بعد الأمطار الغزيرة، فكان الحمّارة يجلبون الماء من تلك الخباري كما كان الأهالي



سفن الماء، ونقل المياه منها عن طريق الحمير

يستخدمون قماشاً من نوع الطربال لجمع مياه الأمطار التي تهطل على منازلهم، وتخزينها للاستخدام بالإضافة إلى استغلالهم للآبار قليلة الملوحة الموجودة في كثير من بيوتهم للاستخدامات التنظيفية، وما شابه لتوفير المياه العذبة المشتراة لاستخدامات الشرب والطبخ فقط.

ولا ننسى أن مدينة الكويت نفسها كانت تحوي بعض الآبار القريبة من السطح، وهي في الغالب من الماء قليل الملوحة المعروف عامياً بالمروق تفريقاً عن الأنواع الأخرى، وهي مياه الشط، ومياه الآبار، وكان ينادى على النوعين الأخيرين بتسمية (ماي شط، وماي عد).

* * *

* ثانياً: مياه شط العرب:

بدأ التفكير بنقل المياه العذبة من شط العرب في جنوبي العراق إلى الكويت عبر السفن الشراعية في زمن الشيخ مبارك الصباح عندما قلت أهمية رحلات الغوص على اللؤلؤ، ولم يعد للسفر الشراعي كثير أهمية مع انتشار السفن الحديثة المسيرة بالوقود، وللعلم فإن نقل الماء عبر السفن له أصول أقدم في التاريخ الكويتي حيث كان ينقل بعض الماء العذب من جزيرة فيلكا عبر السفن، ولكن بطريقة غير منتظمة كما ذكر في تقرير انكليزي سنة ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ)، وجلبت أول سفينة مجهزة لنقل المياه من شط العرب سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)، وهي من نوع (التشالة)، وكان يملكها محمد اليعقوب، وفي سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) اشترى الشيخ مبارك السفينة (سعيد) المهيأة بالخزانات لنقل ما يقارب (٧٢٠٠٠) جالون من ماء شط العرب.

واستمر نقل المياه بهذه الطريقة، وتم تحوير بعض السفن لتتمكن من نقل أكبر كمية من الماء باستخدام الخزان الخشبي المعروف بالفنطاس بدل البراميل، وكثرت (أبوام الماي) كما أصبحت تسمى مستفيدة من العائد المالي الجيد للعملية، وقصر المسافة التي لا تتجاوز ثمانين كيلاً حتى بلغ عددها سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ) خمسين سفينة، وكثر (نواخذة الماي) المتخصصون بجلب الماء، وبيعه على الأهالي أو الغاصة أثناء موسم الغوص، ومنهم على سبيل المثال: (إبراهيم النصر الله، وعبد العزيز البرجس، وإبراهيم ناصر النجدي، وأحمد الرويح، وعبد الكريم حسين بو الملح، وغيرهم)، واشتهرت (نقعة شملان) بالحي الشرقي، و(نقعة غنيم) بالحي القبلي برسو غالبية أبوام الماء فيهما.

وتطور الأمر حتى سنة ١٩٤٠م (١٣٥٩هـ) عندما تأسست في الكويت شركة خاصة كان مقرها في السوق الداخلي برئاسة التاجر خالد الزيد الخالد لإدارة الأسطول المكون من المراكب والسفن الشراعية لنقل المياه من شط العرب، وأوكلت الشركة إلى الأستاذ المعروف حجي سلمان مهمة تشييد ثلاثة وثلاثين بوماً جديداً للماء، وتم بناء ثلاثة خزانات على شاطئ الخليج لجمع المياه التي تجلبها المراكب يومياً، وتوزيعها حيث كان يتوجه الكنادرة والحمّارة وبقية المواطنين إلى تلك الخزانات أو الأحواض لملء أوعيتهم بالماء مقابل ثمن معلوم، فكان السقاء يصعد إلى سطح السفينة لملء القواطي بالماء من فنطاس السفينة، ويتوجه بعد ذلك إلى الأحياء السكنية لبيع الماء على البيوت.

ومع حلول سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وبداية تصدير النفط كانت تلك الشركة تمتلك ٤٥ مركباً شراعياً لنقل المياه بصورة مستمرة.

وتطور الأمر في بداية حكم الشيخ عبد الله السالم سنة ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) للتفكير في مد أنبوب بري لنقل مياه شط العرب، ولكن الأمر رفض إقراره بسبب الوضع غير المستقر في العراق، وكراهة الاعتماد على بلد آخر في توفير شريان الحياة مما قد يشكل ضغطاً على استقلالية البلاد، وكان الأجدى والأسلم والأكثر حكمة أن تحل المشكلة داخلياً بتطوير صناعة تحلية المياه بعيداً عن بلد مجاور ثبت فيما بعد أنه مقبل على اضطرابات سياسية خانقة.

* * *

* ثالثاً: تحلية مياه البحر:

عندما حدثت في سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ) أزمة في المياه بسبب تضاعف سكان البلاد أدرك

حاكم الكويت وقتئذ الشيخ مبارك الصباح أن شحة المياه العذبة ستحول دون طموحاته الرامية لتطوير بلده، فالتفت إلى البحر بتشجيع من المقيم البريطاني الكابتن شكسبير، واستورد ماكينة لتحلية المياه بمساهمة من بعض التجار الكويتيين في اكتتاب عقد لهذا الغرض كما يذكر الدكتور يعقوب الحجي في كتابه عن (النشاطات البحرية القديمة في الكويت)، فشحنت الماكينة من بريطانيا سنة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ)، واستقدم خبير انكليزي لتشغيلها، وقد توفي الشيخ مبارك قبل أن تعمل الماكينة بعد أربع سنوات يوم الاثنين ١٧ مارس ١٩١٩م (١٤ جمادى الآخر ١٣٣٧هـ) لتنتج حوالي ٤٨٠٠ جالون من الماء العذب، ولكنها توقفت فيما بعد بسبب خلافات بين الشيخ سالم المبارك حاكم الكويت وقتئذ، والشركة المسئولة عن تشغيل الماكينة كما أن إنتاجها القليل من المياه المقطرة لم يكن ينافس في عذوبته ماء الشط، واستمرت الخلافات حتى ألغي المشروع، وتم نقل تلك الماكينة إلى ميناء عدن اليمني في آخر الأمر.

ولكن عندما دخلت الكويت قائمة الدول النفطية مع تصدير أول شحنة من البترول سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) كان واضحاً أن البلاد مقبلة على ازدهار اقتصادي ستصاحبه بلا شك زيادة هائلة في عدد السكان، ومع توفر العوائد المالية قامت شركة نفط الكويت في مطلع الخمسينيات بإنشاء وحدة صغيرة لتقطير مياه البحر في ميناء الأحمدي بطاقة إنتاجية قدرها ثمانين ألف جالون من المياه العذبة يومياً، وتمت زيادتها بشكل مستمر لتلبية الطلب حيث بدأ العمل فيها باستخدام أسلوب الأنبوب المغمور، وهي طريقة تقليدية لتبخير مياه البحر حيث يتم بعد ذلك تكثيف البخار، وضخ الماء الناتج منه للخزانات، ولكن هذا الأسلوب كان باهظ التكاليف، وقليل الإنتاج الأمر الذي حدا بإحدى الشركات الأجنبية إلى تطوير أسلوب جديد في تحلية مياه البحر يعتمد على التبخير الومضي، وبهذا كانت الكويت أول دولة تتبنى هذا الأسلوب.

وكانت محطة الشويخ أول محطة تقطير تنشئها الدولة، وذلك سنة ١٩٥٣م (١٣٧٢هـ) بسعة إنتاجية قدرها مليون جالون يومياً، واستمر تطوير الإنتاج حتى أصبح في محطة الشويخ عشر وحدات تقطير عاملة سعتها المركبة ٣٢ مليون جالون يومياً.

ومع تزايد الطلب على المياه العذبة والكهرباء زاد التفكير بإنشاء محطات جديدة، ففي سنة ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ) بدأت محطة الشعيبة الشمالية في جنوب البلاد إنتاجها من المياه المقطرة بسعة ١٤ مليون جالون إمبراطوري يومياً ثم أنشئت بعد ذلك محطة الشعيبة الجنوبية في سنة ١٩٧١م (١٣٩١هـ) بسعة خمسة ملايين جالون يومياً، وأضيفت في سنة ١٩٧٨م (١٣٩٨هـ) محطة الدوحة

الشرقية، ومحطة الدوحة الغربية سنة ١٩٨٣م (١٤٠٣هـ)، وهما الأكبر حالياً، والأكثر إنتاجاً، وأضيفت للمحطات السابقة محطة الزور الجنوبية سنة ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ).

ورافق هذا الاعتماد الكبير على تحلية مياه البحر تزايد عمليات الحفر للتنقيب عن النفط، وما صاحب ذلك من اكتشاف مياه جوفية على أعماق كبيرة، فكانت الاكتشافات الكبيرة في مياه (الروضتين، وأم العيش، وبرقان، والصليبية) مما وفر تنوعاً في مصادر المياه ساهم في تحول الكويت إلى بلاد وفيرة الإنتاج للمياه العذبة، وما نتج عن ذلك من تضاعف سكاني، ونهضة زراعية لافتة للانتباه.

سفن الكويتيين قبل ثمانين عاما

ارتبط تاريخ الكويت بعاملين مهمين هما (البحر، والصحراء)، وبينهما كانت الكويت العاصمة، وقراها المتناثرة في الشمال والجنوب، وباديتها الممتدة في كل الاتجاهات تصوغ الحياة اليومية للسكان، وتصنع اقتصاد البلاد البسيط.

ففي البحر كانت الكويت منذ نشأتها ميناء مهماً على رأس الخليج العربي، ومركزاً لأسطول بحري كبير مارس أربعة أنواع من النشاط الاقتصادي هي: (النقل البحري للركاب والبضائع والمحاصيل والمياه، والغوص على اللؤلؤ، وصيد الأسماك، وتجارة القلاطة البينية بين موانئ الخليج)، وفي البر كانت الكويت محطة مهمة من محطات البريد بين الهند وبلاد الشام وتركيا كما أنها كانت مقصداً لامتيار القوافل التجارية، والقبائل البدوية.

وسنعود في هذه الكتابة إلى أواخر عقد العشرينيات من القرن العشرين لنتعرف على بعض ملامح الأسطول البحري الذي كانت تتمتع به الكويت في تلك الفترة، وسوف نستفيد من وثائق نادرة وصلتنا للتعرف على أسماء بعض السفن الكويتية في ذلك الوقت، وأسماء مالكيها من تجار الكويت، وهذه الوثائق عبارة عن أوراق تعريف بالسفن، وأصحابها كان يصدرها حاكم الكويت في ذلك الوقت الشيخ أحمد الجابر الصباح، وكانت تعتبر بمثابة (منافيست) أو جواز سفر تقدمه السفينة للجهات التي تتعامل معها أثناء تجوالها في موانئ الخليج، وبعض البلاد التي كانت تصل إليها في العراق، وإيران، والهند.

وقد حصلنا على صور لتلك الأوراق التعريفية من وثائق المقيمية السياسية البريطانية في الكويت، وتحتوي تلك الأوراق على نص ثابت كالآتي:

(الواقفون على مرسومنا هذا من السالكين بالبحار، والساكنين بالبنادر من جميع الدول العظام الفخام المتحابة من خصوص البوم المسمى (كذا) ملك (فلان) هو من جماعتنا أهل الكويت، وتابعنا، فنؤمل من حكم دراية الدول العظام المتحابة إذا نظروا إليه، ووقفوا عليه أن يعاملوه بالمعاملة اللائقة كما جرت به أصول، وقوانين، وشرايط، وروابط الدول المتحابة.. هذا ما أصدرناه، وبيدنا قد سلمناه. مؤرخ في يوم (كذا)، وهذا عرضنا عنه كي لا يخفى).



البوم بيان للنوخذة علي النجدي سنة ١٩٣٨م

* * *

وفيما يلي أسماء السفن التي وجدنا أوراق تعريفها، وأسماء مالكيها، وعددها مئة سفينة فقط، وقد استخرجت معظم هذه الأوراق سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م)، وما بعدها، ولاشك بأن هناك سفن كويتية كثيرة أخرى في تلك الفترة لم تدرج أوراق تعريفها في وثائق المقيمية المنشورة:

- السمبوك (النمر)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- السمبوك (تيسير)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البوم (فتح الرحمن)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البوم (الناصري)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البوم (ميسر)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البلم (تيسير)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البوم (حسيني)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البوم (رشدان)... ملك: حمد العبد الله الصقر.
- البوم (الاسم غير واضح)... ملك: حمد العبد الله الصقر.

الواقفون على مرسومنا هذا من الساكنين بالبحار والساكنين بالبنادر من جميع الدول العظام الفخام المتحابه منا فصاحب البوم المسمى مشهور ملك هلال بن فجحان هو من جماعتنا اهل الكويت ونابغا نتأمل من حكام رعايا الدول العظام المتحابه اذا نظروا اليه ووقفوا عليه ان يعاملون بالمعاملة اللائقة كما جرت به اصول وقوانين وشرايط وروابط الدول المتحابه هذا ما اصدرناه وبيد ناقله سلمناه والمذكور قبوله ضايع مؤرخ في ٢٦ ربيع ١٣٤١ وهذا عوضا عنه كيلا يخفى

صحيح
حاكم الكويت
احمد الجابر الصباح

٧ شعبان ١٣٤٧

ورقة تعريف بالبوم مشهور لهلال المطيري

الواقفون على مرسومنا هذا من الساكنين بالبحار والساكنين بالبنادر من جميع الدول العظام الفخام المتحابه من فصاحب السنبوك المسمى النمر ملك حمد العبدالله الصقر هو من جماعتنا اهل الكويت ونابغا نتأمل من حكام رعايا الدول العظام المتحابه اذا نظروا اليه ووقفوا عليه ان يعاملون بالمعاملة اللائقة كما جرت به اصول وقوانين وشرايط وروابط الدول المتحابه هذا ما اصدرناه وبيد ناقله سلمناه كيلا يخفى ٢٧ رجب ١٣٤٧

صحيح
حاكم الكويت
احمد الجابر الصباح

ورقة تعريف بالسنبوك النمر لحمد الصقر

- البوم (فتح الرحمن)... ملك: عبد الله بن حمد الصقر.

- البلم (شوشة)... ملك: علي بن راشد الصقر.

- البوم (فتح الكريم)... ملك: محمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (دسمان)... ملك: محمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البغلة (الهاشمي)... ملك: محمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (فتح الخير)... ملك: محمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (نايف)... ملك: محمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (مساعد)... ملك: محمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (بيان)... ملك: محمد، وعلي أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (تيسير)... ملك: عبد الله السالم الصباح، ومحمد، وثنيان أبناء ثنيان الغانم.

- البوم (تيسير)... ملك: فلاح بن عبد المحسن الخرافي.

- البوم (مشهور)... ملك: فلاح بن عبد المحسن الخرافي.

- البوم (مطيران)... ملك: فلاح بن عبد المحسن الخرافي.

- البوم (سمحان)... ملك: فلاح بن عبد المحسن الخرافي.

- البوم (مساعد)... ملك: أحمد بن عبد المحسن الخرافي.

- البوم (سردار)... ملك: أحمد بن عبد المحسن الخرافي.

- البوم (منصي)... ملك: أحمد عبد المحسن الخرافي.

- الموتر بوة (برهاني)... ملك: عبد اللطيف بن عيسى العبد الجليل.

- الماطور (دسمان)... ملك: عبد اللطيف بن عيسى العبد الجليل.

- البلم (السالمي)... ملك: عبد اللطيف بن عيسى العبد الجليل.

- البوم (تيسير)... ملك: عبد اللطيف بن عيسى بن حجي.

- البوم (فتح الكريم)... ملك: عبد العزيز بن عثمان.

- البوم (العثماني)... ملك: عبد العزيز بن عثمان.

- البوم (سهيل)... ملك: شاهين بن محمد الغانم.

- البوم (موافق)... ملك: شاهين بن محمد الغانم.

- البوم (تيسير)... ملك: شاهين بن محمد الغانم.

- البوم (مشهور)... ملك: هلال بن فجحان.

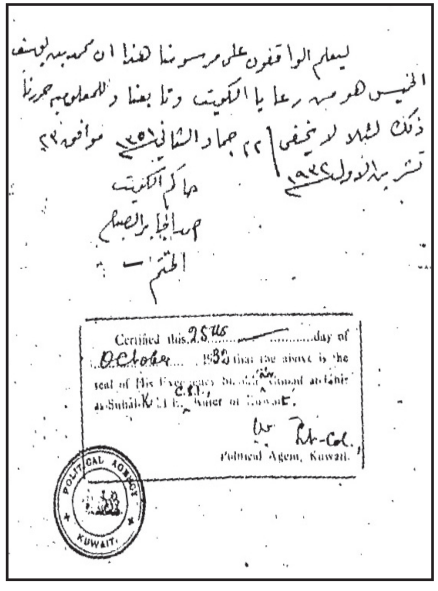
- البلم (ميسر)... ملك: هلال بن فجحان.

- البوم (زعلان)... ملك: جاسم بن محمد الصباغ.

- البلم (سمحان)... ملك: محمد بن علي الصباغ.

- البوم (فتح الخير)... ملك: عبد العزيز بن عبد الوهاب بن قطامي.

- البغلة (البدري)... ملك: عبد الوهاب بن عبد العزيز بن قطامي.



ليعلم الواقفون على مرسومنا هذا ان محمد بن يوسف الخميس هو من رعايا الكويت وتابعنا وللمعلومية حررنا ذلك لئلا لا يخفى ٢٢ جمادى الثاني ١٣٥١ موافق ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٢

حاكم الكويت
أحمد الجابر الصباح
الختم

Certified this 25th day of October 1932 that the above is the seal of His Excellency Shaikh Sir Ahmad al-Jabir as-Subah K.C.I.E., C.S.I., Ruler of Kuwait.

Lt-Col.
Political Agent, Kuwait.

POLITICAL AGENCY KUWAIT

ورقة تعريف بمحمد الخميس



ثنيان الغانم أمام بومه الداو سنة ١٩٤٨م

- البوم (تيسير)... ملك: محمد قطامي.

- البوم (مطيران)... ملك: جاسم، وإبراهيم، وعبد العزيز أبناء محمد قطامي.

- البوم (منصور)... ملك: شملان بن علي بن سيف.

- البوم (مرزوق)... ملك: عبد العزيز بن صالح الأحسائي.

- البوم (فتح الرحمن)... ملك: علي البراهيم الجوعان.

- البوم (تيسير)... ملك: إسماعيل بن عبد الله بن راشد.

- البوم (منصور)... ملك: أحمد بن سلمان.

- البلم (الهاشمي)... ملك: صالح بن عبد الله نقي.

- البلم (مرزوق)... ملك: تركي بن حسن الطراح.

- الجالبوت (احسيني)... ملك: عبد الوهاب بن عبد الرضا.

- الجالبوت (احسيني)... ملك: عبد الرضا بن محمد رفيع.

- البوم (فتح الرحمن)... ملك: يعقوب بن يوسف المطوع.

- البوم (تيسير)... ملك: عبد الله بن حسين تيفوني.

- البوم (فتح الكريم)... ملك: عبد العزيز بن عثمان.

- البوم (مشرف)... ملك: حمد الداود المرزوق، وإخوانه.

- البوم (تيسير)... ملك: يوسف بن عريفان.

- البوم (تيسير)... ملك: محمد علي بن حسن.

- البوم (مطيران)... ملك: محمد بن سبت.

- البوم (سمحان)... ملك: خليفة بن راشد.

- البوم (سمحان)... ملك: راشد بن إبراهيم بن سلامة.

- البوم (توفيق)... ملك: ناصر بن إبراهيم النجدي.

- الجالبوت (سمحة)... ملك: موسى بن عبد الله العبيدان.

- الجالبوت (سمحة)... ملك: محمد حسن بن غلوم.

- البوم (مفرح)... ملك: فهد بن عبد الله الرجيب.

- البوم (فتح الباري... اسم البوم غير واضح تماماً)... ملك: علي البراهيم الجوعان.

- الماطور (برق)... ملك: (اسم المالك غير واضح).

- البلم (الحريبي)... ملك: عباس مقامس.

- البلم (فتح الخير)... ملك: جاسم بن محمد ماجكي.

- البوم (كاليدونيا)... ملك: حاجي باقر بن عبد الله.

- البلم (حسيني)... ملك: عبد الرحمن بن أحمد أبو عباس.

- السمبوك (الهاشمي)... ملك: السيد ياسين بن السيد عبد الوهاب.

- البوم (مرزوق)... ملك: السيد مالك محمد الغربلي.

- البوم (فتح الخير)... ملك: خالد بن عبد الرحمن العبد الجادر، وعمران بن أحمد البنوان.

- البلم (قدم خير)... ملك: محمد بن عبد الله بن عبد العزيز.

- البوم (فتح الخير)... ملك: دعيج بن فهد.

- البوم (موتر)... ملك: عبد العزيز بن ياقوت.

- البوم (مطيران)... ملك: محمد الفلاح.

- البوم (سليماني)... ملك: جمعة!!

- البوم (سليماني)... ملك: علي ونيان.

- البوم (سمحان)... ملك: عبد الرحمن بن حسين العسعوسي.

- البوم (منصور)... ملك: عبد الله ومبارك أبناءساير الشحنان.

- البوم (عافور)... ملك: عبد الله بن خلف.

- الجالبوت (الفتح)... ملك: أحمد بن محمد بن معتوق.

- البلم (فتح الخير)... ملك: أحمد بن سلمان الإستاد.

- البوم (الحصان)... ملك: صالح فرس.

- البوم (هترش)... ملك: يوسف بن يوسف.

- البلم (منصور)... ملك: علي بن حسين بن عبد الرسول.

- البلم (عباس)... ملك: عبد الرضا بن غلوم.

- البوم (عيدان)... ملك: السيد محمد بن السيد صالح.

- البوم (رشدان)... ملك: محمد بن سلطان محمود.

- البوم (موافق)... ملك: سالم بن علي أبو قماز.

- البلم (فيلجاوي)... ملك: إبراهيم بن رومي.

- البلم (كويتي)... ملك: عبد الحسين بن علي نقي.

- البوم (تيسير)... ملك: فهد بن عبد الله الفليج، وإخوانه.

- البوم (مرزوق)... ملك: سعود بن عبد العزيز بن فهد.

- البوم (فتح الرحمن)... ملك: سليم بن حسن.

- البوم (فتح الخير)... ملك: سعود بن صقر القضيبي.

- البوم (تيسير)... ملك: ناصر بن عبد العزيز بن ناصر.

- الشوعي (منصوري)... ملك: إبراهيم بن عبد الله.

* * *

وهناك أوراق تعريف أخرى صدرت في نفس تلك السنوات لبعض الكويتيين الراغبين بالسفر فيما يبدو، وهو بمثابة جواز سفر، ويجيء نص التعريف كالآتي: (ليعلم الواقفون على مرسومنا هذا أن (فلاناً) هو من رعايا الكويت، وتابعنا، وللمعلومية حررنا ذلك لئلا يخفى).

ففي سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) وجدنا أوراق تعريف بكل من:

- محمد، وغانم، وإبراهيم أبناء يوسف بن شاهين الغانم.

- حمد بن خالد الخضير.

- فلاح بن عبد المحسن الخرافي.

وفي سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٨م) وجدنا أوراقاً لـ:

- مرزوق، وشيخة، وطيبة أولاد جاسم المرزوق.

- أحمد، وصالح أولاد محمد صالح الحميضي.

- محمد عقيل بن محمد زمان.

وفي سنة ١٣٤٩هـ (١٩٢٩م) وجدنا أوراقاً لـ:

- عبد الرحمن، وأحمد أبناء محمد البحر.

– عبد الرحمن بن فارس الوقيان.

– منصور بن حسين.

– محمد بن يوسف الخميس.

* * *

وفيما يلي بعض الملاحظات التي نستنتجها مما سبق من أوراق تعريفية:

– يلاحظ هنا أن أنواع السفن التي أصدرت لها الأوراق التعريفية المئة التي عرضناها هي: (٦٩ بوماً – ١٧ بلماً – ٥ جوالبيت – ٣ من نوع الماطور – ٣ من نوع السمبوك – بغلتان –شوعي واحد).

كما يلاحظ فيها ميل أهل الكويت لتسمية السفن بالأسماء التي تعطي مفهوم التفاؤل، والاستبشار، ولو تكررت أسماء بعض السفن، ولذا تتكرر أسماء مثل (فتح الخير – تيسير – سمحان).

وهناك بعض الأسماء الطريفة للسفن مثل البوم (زعلان)، والماطور (برق)، والبوم (عافور)!

– يبدو أن التاجر المعروف عبد اللطيف بن عيسى العبد الجليل هو أول من استخدم الماطور في السفن بدل الشراع، فهو مالك ماطورين في هذه القائمة، ولا يستغرب ذلك، فآل عبد الجليل كانوا من أشهر تجار الكويت حتى قيل في تجارتهم (دولة العبد الجليل!).

– يلاحظ كذلك تكرار أسماء بعض المالكين لكبار التجار، فنجد أوراقاً تعريفية لحمد بن عبد الله الصقر كمالك لتسع سفن، وللأخوين محمد وثنيان ابني ثنيان الغانم كمالكين لثماني سفن، وفلاح بن عبد المحسن الخرافي كمالك لأربع سفن.

ويرد اسم مالك واحد من الأسرة الحاكمة هو الشيخ عبد الله السالم الحاكم الحادي عشر للكويت كشريك في البوم (تيسير) مع الأخوين محمد، وثنيان ابني ثنيان الغانم.

وتجدر الإشارة إلى ما أفادني به الزميل طلال الرميضي حول طريقة أهل الكويت في تسمية سفنهم من حيث التذكير، والتأنيث، فذكر أنهم اعتادوا أن يطلقوا أسماء مذكرة على السفن من أنواع: (البوم، والشوعي، والسنبوك، والبتيل) بينما يمنحون الأسماء المؤنثة على السفن من نوع: (البغلة، والجالبوت، والبقارة، والماشوه)، وهذه هي القاعدة العامة، وقد تحصل لها بعض التجاوزات كما شاهدنا في القائمة السابقة.

* * *

ولو أردنا التعريف ببعض الأسماء الواردة في الأوراق التعريفية مستعينين بكتاب (نواخذة السفن الشراعية في الكويت) للدكتور يعقوب الحجي، فسنتوقف مع بعض الأسماء:

– أحمد بن محمد بن معتوق: من النواخذة القدامى، وكان يقود سفينة يمتلكهما من نوع البوم بينما المذكور في القائمة أن سفينته (الفتح) من نوع الجالبوت، وقد توقف نشاطه في الثلاثينيات، وحل محله أربعة من أولاده هم (إبراهيم، وعيسى، ويوسف، وعبد الرزاق).

– عبد العزيز بن عبد الوهاب القطامي: أخو النوخذة المشهور عيسى القطامي صاحب كتاب (دليل المحتار)، وقد درب أولاده على قيادة السفن، وخلفه عدد منهم بعد وفاته.

– ناصر بن إبراهيم النجدي: من النواخذة المعروفين، ومن تجار اللؤلؤ، وكان ابنه علي بن ناصر نوخذا السفينة التي رافقها الرحالة آلان فاليرز سنة ١٩٣٨م في رحلته التي دونها في كتابه (أبناء السندباد).

– عبد الرحمن بن حسين (بن جاسم) العسعوسي: من نواخذة الكويت القدامى قبل زمن الشيخ مبارك، وظل في المهنة حتى سنة ١٩١٠م حيث تفرغ لاتجار بالتمور، والأخشاب بين الخليج، والهند.

– حمد بن عبد الله الصقر: أحد رجالات الكويت المعروفين، والمتوفى سنة ١٩٣٠م.

– محمد وثنيان أبناء ثنيان بن محمد الغانم، وكان والدهما تاجراً، ونوخذا توفي شاباً، وخلفه ابنه محمد، وثنيان حمل في بطن أمه، وقد أصبح محمد نوخذا معروفاً بينما اكتفى ثنيان بالعمل التجاري.

– شاهين بن خليفة الغانم: من التجار المعروفين، وقد أصبح أولاده الثلاثة (خليفة، ومحمد، وجاسم) من نواخذة الكويت المعروفين.

– عبد الله بن حسين تيفوني: ذكر حفيده محمود بن علي بن عبد الله تيفوني المتوفى سنة ١٩٨٦م كأحد نواخذة الكويت المعروفين، وعضواً في لجنة الجنسية في الستينيات.

– يعقوب بن يوسف المطوع: ذكر ابنه عبد العزيز كأحد نواخذة الكويت.

– عبد العزيز بن عثمان: هو عبد العزيز العثمان من أشهر نواخذة الكويت، وتفرغ للتجارة في أواخر حياته حتى توفي سنة ١٩٣٦م، وخلفه في قيادة السفن ابنه عبد الوهاب.

- فلاح بن عبد المحسن الخرافي: من أكبر تجار الكويت، وكان نوخذا أيضاً، وصار يملك العديد من السفن، ويساعده ولداه عبد المحسن، وعبد الله، وتوفي فلاح سنة ١٩٤٢م، وتذكر القائمة أخوه أحمد بن عبد المحسن، والذي كتب عنه الحجي أنه (شخصية فريدة، ونوخذا ليس له نظير بين زملائه)، وتوفي سنة ١٩٤٩م.

... وأخيراً.. هذا جانب من تاريخ الكويت البحري لاشك أنه يحوي فائدة كبيرة للباحثين في هذا المجال، ويعرفنا على إحدى صور المجتمع الكويتي في الماضي.

هجرة تجار اللؤلؤ سنة ١٩١٠م

من الأبيات المشهورة في تراثنا النبطي قول الشاعر زيد بن غيام المطيري:

حداني عليك الغيظ والغيظ حدّ هلال   تطاما البحور وراح عن ديرته جالي

أنا اشهد شهادة حق ما يجرح الرجّال   سوى كلمةٍ تاتيه من صاحبٍ غالي

وهذان البيتان يضيئان لنا حادثة مهمة في تاريخ الكويت الاقتصادي وقعت قبل أكثر من قرن، فتعالوا نتعرف على هذه الحادثة التي تعطينا دليلاً على حرية التجارة في الكويت، والتعامل العقلاني مع الأزمات، والذي اتخذه حكام الكويت ديدناً لهم.

ففي تلك السنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) غادر الكويت ثلاثة من أهم تجار اللؤلؤ فيها، وهم (شملان بن علي آل سيف، وهلال بن فجحان المطيري، وإبراهيم المضف)، ومعهم مجموعة من تجار اللؤلؤ هم (راشد بورسلي، وأحمد المناعي، وسعد الناهض، وصالح المسباح) ميمّين وجهتهم بحراً إلى البحرين وجزيرة جنة (القريبة من الجبيل).

وكانت لهذه المغادرة أو (الهجرة المؤقتة) عدة أسباب تذكرها كتب التاريخ الكويتي، وهي:

– مضاعفة الشيخ مبارك الكبير حاكم الكويت السابع للرسوم التي يدفعها له التجار بعد موسم الغوص، وذلك لحاجته للمال من أجل تمويل حملته التي كان ينتويها للثأر من معركة هدية ضد شيخ المنتفق سعدون باشا بن منصور السعدون، والتي وقعت في بداية سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ).

– منع الشيخ مبارك لأهل الكويت من الذهاب للغوص على اللؤلؤ في ذلك العام لحاجته للرجال في الحرب، وكذلك للضغط لقبول طلبه من قبل تجار اللؤلؤ.

وقد سعى الشيخ مبارك لاسترضاء التجار، فأرسل لشملان وفداً يتكون من أخيه حسين بن علي آل سيف، وفارس الوقيان، وناصر البدر، ووفداً آخر يتكون من الثلاثة السابقين، ومعهم الشيخ سالم المبارك.

وأرسل الشيخ مبارك مع الوفد الثاني رسالة خطية ننشر نصها لما فيها من روحية نبيلة تمثل الجانب الإنساني للشيخ مبارك الحريص على مصلحة أبناء شعبها، وهي كالآتي:



شملان بن علي آل سيف



هلال بن فجحان المطيري

(جناب الأجل الأمجد الأفخم الولد شملان بن على ابن سيف المحترم. دام بقاه.

بعد السلام، والسؤال عن خاطركم، وعنا نحمد الله في خير وسرور. جعلكم الله كذلك.

بعده يا شملان يا ولدي الذي ثابت عندي، وأتيقنه، ولا فيه شك أنت وأخوك حسين. للازمي، ولكل أمر يرضيني ويسر خاطري تبذلون حلالكم وحالكم من بعده، ولا عندي في ذلك شك.

هذا الثابت عندي، وأعرف، وأتيقن أنك ما تقبل هالفوايه (أي الإشاعات) اللي الآن تبلغنا، وأنك ما تقبل في كل أمر يخل بأمري، واسمي، ويفرح العدو، وفايهة ما هي زينة.

أولاً: أرسلنا حسين الله يحفظ الجميع مع فارس الوقيان من طرفنا إلى جماعتنا الذين ما أشوف سبب يوجب لذلك، ولا هو واجب منهم هكذا، وأنت أيضاً أعرف أنك إن شاء الله ما ترضى في هالفايهة دون العمل، وأنا أبو الجميع لي الميانة. أزبر، وأؤدب، وآمر، وأنهى، ومع هذا شفقتي – الله مطلع على الجميع – تثبت عندكم، فإذا شفقتي تثبت عندكم تزيل عن الخواطر كلما أزبر، وآمر، وأنهى.

فأنت بارك الله فيك جيتني، ورأيتني على الحال السابق بل أزيد شفقة للجميع.

رسالة إبراهيم المضف لحسين وشملان

رسالة الشيخ مبارك لشملان

وأما أنت وحسين محسوبين مثل جابر و إخوانه عندي، وانأ أيضاً ما استنكرت منك شيء فقط الحوالة لكن من حسن ظني ما استنكرت لأن إن شاء الله ما عندي فيكم شبهة، ولا أظن فيكم إلا الجميل.

وأولاً شرت عليك إذا حصل نصيب تبيع بالبحرين، فإذا ما جاز لك السوق تسافر، وإن شاء الله موفق خير.

فالآن إذا أنا أبو وشفيق، وأنت ولد تعلي، وتسافر من الكويت، وحسين وناصر وفارس يواجهون الجماعة، ويجون معهم سوى إن شاء الله، وأنت أيضاً تكتب مع حسين وناصر خط للجماعة.

هذا الذي أنا أراه، وآمر به، وأنت إن شاء الله تساعد لأمري، ولكل ما يرضيني، وسمعنا أنك تباركت (أي تزوجت) بالجزيرة. إن شاء الله مبارك.

هذا ما لزم.. سلم لنا على الجماعة إبراهيم وهلال وباقي الجماعة، ومنا أخيك الولد جابر وإخوانه يسلمون.

٢٤ شعبان سنة ١٣٢٨هـ.

مبارك الصباح)

وقرر شملان أن يتوجه إلى البحرين مع الشيخ سالم لإطلاع رفيقيه المطيري والمضف على موقف الشيخ مبارك، فتصافت النفوس بعد أن حصلت مشاورات تممها الشيخ مبارك بأن سافر بنفسه إلى البحرين على يخته المسمى (مشرف)، وهكذا عاد التجار إلى الكويت، وفي موسم الغوص التالي خرجت سفن الكويتيين بأعداد غير مسبوقة، وعادت بأرباح كبيرة حتى سميت تلك السنة بسنة الطفحة لكثرة أرباحها.

السيارة في التاريخ الكويتي

صدر للباحث الكويتي باسم اللوغاني كتاب شائق، وجديد في موضوعه بعنوان (السيارة في التاريخ الكويتي)، وجاء في ٣١٢ صفحة من القطع الكبير العريض، واحتوى الكتاب على المئات من الصور الملونة والعادية، والتي أعطت قارئ الكتاب متعة بصرية تضاف إلى الفائدة المعلوماتية.

بدأ الكتاب بفصل عن تاريخ صناعة السيارات في العالم، وخاصة مع البداية الحقيقية سنة ١٨٨٥م (١٣٠٢هـ) عندما تمكن المهندسان الألمانيان دايملر وبنز من تصميم أول سيارة في العالم ثم تأسيس أول مصنع للسيارات في فرنسا بعد ذلك بخمس سنوات.

ويجول بنا الكتاب في قصة السيارات مع الاختراعات المتوالية التي أدت إلى تطور هذه الصناعة، وهي تعدت الآن مئة ألف براءة اختراع، ويقدم لنا هذا الفصل معلومات موجزة تحكي لنا هذا التطور سنة بسنة.

وفي الفصل الثاني يحدثنا اللوغاني عن تاريخ السيارات في الكويت التي كانت أول دولة في المنطقة تدخلها السيارات، وذلك عندما اشترى الشيخ مبارك سيارة مينيرفا بلجيكية سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ)، ولكنها كانت كثيرة الأعطال بينما كانت السيارة الأشهر، وهي من ذات الطراز تلك التي أهداها التاجر الكويتي جاسم الإبراهيم للشيخ مبارك سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ)، وأرسل معها سائقاً هندياً قام بتدريب سائق كويتي حل محله فيما بعد هو (علي حسين أبو خنفر).

وبعد الكويت اشترى حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة سيارة سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) بينما كان حاكم حائل الشاب الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد أول من أدخل السيارة إلى نجد عندما اشترى له وكيله في اسطنبول رشيد باشا بن ناصر بن ليلي سيارة مرسيدس سنة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ).

وإذا علمنا أن أبا خنفر هو أول سائق كويتي، فإن الشيخة بدرية سعود الصباح تعد أول امرأة كويتية تقود السيارة، وذلك سنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) بينما كانت دولت عبد الله النوري أول كويتية تحصل على رخصة قيادة كما كان محمد السيد عمر أول من تولى منح رخص القيادة قبل سنة ١٩٢٩م، والطريف أنه لم يكن يتبع دائرة حكومية بل كان يجري الفحوص لحسابه الخاص، ويختبر



غلاف كتاب السيارة لباسم اللوغاني

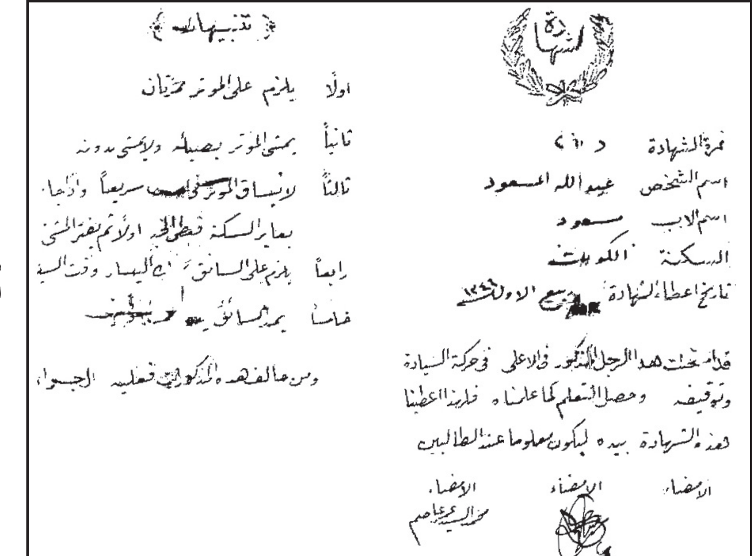
السائقين، ويعطي شهادة معتمدة مقابل روبيتين يأخذهما لنفسه!، واستمر الحال حتى تشكلت دائرة البلدية سنة ١٩٢٩م، وعين فيها محمد السيد عمر فاحصاً للمتعلمين براتب رسمي.

أما وكالات السيارات في الكويت، فقد بدأت مع حصول علي إبراهيم الكليب في أواخر عقد العشرينيات على حق توزيع سيارات جنرال موتورز، وفي سنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ) حصل حامد بك النقيب على حق توزيع سيارات فورد، والنقيب أيضاً كان قد أسس سنة ١٩٢٥م شركة مساهمة لتسيير سيارات الأجرة بين الكويت والبصرة.

وفي سنة ١٩٣٦م حصل يوسف أحمد الغانم على وكالة سيارة هدسون بينما حصل سنة ١٩٥٢م على وكالة سيارات جنرال موتورز.

ولعل أول حادث سير في الكويت وقع سنة ١٩٣٧م عندما دهس صادق سائق الشيخ عبد الله الجابر شيخاً أعمى من أهالي الفنطاس هو (حنيف المزيعل)، وينشر الكتاب صورة لوصل دفع دية المتوفى، وتبلغ ثمانمئة روبية.

ويمتلئ كتاب (السيارة في التاريخ الكويتي) بعشرات الحكايات المهمة والطريفة عن قصة هذه الآلة في الكويت بالإضافة إلى معلومات عن وكالات السيارات في الكويت، وكل ذلك في إطار



شهادة

نمرة الشهادة [illegible]
اسم الشخص عبد الله المسعود
اسم الاب مسعود
السكنة الكويت
تاريخ اعطاء الشهادة [illegible] ربيع الاول [illegible]

قد امتحنت هذا الرجل المذكور في الاعلى في حركة السيارة وتوقيفها وحصل التعلم كما علمناه فلهذا اعطينا هذه الشهادة بيده ليكون معلوما عند الطالبين

الامضاء الامضاء الامضاء
محمد السيد عاصم

تنبيهات

اولا يلزم على الموتر نمرتان
ثانيا يمشي الموتر بصياته ولا يمشي بدونه
ثالثا لا يساق الموتر [illegible] سريعاً واذا جاء بعاير السكة فيبطئ اولا ثم يفتر المشي
رابعا يلزم على السائق [illegible] اليسار وقت السير
خامسا [illegible]
ومن خالف هذه التنبيهات فعليه الجزاء

رخصة قيادة عبد الله المسعود

بانوراما مصورة ممتعة.

وإكمالاً لحكاية السيارة في الكويت وجدنا في كتاب (من هنا بدأت الكويت) للأديب الراحل عبد الله الخالد الحاتم صورة لإجازة قيادة قديمة، وهي صادرة لمواطن كويتي هو عبد الله المسعود بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ (١٨ سبتمبر ١٩٢٧م)، ووقعها محمد السيد عاصم، والذي كان أول مدرب كويتي لقيادة السيارات، وجاء فيها شهادته: (قد امتحنت هذا الرجل المذكور في الأعلى في حركة السيارة، وتوقيفها، وحصل التعلم كما علمناه، فلهذا أعطيناه هذه الشهادة بيده ليكون معلوماً عند الطالبين).

وجاء في تلك الإجازة التنبيهات الآتية:

أولاً: يلزم على الموتر نمرتان.

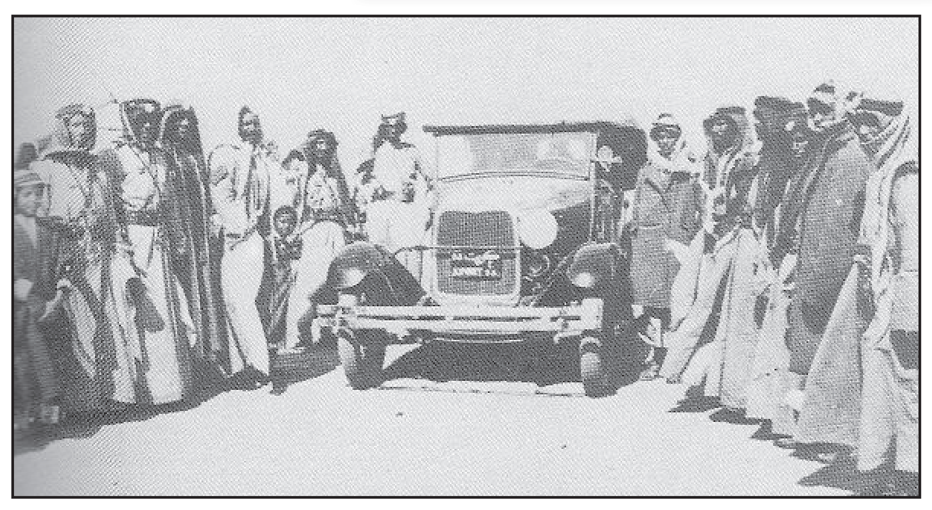
ثانياً: يمشي الموتر بصيّاتة (أظنه يقصد الزمور)، ولا يمشي بدونه.

ثالثاً: لا يساق الموتر سريعاً، وإذا جاء بعاير السكة، فيبطئ أولاً ثم يفتر المشي.

رابعاً: يلزم على السائق إلى اليسار وقت السير.

خامساً: (غير واضح)

ومن خالف هذه التنبيهات فعليه الجزاء.



كويتيون يلتفون حول أول سيارة في الكويت

كما نشر الحاتم صورة لمخالفة مرورية قديمة صادرة عن مدير الشرطة غانم صقر الغانم بتاريخ ٢٧ رجب ١٣٥٧هـ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٨م)، وموجهة إلى رئيس مجلس الأمة التشريعي، وجاء فيها البيان الآتي:

(أفاد الشرطي حمد العبد الله السميط رقم ٥١ بينما هو في موقف الصنقر لإرشاد السيارات، وإذا بثلاث سيارات: سيارة عبد الله المبارك آتية من الشمال قاصدة الصفاة أي الجنوب، فأعطاها إشارة السماح.

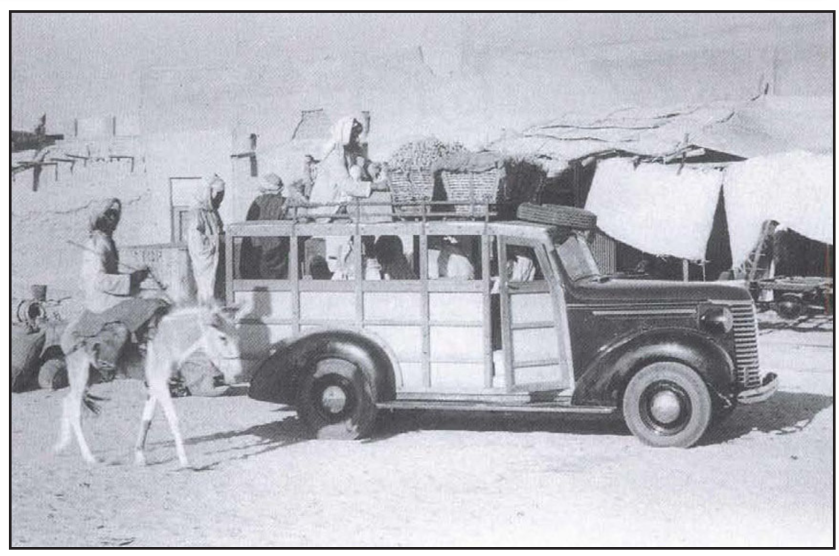
وسيارة عبد الله الشملان تتليها سيارة عيسى المدير المرقمة (١٥٣) آتية من الجنوب قاصدة الشمال. أعطاهما إشارة الوقوف، وعندما أعطاهما إشارة الوقوف امتثل عبد الله الشملان في الإشارة، ووقف. أما عيسى المدير لم يمتثل، وزاد في حركة سيره، وتجاوز سيارة عبد الله الشملان.

واضطر عبد الله المبارك أن يلتجئ إلى سوق الدهن، ولولا أن عبد الله المبارك أخذ عنده إلى اليمين إلى سوق الدهن كادا يصطدمان.

وأحضر عيسى المذكور، وسئل عن عدم امتثاله.

فأجاب أنه لم يلاحظ إشارة الشرطي، وظن أن عبد الله الشملان واقف لحاجة.

وما يرجح من كلام الشرطي أن إشارته واضحة، ولا يمكن أنه لم ير الإشارة مع مشاهدته للذي قبله. أعنى عبد الله الشملان حين وقوفه).



من سيارات نقل المسافرين في الكويت قديماً

* * *

أما جاسم الإبراهيم الذي أدخل السيارة إلى الكويت، فنجد التعريف به في كتاب تذكاري أصدره الباحثان خالد عبد اللطيف الإبراهيم، ويعقوب يوسف الإبراهيم.

ومنه نعرف أن الشيخ جاسم بن محمد بن علي بن محمد الإبراهيم العنقري التميمي ولد في الكويت سنة ١٢٦٨هـ (١٨٦٩م) في فريج الإبراهيم في بهيتة (أمام موقع قصر السيف حالياً من جهة سوق الأسهم)، وقضى سنوات حياته الأولى في الكويت، وتلقى تعليمه الأولي فيها، وعمل في التجارة كبقية أفراد أسرته، وتسلم أعمال الأسرة سنة ١٩٠٨م (١٣٢٧هـ) بعد وفاة والده وعمه، ونال شهرة كبيرة كأبرز تاجر عربي في تجارة اللؤلؤ، ولقب بملك اللؤلؤ كما أسس شركة المراكب العربية المحدودة في الهند، وأنشأ مصانع للأدوية في بومباي، وساهم في مصانع وشركات أخرى.

وكان جاسم الإبراهيم جواداً كريماً سجل له التاريخ مواقف مشرفة داخل الكويت وخارجها، فتبرع بثلاثين ألف روبية لبناء المدرسة المباركية سنة ١٩١١م (١٣٢٨هـ)، وتبرع ابن عمه عبد الرحمن بن عبد العزيز الإبراهيم بمبلغ عشرين ألف روبية، وهو ما يمثل ما نسبته ٧٥٪ من مجموع ما تبرع به أهل الكويت جميعاً لبناء المدرسة كما فتح بيته لأبناء بلده المغتربين والعرب في الهند، فكان قصر آل إبراهيم في بومباي أشبه بسفارة للكويتيين وأبناء الخليج والعرب، وفي ساعة العسرة كانوا يقولون: (أنصوا كولابا) أي ضاحية كولابا، وهي المنطقة التي فيها قصر الشيخ جاسم الإبراهيم.


جاسم الإبراهيم

ومن أعمال جاسم الإبراهيم أيضاً مساهمته المالية الكبيرة لبناء سكة حديد الحجاز سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ)، وقاد حملة تبرعات لهذا المشروع في الهند، وقد منحته الدولة العثمانية وسام المجيدي من الدرجة الأولى لجهوده.

كما ساهم جاسم الإبراهيم بتقديم المساعدات العسكرية لحفظ أمن الكويت عبر شراء الأسلحة خاصة بعد معركتي الجهراء والرقعي كما ساهم بنشر العلم من خلال ابتعاثه المعلمين الكويتيين على نفقته الخاصة للدراسة في الأزهر الشريف.

من ناحية أخرى كانت مساهمات جاسم الإبراهيم واضحة على المستوى العربي، فقد تعدّى دور تلك المساهمات مدن الزبير والبصرة العراقيتين، والمدينة المنورة، ودمشق، والقاهرة، وثورة عمر المختار في ليبيا إلى أن وصل إلى إعانة المغتربين من الجالية العربية في بومباي كما أنه كان المساهم الأكبر بأول مسجد بني في لندن، وإعادة بناء مسجد الزبير بن العوام في بلدة الزبير.

وتبرع جاسم لجماعة الدعوة والإرشاد في مصر بمبلغ ألفين ومئة جنيه إسترليني سنوياً، فأطلقت عليه الجماعة (عضو الشرف الأول لجماعة الدعوة والإرشاد).

وقد مدحه الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بأبيات فقال:

هكذا الفضل وإلا فلالا ... إن للفضل وللمجد رجالا

آل إبراهيم هم أهل الوفا ... هم نجوم بما المجد تلالا

وهم السادات وهم أهل العلا ... وهم الكهف إذا ما الخطب مالا

وقد توفي الشيخ جاسم الإبراهيم سنة ١٩٥٦م (١٣٥٧هـ) عن ٧٨ عاماً، وليست له ذرية.

من أحداث سنة المجلس

في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) شهدت الكويت تجربة ديمقراطية رائدة في المنطقة عندما أقر أميرها وقتئذ الشيخ أحمد الجابر الصباح قيام مجلس تشريعي منتخب، ومنحه صلاحيات واسعة، وقام المجلس خلال فترة قصيرة بإصلاحات عديدة كما قدم مشروع دستور حمل عنوان (القانون الأساسي الكويتي).

ورغم أن هذه التجربة لم تستمر أكثر من ستة أشهر إلا أنها كانت نواة للحركة الديمقراطية التي عاشتها الكويت بعد الاستقلال مباشرة سنة ١٩٦١م (١٣٨١هـ) إلى يومنا هذا.

وكان لمجلس الأمة التشريعي سكرتير كويتي هو (خالد بن سليمان العدساني) الذي أصدر بعد مرور عشر سنوات من (سنة المجلس) كما سمّاها الكويتيون، وأرخوا بها مواليدهم كتيباً صغيراً حمل عنوان (نصف عام للحكم النيابي في الكويت)، وطبعه في بيروت سنة ١٩٤٧م ثم أعاد طبعه في الكويت سنة ١٩٧٨م كما أن له مذكرات مهمة حول الموضوع ذاته لم تطبع حتى الآن، ولكنها منشورة على شبكة الإنترنت منذ عدة سنوات.

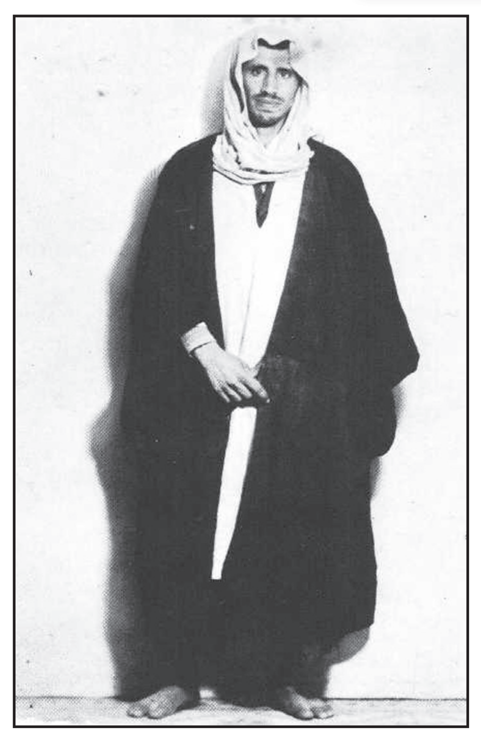
ونظراً لأهمية ما جاء في ذلك الكتيب، وتلك المذكرات سنحاول التجوال بين سطورهما في محاولة للتعرف على أوضاع الكويت في ذلك الوقت.

حيث يذكر العدساني أن فكرة المجلس نشأت عندما توجهت مجموعة من الكويتيين تتكون من: (محمد الثنيان الغانم – سليمان العدساني – عبد الله الحمد الصقر) لمقابلة الشيخ أحمد الجابر يوم ٣٠ ربيع الثاني ١٣٥٧هـ (٢٩ يونيو ١٩٣٨م) مطالبين إياه بإنشاء المجلس، فوافقهم على ذلك، وتم إجراء الانتخابات في ديوان آل صقر حيث هيّئت قوائم مختارة بأسماء الناخبين إذ لم تكن في البلاد وقتئذ بطاقات شخصية أو وثائق جنسية أو حتى دائرة للنفوس، وبالتالي، فلم يكن هناك طريقة للانتخاب سوى هذه الطريقة التي قد ننتقدها الآن إذ أنها (ديمقراطية الناخبين المختارين للمرشحين المختارين)، ولكنها طبيعة ذلك الوقت حسبما كان متاحاً في تلك الظروف.

وقد ظهرت النتائج بفوز أربعة عشر عضواً هم: (محمد الثنيان الغانم – عبد الله الحمد الصقر – يوسف بن عيسى القناعي – سيد علي سيد سليمان – مشعان الخضير الخالد – عبد اللطيف



خالد العدساني خلال عمله كسفير بعد الاستقلال



خالد العدساني بعد خروجه من الكويت بزي بدوي بعد الأحداث

محمد الثنيان – سليمان خالد العدساني – يوسف مرزوق المرزوق – صالح العثمان الراشد – يوسف الصالح الحميضي – محمد الداود المرزوق – سلطان إبراهيم الكليب – مشاري حسن البدر – خالد عبد اللطيف الحمد)، وقد استقال فيما بعد (محمد الثنيان الغانم)، فحل محلّه (محمد بن شاهين الغانم) بتسلسل الأصوات، واجتمع الفائزون في منزل عبد الله الصقر، وانتخبوا الشيخ عبد الله السالم الصباح لرئاسة المجلس التشريعي.

وقد بارك الشيخ أحمد الجابر هذا الانتخاب، وأصدر في ١١ جمادي الأولى ١٣٥٧هـ (٢ يوليو ١٩٣٨م) قانوناً اعتبر فيه (الأمة مصدراً للسلطات)، وطالب المجلس بتشريع قوانين للميزانية، والقضاء، والأمن العام، والمعارف، والصحة، والعمران، والطوارئ، وأية قوانين أخرى تحتاجها البلاد.

وقد عدد خالد العدساني في كتيبه المذكور إنجازات المجلس قبل حله في ٢٥ شوال من السنة ذاتها (١٨ ديسمبر ١٩٣٨م) في مختلف المجالات، وسنحاول أن نتتبع بعض الأمور التي ذكرها لأنها تقدم لنا صورة لحال الكويت وقتئذ، ومحاولاتها اللحاق بركب التقدم:

١- في الجمارك: أجرى المجلس كثيراً من الإصلاحات العمرانية في بناية الجمرك البحري،

ورصيف الميناء كما ألفت قوة من الشرطة المنظمة لحراسة السواحل من العابثين والمهربين برئاسة الشاب (محمد عبد العزيز القطامي).

٢- في المعارف: قرر المجلس زيادة عدد المدرسين الفلسطينيين الذين برهنوا على دماثة أخلاقهم، وحسن سلوكهم، فازداد عددهم من أربعة إلى ثمانية، وتقرر جلب مدرستين فاضلتين من فلسطين لفتح الصفوف الابتدائية لتعليم الفتيات كما تم إرسال بعثة من خمسة تلاميذ إلى معهد المعلمين في بغداد، وأربعة إلى جامعة الأزهر.

٣- في مجال الأمن: تم تأسيس دائرة كبيرة للشرطة متكونة من ستين شرطياً برئاسة الشاب غانم بن صقر الغانم، وتزيت القوة بزي الشرطة وأوسمتها لأول مرة في تاريخ الكويت، وجهزت للدائرة بناية فخمة مجهزة في أجمل شوارع الكويت.

٤- في مجال العمران: أحدثت بعض المشاريع مثل بناية الجمرك، وبناية المجلس التشريعي، وبناية الشرطة، والتخطيط لسجن لائق بالبلاد، وكان يرأس البلدية وقتئذ عبد الوهاب عيسى القطامي.

٥- في المجال التجاري: تم إلغاء بعض الاحتكارات التجارية مثل احتكار صنع النامليت (المشروبات الغازية)، وكان ممنوحاً لصاحب معمل أجنبي لقاء رسم زهيد يدفعه للحكومة سنوياً، وإلغاء احتكار شراء المصارين (أمعاء الخراف) لمشتر معين رغماً عن الجزارين، ويتحدث العدساني عن احتكارات أخرى أقر المجلس بعضها، وعدّل البعض الآخر مثل تصدير الرمل إلى العراق، وصناعة الثلج، ونقل وتنزيل البضائع في الميناء.

٦- في المجال الإسكاني: سعى المجلس التشريعي لوقف سيل الهجرة الأجنبية، وأسس دائرة للجوازات كما شرع المجلس في التمهيد لتسجيل النفوس، فقسمت الكويت إلى مناطق عيّن لكل منها مختارون لتحضير السجلات، وتم خلال شهر واحد إحصاء كافة بيوت الكويت، وأسماء أصحابها، والساكنين فيها دونما ضجة.

٧- في المجال القانوني: أصدر المجلس المجلة الشرعية للفتاوى الصادرة عن المحكمة الشرعية، وهيأ المجلس مسودة للقانون الأساسي (الدستور)، وتم تجهيز قانون للجنسية الكويتية، وآخر لأمور الغوص، والسفر، والتجارة.

ومن القرارات المتنوعة التي أصدرها المجلس التشريعي في تلك الفترة القصيرة قرار بإلزام السيارات بالسير في جانب اليمين، وليس الشمال، والفسح عن النسخ المحجوزة من كتاب (تاريخ الكويت)

لعبد العزيز الرشيد، وشراء سراج كبير (فنار) لجزيرة مسكان لإرشاد السفن، وتقسيم أوقات الدوام الرسمي إلى فترتين صباحية ومسائية.

وأصدر المجلس قرارات بمنع بيع السمك جملة في السوق، وتشكيل دائرة لأموال اليتامى والقاصرين، والبحث عن موقع لتشييد المستشفى الحكومي.

وكما ذكرنا آنفاً، فإن المجلس التشريعي لم يستمر سوى أشهر معدودة حيث وقعت بعض الأحداث التي أدت إلى صدور قرار بحل المجلس في (٢٥ شوال ١٣٥٧هـ).

أما مذكرات خالد العدساني، فقد قدم لها بالقول:

بعض ما في هذا الكتاب وريقات ووثائق سطرتها وأنا وسط الأحداث العاصفة التي هبت على الكويت أثناء التأزم في المراحل الأخيرة من أيام (مجلس الأمة التشريعي) في عام ١٩٣٩.

وإنما الذي أتهيب منه وأتقيه هو وقع نشر مثل هذه المواقف التاريخية على بعض الشخصيات الكبيرة والعزيزة ممن وردت أسماؤهم ضمن ذلك، وفيهم كثير من العزيزين الغالين عليّ، وفيهم من عدل مواقفه الضعيفة من القضايا الوطنية، فوفى الدين، وأداه.

هل أخسر صداقة هؤلاء الأعزاء جميعاً؟. هل سيسامحني بعضهم؟. هل أهذب من هذه الأوراق الصفراء التي تطاردني منذ سنين؟، فأقضي على ما فيها بالحذف والتغيير والتهذيب؟

لست أدري، ولكني أقول أني عملت كل جهدي، وأن أمانة التاريخ المقدسة تلزم علي أن احتفظ، ولو بالرؤى، والأطياف من الصحائف الماضية أنشرها كما حررتها بتواريخها قبل أكثر من عشرين عاماً لتكون مدخلاً لمن يهمه دراسة مراحل الحركات الوطنية في الكويت. كيف بدأت، وكيف تدرجت حتى انتهت إلى ما نحن عليه؟

ومن الوثائق المهمة التي وردت في مذكرات العدساني نص مقترح لدستور للكويت، وسنلاحظ أن كثيراً من مواده تم إقرارها في دستور ١٩٦٢م، ورغم عدم إقرار هذا المقترح إلا أنه يعتبر لبنة من لبنات التاريخ الدستوري للكويتي، وفيما يأتي نص ذلك المقترح:

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن حاكم الكويت. بناء على ما قرره مجلس الأمة التشريعي صادقنا على هذا القانون في

صلاحية المجلس التشريعي، وأمرنا بوضعه موضع التنفيذ:

المادة الأولى: الأمة مصدر السلطات ممثلة في هيئة نوابها المنتخبين.

المادة الثانية: على المجلس التشريعي أن يشرع القوانين الآتية:

١- قانون الميزانية - (أي تنظيم جميع واردات البلاد ومصروفاتها وتوجيهها بصورة عادلة إلا ما كان من أملاك (الصباح) الخاصة، فليس للمجلس حق التدخل فيه).

٢- قانون القضاء - (والمراد به الأحكام الشرعية والعرفية بحيث يهيئ لها نظاماً يكفل تحقيق العدالة بين الناس).

٣- قانون الأمن العام - (والمراد به صيانة الأمن داخل البلاد وخارجها إلى أقصى الحدود).

٤- قانون المعارف - (والمراد به سن قانون للمعارف تنهج فيه نهج البلاد الراقية).

٥- قانون الصحة - (والمراد به سن قانون صحي يقي البلاد وأهاليها أخطار الأمراض والأوبئة أياً كان نوعها).

٦- قانون العمران - (وهو يشمل تعبيد الطرق خارج البلاد داخلاً وخارجاً).

٧- قانون الطوارئ - (والمراد به سن قانون في البلاد لحدوث أمر مفاجئ يخول السلطة حق تنفيذ الأحكام المقتضية لصيانة الأمن في البلاد).

(جميع هذه التفسيرات الواردة بين قوسين للقوانين وضعت باجتهاد وإصرار الشيخ يوسف بن عيسى حيث لم تكن موجودة في الأصل).

٨- كل قانون آخر تقتضي مصلحة البلاد تشريعه.

المادة الثالثة - مجلس الأمة التشريعي مرجع لجميع المعاهدات والامتيازات الداخلية والخارجية، وكل أمر يستجد من هذا القبيل لا يعتبر شرعياً إلا بموافقة المجلس، وإشرافه عليه.

المادة الرابعة — بما أن البلاد ليس فيها محكمة استئناف، فإن مهام المحكمة المذكورة تناط بمجلس الأمة التشريعي حتى تشكل هيئة مستقلة لهذا الغرض.

المادة الخامسة - رئيس مجلس الأمة التشريعي هو الذي يمثل السلطة التنفيذية في البلاد.

تحرر يوم الجمعة: الحادي عشر من جمادى الأولى عام ألف وثلاثمئة وسبعة وخمسين هجرية الموافق الثاني من جولاي عام ألف وتسعمئة وثمانية وثلاثين ميلادي.

حاكم الكويت (أحمد الجابر الصباح).

من تاريخ تهريب الذهب!

خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م) راجت بين بلاد الهند وموانئ الخليج العربي تجارة مربحة تعتمد على تهريب الجنيهات والمصوغات الذهبية من الهند عبر الخليج، ونقلها إلى العراق، ومن هناك يتم توصيلها إلى بلدان أوربا بقصد الاستفادة من فارق السعر بين سعر الذهب في الهند، وغيرها من دول العالم، وقد عمل بهذه التجارة الكثير من بحارة السفن الكويتية نظراً لأرباحها الكبيرة مما شكل لهم تعويضاً جيداً عن كساد تجارة اللؤلؤ.

ويعثر الباحث في وثائق المقيمية البريطانية على العديد من المراسلات بين المعتمد البريطاني، وحاكم الكويت في ذلك الوقت الشيخ أحمد الجابر تتعلق باعتراض البريطانيين على قيام نواخذة الكويت بأعمال تهريب الذهب، وقد سعى الشيخ أحمد إلى منع رعاياه من الاشتراك بهذه الأعمال مع حفظ مصالحهم المالية، وعدم الضغط عليهم إحساساً منه بالمصاعب التي يعانون منها بعد كساد اللؤلؤ، وانتشار النقل البحري بالسفن الحديثة مما أضعف الاعتماد على السفن الشراعية في نقل البضائع إضافة إلى ما سببته الحرب العالمية الثانية من ضغوطات اقتصادية على العالم عامة، وأهل الخليج على وجه الخصوص.

* * *

* النظرة لحرمة التهريب:

وتجدر الإشارة هنا إلى نظرة المجتمعات العربية قديماً لطبيعة مهنة التهريب إذ لم يكن ينظر إليها على أنها مهنة معيبة بالإضافة إلى عدم الاقتناع بحرمتها الشرعية إذ كان العرب يرون فيها تجارة عادية يتم من خلالها التهرب من دفع الرسوم الجمركية، وهي رسوم كان يرى فيها بعض الفقهاء في ذلك الوقت شبهة دينية، ولذلك نقرأ للعديد من الفقهاء في ذلك الوقت آراء تعيب على الحكام استلام أموال الجمارك، ونقرأ في شعر الشيخ قاسم آل ثاني مؤسس دولة قطر الحديثة افتخاره بأن موارده لا تحتوي على (رسوم القمارق)، وهي بالتالي من الرزق الحلال الذي لا شبهة فيه.

وبغض النظر عن صحة تلك الآراء، فقد كان الكثير من المهربين لا يجدون في عملهم هذا حرمة شرعية إلا إذا كانت البضاعة المهربة محرمة في أصلها كأن تكون من الخمور أو المخدرات أو

حضرة حميد الشيم عالي الجاه الافخم المحب العزيز الميجر تي هيكن بنام المعتمد السياسي
للدوله المعظمه الانكليزيه بالكويت المحترم
بعد السلام والتحية :-
اخذت بيد الوداد كتاب سعادتكم المرقم ٢/٨/٢٠ والمؤرخ ١٩٤٢/٢/٧
المتعلق بمسئلة تهريب الذهب :-
فعليه افيد سعادتكم انني اشاطركم الرأى في معالجة هذه المسئلة . ولذا
امرت بنشر اعلان بحظر به جميع الاهالي عن الامتناع في مسئلة تهريب الذهب باى صفةوان كل
من يحاول ذلك سيكون عرضة لاشد انواع العقوبات وسنلاحظ هذه المسئلة بكل دقة وعناية
انشاالله ـ هذا والبارى تعالى يحفظكم / المخلص لكم
في ٢٤ محرم ١٣٦١ الموافق ٩ فبراير ١٩٤٢
حاكم الكويت

رسالة من الشيخ أحمد الجابر للمعتمد البريطاني حول التهريب

السجائر، وهو ما يسمونه بالتجارة الخبيثة، ونذكر هنا قول الشاعر بندر بن سرور في هذا النوع من التجارة:

لا والله الاّ.. طوّلن بالوقوفي عيّا يحمّلهن.. خبيث التجارة

أما تهريب الذهب، والبضائع التجارية العادية، فكان يعدّ من (الشطارة) التي ظل المهربون يمارسونها دون تحرج أو شعور بضررها على اقتصاديات البلاد التي يتنقلون فيما بينها، ومازال أبناء ذلك الجيل من المهربين يذكرون مغامراتهم في التهريب سواء على ظهور الإبل أو السفن أو السيارات في وقت متأخر بفخر واعتزاز.

* * *

* تهريب الذهب في الذاكرة الشفهية والدرامية:

يذكر أبناء الخليج الذين عايشوا الحرب العالمية الثانية فترة تهريب الذهب، وكانت سبباً في ثراء الكثيرين، ولعلنا نذكر هنا مسلسل (درب الزلق)، ومشهد (حسين العاقول)، وهو يذكر لمسئول التثمين عمل والده بتهريب الذهب، فيقول: (ولما الغوص هونوا عنه اشتغل بالتهريب.. صار يهرب ذهب، ولكنه كان يهرب لغيره... اللي يهرب لهم صاروا، واستووا، واحنا ظلينا على بساط الفقر)!

وفي مسرحية (دقت الساعة) يتحدث العم الثري لابن أخيه عن ثروة الأسرة التي لم تتكون بسهولة، فيقول بالحرف الواحد: (هالثروة.. ما جت بسهالة... جت بتعب، وعرق، وتهريب ذهب... تهريب ذهب).

وفي اللقاءات الصحفية التي يجريها زملاؤنا مع رجالات الرعيل نجد أحاديث كثيرة عن تهريب الذهب، ونقرأ مثلاً في الحوارات التي نشرها الزميل منصور الهاجري في كتابه عن (النواخذة) قول أحدهم:

(عملي الثاني كان عند تاجر يعمل في تهريب الذهب، ويملك (لنشات) سريعة وكبيرة، وقد عجزت دوريات الهند، ولسنوات عن القبض عليها، ولكن لم يمض سوى شهرين من عملي معه حتى استولت السلطات الهندية على كل اللنشات، والبضائع الذهبية التي تحملها، فخسرت بذلك عملي الثاني، وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان لي دور في القبض على السفن كأن أكون قد أخبرت القنصل الهندي عن موعد سفرها ووجهتها... لا قدر الله أبداً، فكل ما حصل كان بسبب النحس الذي لم يفارقني حتى الآن).

ويخبرنا الهاجري عن نوخذا آخر، فيقول: (عمل كعادة أهل السفر الكويتيين في تهريب الذهب أيام الحرب العالمية الثانية، فلما تم تضييق الخناق على حركة التهريب في الهند انتقل إلى خط طهران حتى وشي به، فقبضت عليه السلطات الإيرانية هو وزميله في مطار زهدان).

* * *

* إصدار الروبية الخليجية بسبب التهريب:

وقد أدت عمليات تهريب الذهب، وتجارة العملة بمرور الوقت إلى إضعاف موقف الروبية الهندية، وإلحاق ضرر كبير بالاقتصاد الهندي، وفي إطار سعيها لمكافحة هذه الظاهرة قامت الحكومة الهندية سنة ١٩٥٥م (١٣٧٥هـ) بإصدار عملة شبيهة بالروبية الهندية هي (الروبية الخليجية) لتصبح عملة خاصة بمنطقة الخليج وحدها.

وكان لقرار الهند بإصدار روبية خاصة بالخليج وقع سيء على حكومات الخليج لما لهذا القرار من أبعاد على العلاقات التجارية والاقتصادية التي تربط منطقة الخليج بالهند خاصة وأن الروبية الهندية كانت تتمتع بالقوة الاقتصادية آنذاك لكن حكومة الهند قامت بتطمين حكومات المنطقة بإيضاح هدفها من وراء هذا الإجراء، وهو الحدّ من عمليات التهريب التي تتعرض لها الهند، وخاصة تهريب الذهب، وأوضحت أن التحويل بين العملتين سوف يتم دون مشكلات، وأنه يحق لأبناء المنطقة من المسافرين إدخال الكمية التي يرغبون فيها من العملة الخليجية إلى الهند دون قيود، وأكدت حكومة الهند في إعلانها الصادر في مايو ١٩٥٩م (رمضان ١٣٧٤هـ) بأن التغيير في العملة

مديرية الأمن العام بالكويت

في ٢٢/٩/١٣٦٢

بأمر حضرة صاحب السمو حاكم البلاد المعظم
تعلن هذه الدائرة للجمهور عامة ولنواخذة السفن والأجانب
ومرتادي الأسواق الهندية خاصة، أنه يجب على الجمهور مراعاة
جميع النظم المتبعة هناك في تحاشي القيام بأي عمل يخل بنظام
القوانين المرعية لمحاولة تهريب الذهب وتصديره بطريقة
غير شرعية ومن يحاول مثل هذا العمل سيكون عرضة للمصادرة
والسجن والغرامة مع العلم أن السلطات المحلية هنا ستتخذ
أشد الإجراءات لمراقبة من تسول لهم أنفسهم مخالفة ذلك
وللبيان أعلن به

مديرية الأمن العام
الكويت

تعميم من الأمن العام لتحذير الجمهور من التهريب

لا يعني خفض قيمة الروبية الخليجية، وإنما سوف تظل هذه الروبية محافظة على قيمتها، وهذه الأوراق سوف تكون مضمونة من البنك الاحتياطي الهندي والحكومة.

ورغم هذه التطمينات، فإن فصل العملة الخليجية عن الروبية الهندية إضافة إلى خروج الانكليز من الهند، وتوجه بلدان المنطقة للاستقلال السياسي أدى إلى بدء دول المنطقة التفكير في إصدار العملة الوطنية، وكانت الأسبقية للمملكة العربية السعودية بإصدار الريال السعودي قبل هذه الأحداث كلها ثم كان الدينار الكويتي سنة ١٩٦٠م، وتوالى بعد ذلك صدور العملات الخليجية.

ورغم ذلك، فمازالت الأخبار الاقتصادية تحدثنا عن استمرارية عمليات تهريب الذهب من الهند، ولكن بعيداً عن أبناء الخليج الذين أغناهم الله بفضله عن هذا الكسب بكسب حلال من ثروات أوطانهم، وفيض خيرات بلادهم.

* * *

* المراسلات البريطانية الكويتية حول موضوع التهريب:

ومن خلال مراسلات المقيمية البريطانية في الكويت سنحاول استذكار هذه الحقبة من تاريخ

الكويت، ونطالع سوية بعض المراسلات التي تمت بين الشيخ أحمد الجابر الصباح، والمقيمية البريطانية حول موضوع (تهريب الذهب)، وقد حرصنا على إخفاء أسماء التجار والنواخذة الواردة أسماؤهم في الوثائق لأن ما يهمنا هو التعرف على الظاهرة، وليس ذكر أصحاب الأسماء التي قد لا يرغب أقاربهم بإيراد أسمائهم، وقد استقينا من تلك الوثائق إحدى عشرة حادثة مختلفة، فتعالوا نتتبعها على التوالي..

١- التنبيه على وجود الظاهرة: هذه رسالة من المعتمد البريطاني إلى الشيخ أحمد الجابر بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٢م (٢٠ محرم ١٣٦١هـ) جاء فيها: (لا يخفى سموكم أن تصدير الذهب من الهند أصبح ممنوعاً منذ أمد غير بعيد)، وفيها: (لسوء الحظ قد علم بأن كميات غير قليلة من الذهب جرى تهريبها من الهند، وأنه ليس ببعيد أن بعضاً من رعايا سموكم قد تورطوا في هذه المسألة، ولو بصورة غير مباشرة)، ويوضح أيضاً: (ليس بخاف أنه من الصعب اقتفاء أثر تهريب الذهب نظراً لصغر حجم النقود الذهبية الذي يجعل من السهل إخفائها) ثم يطلب المعتمد راجياً: (لو سموكم تعلنوا إلى رعاياكم بالامتناع عن الاشتراك بنقل الذهب من الهند، وبأن جميع الذهب الوارد بحراً يجب أن يعرض على السلطات الكمركية، وأن من يخالف ذلك سيعرض الذهب للمصادرة).

فرد الشيخ أحمد الجابر بعد يومين على الرسالة السابقة، وأفاد بأنه أمر بنشر إعلان يحظر به على جميع الأهالي التورط في مسألة تهريب الذهب بأي صفة، وأن كل من يحاول ذلك سيكون عرضة لأشد أنواع العقوبات.

وجاء نص تعميم صدر في تلك الفترة كالآتي:

(بأمر حضرة صاحب السمو حاكم الكويت. نعلن للعموم بأنه يجب على جميع أهالي الكويت الامتناع عن تهريب الذهب، وأعني به الجنيه الانكليزي من الهند، وكل من يحاول ذلك بصفة مباشرة سيكون عرضة لأشد أنواع العقوبات، وكل من يوجد عنده شيء في حين وصوله إلى الكويت بحراً يجب عليه أن يعرض موجوداته للسلطات الكمركية، ومن يحاول إخفائه يصادر بدون قيد أو شرط. ٨ جمادي الثاني ١٣٦١هـ - مديرية الأمن العام).

٢- باخرة من البحرين: في ١٨ يونيو ١٩٤٢م (٤ جمادى الآخر ١٣٦١هـ) أرسل المعتمد رسالة أخرى للشيخ أحمد يخبره: (وردتني برقية من المعتمد السياسي في البحرين يخبرني أن قد جرى تهريب الذهب من البحرين صحبة الباخرة باربيتا، وذلك لحساب بعض التجار الكويتيين، ومن

المحتمل أن يجري إنزاله في الكويت).

فرد الشيخ أحمد في ٢٠ يونيو أنه: (حالما وصلت الباخرة اتخذت الإجراءات اللازمة، وأجري التفتيش، وعثر عند أحد الركاب........ صرة تحتوي على مبلغ مئتي جنيه مرسلة من قبل أحد التجار في البحرين.......... إلى التاجر الكويتي..........، ومع ذلك أوقفنا المرسل معه، وبعد ذلك أطلق سراحه بكفالة، والمبلغ المذكور موجود لدينا).

واستمرت المراسلات، فأرسل المعتمد في ١٢ يوليو رسالة يطالب فيها بإحضار من عثر على الذهب بحوزتهم، وطلب تسليم الذهب مع غلافه الأصلي لإرساله إلى المعتمد السياسي في البحرين.

ولكن الشيخ أحمد رأى في ذلك إجحافاً بمصالح أبناء شعبه، فأرسل في اليوم التالي رسالة يبين فيها رفضه مصادرة ذهب التجار الكويتيين، فقال: (عندما طلبتم منا مراقبة الذهب المهرب بالباخرة اتخذت كافة الإجراءات اللازمة، وفعلاً عثر على الذهب البالغ مئتين جنيه، وبوقته استنطق....... و........، وأجابوا أنهم لا يعرفون أن هناك أي منع في المعاملة بالذهب بين الكويت وبلدان الخليج، ونجد أيضاً أن الذي أرسل معه الذهب لم يستنكر من نقل الأمانة المرسلة معه)، ويضيف: (عندما أعلنت للأهالي عن عدم تصدير الذهب خصيصاً الهند فقط، ولم تذكر أي قطر آخر).

وعندها اضطر المعتمد البريطاني للتسليم بما قال الشيخ، وبعث بعد يومين رسالة جاء فيها: (لقد أدركت حجة سموكم، وإني أوافقكم على أنه مازال ليس هناك لسوء الحظ أي تقييد أو مانع لتصدير الذهب من البحرين إلى الكويت، فترون سموكم أنه من الصعب جداً مصادرة الإرسالية الحالية، وعلى كل إني أقترح أنه من الضروري أن تصدروا سموكم إعلاناً للجمهور بخصوص البحرين بنفس الشروط التي أعلنت سابقاً بخصوص الهند).

٣- سفينة شراعية من البحرين أيضاً: ولا يمر سوى شهر واحد حتى يرسل المعتمد البريطاني رسالة أخرى حول تهريبة جديدة، وجاء في رسالته للشيخ أحمد بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٤٢م (٩ شعبان ١٣٦١هـ): (قد استلمت رسالة برقية من المعتمد السياسي في البحرين بها يخبرني بأنه قد جرى تهريب قطع (مطول) ذهب من البحرين بواسطة.......... كويتي في سفينة شراعية كويتية عائدة إلى..........، وقد سافرت السفينة المذكورة منذ بضعة أيام إلى الكويت).

فرد الشيخ أحمد بعد يومين يفيد بعدم وجود شخص كويتي يحمل الاسم الذي ذكره المعتمد، وأن اسم صاحب السفينة ليس صحيحاً، ولكن هناك سفينة عائدة لشخص يحمل اسماً مشابهاً

وصل الكويت قادماً من البحرين قبل خمسة أيام، وكانت محملة (دهن عمل، وتتن، ونورة).

٤- سفينتان شراعيتان من الهند هذه المرة حيث يتغير المعتمد، ويعين المستر بلي في محله، وتستمر المكاتبات، وهذه المرة مصدر البرقية من الهند مباشرة، فيرسل المعتمد في ٢٤ أبريل ١٩٤٤م (غرة جمادى الأول ١٣٦٣هـ) رسالة جاء فيها: (قد أبرق إليّ رئيس سكرتارية صاحب السعادة حاكم الهند مخبراً بأن السفينة الشراعية المسماة (تيسير)، والتي نوخذاها هو .... غادرت بومباي بتاريخ ١٧ أبريل أو نحو ذلك التاريخ، ومع السفينة ١٥ ألف جنيه ذهب، وتنقل هذه الجنيهات إلى البصرة عن طريق الكويت).

فيرد الشيخ أحمد بعد خمسة أيام مفيداً بأنه أمر الدائرة المختصة أن تراقب وصول السفينة، والتفتيش عليها تفتيشاً دقيقاً، وسوف تصادر الجنيهات إن وجدت.

وفي ٨ مايو يرسل المعتمد مخبراً عن سفينة شراعية أخرى من نوع البغلة، واسمها (منتصر) تحمل ١٤ ألف قطعة جنيه ذهب، وأنها تنوي تهريبها إلى البصرة عن طريق الكويت، وكان رد الشيخ مماثلاً لرده على الرسالة السابقة.

وفي ١٣ يونيو بعث الشيخ أحمد رسالة للمعتمد يخبر فيها عن وصول السفينة (تيسير) إلى ميناء الكويت، وقد فتش عليها تفتيشاً دقيقاً، ولم يعثر على شيء من الجنيهات بينما لم تصل السفينة الثانية حتى الآن.

٥- إعلان من مديرية الأمن: في ٢٦ رمضان ١٣٦٢هـ (٢٦ سبتمبر ١٩٤٣م) أصدرت مديرية الأمن العام بالكويت بياناً تحذيرياً جاء فيه: (بأمر حضرة صاحب السمو حاكم البلاد المعظم. تعلن هذه الدائرة للجمهور عامة، ولنواخذة السفن وملاحيها، ومرتادي الأسواق الهندية خاصة أنه يجب على الجميع مراعاة جميع النظم المتبعة هناك في تحاشي القيام بأي عمل يخل بنظام القوانين المرعية كمحاولة تهريب الذهب، وتصديره بطريقة غير شرعية، ومن يحاول مثل هذا العمل سيكون عرضة للمصادرة، والسجن، والغرامة مع العلم أن السلطات المحلية هنا ستتخذ أدق الإجراءات لمراقبة من تسول لهم أنفسهم مخالفة ذلك).

٦- منع سفر بعض التجار: في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٤م (١٠ شوال ١٣٦٣هـ) أرسل المعتمد البريطاني للشيخ أحمد الجابر قائمة بستة عشر اسماً من أشهر تجار الكويت مفيداً بأن حكومة الهند قد أمرت المعتمد بعدم إصدار أوراق السفر (الجواز) إلى الهند لأي واحد منهم لأنهم قد اشتغلوا،

وتدخلوا في الأعمال غير المشروعة، ويعني تهريب الذهب.

وأفاد أنه أصدر سابقاً أوراق سفر لأربعة من هؤلاء التجار قبل وصول هذا المنع، ورجا الشيخ أحمد أن يأمرهم بإعادة هذه الأوراق لإلغاء تأشيرات دخولهم إلى الهند خصوصاً، وأن هؤلاء الأربعة مازالوا في الكويت، وبالفعل تم إعادة أوراق ثلاثة من هؤلاء التجار بينما كان الرابع مسافراً، ويبدو أن المعتمد سمع بعد عدة أشهر عن نية الشخص الرابع الذي لم يرجع جواز سفره للمغادرة إلى الهند، فطلب المعتمد في ١١ أغسطس ١٩٤٥م (٢ رمضان ١٣٦٤هـ) اسم البوم الذي سوف يغادر به الشخص الرابع، والذي كان نوخذاه معروفاً، فأفاد الشيخ أحمد بأن اسم البوم هو (ممتاز)، وقد أمر الشخص بعدم مغادرة الكويت بناء على طلب المعتمد.

٧- محاولتان لتهريب الذهب: في ٣٠ يونيو ١٩٤٥م (١٩ رجب ١٣٦٤هـ) بعث المعتمد البريطاني رسالة للشيخ أحمد جاء فيها: (قد اكتشفت محاولتين واسعتي النطاق لتهريب الجنيهات الذهبية، والمصوغات الذهبية، وغيرها من البضائع التجارية الممنوعة من الهند، وقد جرى اكتشاف تلك المحاولتين من قبل جابي الكمارك في بومباي، وقام بالمحاولة الأولى البوم المدعو (موفق)، والذي نوخذاه ....، وهو ملك ....، و..........، وجميعهم من أهل الكويت، وذلك بتاريخ ٩ و١٠ فبراير ١٩٤٥م، وقد قبض على (١٦٠٦) جنيهاً ذهبياً، وعلى ما ثمنه (٤٥٠٠) روبية من المصاغ الذهبي، والبضائع التجارية الممنوعة.

وكانت المحاولة الثانية التي قام بها البوم المسمى (فتح الرحمن)، والذي نوخذاه هو ....، وهو ملك .... من أهالي الكويت، وذلك بتاريخ ٢ و١٠ مارس ١٩٤٥م، وقد اكتشف الكمرك في البوم المذكور (١١٩٨٩) جنيهاً ذهبياً، وكذلك مصوغات ذهبية، وبضائع تجارية ممنوعة تقدر قيمتها بـ ١١٨٠ روبية).

وختم المعتمد رسالته بالقول: (لربما سموكم ترغبون بإنزال العقاب بهؤلاء الأشخاص، وبالذين يعاضدونهم لعدم طاعتهم أوامر سموكم).

وتفاعلاً مع هذا الموضوع بعث الشيخ عبد الله المبارك مدير الأمن العام خطاباً للشيخ أحمد الجابر بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٦٤هـ (٣٠ يوليو ١٩٤٥م) قال فيه: (لقد أجرينا التحقيقات اللازمة، واتضح لنا أن البوم الأول صودرت محتوياته، وغرم عشرة آلاف روبية جزاء مخالفته للنظام، ومالكه الحقيقي.......... مسافر الآن خارج الكويت، وعند وصوله سنجري اللازم. أما البوم الثاني، فقد

صودرت محتوياته في الهند، ومحجوز هناك للآن بعد أن فرض عليه غرامة (خمسة وعشرين ألف روبية)، ولم يتمكن من دفعها كما أن النوخذا، وملاحيه لم يصلوا إلى الآن).

٨- غرامة التهريب: وفي ٧ أكتوبر ١٩٤٥م (٢٩ شوال ١٣٦٤هـ) بعث المعتمد البريطاني للشيخ أحمد خطاباً يخبره عن حادثة أخرى، فيذكر أن (أحد الرعايا الكويتيين المدعو.......... عثر عليه، وهو يحاول تهريب مبلغ ٦٥٠ جنيهاً ذهبياً إلى خارج الهند، وقد صودرت كمية الجنيهات التي عثر عليها أما صاحبها، فقد أعطي الخيار بين أمرين، وهما أن يدفع مبلغ ٣٢ ألف روبية غرامة عوضاً عن مصادرة المال أو أن تتم مصادرة المال المذكور).

٩- ميت على صخور الساحل: وبعث المعتمد في ١٦ يناير ١٩٤٦م (١٢ صفر ١٣٦٥هـ) برسالة للشيخ أحمد الجابر يخبر عن حادثة تهريب جديدة، فيقول: (أخبرني جابي الكمارك في كاليكوت بأن رجلاً عربياً يشك بأنه أحد بحرية السفينتين (تيسير أو فتح الخير) وجد ميتاً على صخور الساحل هناك، وقد وجد معه مبلغ ألف روبية، وثمانين جنيه ذهب).

وبعد مراسلات للاستقصاء عند هذا الرجل الميت أفاد الشيخ أحمد بأن البحار المذكور كان من بحرية السفينة (منتصر)، ومن واقع شهادة مكتوبة من نوخذا السفينة أفاد أن البحار، واسمه (محمد سليمان) قبل سفرهم من النيبار بأيام قليلة: (شرد من عندنا، واستفسرنا عنه، ولا حصلناه، وأعتقد أنه ركب مع غيرنا).

١٠- محاولة لتهريب الذهب: وفي ٢٨ يناير ١٩٤٦م (٢٤ صفر ١٣٦٥هـ) يرسل المعتمد البريطاني رسالة جديدة للشيخ أحمد يخبره عن كشف محاولة تهريب جديدة، وجاء في رسالته قوله: (أتشرف أن أعلم سموكم بأنه جرت محاولة لتهريب (١٠٠١٧) جنيهاً ذهبياً إلى خارج الهند في شهر نوفمبر ١٩٤٥م، وقد قام بتلك المحاولة النوخذا .... نوخذا البوم (جود الكريم)، فرد الشيخ بأنه أمر بالتحقيق مع النوخذا المذكور.

١١- أوصاف مهرب: في ٦ يوليو ١٩٤٦م (٦ شعبان ١٣٦٥هـ) بعث المعتمد برسالة جديدة يخبر عن (شخص يدعى.......... حمّال كويتي مطلوب حضوره في كاليكوت عن تهريبه الجنيهات الذهبية، ومصوغات يبلغ ثمنها (٨٢٠٢٠٩) روبية من الهند البريطانية، ويقال أن المتهم هرب متخفياً إلى البلاد العربية في أول فبراير ١٩٤٦م، ويبلغ نحو ٣٥ سنة من العمر، وطوله ٥ أقدام، و٥ بوصات، ووزنه ١١٥ رطلاً)، ويطالب المعتمد بإجراء التحريات عما إذا كان الشخص

قد وصل إلى الكويت؟)، وقد أفاد مدير الأمن العام بعدم العثور على شخص يحمل الاسم المذكور.

* * *

وأخيراً، فهذه ظاهرة في تاريخ الكويت مر عليها أكثر من نصف قرن من الزمان لم نر أنها نالت حقها من تسليط الضوء، وهي بالتأكيد تعرفنا على جانب من جوانب مصارعة الأسلاف لتأمين حياتهم في ظل شظف العيش، وضعف الموارد الاقتصادية قبل أن يظهر النفط، وتعم خيراته البلاد والعباد، فيغنيهم الله من فضله، ورزقه العميم.

تاريخ الكويت في الأرشيف العثماني

طوال ثمانين عاماً مضت، وأكثر، والمحاولات الصادقة تتوالى لكتابة التاريخ الكويتي، وتدوينه ليكون شاهداً على رحلة الكفاح الطويلة التي عاشتها هذه البلاد من أجل الوصول إلى حاضرها المزدهر، ومستقبلها المبشر بالخير.

وباعتقادي أن كتابة (تاريخ الكويت) مرت حتى الآن بثلاث مراحل نلخصها في الآتي:

* المرحلة الأولى:

اتسمت بالاعتماد على المصادر المحلية، والروايات الشفوية، وبعض ما تيسر من المصادر القريبة، وبدأها الشيخ عبد العزيز الرشيد مؤرخ الكويت الرائد بكتابه (تاريخ الكويت) الذي صدر سنة ١٩٢٦م، وجاءت بعده مؤلفات أخرى على نفس النسق لعل أشهرها: كتيب (صفحات من تاريخ الكويت) للشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وكتاب (من تاريخ الكويت) لسيف مرزوق الشملان، وكتاب (من هنا بدأت الكويت) لعبد الله الخالد الحاتم، وكتاب (الموسوعة الكويتية المختصرة) لحمد السعيدان، وجزء الكويت من كتاب (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) للشيخ محمد بن خليفة النبهاني بغض النظر عن التراتب الزمني لصدور هذه الكتب، والحقبة الزمنية التي استغرقتها للصدور من العشرينيات إلى السبعينيات لتتداخل زمنياً مع إصدارات المرحلة الثانية التي سأتحدث عنها لاحقاً.

* المرحلة الثانية:

هي المرحلة التي دشنت بعد استقلال الكويت عن بريطانيا سنة ١٩٦١م بتشكيل لجنة حكومية لكتابة تاريخ الكويت، وأوكلت هذه المهمة للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة الذي استفاد للمرة الأولى من الوثائق الأوربية (البريطانية، وغيرها)، والوثائق المصرية في إضاءة جوانب عديدة من التاريخ الكويتي.

وفي هذه المرحلة ظهرت كتب مهمة أخرى لعل أبرزها كتاب (تاريخ الكويت السياسي) لحسين خلف الشيخ خزعل الذي استفاد من المصادر الأحوازية، والعراقية، والنجدية في كشف جوانب من تاريخ الكويت، وتوالت الكتب التي استفادت من الأرشيفات الأوربية، وظهر النفس الأكاديمي في

تناول هذا الموضوع كما نراه في دراسات الدكتورة ميمونة العذبي الصباح، وغيرها من الأكاديميين الذي بذلوا الجهود لإكمال كتابة التاريخ الكويتي، ودراسته بمنهج علمي.

* المرحلة الثالثة:

هي المرحلة التي بدأت بعد تحرير الكويت من الاحتلال البغيض حيث شكلت الكويت بؤرة اهتمام عالمي مما دعا لصدور الكثير من الدراسات في تاريخ الكويت داخل وخارج الكويت، ولاشك بأن إنشاء (مركز البحوث والدراسات الكويتية) عقب التحرير، وسيل الإصدارات التي مازال يوالي تقديمها للمكتبة الكويتية، وتناول جوانب عديدة من تاريخ الكويت السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والفلكلوري أدى إلى توافر زخم معلوماتي أمام الباحث المختص، والقارئ العادي لمعرفة ماضي الكويت.

* * *

* الأرشيف العثماني:

رغم هذه الجهود إلا أننا مازلنا في الكويت نعاني من قصور في الاستفادة من منبع مهم للمصادر التاريخية المتعلقة بالكويت، ونعني (أرشيف الوثائق العثمانية)، وهو قادر إن استطعنا استنطاقه على كشف جوانب غامضة من تاريخ الكويت خاصة وأن الدولة العثمانية كانت متواجدة في المنطقة منذ القرن العاشر الهجري (أي قبل التكوين السياسي للكويت)، وحتى الحرب العالمية الأولى في القرن الرابع عشر الهجري، ولاشك بأن تقارير ولاة العثمانيين، وموظفيهم طوال أربعة قرون قادرة على رفدنا بزخم معلوماتي لا غنى عنه.

فقط.. علينا أن نتجاوز بعض النقاط في سبيل تحقيق هذه الغاية، ونلخصها في ضرورة توفر رغبة حكومية في الاستفادة من هذه المصادر نظراً لأن دخول الأرشيف العثماني، والاستفادة منه، وتصوير ما يهمنا من وثائق، وترجمتها من اللغة العثمانية (شبه الميتة حالياً)، ودراستها يحتاج إلى دعم رسمي مادي ومعنوي يعجز عنه الباحث المنفرد.

بالإضافة إلى تجاوز الحساسية المفرطة من بعض الأمور التي تدعيها الوثائق العثمانية من محاولات لبسط السيطرة على الكويت، وعبارات المجاملة التي ترد في بعض المخاطبات الرسمية بفهم أن الدولة العثمانية كانت تعتبر في ذلك الوقت دولة الخلافة الإسلامية، وتعد نفسها وريثة للدولة العباسية، وبالتالي، فكانت تقسم كل العالم الإسلامي إلى ولايات وأقضية تابعة لها حتى تلك التي

لم تستطع السيطرة عليها، وقراءة سريعة لخارطة التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية نجدها تفترض وجود سيطرة لها على الكويت رغم أنها لم تتمكن من التواجد العسكري على أرض الكويت، وتفترض أيضاً وجود (لواء نجد)، وتضم فيه أقضية من المدن والقرى النجدية التي كانت مستقلة عن تركيا تماماً في الوقت الذي لم تكن سلطات الأتراك تستطيع مغادرة ثكناتها في الهفوف ناهيك عن ادعائها السيطرة على مصر وبلاد المغرب العربي رغم وجود الاستعمار الانكليزي، والفرنسي، والأسباني في تلك البلاد!

كما أن عبارات التفخيم، والألقاب الرسمية التي ترد في المخاطبات الرسمية، ورفع العلم العثماني في الكويت لم تكن تتعدى أخلاقيات الالتزام الديني، وليس السياسي، وذلك بالاحترام للسلطان العثماني باعتباره خليفة للمسلمين، وليس فيها ما يخدش استقلال الكويت ناهيك عن كون كل العالم الإسلامي تقريباً كان ينظر بهذه النظرة للسلطان العثماني مع وضع طبيعة ذلك العصر في الاعتبار، وفهم لغة المخاطبات الرسمية في تلك الحقبة.

وأنا هنا لا يفوتني أن أشير إلى وجود بعض الجهود للاستفادة من الأرشيف العثماني في بعض الدراسات الحديثة عن تاريخ الكويت مثل كتاب (بيان الكويت) للدكتور الشيخ سلطان القاسمي، ودراسات الدكتور فيصل الكندري، والدكتور بهاء الإبراهيم، والدكتور سهيل صابان، وغيرهم.

وبمناسبة الاسم الأخير (الدكتور سهيل صابان)، وهو أستاذ تركي يتقن العربية، ويعيش في المملكة العربية السعودية، وقدم العديد من الدراسات المهمة بخصوص تاريخ المملكة، والجزيرة العربية عموماً مستفيداً من الأرشيف العثماني أنوه إلى ما ذكره في كتابه (الجزيرة العربية: بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية) الصادر عن مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ٢٠٠٥م من أن الأرشيف العثماني يعد بكراً في وثائقه الكثيرة المتناولة لمختلف الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزيرة العربية والخليج.

وهنا يقدم د. صابان نصيحة لطيفة حين يقول: (إن الباحث العربي عندما يشرع في قراءة الوثيقة العثمانية ينبغي أن يقرأها على أنها وثيقة عربية كتبت بخط سيء، وليست عثمانية، فكثير من كلماتها عربية، وسيفهم موضوع الوثيقة بشكل عام في القراءة الأولى الدقيقة، وليست القراءة السطحية، فإذا فهم من الوثيقة ثلاثين إلى أربعين في المئة في تلك القراءة الأولى، فإن هذه النسبة قد تزداد عشرة في المئة في القراءة الثانية، والثالثة، وهذا مكسب كبير للباحث حتى لا يضيع الوقت في البحث عن مترجم)!

أما خصائص الوثائق العثمانية، فيوجزها د. صابان من ناحيتي الشكل والمضمون بعدة أمور منها: استخدام ألفاظ، وعبارات مجاملة مهذبة مهما كان شأن المخاطب أو منصبه إلا ما ندر، والإيجاز، والاختصار مع عدم الإخلال بالمعنى، ولا سيما في المراسيم السلطانية، وطول الجمل، وبلاغتها، وخلوها من الأخطاء النحوية، والصرفية إلا في بعض الأمور مثل أسماء المواقع، والشخصيات العربية، والدقة في التأريخ، والصدق، والموضوعية لكونها لم تدوّن في الأصل للنشر أو الدعاية بل لإعلام الباب العالي بواقعة معينة، وطلب الرأي منه بكيفية التصرف حيالها.

وكذلك تتميز الوثيقة العثمانية بوجود العديد من المصطلحات التي يجب على الباحث الإلمام بها لفهم معناها، وضرب لذلك مثلاً بمصطلح (العلوفة)، والذي قد لا يتبادر للقارئ بأن معناه هو رواتب العساكر، وقد اشتق من كونه في الأصل كان يقدم لشراء علف لحصان العسكري.

ويوضح د. صابان أيضاً أن هذه الوثائق كتبت، وأعدت في الغالب من أفراد الجيش العثماني (الضباط، والمفتشين) أو الإداريين، ولذا كانوا مضطرين لتقديم معلومات صحيحة في تقاريرهم لأنها تتعلق بأمن الدولة في هذه المنطقة، واستمرار وجودها كما أنها مادة علمية جاهزة للباحثين الراغبين في دراسة تاريخ الجزيرة العربية، وإجراء مقارنة بينها، وبين المصادر التاريخية المعاصرة لها.

ويشير د. سهيل صابان في كتابه أن الدفاتر والسجلات المحفوظة بالأرشيف العثماني موزعة على أكثر من ٤٥ نوعاً، ومن أهمها فيما يخص الجزيرة العربية: (دفاتر الصرة، ودفتر التعينات، ودفاتر الصادر والوارد لولايات الجزيرة العربية، ودفاتر المهمة).

أما كيفية الاستفادة من الأرشيف العثماني، فيقدم صابان هذا الإرشاد، فيقول: (يتقدم الباحث إلى إدارة الأرشيف الواقع في مدينة إستانبول بالقرب من مسجد السلطان أحمد في حي جغال أغلو بطلب يذكر فيه الموضوع الذي يريد البحث فيه بشرط أن يكون الموضوع محدداً زماناً ومكاناً، وبعد مرور يومين في الغالب تصدر الموافقة من المدير العام للأرشيف، ويبدأ الباحث بعد ذلك بطلب الوثائق. ثم يدوّن المعلومات، وذلك بكتابة اسم التصنيف، ويفضل أن يكون ذلك مختصراً. ثم رقمه، فاسم الباحث، فالتاريخ في بطاقة مخصصة لذلك، ويسلم الوثيقة إلى المسئول، ويراجع في اليوم الثاني ليتسلم الوثيقة، وفي حال رغبة الباحث بالحصول على صورة منها يسجل المعلومات الخاصة بالوثيقة في الاستمارة المعدة لها، ويسلمها للمسئول ليتسلم المصورات في اليوم الثاني أو الذي يليه).

وفي كتابه السالف الذكر قدم الدكتور صابان بحثاً بعنوان (الكويت في وثائق الأرشيف العثماني) جاء في أربعين صفحة قدم من خلاله تعريفاً ببعض الوثائق المتعلقة بالكويت، والموجودة في الأرشيف العثماني، وفيما يلي نقدم اختصاراً لبعض ما ذكره علماً بأن علينا أن نضرب عدد هذه الوثائق بمئة على الأقل لنعرف كم الوثائق التي تعني الكويت في الأرشيف العثماني.

وفيما يلي إشارة لتواريخ ومحتويات بعض الوثائق التي عرف بها الدكتور سهيل صابان:

– ١١ محرم ١٢٣٤هـ (١٨١٨م): إرسال شيخ الكويت خطاباً إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد الرزاق الذي أرسله بدوره إلى والي بغداد وضح له فيها ما آلت إليه الأوضاع في الدرعية من قيام إبراهيم باشا بهدمها، وتخريبها.

– ١٩ شوال ١٢٦٧هـ (١٨ أغسطس ١٨٥١م): وثيقة حول كيفية إزالة الخلافات الموجودة بين شيوخ المحمرة، والكويت، وجزيرة الحلة، والدواسر.

– ٢٤ محرم ١٢٧٣هـ (٢٦ سبتمبر ١٨٥٦م): وثيقة حول الاحتلال الذي قام به الانكليز في الخليج، والأوضاع العامة في الكويت، والمناطق المجاورة إزاءه.

– ١٣ ربيع الثاني ١٢٧٦هـ (١١ نوفمبر ١٨٥٩م): وثيقة حول تنصيب الشيخ صباح الابن الأكبر للشيخ جابر شيخاً على الكويت عقب وفاة والده الشيخ جابر آل صباح.

– ١١ ذي القعدة ١٢٨٨هـ (٢١ فبراير ١٨٧٢م): برقية مدحت باشا عن الأوضاع العامة في نجد، والكويت، والمناطق المجاورة لهما.

– ٢٠ رجب ١٢٨٩هـ (٥ أكتوبر ١٨٧١م): وثيقة تبين أن شيخ الكويت عبد الله آل صباح قد حضر مع الفرقة العسكرية بسبعين أو ثمانين سفينة في ميناء القطيف، وأن أخاه مبارك قد قدم خدمات جلى مع فرقته الحربية في البر مجاناً، ولو لزم الأمر تقديم مبالغ مالية لهم لاقتضى منح أربعة أحمال أو خمسة من النقود إليهم مقابل خدماتهم تلك.

– ١٥ ذي الحجة ١٢٨٩هـ (٢٥ فبراير ١٨٧٢م): تقرير آخر رفعه مدحت باشا والي بغداد إلى الباب العالي حول الأوضاع العامة في الكويت، وعدد سكانها، ومنازلها البالغة حوالي خمسة آلاف منزل.

– ١١ شوال ١٢٩٥هـ (٩ أكتوبر ١٨٧٨م): وثيقة تتعلق بتكريم شيخ الكويت عبد الله آل

صباح، وطلب المساعدة منه في التوجه إلى القطيف بالعتاد، والرجال.

– ٢٣ ربيع الآخر ١٣٠٤هـ (١٩ يناير ١٨٨٧م): وثيقة تدعو لتشغيل سفن بين الكويت، والفاو، والبحرين، والقطيف، وقطر للتمكن من حركة الملاحة البحرية، وتسهيل الموصلات بين السواحل من خلال شركة ملاحة عثمانية.

– ١٣١٢هـ (١٨٩٥م): وثيقة حول الأعمال التي قام بها القنصل الانكليزي في بندر بوشهر، ومنها إدخال الأسلحة، وبيعها في سواحل الخليج، والكويت.

– ذو الحجة ١٣١٧هـ (أبريل ١٩٠٠م): توجيه منصب أمير الأمراء للشيخ مبارك آل صباح، ومنحه الوسام المجيدي من الدرجة الثانية.

– جمادى الثانية ١٣١٨هـ (أكتوبر ١٩٠٠م): المرسوم السلطاني الصادر بمنح الشيخ مبارك آل صباح وسام الامتياز الذهبي والفضي.

– ١٧ ذي الحجة ١٣١٨هـ (٧ أبريل ١٩٠١م): المصادمة التي جرت بين ابن الرشيد ومبارك آل صباح، وتفصيلاتها.

– ٢٤ جمادى الأولى ١٣١٩هـ (٩ سبتمبر ١٩٠١م): محاضر جلسات اللجنة الخاصة حول خطة لوراندو وتوبينو التي تقضي باحتلال الكويت من قبل الانكليز.

– ٢٥ جمادى الأولى ١٣١٩هـ (١٠ سبتمبر ١٩٠١م): وثيقة تتعلق بإسداء النصح لكل من مبارك آل صباح بتوفير الأمن، ولابن رشيد بالتخلي عن التجاوز على حقوق الغير.

– ١٢ جمادى الثانية ١٣١٩هـ (٢٧ سبتمبر ١٩٠١م): تقارير حول المباحثات التي جرت بخصوص الكويت.

– ١٨ رجب ١٣١٩هـ (١ نوفمبر ١٩٠١م): ما نشر في صحيفة (Allgoneine Zeitung) عن الكويت، والسفن الانكليزية في خليج البصرة.

– ٢٨ شعبان ١٣١٩هـ (١٠ سبتمبر ١٩٠١م): وثيقة تتعلق بإسداء النصح لولاية البصرة بعدم القيام بعمل مخالف نحو الشيخ مبارك آل صباح بعد إفادات نقيب البصرة للمذكور.

– ٥ رمضان ١٣١٩هـ (١٧ ديسمبر ١٩٠١م): ملاحظات مقسيموف المترجم الأول بالسفارة الروسية على البرقية التي وردت من القنصل في البصرة حول المسألة الكويتية.

– ٩ رمضان ١٣١٩هـ (٢١ ديسمبر ١٩٠١م): المعاهدة التي عقدت بين الدولة العثمانية، وبين الانكليز، وبعض ملاحظات السفير الروسي عليها.

– ١٨ رمضان ١٣١٩هـ (٣٠ ديسمبر ١٩٠١م): معلومات عن ابن رشيد ومبارك آل صباح.

– ٢٢ رمضان ١٣١٩هـ (٣ يناير ١٩٠٢م): برقية ولاية البصرة حول وجود سفينة حربية روسية في الكويت.

– ١٣ شوال ١٣١٩هـ (٢٤ يناير ١٩٠٢م): تقرير عن وصول السفينة الحربية الروسية (وارياك) إلى الكويت، وقيام القنصل مع خيالته بالالتقاء مع الشيخ مبارك آل صباح.

– ٨ ذي القعدة ١٣١٩هـ (١٨ فبراير ١٩٠٢م): مكاتبات سفارة الدولة العثمانية في لندن حول الخطاب الذي ألقي في مجلس المبعوثان العثماني بشأن الكويت.

– ١٠ ذي القعدة ١٣١٩هـ (١٩ فبراير ١٩٠٢م): تقرير حول استعدادات الشيخ مبارك لقتال ابن الرشيد، وتسليحه للرجال المشاة، والخيالة المدججين ببنادق المارتيني، والتدابير التي ينبغي على الدولة اتخاذها في هذا الصدد.

– ١٩ جمادى الثانية ١٣٢٢هـ (١ سبتمبر ١٩٠٤م): صدور العفو عن عبد العزيز بن سالم (البدر القناعي) نائب شيخ الكويت في البصرة.

– ١ رمضان ١٣٢٢هـ (١٠ نوفمبر ١٩٠٤م): محررات ولاية البصرة حول إخراج الأشرار من أملاك الشيخ مبارك آل صباح (في الفاو)، وتعيين المندوبين، والمحافظين المعروفين من لدن الدولة العثمانية محلهم، وتطييب خاطر الشيخ مبارك.

– ٣ ذي الحجة ١٣٢٢هـ (٩ فبراير ١٩٠٥م): تقرير حول توجه الأمير عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ مبارك آل صباح أمير الكويت مع بعض شيوخ القصيم.

– ١٦ محرم ١٣٢٣هـ (٢٤ مارس ١٩٠٥م): تقرير حول الأعمال والتحركات التي يقوم بها الانكليز في بلد الكويت، والمناطق المجاورة لها، والأعلام الانكليزية التي نصبت على المسكن الخاص بالشيخ مبارك الصباح المسمى بالجهراء، والاتصالات التي أجريت مع الخارجية البريطانية في هذا الصدد.

– ٢٤ صفر ١٣٢٣هـ (٣٠ أبريل ١٩٠٥م): تقرير حول إرسال الشيخ مبارك آل صباح،

وسليمان شبلي أسلحة ومؤناً إلى القصيم.

– ١٣ رجب ١٣٢٣هـ (١٤ سبتمبر ١٩٠٥م): تقرير حول العلاقات بين الشيخ مبارك آل صباح، وابن سليم، وأبا الخيل شيخي عنيزة وبريدة.

– ٢١ شوال ١٣٢٣هـ (١٩ ديسمبر ١٩٠٥م): تقرير يذكر أن العساكر الأتراك الفارين من القصيم وصلوا إلى الكويت.

– ٨ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ (١٩ مايو ١٩١٠م): تقرير عن اعتماد الحكومة الانكليزية لمبعوث سياسي لها في الكويت، وإجراء معاملة مختلفة عن ذلك مع القناصل الآخرين، وطلب التصديق عليها من الباب العالي.

– ١١ جمادى الثانية ١٣٢٨هـ (٢٠ يونيو ١٩١٠م): تقرير عن استفادة انكلترا من النزاع بين مبارك آل صباح وابن رشيد مع سعدون باشا (شيخ المنتفق)، واستغلال ذلك لاحتلال المنطقة، وما يجب أن يتخذ في هذا الصدد من تدابير.

– ٢٨ صفر ١٣٢٨هـ (١٢ مارس ١٩١٠م): تقرير عن تأهب الشيخ مبارك مع سعدون باشا للقتال، والتدابير التي رأت ولاية البصرة اتخاذها في هذا الصدد، والمعركة التي وقعت بين الطرفين، وما نشب عنها من أحداث بين الأطراف المعنية، والتدخل الانكليزي المحتمل في الوضع، وموقف الدولة العثمانية من ذلك.

– ١٨ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ (١٧ يونيو ١٩١١م): تقرير حول ضرورة تدوين كافة المعلومات في أوراق الحجر الصحي عن السفن القادمة من الكويت وإليها، وتسجيل مكان قدومها، وجهة توجهها، والبضائع التي تحملها.

– صفر ١٣٣١هـ (يناير ١٩١٣م): تقرير بشأن الإعانة المالية التي قدمها الشيخ مبارك آل صباح، وأهالي البحرين إلى الهلال الأحمر العثماني.

– ٤ جمادى الأولى ١٣٣٢هـ (١ مايو ١٩١٤م): منح الشيخ مبارك آل صباح الوسام العثماني من الدرجة الأولى بسبب توسطه في عقد المعاهدة بين الدولة العثمانية والأمير عبد العزيز آل سعود.

– ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٣هـ (٩ أكتوبر ١٩١٥م): تقرير حول ما كتبته صحيفة الأهرام عن

حصول عقد محكم بين الشيخ مبارك الصباح، والشيخ خزعل خان، والأمير عبد العزيز آل سعود، والسيد طالب النقيب، وأن الجهود تبذل الآن لإيجاد حسن تفاهم وإصلاح ذات البين بين ابن رشيد والأمراء الآخرين.

* * *

وإلى هنا نكتفي بما سبق مما أورده الدكتور سهيل صابان عن الوثائق العثمانية المتعلقة بالكويت، وهو ما يعيد التأكيد بضرورة الالتفات إلى هذا المنبع المهم في استجلاء أحداث التاريخ الكويتي، وهي المهمة التي نتمنى أن يتم الالتفات إليها بشكل جاد، ودراستها بمنهج أكاديمي موسع.

الشعر.. مصدرا لتاريخ الكويت

تأخر الكويتيون في تدوين تاريخ بلادهم، وهي الخطوة التي لم تبدأ إلا بعد مرور أكثر من قرنين على تأسيس كيانهم السياسي، وجاء في الخطاب الذي رفعه المؤرخ عبد العزيز الرشيد لأمير البلاد وقتئذ الشيخ أحمد الجابر اعتراف بهذا القصور حينما كتب ما نصه: (غير خاف على سيادتكم أن ضبط تاريخ الوطن، وحفظ وقائع، وحوادث حكامه وأخبارهم من الواجبات المهمة على أبنائه، ومن أعظم ما ينبغي لهم أن يقدموه على ما سواه، وبما أني أيها الأمير الخطير لم أر من قام بهذا الواجب، فقد أخذت على نفسي القيام به، وتحمل المشقات في سبيله).

ولم يشر الرشيد إلى وجود محاولات سابقة لتدوين تاريخ الكويت قبل كتابه المطبوع سنة ١٩٢٦م، ولم يشر غيره لشيء من ذلك مما يدل على صحة قولنا بهذا القصور، وهذا التأخير، وكذلك هذه الريادة.

وبعد كتاب الرشيد الذي كان عملاً مهماً وتأسيسياً رائداً، ولكنه لم يكن كافياً لقلة المصادر الموجودة بين يديه وقتئذ جاءت جهود أخرى لعل أبرزها جهد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه المختصر (صفحات من تاريخ الكويت)، وجهد سيف مرزوق الشملان في كتابه (من تاريخ الكويت)، والجهد قليل الفائدة الذي ارتجله محمد النبهاني في جزئه عن الكويت في تحفته النبهانية، وكتاب (مختصر تاريخ الكويت) الذي أصدره راشد الفرحان سنة ١٩٦٠م.

وجاءت الرعاية الحكومية لهذا المسعى من خلال تشكيل لجنة لدراسة وكتابة تاريخ الكويت سنة ١٩٥٩م، وكانت برئاسة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح أمير البلاد الحالي، واستقر الرأي سنة ١٩٦٥م على الاستعانة بالدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة الذي أصدر كتاباً عن تاريخ الكويت في عدة أقسام ثم نقحها في وقت لاحق ليصدر كتاب (تاريخ الكويت الحديث) بعد وقت طويل نسبياً سنة ١٩٨٤م، وقد رافق ذلك جهد منفرد قام به حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه (تاريخ الكويت السياسي) الذي صدر في خمسة أجزاء، وكذلك عبد الله الحاتم في كتابه (من هنا بدأت الكويت).

وبعد هذا البدايات، وبمرافقتها أيضاً انطلقت عجلة البحث في تاريخ الكويت، ومازالت الجهود

مستمرة إلى يومنا هذا، ولا يفوتني هنا التنويه بجهود (مركز البحوث والدراسات الكويتية) الذي كوّن خلال الـ ١٥ عاماً الماضية مكتبة رائعة من الإصدارات المهمة في تاريخ الكويت السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والإداري، والأدبي.

وهنا أوجه دعوة للباحثين في التاريخ بشكل عام، وتاريخ الكويت خاصة لتنويع مصادر بحثهم، وألا يقتصروا بحثهم على المظان المتوقعة للمعلومة، وألا يحقروا مصدراً مهما بَعُد موضوعه عن نطاق بحثهم، فكم من معلومة تاريخية هامة عثر عليها في مصدر لا علاقة له بالتاريخ.

ومن أمثلة ذلك مما واجهني شخصياً من عثوري على تفصيلات مهمة عن غزوة تعرضت لها الكويت سنة ١٩٠٢م (١٣١٩هـ) من خلال رسالة خاصة مبعوثة من تاجر كويتي لقريبه في البحرين، ومعرفتي لمعلومات جديدة عن شاعر عامي من خلال وثيقة بيع دكان في بلدة الزبير سنة ١٢٣٧هـ (١٨٢٢م)، واكتشافي لعدد من شعراء النبط القدماء المجهولين مع نصوص جيدة من شعرهم في كتاب عن أنساب العلويين مطبوع في إيران.

* * *

* أنواع المصادر التاريخية:

أمام الباحث التاريخي خاصة في تاريخ الكويت أنواع متعددة من المصادر نوجزها فيما يأتي:

– الكتب، والدراسات التاريخية المطبوعة، والبحوث المنشورة حول تاريخ الكويت أو جوانب تتعلق به.

– تواريخ الدول المجاورة للكويت أو القريبة منها بالإضافة إلى تواريخ الإمبراطوريات الاستعمارية، والدول الكبرى المتقاطع تاريخها مع تاريخ الكويت.

– كتب الرحلات، والمعاجم الجغرافية.

– الرسائل الدينية، ومراسلات العلماء، والصكوك الشرعية والقضائية.

– الأشعار (العامي منها، والفصيح)، والنصوص الأدبية الأخرى.

– العملات، والآثار، وشواهد القبور، وما شابه.

– الوثائق الرسمية للكويت، والدول المجاورة، ووثائق الدول الاستعمارية خاصة (بريطانيا،

والدولة العثمانية)، وبمرتبة أقل الوثائق (الهولندية، والبرتغالية، والفرنسية، والأميركية، والمصرية).

– الوثائق المحلية من رسائل خاصة، ومذكرات، وصكوك بيع، ووصايا إرث، وروزنامات بحرية، وما شابه.

– المخطوطات بمختلف موضوعاتها باعتبارها مصادر بكر قد تكشف عن جوانب غامضة في التاريخ الكويتي.

– الدوريات (الصحف، والمجلات) القديمة والمعاصرة.

– الروايات الشفهية.

– شبكة الإنترنت، وما توفره المواقع المختلفة من معلومات قد تكون مستقاة من المصادر السابقة، ولكنها توفر سهولة البحث من خلال محركات البحث، وآلية البحث داخل المواقع.

* * *

* الشعر والتأريخ:

العرب أمة شاعرة بطبعها لن تدع الشعر حتى تدع النوق الحنين، وأنّى لها ذلك؟

ولما كان التأليف والتدوين أمراً طارئاً على الطبيعة الإنسانية المطبوعة على الشفهية والرواية، فقد استند الطارئ على المطبوع، واستقى المؤرخون منذ القدم عماد مادتهم على المروي من حكايات وأشعار، واستنتجوا منه أحداثاً وتواريخ لسنا هنا في مقام تقييمها بموازين التصديق والتكذيب.

والقصيدة عموماً وثيقة ينبغي للباحث في التاريخ التعامل معها بحذر، وتقييمها بدقة وأمانة، فهي تتأرجح من منزلة المصدر الموثوق به إلى منزلة الأسطورة التي لا صحة لها كما أنه يتوجب على الباحث الحذر من الطبيعة الفنية للشعر، وأهواء الشعراء، وخاصة في قصائد المدح والهجاء والفخر.

ومنذ القدم اعتبر الشعر واحداً من المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في تدوين تواريخ الشعوب والدول التي يتعرض لها استناداً على الحقيقة الراسخة باعتبار الشعر ديواناً سجل فيه العرب وغيرهم من الشعوب أحداثهم، ووقائعهم، ومفاخرهم، وانكساراتهم إضافة إلى كونه في الغالب مصدراً معاصراً للأحداث يحفظ قالبه الفني نصه، وبالتالي يصعب تحريفه، ولا أقول يستحيل، ويسهل اكتشاف تزويره عند التدقيق والتحقيق.

ولا فرق هنا بين شعر عامي وفصيح، ومبدع ورديء في الاستشهاد التاريخي لأن اللغة والبلاغة والإبداع الفني ليست موضع بحث هنا.

* * *

* مراتب الاستفادة من النص الشعري في البحث التاريخي:

وهي كما أراها تندرج تحت مراتب ثلاثة هي: (المصدرية – الاستشهادية – الاستئناسية)، وأوضحها كالآتي:

١- مصدر البحث أو المعلومة التاريخية، وهي على ثلاث درجات:

* المصدر الوحيد: عندما يكون النص الشعري أصل المعلومة، ولولاه لضاعت تماماً، ولا يجد الباحث أمامه معلومة خارج النص كقول ابن عمار:

يا مبلغٍ عني (صباح ابن جابر) فتى الجود جزلٍ ما يمد الزهايد

ومن خلال هذا المصدر عرفنا اسم والد أول حكام الكويت من آل الصباح.

* المصدر الرئيس: عندما يكون النص الشعري أول من أشار للحادثة أو المعلومة، ولكن تجيء الشروح أو مناسبة القصيدة لتضيء المعلومة وتفصلها.

* المصدر المساند: يقدم النص معلومات أو تفصيلات جديدة عن معلومة أو حدث جاءت التواريخ بخبر عنه.

٢- الاستشهاد: عندما يأتي النص الشعري لتأكيد معلومة غير مسلم بصحتها، ولكن النص الشعري يقويها.

٣- الاستئناس: عندما تكون المعلومة معروفة عبر مصادر تاريخية، ولكن يأتي الشعر للتأكيد عليها.

* * *

* إطلالة على استفادة بعض رواد كتابة التاريخ الكويتي من الشعر:

- استفادة عبد العزيز الرشيد في كتابه (تاريخ الكويت):

لعلاقته الوثيقة بالشعر كشاعر وأديب استخدم عبد العزيز الرشيد الشعر في كثير من المواقع

في تاريخه، ويلاحظ أنه أورد الكثير من الأبيات الشاردة خاصة النبطية منها، ولم يستشهد بالفصيح في صلب العمل التاريخي إلا فيما ندر بل كان يذكر أبياتاً قديمة موافقة للحدث كتعليق، وكانت استفادته الحقيقية من الشعر الفصيح في المرحلة المتأخرة القريبة من وقت تأليف الكتاب، فذكر بعض المقطوعات الفصيحة من شعره أو شعر معاصريه خاصة (صقر الشبيب).

ويلاحظ أن الأشعار النبطية التي أوردها الرشيد كحكاية (عمّر الغليون يا دولة)، والبيت الذي أورده حول هجرة آل خليفة، والبيت المتعلق بغزوة النصار، والبيت الذي أورده حول لجوء متسلم البصرة، والبيتين المتعلقين بغزوة بندر السعدون.

أقول... يلاحظ أن هذه الأشعار مجهولة القائل، وفي الغالب تحتوي على كسر أو أكثر في الوزن، ولم ترد في أي مصدر آخر قبل الرشيد، ولم يذكر غيره أي تكملة لها أو إشارة لاسم شاعرها مما يدل على أن الرشيد استقاها من رواة شفهيين ذهبت مروياتهم بوفاتهم.

وعموماً، فتاريخ الكويت للرشيد هو أكثر تواريخنا الكويتية الستة (باستثناء الحاتم) احتفاء بالشعر، واستفادة منه، ولا نرى له نظرة سلبية تجاه الشعر العامي أو تورعاً عن الاستفادة منه عكس مؤرخين آخرين كابن بشر النجدي مثلاً.

- استفادة يوسف القناعي في صفحاته:

رغم الميل الأدبي للشيخ يوسف إلا أن طبيعة الاختصار في صفحاته حدّت من استفادته من الشعر في صلب العمل التاريخي، فنجده يستشهد بأبيات من الحكمة أو الإفادة اللغوية أو يورد نماذج من نتاج بعض الشعراء، وهذا مما لا علاقة له بما نقصده هنا.

- استفادة سيف مرزوق الشملان في كتابه (من تاريخ الكويت):

رغم أن سيف الشملان لمس فائدة الشعر من خلال الرسالة التي نشرها في أول كتابه، والمرسلة إليه من الشيخ محمد آل خليفة، والتي احتوت على أبيات لابن عمار تذكر اسم والد الشيخ صباح الأول إلا أننا لا نجد أنه استفاد حقيقة من الشعر باستثناء الأبيات المنقولة لديه عن تاريخ الرشيد.

- استفادة أحمد أبو حاكمة في كتابه (تاريخ الكويت الحديث):

هو أكاديمي مولع بالوثائق البريطانية، ولذا لا نجده يتعامل مع الشعر البتة، ولعله لم يفكر في غير الوثائق الأجنبية، والكتب التاريخية مصدراً لعمله.

- استفادة حسين الشيخ خزعل في كتابه (تاريخ الكويت السياسي):

رغم أهمية كتابه إلا أن حسين الشيخ خزعل أسرف في ذكر أخبار قبيلته بني كعب، ومراسلات جده لأمه الشيخ خزعل حتى ما كان منه بعيداً عن موضوع تاريخ الكويت أما استفادته من الشعر في تاريخه فقليلة.. كالأبيات المتعلقة بصلح الشيخ مبارك وشيخ المنتفق سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م)، وقصيدة العمري في تدمير المحمرة.

- استفادة عبد الله الحاتم في كتابه (من هنا بدأت الكويت):

نظراً لكون الحاتم رائد مهم من رواد تدوين الشعر النبطي، وأديب تولى أمانة رابطة الأدباء، فلا عجب أن يأتي كتابه القيم (من هنا بدأت الكويت) مستفيداً من الشعر النبطي والفصيح في تأريخ بعض الوقائع على قدر المراجع التي كانت متوفرة له وقتذاك.

وثنائي على تجربة الحاتم يدعوني للثناء على تجربة أخرى استفادت من الشعر في تدوين جوانب من التاريخ الكويتي مع مجالات أخرى من التراث الكويتي، وأعني تجربة حمد السعيدان في (الموسوعة الكويتية المختصرة)، فقد حفل الكتاب بالأشعار في شرح كثير من مباحثه.

* * *

* مصادر شعرية أود لفت الانتباه إليها فيما يتعلق بتاريخ الكويت:

١- ديوان عبد الغفار الأخرس:

زار هذا الشاعر المتوفى سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤م) الكويت، ونقرأ في بعض قصائده حضوراً للكويت، فنقرأ له نصاً يرد فيه على رسالة أدبية (أو قصيدة) أتته من أحد أبناء آل مخيزيم أرسلها إليه من الكويت، وأولها:

يا ابن المخيزيم وافتنا رسائلكم ... مشحونة بضروب الفضل، والأدب

وفيها يذكر سعيد النقيب، ووجيه اسمه سالم ذكرت بعض المصادر أنه الشيخ سالم الصباح، وإن كنا نرجح أن المقصود هو سالم البدر القناعي، ويوسف البدر، ويوسف الصبيح، فيقول:

دام السعيد لديكم في سعادته ... وسالم سالماً من حادث النوب
إنّ الكويت حماها الله قد بلغت ... باليوسفين مكان السبعة الشهب
تالله ما سمعت أذني، ولا بصرت ... عيني بعزهما في سائر العرب

فيوسف بن صبيح طيب عنصره — أذكى من المسك إن يعبق، وإن يطب
ويوسف البدر في سعدٍ، وفي شرف — بدر الأماجد لم يغرب، ولم يغب

وله أبيات أخرى يخاطب فيها يوسف الصبيح، ويطلب منه مسكاً، وله أبيات يستأذن يوسف البدر بمغادرة الكويت.

٢- شعر بعض شعراء الفصحى في العصر العثماني:

لدينا شعراء كثر من أهل البلدان المجاورة بالإضافة إلى بعض الشعراء الكويتيين، ومن أمثلة ما يمكن أن يقدمه الشعر في هذا الجانب قراءة لشعر ورد في بعض التواريخ عن استيلاء والي بغداد علي رضا اللاز على مدينة المحمرة، وهدمها لمنعها من منافسة ميناء البصرة في ٢٣ رجب ١٢٥٣هـ (٢٣ أكتوبر ١٨٣٧م)، وكتب عبد الباقي العمري قصيدة بالمناسبة مطلعها:

فتحنا بحمد الله حصن المحمرة — فأضحت بتسخير الإله مدمرة

وفيها ذكر لمساهمة الشيخ جابر الصباح في الحملة في قول العمري:

وجابر في حصن الكويت قد التجا — إلينا، وقاد الصافنات المضمرة
وقد شملته من عليٍّ مراحم — وخلعة فخرٍ فيه كمل مفخرة

٣- الشعراء النجديين، وشعراء الجزيرة العربية بشكل عام، وأخص هنا شعراء النبط، فمن خلال هؤلاء الشعراء يمكننا الاستفادة بمعلومات، وتفصيلات هامة عن عدد من المعارك التي خاضها الجيش الكويتي على امتداد تاريخه مثل موقعة الصريف، وغزوة جو (لبن)، ومعركة هدية، ومعركة الجهراء، وغزوة الرقعي.

ففي هذه المعارك قيلت العديد من القصائد، والمكتوبة من قبل شعراء في الجانب الكويتي، وكذلك في الجانب الآخر مما يعطي الباحث أرضية معرفية، وروايات متعددة لطبيعة الحدث.

وختاماً أدعو لدراسة نتاج بعض الشعراء لأهميته فيما يتعلق بتاريخ الكويت، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر الشعراء: (محمد بن مسلم الأحسائي - عبد الله الفرج – عبد المسيح الأنطاكي - محمد العوني – حمود الناصر البدر – زين العابدين - خالد الفرج – صقر الشبيب – فهد بورسلي – زيد الحرب – فهد الجافور).

حركة الشعر الفصيح في الكويت من التأسيس حتى الاستقلال

يعتقد أن الكويت ظهرت إلى الوجود التاريخي بمسماها هذا أو بمسمى (القرين) ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي كما تكشف رحلة (مرتضى بن علوان)، وإن كان كيانها السياسي لم يتبلور قبل بداية القرن الثامن عشر الميلادي بمبايعة أسرة الصباح على الحكم في أوائل ذلك القرن.

وبمعرفة أن تلك الفترة كانت فترة شيوع العامية في بوادي وحواضر الجزيرة العربية، وتردّي الوضع التعليمي في المنطقة، فإننا لا نتوقع ظهور حركة أدبية لافتة في بدايات تأسيس الكويت خاصة وأن حركة البلاد تباطأت في كثير من الجوانب الثقافية بسبب انشغال المهاجرين الأوائل بكسب قوتهم، وعمران بلادهم، ومن هنا يمكننا تفسير تأخر الكويتيين في تدوين تاريخ بلادهم، وإقامة المدارس العلمية، فها هو تدوين تاريخ الكويت السياسي والأدبي لم يدشن رسمياً إلا مع صدور كتاب (تاريخ الكويت) سنة ١٩٢٦م كما أن التعليم النظامي لم يبدأ إلا بعد مرور أكثر من عقد على بداية القرن العشرين، وكذلك الأمر بالنسبة لظهور النوادي الأدبية، والمكتبات العامة.

ولكن لنعد إلى أواخر القرن الثامن عشر، ونتوقف مع الهجرات التي توافدت إلى الكويت بسبب الصراعات التي شهدتها الجزيرة العربية في تلك الفترة حيث حدث تطور نوعي في طبيعة تلك الهجرات، فتوافدت على الكويت بعض النخب الثقافية التي كان لها نشاط ثقافي متأثر بالجو الديني الذي كان يصبغ التعليم في ذلك الوقت، وبالتالي فتح المجال للشعر الفصيح للدخول إلى الساحة الكويتية.

ومن هنا يصعب علينا العثور على شعر عربي فصيح قيل في الكويت، ومن قبل كويتيين قبل أواخر القرن الثامن عشر، وكانت الريادة مع وجود عالمين دينيين هما (عثمان بن سند (١٧٦٦ – ١٨٢٧م)، وعبد الجليل الطبطبائي (١٧٧٦ – ١٨٥٤م)، وهما شاعران تبادلا الأدوار، فبينما ولد ابن سند في الكويت (جزيرة فيلكا تحديداً، ومات في العراق (بغداد تحديداً)... نجد أن الطبطبائي ولد في العراق (البصرة تحديداً)، ومات في الكويت.

ورغم أن هذين الشاعرين يعتبران تاريخياً رائدا الشعر العربي الفصيح في الكويت إلا أننا للأسف

لا نجد في شعرهما أي تأثر بأحداث الكويت أو شخوصها رغم غنى الفترة التي عاشاها بالأحداث، وغزارة نتاجهما الشعري، وباعتقادي أن ذلك راجع إلى قصر الفترة التي عاشاها في الكويت، فبينما ترك ابن سند الكويت شاباً جاء الطبطبائي إلى الكويت شيخاً مسناً تفرغ للتدريس الديني في السنوات العشر الأخيرة التي قضاها في الكويت.

ولعل تلميذ الطبطبائي، وأعني الشيخ خالد بن عبد الله العدساني (١٨٣٤ – ١٩٠٠م) هو أول شاعر كويتي تأثر بأحداث الكويت إلى حد ما، فقد حفظ لنا الرواة قصيدته في هجوم (الدبا – صغار الجراد) على الكويت، ومنها قوله:

الله أكبرُ كيف القُمَّلُ الضُّعَفا ... آذى الأنامَ، ومنه الزرعُ قد تَلِفا

وصيَّر الأرضَ بَيضاً لا نباتَ بها ... كأنّه لم يكن فيها وما عُرِفا

قد جاء كالسيل يعدو ليس يمنعُه ... شيءٌ فما ملَّ من شيءٍ، ولا وقفا

حتى أتانا، فعَمَّتنا بليَّتُه ... وقد كسا الأرضَ ثوباً منه مختلفا

فلم نرَ طُرُقاً إلا وقد مُلِئتْ ... ولا جداراً، ولا سقفاً، ولا غُرفا

وأصبحتْ جملةُ الآبارِ مُنتنةً ... كأنّ في جوفِها من ريحِه جِيَفا

وفي هذه الفترة ظهر اسم الكويت في أشعار بعض شعراء الدول المجاورة، ومن بينهم الشاعر العراقي عبد الغفار الأخرس (١٨١٠ – ١٨٧٣م) الذي ذكر الكويت في عدة مواضع من شعره، ومن ذلك قوله يذكر زيارته للكويت في زمن حاكمها الخامس الشيخ عبد الله الثاني (١٨٦٦ – ١٨٩٢م):

تسيرُ بنا بلُجِّ البحر فُلكٌ ... كمثل الطَّير خافقة الجناحِ

ومازلنا بها حتىَّ حللنا ... صَبَاحاً في كويت آل الصبَّاحِ

لدى قوم أعزّ الناس جاراً ... وأندى بالنوال بطون راحِ

أباةٌ لا يطوف الضَّيم فيهم ... ولا جارٌ لهم بالمستباحِ

غيوث مكارمٍ، وليوث حربٍ ... وأكفاءُ الشجاعةِ، والكفاحِ

نزلت بهم على سعةٍ، ورحبٍ ... وأنسٍ، وابتهاجٍ، وانشراحِ

فقومٌ ساد (عبد الله) فيهم ... فبالبأسِ الشَّديدِ، وبالسَّماحِ

إذا نزلوا لعمرُ أبيكَ أرضاً ... حَموهَا بالأسِنَّةِ والرِّماحِ

فكم بدأوا بمكرمةٍ، وثنَّوا ... وكم نحروا العدى نحر الأضاحي

سَــقَــوا أعــداءهــم حمــرَ المـنـايـا ... بـسـمـر الخـــطِّ، والـبـيـضِ الـصـفـاح
ومـــازالـــت مـكـارمـهـم تـنـادي ... لــدى الآمـــال حــيَّ عـلـى الـفـلاحِ
بـأيـديـهـم شـكـيـمـة ذي اقـتـدارٍ ... تَــــرُدُّ الجـامحـين عــن الجـمـاحِ
هـــمُ وضــعــوا أفــاويــق المـعـالي ... كـمـا رَضَـعَ الـفَـصـيـلُ مـن الـلـقـاحِ
إذا مــا زرتُهـــم يــومــاً وفى لي ... ضـمـيـني لـلـزيـارةِ بـالـنـجـاحِ

ونقرأ للأخرس نصاً يرد فيه على رسالة أدبية (أو قصيدة) أتته من أحد أبناء آل مخيزيم أرسلها إليه من الكويت، وفيها يذكر سعيد النقيب، ووجيه اسمه سالم ذكرت بعض المصادر أنه الشيخ سالم الصباح، وإن كنا نرجح أن المقصود هو سالم البدر القناعي، ويوسف البدر، ويوسف الصبيح، وله أبيات أخرى يخاطب فيها يوسف الصبيح، ويطلب منه مسكاً، وله أبيات يستأذن يوسف البدر بمغادرة الكويت.

وفي هذا الجانب يمكننا قراءة شعر ورد في بعض التواريخ عن استيلاء والي بغداد علي رضا اللاز على مدينة المحمرة، وهدمها لمنعها من منافسة ميناء البصرة في ٢٣ رجب ١٢٥٣هـ (٢٣ أكتوبر ١٨٣٧م)، وكتب عبد الباقي العمري قصيدة بالمناسبة ذكر فيها مساهمة الشيخ جابر الصباح في الحملة، فقال:

وجـابـر في حـصـن الـكـويـت قـد الـتـجـا ... إلـيـنـا، وقـــاد الـصـافـنـات المـضـمـرة
وقـــد شملـتـه مـــن عـلـيٍّ مـراحـم ... وخـلـعـة فـخـرٍ فـيـه كـمـل مـفـخـرة

* * *

ونعود إلى شعراء الكويت، فقد عاصر خالد العدساني شاعر كويتي آخر نال قسطاً من التعليم النظامي في الهند هو عبد الله بن محمد الفرج (١٨٣٥ - ١٩٠١م)، وقد ترك لنا الفرج تراثاً موسيقياً، وشعراً فصيحاً وعامياً رغم ضياع معظم أشعاره الفصيحة بينما حفظ أكثر شعره النبطي في ديوان طبع بعد وفاته في الهند سنة ١٩١٨م.

ومن يقرأ شعر الفرج خاصة العامي منه يجده مهتماً بأحداث الكويت، وهو بذلك يحوز الريادة في هذا المجال.

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وأوائل القرن العشرين بدأ الشعر الفصيح يأخذ دوره في الاهتمام بقضايا الكويت عبر شاعرين كانا يأخذان جانبي الشعب والحكم، فبينما كان صقر

الشبيب (١٨٩٤م - ١٩٦٣م) يعتبر صوت الشعب الداعي للانفتاح الثقافي والاجتماعي نجد الشاعر الآخر زين العابدين بن باقر (١٨٦٦ — ١٩٥٠م) يأخذ دور الشاعر الناطق بلسان الحاكم الشيخ مبارك الصباح.

وفي هذا الجيل ظهر بعض الشعراء الفقهاء الذين نظموا الشعر الفصيح دون أن يشتهروا به، ومنهم شعراء أسرة (الصحاف) الذين عاشوا في الكويت فترة من حياتهم، وهم الشيوخ (علي، وأحمد، وحسين الصحاف)، وليس فيما وردنا من شعرهم ذكر للكويت أو تأثر بأحداثها لقصر الفترة التي عاشوها في الكويت، وفي المقابل نجد تفاعلاً مع أحداث الكويت في شعر السيد مساعد بن عبد الله الرفاعي (١٨٨٣ — ١٩٣٦م)، والشيخ عبد الله الخلف الدحيان (١٨٥٧ — ١٩٣٠م)، ومن شعر الدحيان يذكر بعض أعلام الكويت خلال رحلته للحج قوله:

كــرام مــســاعِ مــن بــلادٍ شـهـيرةٍ ... كـحـكـامـهـا دامــوا صـبـاح الـقـبـائـل
كـويـتُ، وقـد كـان الـكـويت مـباركاً ... مــزانــاً بـأهـلـيـه الـكـرام الأمـاثـل
أعــزّ مـلـيـكُ الـنـاس بـالـديـن أهـلـه ... ودامــوا عـلـى الخـيرات خـير أواهـل
فَـوفّـق ولاة الأمـــر بي لـطـاعـة ... لـدى الأمـر والـنـهـى الـذي لم يجـادل
ومعـهـم بحـمـد الله هـا كـنـت قـاصـداً ... نـــؤمّ لـبـيـت الله لم نـتـخـاذل
جـزى اللهُ مــرزوق الـرضـى عـن فعـالـه ... وأولاه إحـسـانـاً، وحـسـن الـشـمـائـل
وَفيّ وفى بـالـوعـد إذ كـان أصـلـه ... مـن الـبـدر (داود) حمـيـد الخـصـائـل
رآني أعــانى حمـلَ شـوقٍ إلى الحـمـى ... فـسـاعـدني بـالحـمـل فـوق الـرواحـل
ولاطـفـني لـطـفـاً أرى مــن وفـائـه ... سـكـرتُ، ولم أشـرب مـدامـة ثـامـل

ومع بداية القرن العشرين دخلت الكويت عهداً جديداً مع بداية التعليم النظامي، وإنشاء النادي الأدبي، وتأسيس المكتبة الأهلية، ووصول الجرائد والمجلات الثقافية العربية إلى أسواق الكويت لتظهر أسماء جديدة كان لها دور في النهوض بحركة الشعر الفصيح في الكويت، ولعل أبرزها كان الشيخ عبد العزيز الرشيد (١٨٨٧ — ١٩٣٨م)، وخالد الفرج (١٨٩٨ — ١٩٥٤م)، وراشد السيف (١٩٠٠ — ١٩٧٢م)، ومحمود شوقي الأيوبي (١٩٠١ — ١٩٦٦م)، وحجي بن جاسم الحجي (١٩٠٢ — ١٩٧٤م)، وعبد اللطيف النصف (١٩٠٤ — ١٩٧١م)، وأحمد خالد المشاري (١٨٨٦ — ١٩٤٢م)، وعبد الله العلي الصانع (١٩٠٢ — ١٩٥٤م).

وفي هذه الفترة بدأ شعراء الكويت يهتمون بالقضايا العربية البارزة وقتئذ كالدعوة إلى التعليم،

وقضايا التحرر العربي.

وشهدت الكويت في تلك الفترة المناسبات الثقافية التي كانت تلقى فيها الأشعار الفصيحة كالحفل الذي أقيم بمناسبة زيارة الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي في عقد العشرينيات، وعند وفاة عالم الكويت الشهير عبد الله بن خلف الدحيان سنة ١٩٣٠م أقيم حفل تأبيني في قاعة المدرسة المباركية برئاسة الشيخ عبد الله النوري، وحضره أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر، وولي عهده الشيخ عبد الله السالم، وبقية أفراد الأسرة الحاكمة، ووجهاء البلد، وعلماؤها، وأدباؤها حتى غصت بهم المدرسة، وتحدث فيها ما لا يقل عن خمسة عشر مؤبناً، ومما قيل فيه القصيدة التي بعث بها الشاعر خالد بن محمد الفرج من مقره في القطيف، وألقيت بالنيابة عنه في رثاء الفقيد، ومنها قوله:

كفّنوهُ بجفونٍ، واغسلوه بدموع … واحملوه بوقارٍ، وضعوه بخشوع

وادفنوه، وتقاه بين محنيّ الضلوع … كل هذا لا يفيه حقّه عند الجميع

إن غسلتوه بماء المزن من غيثٍ هموع … فلقد كان تقياً في نيامٍ أو هجوع

أو دفنتوه بلحدٍ طاب فيه من ضجيع … فاتركوا القبر بلا كلسٍ، ولا نقشٍ بديع

إنه كان يحبّ الانزوا غير وضيع … فهو شيخ العلم، والأعمال في طهر الرضيع

وهو إيثارٌ، وزهدٌ في خشوعٍ وخضوع … وهو في التقوى كحبرٍ ذي كبورٍ، وركوع

طلّق الدنيا ثلاثاً بائناً دون رجوع … حسبه بلغة عيشٍ بعدها لذعة جوع

وهو لو شاء لأضحى اليوم في عيشٍ وسيع … ظاهرٌ في كلّ حزبٍ منتهى جمع الجموع

ومن شعر خالد الفرج في مدح أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر قوله:

لَكَ في المجدِ، والمكارِمِ شان … لا يُوازيه في العلا نيشان

ومليكٌ مُسلْسَلٌ من مليكٍ … ولدتْك الجهابذُ الشجعان

جابرٌ من مباركٍ من صباحٍ … وهناك الأجداد، والأخوان

حاكمٌ بعد حاكم منجبوهم … والدٌ طاهرٌ، وأمٌّ حصان

طور مجدٍ مُوَطَّدٍ أَنت أعلاه … وهم في أساسه الأركان

أوجدوا دارَنا الكويتَ، فظلَّت … حماهم محروسةً منذ كانوا

بلدٌ آمنٌ، وحكمٌ قويمٌ … وَيَعْدلِ المكينِ طابَ المكان

ونموُّ البلادِ في ظَرفِ قَرنٍ … لأَيادي حكَّامِها برهان

وهي ليستْ بذاتِ زرعٍ … كما جاء بأوصافِ مكةَ القرآن

شِـــدْتُمُـــوهـــا بـــالــعـــدلِ، والمـــنِّ حـتى وهـبـتَـكـمْ قـلـوبَهـا الـسـكـان
سـيـدي أنــت فـخـرُنـا في المـعـالي وقـديمـاً يَــهْــوَى الـعـلَـى الإنـسـان

وفي ثلاثينيات القرن العشرين ظهر في الساحة الشعرية الكويتية اسم مبدع تمكن من النهوض بالشعر الكويتي، وتقديم نموذج خاص على صعيد الخريطة العربية ربما لم يضارعه سوى سلفه (صقر الشبيب)، ونعني الشاعر فهد العسكر (١٩١٧ – ١٩٥١م)، وقد شهد له الشبيب بالشاعرية حين قال:

لـو كـنـت ممَّـــنْ في طـبـيـعـتـه الحـسـد لحـسـدت دون الـنـاس شـاعـرنـا فـهـد

وجايل العسكر أسماء شعرية أخرى تمكنت من فرض واقع شعري على خريطة الثقافة العربية، فظهر عبد الله بن عبد اللطيف العثمان (١٨٩٧ – ١٩٦٥م)، وعبد الله سنان (١٩١٧ – ١٩٨٤م) وأحمد السقاف (١٩١٩ - ٢٠١٠).

ثم تلاحقت أجيال الشعراء، فظهر عبد المحسن الرشيد البدر (١٩٢٧ - ٢٠٠٨)، وعبد الله زكريا الأنصاري (١٩٢٢ – ٢٠٠٦م)، وأحمد مشاري العدواني (١٩٢٣ – ١٩٩٠م)، وفاضل خلف التيلجي (١٩٢٧ - .....)، ويعقوب عبد العزيز الرشيد (١٩٢٨ – ٢٠٠٨م)، ومحمد أحمد المشاري (١٩٣٦ - ٢٠٠٠)، وخالد سعود الزيد (١٩٣٧ - ٢٠٠١)، وآخرين.

وفي فترة الخمسينيات بدأ التأثر بحركة الشعر الحر التي كانت قد بدأت بالظهور في خريطة الشعر العربي خاصة وأن أحد أهم رواد هذا الشعر، ونعني بدر شاكر السياب قد عاش في الكويت في بعض فترات حياته، ومات بها سنة ١٩٦٤م، ولكن هذه حركة لم تظهر بشكل واضح إلا بعد الاستقلال في الستينيات والسبعينيات مع أسماء مثل: علي السبتي (١٩٣٥ - ......)، ومحمد الفايز (١٩٣٦ – ١٩٩١م)، ود. عبد الله العتيبي (١٩٤١ – ١٩٩٥م)، ود. خليفة الوقيان (١٩٤١ - ......)، ود. سعاد الصباح (١٩٤٢ - ......)، ولذا نضرب عنها صفحاً لخروجها عن نطاق البحث.

نظرات في (سبائك العسجد)

عثمان بن سند أديب ومؤرخ كويتي الأصل تغرب في طلب العلم والرزق حتى استقر في البصرة في السنوات العشرين من حياته، فتولى إدارة إحدى المدارس العلمية هناك ثم اتصل بوالي بغداد داود باشا، وألف عن سيرته كتاباً كبيراً، وتوفي ببغداد سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م).

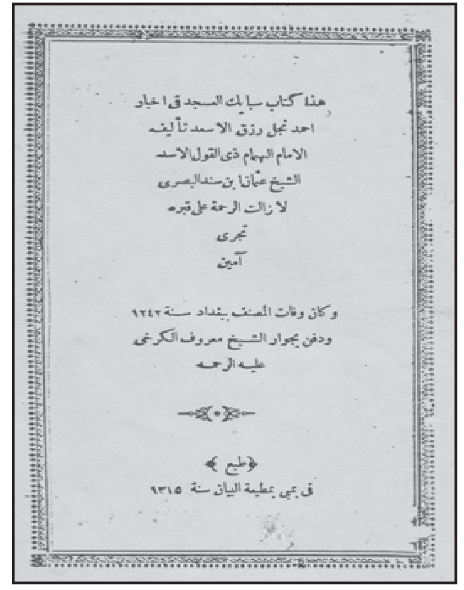
ولعل أفضل من ترجم لحياة ابن سند، وإثبات انتمائه للكويت هو الدكتور خليفة الوقيان في كتابه القيم (الثقافة في الكويت) حيث أوضح أنه من مواليد قرية الدشت بجزيرة فيلكا سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) لأسرة تعنى بالعلوم الشرعية، وكان والده إماماً لمسجد القرية، وبعد تلقيه العلوم عن والده، وعن علماء الجزيرة انتقل عثمان إلى الكويت، وألف فيها منظومة شرعية أسماها (الدرة الثمينة)، وسماه ناسخ المخطوطة: (عثمان بن سند بن راشد بن عبد الله بن راشد المالكي مذهباً، والقادري مشرباً، والفيلكاوي مولداً، والقرين مسكناً).

ورغم أننا نقرأ أحياناً نسبة ابن سند إلى البصرة، فهذا من زيادات من طبعوا كتبه في بومباي، وهم من أهل البصرة والعراق، ولكونه درّس في البصرة، وتوفي في بغداد، ودفن بمقبرة معروف الكرخي ظنوه بصرياً أما هو فلم يذكر هذه النسبة بخط يده أبداً.

ولم يطبع من مؤلفات ابن سند سوى كتابين الأول هو (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود)، وقد طبع أولاً مختصراً على يد أمين الحلواني سنة ١٨٨٦م ثم أعيد طبعه بتعليق محب الدين الخطيب سنة ١٩٥١م بعنوان (خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق) ثم طبع كاملاً محققاً في بغداد سنة ١٩٩١م.

وكتابه الثاني هو (سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد)، وقد طبع كاملاً دون اختصار في بومباي سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م)، وإن كان في آخره تاريخ آخر لإكمال تنضيد الكتاب، وهو ١٥ محرم ١٣٠٦هـ (الجمعة ٢١ سبتمبر ١٨٨٨م)، وقد طبع محققاً في الفترة الأخيرة على يد الشيخ الدكتور حسن بن محمد آل ثاني.

وفي كتابي ابن سند السابقين مشكلة في الأسلوب، فالمؤلف سجّاع منمق يحول الكتاب إلى قطعة أدبية مطولة لا تتوافق مع ما يريده الباحث في كتب التاريخ من معلومات واضحة، وفوائد

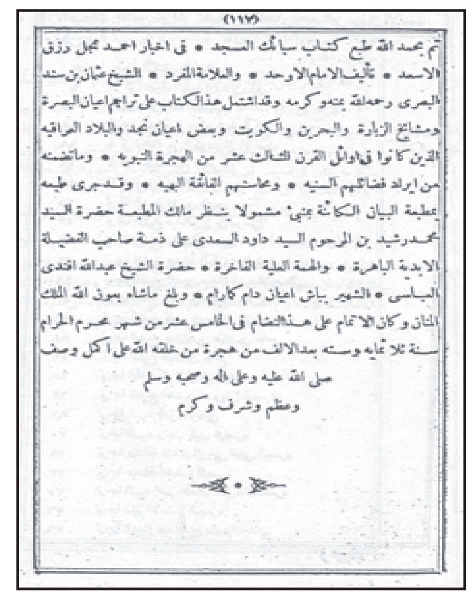


هذا كتاب سبائك العسجد في اخبار
احمد نجل رزق الاسعد تأليف
الامام الهمام ذي القول الاسد
الشيخ عثمان ابن سند البصري
لا زالت الرحمة على قبره
تجري
آمين

وكان وفات المصنف ببغداد سنة ١٢٤٢
ودفن بجوار الشيخ معروف الكرخي
عليه الرحمه

﴿طبع﴾
في بمبي بمطبعة البيان سنة ١٣١٥

غلاف الطبعة الأولى من السبائك



(١١٦)

تم بحمد الله طبع كتاب سبائك العسجد • في اخبار احمد نجل رزق الاسعد • تأليف الامام الاوحد • والعلامة المفرد • الشيخ عثمان بن سند البصري رحمه الله بمنه وكرمه وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم اعيان البصرة ومشائخ الزبارة والبحرين والكويت وبعض اعيان نجد والبلاد العراقيه الذين كانوا في اوائل القرن الثالث عشر من الهجرة النبويه • وما تضمنه من ايراد فضائلهم السنيه • ومحاسنهم الفائقة البهيه • وقد جرى طبعه بمطبعة البيان الكائنة ببمبئ مشمولا بنظر مالك المطبعة حضرة السيد محمد رشيد بن المرحوم السيد داود السعدي على ذمة صاحب الفضيلة الايدية الباهرة • والهمة العلية الفاخرة • حضرة الشيخ عبدالله افندي البسامي • الشهير بباش اعيان دام كارام • وبلغ ماشاء بعون الله الملك المنان وكان الاتمام على هذا النظام في الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة ثلاثمايه وسته بعد الالف من هجرة من خلقه الله على اكمل وصف صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم
وعظم وشرف وكرم

الصفحة الأخيرة من السبائك

تاريخية، ولهذا اختصر الحلواني كتاب (مطالع السعود)، وجعله متداولاً بين الباحثين بينما ظل (سبائك العسجد) على حالته من سجع وبديع حتى بعد تحقيقه مؤخراً.

ولذا قررت أن أقدم للقارئ مختصراً لسبائك العسجد، ومحتوياته بلغة عصرية سهلة، وهو اختصار يقدم صورة مبسطة عما في الكتاب من تراجم ومعلومات، ولكنه لا يغني عن أصل الكتاب، وذلك لأهمية الكتاب في نظري، وذكره المبكر للكويت، ولأنه يتكلم عن تاجر من تجار الكويت في بداية تاريخها الحديث:

* * *

* نص الاختصار:

(بعد حمد الله تعالى، والصلاة على نبيه المصطفى، وعلى آله، وأصحابه، فإني كنت في مجلس للأدباء، فتناشد البعض أشعاراً في مدح (أحمد بن رزق الأسعد)، فتتبعت أخباره، وجميل صفاته، فوجدته منفرداً في عصره مرتفعاً على أقرانه.

وينتمي أحمد إلى بلدة صغيرة على ساحل بحر العدان تدعى (الكويت)، وظهرت مكارمه منذ الصغر، ويحكى أن شاعراً أسمعه أبياتاً في مدحه، وهو في العاشرة من عمره، فكساه بردته، ولمّا سمع

أبوه بهذا فرح، واستبشر بذلك.

والكويت لم تعمّر قبل ورود أبيه إلا بقليل، ويسكنها (بنو عتبة)، وهم جماعات متباينة النسب يجمعها الانتساب إلى قبيلة عنزة بن أسد.

وكان حاكمها عند وصول أبيه الشيخ عبد الله بن صباح الذي احتفى بمحمد رزق الأسعد، وصار يرجع إليه الرأي والمشورة، وكانت بداية ثروته ثلاثة دنانير اقترضها من الوالي، فتاجر بها باللؤلؤ حتى بلغت ثلاثمئة دينار خلال فترة قصيرة كما ذكر جليسه الشيخ محمد بن سلوم.

وفي سنة ١١٨٨هـ (١٧٧٤م) انتقل محمد رزق الأسعد إلى (الأحساء)، فذاع صيته بالكرم ثم انتقل بعد ذلك إلى (الزبارة)، فأقام هناك مع خليفة بن محمد العتبي، واشتركا في تعميرها، وبناء مساجدها، ومدارسها حتى توفى محمد رزق مخلّفاً ولده أحمد في محله.

* * *

* أصحاب الأسعد:

ورافقه، وجالسه الشيخ علي بن فارس، وكان من المقربين له حتى أنه قيل: (إذا قال ابن فارس له، وهو سقيم.. قم. قام، وهو مما يشكوه سليم)، وذلك لعلمه، وظرفه، ونجابته، ومن كرم ابن فارس ما أخبرنا به بعض الرواة أن سائلاً اعترض طريقه، فقال لمرافقيه: (ما نعطيه؟)، فقالوا: (أعطه درهمين، فإنهما غاية طموحه)، فقال: (هذا اللائق به.. لا بنا)، ونزع ملابسه، فكساه!

وبلغ من فضل ابن فارس أن صار وزيراً لوالي أوال (حاكم البحرين) أحمد بن محمد، فزيّن هذا المنصب بآرائه، وعزمه.

ومن جلساء أحمد الأسعد أيضاً: الشيخ عبد العزيز بن موسى الهجري الذي درس على يد راشد بن خنين، والأخير عالم حافظ لأمهات الكتب الأدبية والفقهية رحل إلى البصرة، وبغداد، والحرمين، وما والاهما من البلاد ثم انتقل من بلاده نجد إلى الزبارة في قطر، وأخذ عنه عبد العزيز النحو والمعاني كما أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد الكردي الذي قرأتُ (أي المؤلف ابن سند) عليه النحو والصرف، وبعض دواوين العرب، وذلك في الأحساء.

وممن درس عليهم عبد العزيز الهجري: الفاضل محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي، فوقعت بينهما مراسلة، وإجازات، ومساجلة، وظل عبد العزيز متصدراً مجلس الأسعد حتى توفي سنة

١٢٢٢هـ (١٨٠٧م).

والشيخ راشد بن خنين قدم الزبارة، وهي في غاية عمرانها، فوفد على أحمد الأسعد، فأكرمه، واشتغل بالتدريس، ونشر العلم بها، فحاز مكانة كبيرة في الزبارة حتى توفي.

أما الشيخ عبد الله بن محمد الكردي البيوتشي، فقد رحل صغيراً إلى بغداد والشام، وتعلم حتى صار من العلماء المبرزين ثم رحل إلى الحرمين، وبعدهما إلى الأحساء، فالزبارة حيث التقى بالأسعد، فقدمه في مجلسه مدة تحوّل بعدها إلى أوال (البحرين) لدى الوزير علي بن فارس، فطاب له المقام حتى انتقل إلى البصرة، فالتقى بالشيخ أحمد بن درويش العباسي، وشرع في تأسيس مدرسة وقفها له العباسي، ولكن الرجلين ماتا قبل افتتاحها سنة ١٢١١هـ، فتولى الأسعد ذرية الكردي بالعناية.

أما الشيخ محمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي المذكور آنفاً، فقد درس على يد أبيه، وتنقّل في العلوم الشرعية واللغوية حتى قدم الزبارة في طريقه للحج، واجتمع بفضلائها، وبلغ فيها مكانة عظيمة، ونال من كرم الأسعد ثم وفد على سلطان عمان، فأكرمه، وانتقل بعد ذلك إلى اليمن في طريقه إلى الحج، وزيارة المدينة ثم عاد إلى بلده، فأقام سبع سنوات ثم عاد إلى الزبارة، فالتقى بالأسعد، فجالسه، ونال عطاءه، وأراد بعد ذلك الحج ثم العودة إلى بلاده، فمات قبل وصوله إلى بلده سنة ١٢٢١هـ (١٨٠٦م)، فحزن عليه الأسعد، وأرسل العطايا إلى ورثته.

وممن صاحب الأسعد إبان شبابه: الحاج عثمان بن سليمان بن داوود البصري القرشي التيمي، وقد ولد حوالي سنة ١١٧٠هـ، ونشأ في البصرة، فقرأ الأدب، ونظم الشعر كما عمل بالتجارة، ولكن استيلاء الفرس على البصرة (سنة ١١٨٩هـ) دعاه للانتقال إلى الهند فترة عاد بعدها إلى البصرة بعد انسحاب الفرس (سنة ١١٩٣هـ).

وقد التقى الحاج عثمان بأحمد الأسعد، وجالسه، فقدمه لذكائه، وفهمه، فتولى أمواله مدة، وكان الأسعد يستشيره من الزبارة، وعثمان في البصرة، فيجيبه بفهم عال، وقد سكن الزبارة فترة في طريقه إلى الحرمين، وكان برفقته (محمد بن عبد اللطيف)، وعاد البصري إلى مدينته حتى توفي سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م).

وممن عرف بصحبة الأسعد: الشيخ ناصر بن سليمان بن سحيم العالم الأديب، وهو ممن أخذ العلم عن محمد بن عبد الله بن فيروز، وعن ابنه عبد الوهاب، وغيرهما كابن سلوم، والكردي، وقد انتقل ابن سحيم من نجد يافعاً إلى هجر، والتقى بالأسعد هو وشيخه الأحسائي مدة ثم انتقلا

إلى البصرة حيث تولى مشيخة المدرسة السليمانية، وعندما توفي الأحسائي تولي ابن سحيم مكانه.

وكان ممن يجالسه، ويأخذ عنه الشيخ عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن جامع الأنصاري الخزرجي، وكان أبوه من العلماء البارزين.

وعثمان بن جامع درس على ابن فيروز كابنه، وولي القضاء، ورحل إلى مكة والمدينة، وابنه عبد الله رحل إلى اليمن في طلب العلم، ودخل مكة والمدينة، وبلغ مكانة كبيرة عند أحمد الأسعد.

ومن سمّار الأسعد أيضاً: الحاج بكر لؤلؤ بن أحمد البصري القطري الزباري، والذي نشأ بالبصرة، واتصف بالعلم والكرم حتى انتقل عند حصار الفرس للبصرة، وسكن الزبارة، ونال فيها مكانة مرموقة، وبنى في الأحساء مدرسة أو مدرستين، ومسجداً في الزبارة، واستقدم له العلماء، وعندما أحس باقتراب منيته أسقط الديون التي له على الناس، وتوفي سنة ١٢٠٢هـ (١٧٨٨م).

ومن أصحاب الأسعد أيضاً: أحمد بن الشيخ درويش العباسي الكوازي البصري، وكان يراسله من البصرة، وإن لم يلتق بالأسعد، وقد نشأ الكوازي في البصرة، واشتهر بالكرم، والفضل، ومدحه الشعراء، وقد سافر لمكة للحج، ولما وفد في طريقه على ابن سعود في الدرعية استقبله، وكرّمه، وأرسل معه خدماً لمرافقته حتى عاد من الحج، فأكرم الخدام بالخلع والعطايا، وبقي في البصرة حتى توفي سنة ١٢١٢هـ.

ومن معاصري الأسعد ومعاشريه: محمود بن عبد الرحمن الرديني البصري، وهو علويّ النسب، وقد ولاه الشيخ ثويني بن عبد الله شيخ المنتفق أمر البصرة، فحكم بالعدل، ورد هجمات بني كعب عنها، وبنى في البصرة مدرسة، وأول من تولى أمر تلك المدرسة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر لعدة أعوام حتى توفى بعد عودته من الحج، فتولاها بعده الشيخ عبد الله بن جامع شهراً أو شهرين ثم عزل نفسه، وبقيت دون مدير لها حتى تولاها مؤلف هذا الكتاب (عثمان بن سند)، وقد توفي الرديني سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م).

وممن عاصر الأسعد أيضاً: نقيب أشراف البصرة السيد رجب بن مصطفى الرفاعي، وهو من أهل الفضل والكرم.

وممن وفد على الأسعد أيضاً: قاضي البصرة عبد الله الرحبي، وقد نشأ في بغداد، واشتغل بالعلم منذ الصغر، وتولى الإفتاء في الحلة ثم تولى قضاء البصرة سنة ١٢١٤هـ، فالتقى بأحمد الأسعد، واستمرت الصلات بينهما باللقاء والمراسلة، وهو حنفي المذهب قرّض بعض مؤلفات (ابن سند).

وممن راسل الأسعد: حاكم البصرة عبد الله آغا بن سليمان ، وقد نشأ في بغداد، فقرأ الأدب في سن السابعة، وبرز في النظم والخط، وقدم للبصرة حاكماً، فعمرها، وقمع أعداءها، وفي أيام حكمه قدم البصرة الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز، فأكرمه، وبنى له فيها جامعاً، فأرسل أحمد الأسعد من الزبارة إلى عبد الله آغا هدايا، ولم يلتقيا حتى عزل عن البصرة، وولاه والي بغداد على ماردين فترة ثم عزل، وعاد إلى بغداد حتى جرت (وقعة خالد)، فسجن عبد الله آغا مع خالد في القلعة ثم قتل خالد، وعاد عبد الله إلى البصرة أسيراً، ففك الأسعد قيده، وسيره بالمركب إلى بوشهر، وأقام بها سنة ١٢١٩هـ.

وممن عرف الأسعد، وروى أخباره: السيد عمر أفندي دفتر دار البصرة، وهو علوي النسب متصف بالكرم والعلم، وقد نشأ في بغداد، وقرأ القرآن والأدب، والتقى بأحمد الأسعد، ونال من كرمه، ومدحه.

وممن أدرك الأسعد، وعاصره: حاكم البصرة سليم آغا، والذي قدم البصرة حاكماً سنة ١٢٢١هـ، فنشر بها العدل، وأحيى المدارس والعلوم.

وفي سنة ١٢٢٤هـ أرسل سليم آغا إلى نقيب أشراف البصرة يطلب منه قراءة جامع البخاري، فقرأه عليه مؤلف الكتاب (عثمان بن سند) بحضور أعيان الدولة.

وممن رحل إلى الأسعد، وصاحبه: الشيخ عبد الله بن داود النجدي، وقد ولد في (حرمة) من قرى نجد، فقرأ الفقه على الشيخ التويجري ثم انتقل بأهله وماله إلى البصرة القديمة (الزبير) ثم رحل إلى الشام، فالتقى بمشايخها، وتعلم منهم ثم ارتحل ليأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز، فقرأ عليه كتاب (التجريد في الأصول)، فلقي في سفرته هذه أحمد الأسعد، فأكرمه، وعاد النجدي إلى الزبير حتى توفي سنة ١٢١٢هـ، ودفن في مقبرة الزبير.

* * *

* انتقال الأسعد إلى البصرة:

وبعد ذكر أصحاب أحمد الأسعد يعود المؤلف عثمان بن سند إلى ذكر أخباره، فيشير إلى أن أحمد لما غرق له مركب يحمل أموالاً كثيرة صبر، ولم يضجر، ولما توجه كتخدا بغداد علي باشا إلى الأحساء لمحاربة الدولة السعودية (سنة ١٢١٣هـ) أرسل إلى آل خليفة يطلب مساعدتهم، فبادر أحمد الأسعد لمساعدة الكتخدا بالهدايا، والإبل، والأموال، فاستحسنها، وكان حاضراً لوصول الهدايا

السيد محمد بك الشاوي، فأثنى الشاوي على الأسعد، واقترح على الكتخدا أن يكافئه بإعفاء أموال الأسعد من الضرائب، وبعث له بوفد يشكره على هديته.

وأرسل إليه الأسعد بكتاب نظمه الشيخ صالح بن سيف النجدي الحنبلي، وابن سيف كان قد رحل من نجد إلى الزبارة، وأخذ العلم عن ابن فيروز، والتقى بأحمد الأسعد، فولاه ديوان الكتابة، والتدريس، والخطابة بجامعه.

وعندما انسحب الكتخدا، وفك الحصار، ووصل الخبر إلى الزبارة أمر الأسعد أهلها بالرحيل إلى جزيرة أوال (البحرين) خوفاً من استيلاء الأعداء عليها، ونزل الأسعد في بلدة (جو) بالبحرين، وعمرها حتى جرت الحرب بين حكام البحرين وسلطان عمان، واستولى السلطان على البحرين، فالتجأ حكام البحرين إلى ابن سعود الذين ساعدهم بالرجال، فدخلوا البحرين بعد انسحاب سلطان عمان، واستعادوا البحرين، وكان أحمد الأسعد قد ترك البحرين قبل ذلك، وانتقل إلى البصرة.

فلما علم والي بغداد بوصول الأسعد أرسل إليه بالهدايا، وخيره في المكان الذي ينزله، فنزل موقعاً قربها سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م)، وعمره حتى صار بلدة مزدهرة، واستقدم لها علماء كالشيخ محمد بن علي بن سلوم المولود سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧م)، والذي رحل من نجد إلى الأحساء، فأخذ العلم عن ابن فيروز، وانتقل إلى العراق، واشتهر بالعلم.

* * *

* عودة إلى أصحاب الأسعد:

وممن صحب الأسعد: عبد المحسن بن مسلّم، وهو ظريف ذو نكت مضحكة، وقد هاجر من نجد في شبابه، وصحب الأسعد.

وكان وكيل أموال الأسعد هو: سليمان بن حمد المولود سنة ١١٧١هـ (١٧٥٨م).

ومن أصحاب الأسعد: محمد بن سيف النجدي البصري، والذي ولد في نجد سنة ١١٧٥هـ، ورحل مع أبيه إلى الأحساء، وقرأ القرآن، ودرس العلم، وكان أحمد الأسعد يحبه لتقواه، وصدقه، وصفاء سريرته.

ومن مجالسي الأسعد: الحاج يوسف بن يحيى الزهير المولود في الزبير، وقد اشتغل بالتجارة منذ الصغر، فلما جاء الأسعد إلى البصرة صار الزهير من متصدري مجلسه، وقد توفي سنة ١٢٣٩هـ.

ومن أصفياء الأسعد: الشيخ إبراهيم بن جديد، والذي رحل إلى الشام لطلب العلم ثم عاد إلى بلده، فمر ببغداد، ورحل إلى الأحساء، فأخذ العلم عن ابن فيروز ثم نزل الزبير بعد ذلك، فتولى القضاء، والتدريس بها، وهو معروف بالكرم، والزهد، والحلم.

أما الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز، فقد ولد في هجر، وكف بصره صغيراً، وجدّ في طلب العلم، وأخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق ثم انتقل لطلب العلم إلى الحرمين، فأخذ عن عالم المدينة الشيخ أبي الحسن السندي الحنفي ثم عاد إلى وطنه، فحاز مكانة عالية عند الخاصة والعامة حتى اضطرته الفتن للرحيل إلى الزبارة، فأكرمه أحمد الأسعد.

ثم رحل ابن فيروز إلى البصرة، فتولى التدريس بالمدرسة السليمانية، فراسله والي بغداد، وقد درس مؤلف هذا الكتاب (عثمان بن سند) على ابن فيروز، وممن درس على ابن فيروز ابنه الشيخ عبد الوهاب، وقد ولاه الشيخ ثويني بن عبد الله شيخ المنتفق الأحكام في البصرة لما استولى على البصرة، وبعد عزل ثويني عاد عبد الوهاب بن فيروز إلى الأحساء، فتوفي بعد أشهر من وصوله سنة ١٢٠٠هـ بينما توفي والده سنة ١٢١٦هـ، ودفن في مقبرة الزبير.

ويعرّف الكتاب أيضاً بآل عبد الرزاق، وهم إبراهيم، وأبناؤه عبد الوهاب، وسالم، وهم من أجلاء أصحاب أحمد الأسعد، ومن أهل الكرم والفضل، والشيخ إبراهيم آل عبد الرزاق ذو علم وصدقات، وكان من أصحاب رزق الأسعد قبل ابنه، وولداه عبد الوهاب وسالم من أصحاب أحمد الأسعد، ومن أهل الكرم والفضل.

* * *

* وفاة الأسعد، وذريته:

واختتم الكتاب بذكر وفاة أحمد بن رزق الأسعد سنة ١٢٢٤هـ، وما قال فيه المؤلف من المراثي، وقد أعقب خمسة من الأولاد، وهم محمد المولود في الزبارة سنة ١١٩٥هـ، وقد قام مقام أبيه بعد وفاته، ونظمت فيه المدائح، وثانيهم يوسف المولود في الزبارة سنة ١٢٠٠هـ، وثالثهم عبد المحسن المولود في الزبارة سنة ١٢٠٢هـ، ورابعهم خالد المولود سنة ١٢٠٧هـ، وخامسهم عبد العزيز المولود سنة ١٢٠٩هـ.

* * *

* خاتمة السبائك:

وهنا يختتم عثمان بن سند كتابه بالحمد لله (عز وجل)، والصلاة على أشرف الأنام، وقد ذيل الكتاب بكلمة لطابعه جاء فيها: (تم بحمد الله طبع كتاب (سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد) تأليف الإمام الأوحد، والعلامة المفرد الشيخ عثمان بن سند البصري رحمه الله بمنه وكرمه، وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم أعيان البصرة، ومشايخ الزبارة، والبحرين، والكويت، وبعض أعيان نجد، والبلاد العراقية الذين كانوا في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية، وما تضمنه من إيراد فضائلهم السنية، ومحاسنهم الفائقة البهية.

وقد جرى طبعه بمطبعة البيان الكائنة بمنبي مشمولاً بنظر مالك المطبعة حضرة السيد محمد رشيد بن المرحوم السيد داود السعدي على ذمة صاحب الفضيلة الأبدية، والهمة العلية الفاخرة حضرة الشيخ عبد الله أفندي العباسي الشهير بباش أعيان دام كما رام، وبلغ ما شاء بعون الله الملك المنان، وكان الإتمام على هذا النظام في الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٣٠٦هـ).

تاريخ الطباعة والنشر في الكويت

لا يدرك المرء أهمية اختراع عظيم كالطباعة إلا وهو يطالع مخطوطة أصلية لكتاب قديم، فيشاهد الجهد الذي بذله الناسخ، ويقرأ توقيعات المطلعين على المخطوطة عبر العصور، فيرى محدودية انتشار الكتاب، وبعد ذلك عليه أن ينتقل إلى مطبعة حديثة، ويرى كيف تخرج آلاف النسخ خلال ساعات، فيتحول العلم المكنون بين دفتي الكتاب أو الصحيفة إلى خبز يومي متوفر للجميع بسعر رخيص، وينتشر العلم انتشار الهواء والماء.

* * *

* دخول الطباعة إلى الجزيرة العربية:

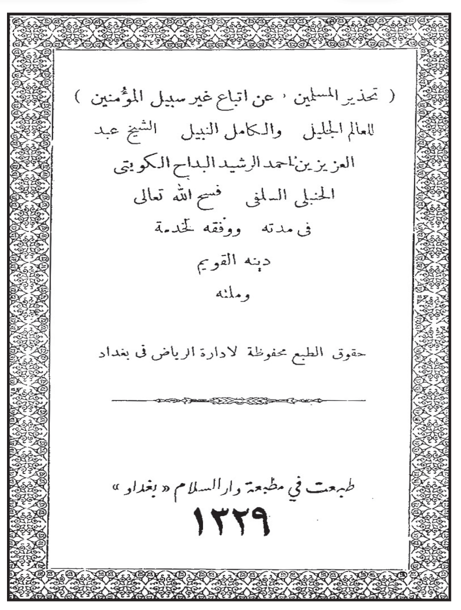
تأخرت الطباعة في الدخول إلى الجزيرة العربية أكثر من ثلاثة أرباع القرن بعد دخولها إلى مصر، وبعد سنوات من دخولها إلى بلاد الشام، والعراق، ودول المغرب العربي، وكان لغرب الجزيرة العربية قصب السبق في دخول الطباعة، ومن ثم الصحافة بسبب التواجد التركي في تلك المنطقة.

فقد دخلت أول مطبعة إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ) على يد الأتراك الذين جلبوا مطبعة إلى اليمن في تلك السنة، وبعدها إلى مكة المكرمة سنة ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، وذلك بهدف طبع سالنامة الولاية (تقريرها السنوي).

وكانت مطبعة (ولاية الحجاز) أو (المطبعة الأميرية) كما عرفت شعبياً مطبعة حجرية قامت بالإضافة إلى طبع المنشورات الرسمية بطباعة بعض الكتيبات الدينية والتراثية كما طبعت جريدة (حجاز) سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ).

وفي سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) أسس محمد ماجد الكردي (مطبعة الترقي الماجدية) في مكة المكرمة، وبدأت بعد ذلك المطابع بالظهور في مدن الحجاز المهمة، وأعني (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة) كما تعددت الصحف، وكان من أهمها جريدة (القبلة) الناطقة بلسان حكومة الشريف حسين في الحجاز.

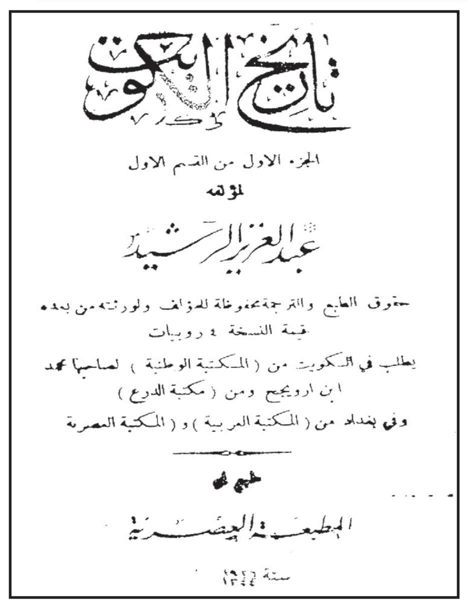
وبعد دخول الحجاز في حكم الملك عبد العزيز آل سعود ظهرت في الحجاز مطبعة (أم القرى) التي أسستها الحكومة السعودية سنة ١٩٢٥م بعدما اشترت بعض المطابع الأهلية، وطوّرتها لتكون


(تحذير المسلمين ، عن اتباع غير سبيل المؤمنين)
للعالم الجليل والكامل النبيل الشيخ عبد
العزيز بن احمد الرشيد البداح الكويتي
الحنبلي السلفي فسح الله تعالى
في مدته ووفقه لخدمة
دينه القويم
وملته

حقوق الطبع محفوظة لادارة الرياض في بغداد

طبعت في مطبعة دار السلام « بغداد »
١٣٢٩

أول كتب عبد العزيز الرشيد


تاريخ الكويت
الجزء الاول من القسم الاول
لمؤلفه
عبد العزيز الرشيد
حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف ولورثته من بعده
قيمة النسخة ٤ روبيات
يطلب في الكويت من (المكتبة الوطنية) لصاحبها محمد
ابن ارويجح ومن (مكتبة الدرع)
وفي بغداد من (المكتبة العربية) و (المكتبة العصرية)

طبع في
المطبعة العصرية
سنة ١٩٢٦ / ١٣٤٤

غلاف الطبعة الأولى لتاريخ الكويت

هذه المطبعة التي أصدرت جريدة (أم القرى) الرسمية التي ما تزال تصدر إلى يومنا هذا.

أما في الأقاليم الأخرى من الجزيرة العربية، فقد تأخر الأمر كثيراً، وليس لدينا أدلة على وجود للمطابع في مدن الخليج العربية، وأعني الكويت، والدمام، والمنامة، والدوحة، وأبوظبي، ودبي، ومسقط قبل سنة ١٩٣٩م (١٣٥٨هـ).

ويبدو أن الأمر كان يتطلب بداية الحرب العالمية الثانية لتدخل المطابع حيز الوجود في المنطقة، فكان أول من جلب مطبعة إلى البحرين سنة ١٩٣٩م هو الشاعر عبد الله الزايد، والذي كان أيضاً أول من أنشأ صحيفة بها قبل أن يتوفى شاباً سنة ١٩٤٥م كما أسس الشاعر الكويتي خالد الفرج (المطبعة السعودية) في مدينة الدمام السعودية بعد ذلك بقليل.

وفي وسط الجزيرة العربية افتتح حمد الجاسر سنة ١٩٥٥م (مطابع الرياض)، وطبع فيها صحيفته (اليمامة) التي تحمل اليوم اسم (جريدة الرياض)، وهي إحدى أشهر الصحف اليومية السعودية حالياً.

أما الكويت، فلم توجد المطابع بها قبل سنة ١٩٤٧م، وهي بداية متأخرة للغاية على الصعيدين العربي والعالمي، وإن لم تكن كذلك على الصعيد الخليجي.

وكان الإحساس بهذا القصور موجوداً قبل ذلك بفترة طويلة، ونقرأ في مجلة الكويت سنة ١٩٢٨م بشرى يزفها صاحب تلك المجلة الأديب عبد العزيز الرشيد إلى قرائه بنية حاكم البلاد وقتئذ الشيخ أحمد الجابر الصباح استيراد مطبعة لإصدار جريدة أسبوعية تحمل اسم (الصباح)، وهو المشروع الذي لم ير النور لأسباب لا نعرفها، فلا الصحيفة صدرت، ولا المطبعة استوردت.

* * *

* بواكير النهضة الثقافية في الكويت:

سبق دخول المطابع إلى الكويت نهضة ثقافية شاملة على مستويات عديدة مهدت لذلك، وتمثلت في تأسيس مقومات النشاط الثقافي، فأنشئت أول مدرسة نظامية، وهي (المدرسة المباركية) سنة ١٩١١م التي تبرع لها شعب الكويت بـ (٧٧٥٠٠) روبية.

ولدينا مثلاً صورة رسالة بعث بها الشيخ ناصر المبارك (١٨٨٣ - ١٩١٧م) إلى آل الخالد يحثهم على التبرع للمدرسة بتاريخ ٣٠ شوال ١٣٢٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٩١١م) يقول فيها: (إن يوسف بن عيسى يسعى في إقامة مدرسة علمية تجمع ثلاثة أشياء: مدرس متفنن بالعلوم الدينية عقلاً ونقلاً، ومعلم للقرآن الشريف بطريق التجويد لأولاد المسلمين مجاناً، وكاتب أديب يعلمهم الكتابة والحساب، وعلم الأدب، وأشعار العرب، فنرجوكم المساعدة بالمال والمقال، وإذا ما وفى الحاصل بما ذكرناه.. قدمنا الأول فالأول، وإن زاد على ذلك، فالأمر منكم وإليكم. ادخلوا بها ما تشاءون من العلوم الأجنبية).

ولا ننسى هنا دور آل الإبراهيم، وكانوا من أكبر تجار الكويت في الهند من خلال التبرع بنسبة كبيرة من المبلغ الذي تم جمعه لإنشاء المباركية، وهكذا أسست المدرسة بتكاتف بين الشعب الكويتي وحكامه الكرام، ووضعت أول لبنة في التعليم الحديث في الكويت قبل مئة عام من الآن.

وجاء بعدها تأسيس الجمعية الخيرية في السنة التالية ثم جاءت المدرسة الأحمدية كثاني مدرسة نظامية في الكويت افتتحت في مايو ١٩٢١م (رمضان ١٣٣٩هـ).

وبدأت الكويت في تلك الفترة بإعداد جيل من أبنائها قام فيما بعد بقيادة الحركة الثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وذلك من خلال سياسة الابتعاث إلى الخارج خاصة وأن الكويت لم تشهد قبل سنة ١٩٦٦م وجود الجامعات، فكانت أول بعثة طلابية إلى العراق سنة ١٩٢٤م ثم أرسلت أول بعثة طلابية لمصر، وبالتحديد إلى جامعة الأزهر سنة ١٩٣٩م متكونة من



الترويسة الأولى لمجلة البعثة



غلاف العدد الأول لمجلة العربي

أربعة طلاب ثم تلتها بعثة أخرى سنة ١٩٤٣م تكونت من سبعة وثلاثين طالباً بالإضافة إلى وجود طلبة آخرين كانوا يدرسون في تلك الأيام على نفقة أسرهم سواء في مصر أو بيروت أو بغداد.

وفي مصر تواجدت الكويت في الأربعينيات بشكل واضح على الساحة الثقافية من خلال (بيت الكويت) في القاهرة الذي كان بمثابة المركز الثقافي، والدار الصحفية بالإضافة إلى كونه سكناً داخلياً للطلبة المبتعثين، وقد تم افتتاحه في أول أكتوبر سنة ١٩٤٥م.

ونعود إلى مقومات النشاط الثقافي في الكويت، فتأسس النادي الأدبي سنة ١٩٢٣م، وجاء الاهتمام بالمكتبات، وإنشائها مكملاً لهذه الخطوات، فجاءت في تلك الفترة (المكتبة الأهلية) كأول مكتبة عامة، والتي أنشئت في نوفمبر ١٩٢٢م (ربيع الأول ١٣٤١هـ)، وبعدها وجدت مكتبة المعارف في الأربعينيات من القرن العشرين.

أما أول مكتبة تجارية في الكويت، فهي (المكتبة الوطنية)، وقد أسسها محمد بن أحمد الرويح سنة ١٩٢٧م، وهي تعد أول وكالة لتوزيع المطبوعات من كتب ومجلات في الكويت بالإضافة إلى بيعها لأدوات القرطاسية، وهناك (مكتبة الدرع) التي ذكرها عبد العزيز الرشيد في مجلة الكويت سنة ١٩٢٨م كوكيل لتوزيع مجلته بالإضافة للمكتبة الوطنية.

وتكاثرت بعد ذلك المكتبات التجارية، فنقرأ سنة ١٩٤٧م إعلاناً عن (مكتبة التلميذ) لصاحبها حمود بن عبد العزيز المقهوي، ونجد في العدد الرابع من مجلة كاظمة سنة ١٩٤٨م إعلاناً عن (مكتبة الخليج)، وكذلك (مكتبة الطلبة) التي بدأت الإعلانات عنها سنة ١٩٥١م لصاحبها عبد الرحمن الخرجى.

أما في الجانب الإعلامي المسموع والمرئي في الكويت، فإنه بالرغم من أن الإذاعة الكويتية افتتحت في ٢ فبراير ١٩٥٢م (٦ جمادى الأول ١٣٧١هـ) إلا أنه قبل ذلك كانت هناك إذاعة خاصة غير رسمية منذ سنة ١٩٤٨م، ونقرأ في أعداد مجلة البعثة الصادرة في ذلك العام جدولاً لبرامجها.

أما التلفزيون، وهو اختراع حديث نسبياً، فقد بدأ بثه بعد استقلال الكويت سنة ١٩٦١م بشهور قليلة، وبهذا يكون خارج حديثنا هنا زمناً، وموضوعاً.

وبدأ التحضير مبكراً لمأسسة الإعلام الكويتي بكافة أنواعه، فتأسست دائرة المطبوعات والنشر في ١٣ فبراير ١٩٥٥م (٢٠ جمادى الآخر ١٣٧٤هـ) ثم طور مسماها في وقت لاحق إلى وزارة الأنباء والإرشاد وصولاً إلى مسماها الحالي (وزارة الإعلام).

* * *

* نشأة الصحافة الكويتية:

نأتي إلى الصحافة الكويتية، والحديث يبدأ دائماً مع رائد هذه الصحافة الأديب عبد العزيز الرشيد المولود سنة ١٨٨٣م في الكويت، والذي طلب العلم في الأحساء، والزبير، وبغداد، ومصر، والحجاز، ونجد، والهند، وجاوه، وأدار المدرسة المباركية سنة ١٩١٧م، وشارك في تأسيس المدرسة الأحمدية سنة ١٩٢١م.

كما قام الرشيد بتأليف وطباعة أول كتاب يتحدث عن تاريخ الكويت، وهو (تاريخ الكويت) من جزأين، وطبعه ببغداد في المطبعة العصرية سنة ١٩٢٦م.

وقبل ذلك كان قد طبع كتابه (تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين) في مطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٩١١م، وموضوعها في تفنيد قصيدة لمعروف الرصافي.

ثم طبع الرشيد (المحاورة الإصلاحية) التي وضعها لطلبة المدرسة الأحمدية، وطبعها في مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٣م، وكتيب (الدلائل البينات في حكم تعلم اللغات) الذي طبع في مطابع المنار بمصر سنة ١٩٢٦م.

وله من المخطوطات (تحقيق الطلب في رد تحفة العرب، والصواعق الهاوية على النصائح الكافية، والهيئة والإسلام).

وفي فبراير ١٩٢٨م (شعبان ١٣٤٦هـ) أصدر عبد العزيز الرشيد أول مجلة كويتية مفتتحاً تاريخ الصحافة الكويتية، فكانت (مجلة الكويت) التي تحدث في عددها الأول عن حلم (إصدار مجلة للكويتيين في الكويت).

وكانت طباعة مجلة الكويت تتم في مصر، وتحمّل الرشيد مشاق السفر إلى مصر، وطباعة العدد ثم العودة إلى الكويت، والقيام بتوزيعها، واستمرت المجلة حوالي العامين ثم اضطر الرشيد لمغادرة الكويت حتى وصل شرقاً إلى سنغافورة، واندونيسيا، فأصدر هناك بالتعاون مع السائح العراقي يونس بحري مجلة (الكويت والعراقي) حتى سنة ١٩٣٢م.

ثم أصدر الرشيد بمفرده مجلة (التوحيد) في جاوه بإندونيسيا في ٣ مارس سنة ١٩٣٣م ثم صحيفة (الحق) قبل أن يتوفى في سنغافورة في ٣ مارس ١٩٣٨م (٣٠ ذي الحجة ١٣٥٦هـ).

وبعد الرشيد توقفت محاولات الكويت في عالم الصحافة عشر سنوات مع الحالة الاقتصادية الراكدة التي سببتها الحرب العالمية الثانية قبل أن تعود المحاولات للظهور سنة ١٩٤٧م مع مجلة (البعثة) التي أصدرها بيت الكويت في القاهرة، وكان عددها الأول في ديسمبر ١٩٤٧م، وسبقته عدة أعداد غير مرقمة، وقامت (البعثة) بدور ثقافي بارز في الكويت خاصة وأن معظم أعدادها كانت تباع الكويت، وعنيت بأخبار البلاد، والحركة الدؤوبة لتطويرها، وحفلت بالمقالات، والموضوعات، والصور النادرة، واستمرت في الصدور مدة ثماني سنوات قبل أن تحتجب في أغسطس ١٩٥٤م بعد أن انتفت الحاجة إليها.

* * *

* دخول المطابع إلى الكويت:

وفي سنة صدور البعثة أيضاً شهدت الكويت دخول أول مطبعة إذ لما رأت إدارة المعارف خلو الكويت من المطابع قررت شراء مطبعة، وذلك سنة ١٩٤٧م، ووصلت معداتها في نفس السنة، ولما ظهر صغر حجمها، وكثرة تعثرها تقرر بيعها في السنة التالية، فاشتراها أحمد هاشم الغربللي بخمسة عشر ألف روبية، واستمرت تحمل نفس الاسم القديم (مطبعة المعارف)، وطبعت بها الأعداد الأولى من الجريدة الرسمية للبلاد (الكويت اليوم)، وذلك سنة ١٩٥٤م.

ولمزيد من التوضيح يذكر الأستاذ أحمد السقاف أنه في ربيع ١٩٤٨م جلب أحمد البشر الرومي، وحمود المقهوي بمشاركة إدارة المعارف مطبعة صغيرة مستهلكة من البصرة لطباعة مستلزمات

التجار، وحاجات المدارس من القرطاسية بمبلغ ٦٠٠ دينار (ثمانية آلاف روبية).

وجاء في مجلة (كاظمة) أن (وجود مطبعة المعارف في الكويت اليوم أحدث شعوراً بالكرامة، وخدمة للبلد لا تقدر).

كما جاء في كاظمة بعض الأخبار عن (مطبعة المعارف للطباعة والنشر) مثل نقلها من محلها القديم إلى بيت واسع اشترته المعارف بأربعين ألف روبية، ورفع معاشات عمال المطابع، والإعلان عن وصول كميات كبيرة من الورق لطبع كافة المطبوعات.

ونقرأ خبراً آخر عن نية مديرية المعارف شراء مكينة طباعة كبيرة رغبة في تشجيع حركة الطباعة والنشر، وذكرت اعتزام التاجر الكويتي خليفة الغانم بناء مطبعة كبيرة عما قريب بعدما اتضح لديه نجاح المطابع.

ونقرأ سنة ١٩٤٧م خبراً في مجلة البعثة عن شراء مطبعة صغيرة من أميركا، وشراء مطبعة أخرى من العراق.

وفي أبريل ١٩٤٧م ذكرت البعثة أيضاً أنه (إلى جانب المطبعة التي وصلت للكويت، وبدأت العمل، فقد أوصت المعارف على مطبعتين: متوسطة، وكبيرة، وآلة قص كبيرة من أمريكا، وسترد بعد ستة شهور، وستكون مطبعة المعارف بالكويت أكبر مطبعة في الجزيرة العربية).

وفي سنة ١٩٤٩م بدأت في الكويت بالعمل (مطبعة الكويت)، وهي شركة مساهمة كويتية وصفت بأن لها مطبعة ضخمة، ويبدو أن مساهمها الأكبر هو حمود المقهوي لأن الاتفاقات معها كانت تتم في مكتبة التلميذ التي يمتلكها المقهوي.

* * *

* طباعة الصحف في الكويت:

ورغم هذه المطابع التي بدأت تكثر في الكويت، وأعداد الصحف التي كثرت في الخمسينيات بعد توقف صدور المجلة الرائدة (كاظمة) التي كانت أول مجلة تطبع في الكويت في يوليو ١٩٤٨م حتى توقفت في مارس ١٩٤٩م بعد عددها التاسع إلا أن معظم هذه الصحف كانت مغامرات فردية سرعان ما كانت تتوقف، ولسنا هنا في وارد تعديد أسباب ذلك الأمر، ولكن من جانب الطباعة يذكر الكاتب يوسف السيد هاشم في عدد البعثة الصادر في ديسمبر ١٩٥١م أن من

أسباب فشل الصحافة في الكويت هو: (عدم توفر آلات الطباعة الفنية الحديثة، وكون حروف أكثر المطابع حروف تجارية).

ويبدو أن السبب الأخير هو الذي دفع كثيراً من المجلات التي صدرت في الكويت في أوائل الخمسينيات لأن تطبع في الخارج رغم وجود المطابع في البلاد، فعندما حاول الشاعر يعقوب بن عبد العزيز الرشيد إحياء مجلة أبيه (الكويت)، وأصدرها في يونيو ١٩٥٠م، وتوقفت بعد ستة شهور في ديسمبر ١٩٥٠م ذكرت البعثة أنه تقرر طبعها في البصرة، وعلقت البعثة على ذلك بالقول: (كنا نتمنى أن تطبع المجلات الكويتية بمطابع الكويت).

وكذلك الأمر بالنسبة لمجلة (الإرشاد) التي أصدرتها جمعية الإرشاد الإسلامية في أغسطس ١٩٥٣م، فقد طبعت في دار الكشاف ببيروت، وتقطعت في الصدور حتى توقفت.

وهناك أيضاً (الإيمان)، وهي مجلة أصدرها النادي الثقافي القومي في يناير ١٩٥٢م، ورأس تحريرها أحمد السقاف، وطبعت في دار الكشاف ببيروت.

* * *

* صحف الكويت قبل الاستقلال:

وهذا سجل لأهم الصحف الكويتية التي صدرت منذ دخول المطابع إلى الكويت حتى الاستقلال في يونيو ١٩٦١م:

– جريدة البعث: طبعت في مطبعة مقهوي في يونيو ١٩٥٠م، وسرعان ما توقفت.

– الصباح: مجلة صدرت عن مدرسة الصباح في الكويت أوائل سنة ١٩٥٠م.

– الفكاهة: أول مجلة كويتية ساخرة، وقد أصدرها عبد الله الحاتم في ١٢ أكتوبر ١٩٥٠ (نصف شهرية)، واستمرت لتسعة أعداد ثم أعادها الحاتم للصدور في دمشق في ٢٠ يوليو ١٩٥٤م، وحتى ٢٤ نوفمبر ١٩٥٨م.

– اليقظة سنة ١٩٥٢م، وهي صوت المدرسة المباركية.

– الرائد: مجلة شهرية صدرت في مارس ١٩٥٢م عن نادي المعلمين، وتوقفت في يناير ١٩٥٤م، وكانت الحكومة تقدم منحة شهرية لها قدرها ألفا روبية.

– صدى الإيمان: جريدة أسبوعية صدرت في ٤ أغسطس ١٩٥٣م تحت مسمى (ملحق الإيمان)، وتوقفت في ١٤ ديسمبر ١٩٥٧م حيث صدرت باسم (صدى الإيمان) اعتباراً من العدد ٦٥ في ٣٠ نوفمبر ١٩٥٧م.

– الرائد الأسبوعي: جريدة أسبوعية صدرت في ١٤ يناير ١٩٥٤م، وتوقفت في ١٩ مايو ١٩٥٦م، ورأس تحريرها داود مساعد الصالح.

– الجريدة الرسمية (الكويت اليوم): صدرت يوم ١١ ديسمبر ١٩٥٤م من قبل دائرة المطبوعات والنشر باقتراح من بدر خالد البدر، وطبعت في مطبعة المعارف أول الأمر.

وكان الكاتب عبد الوهاب أحمد الفهد قد دعا الحكومة في مقال نشره في البعثة في عدد ديسمبر ١٩٥١م لإصدار جريدة أسبوعية لنشر إعلانات الحكومة، وما يحدث في البلاد من حوادث.

وقبل صدور مجلة (الكويت اليوم) كانت القوانين، والإعلانات، والبلاغات الرسمية تلصق أو تدق بالمسامير على مداخل السوق في الكويت.

و(الكويت اليوم) تجرنا للحديث عن مطبعة الحكومة التابعة لوزارة الإعلام (دائرة المطبوعات والنشر وقتئذ)، فقد افتتحت في ٥ أكتوبر ١٩٥٦م، وهي كما وصفت فيما بعد بأنها: (مطبعة كبرى من أحدث آلات الطباعة تتولى طبع جميع مطبوعات الدولة إلى جانب مجلة الكويت اليوم الأسبوعية، ومجلة العربي الشهرية، ومجلة الكويت نصف الشهرية بالإضافة إلى طبع الكتب للمؤلفين، والأدباء الكويتيين كما تتولى طبع القرآن الكريم، وكتب التفسير، وكتب التراث العربي).

ونعود إلى صحف ما قبل الاستقلال:

– الفجر: جريدة أسبوعية صدرت في ٢ فبراير ١٩٥٥م، وهي لسان حال نادي الخريجين، وتوقفت عن الصدور في ٢٨ مايو ١٩٥٥م.

– الاتحاد: جريدة طلابية (اتحاد بعثات الكويت بمصر) صدرت في مارس ١٩٥٥م، وذلك بعد توقف البعثة.

– أخبار الأسبوع: جريدة أسبوعية رأس تحريرها داود مساعد الصالح، وصدرت في أول نوفمبر ١٩٥٥م، وتوقفت في ٢٧ مارس ١٩٥٦م.


تجديد المساعي لعقد مؤتمر الذروة

مجلس الامن يبحث العدوان على كوبا

الرأي العام

اجراءات عربية لتأديب اسرائيل

معارك دموية واعتقالات في باريس

العدد الأول من جريدة الرأي العام

– رسالة النفط: مجلة شهرية أصدرتها شركة النفط في فبراير ١٩٥٧م، وتوقفت في يونيو ١٩٦١م لتصدر مجلة (الكويتي) عن نفس الشركة في ٢٤ يونيو ١٩٦١م.

– العربي: مجلة شهرية صدر عددها الأول في ديسمبر ١٩٥٨م، وقد غدت منذ صدورها رمزاً من رموز الكويت الثقافية البارزة، واحتلت مكاناً طليعياً بين المجلات الثقافية العربية حتى يومنا هذا.

– الرائد العربي: مجلة اقتصادية شهرية صدرت في نوفمبر ١٩٦٠م، ورأس تحريرها جاسم محمد الغانم.

– طبيب المجتمع: مجلة شهرية صحية صدرت عن شعبة الإرشاد والتثقيف الصحي بدائرة الصحة العامة، وكان عددها الأول في ديسمبر ١٩٦٠م، وهناك مجلة بعنوان (الصحة) كانت تصدر عن دائرة الصحة في الكويت، ونشر عنها خبر في البعثة في سبتمبر ١٩٥١م.

– البشير: صحيفة يومية سياسية صدر منها عدد واحد فقط يوم ٣١ مارس ١٩٦١م، ورأس

تحريرها سعدون الجاسم اليعقوب.

– الرأي العام: جريدة يومية صدر عددها الأول في ١٦ أبريل ١٩٦١م، وتعد البداية الحقيقية للصحافة اليومية في الكويت، ومازالت (الرأي العام) تصدر حتى الآن، وإن باعها مالكها الأصلي عبد العزيز فهد المساعيد بعد التحرير، وتم اختصار اسمها حديثاً إلى (الراي) بالإضافة إلى الصحف اليومية الكويتية الأخرى التي صدرت بعد الاستقلال، وهي: (السياسة – الوطن – القبس – الأنباء – عرب تايمز – كويت تايمز)، وهناك صحف يومية أخرى صدرت حيناً من الوقت ثم توقفت.

كما صدرت في الكويت بعد الاستقلال العديد من المجلات الأسبوعية، والشهرية، وبعد تعديل قانون المطبوعات صدرت العديد من الصحف اليومية ابتداء من سنة ٢٠٠٧م، وعددها يتزايد بمرور الأيام.

* * *

* نشر الكتاب الكويتي:

وأخيراً نأتي للحديث عن حركة نشر الكتاب في الكويت:

فقد كانت الهند، ومصر، والعراق، وبلاد الشام هي ملجأ الراغبين من الكويتيين بطباعة الكتب سواء من نتاجهم أو بصفتهم ناشرين سواء للاتجار أو طلب الأجر والثواب، ولعل أول كويتي طبع كتاباً كان الشيخ الثري علي بن محمد آل إبراهيم المتوفى سنة ١٨٨٣م، والذي طبع في سنة ١٨٧١م كتاب (نيل المآرب بشرح دليل الطالب على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني) في المطبعة الخيرية بمصر.

وبعده تم طبع ديوان الشاعر عبد الجليل الطبطبائي (المتوفى في الكويت سنة ١٨٥٤م)، وتمت الطباعة في بومباي سنة ١٨٨٣م في الهند بإشراف حفيده مساعد بن أحمد بن عبد الجليل.

وفي سنة ١٩٠٩م طبع الشاعر الكويتي زين العابدين بن باقر كتابه (موعظة الرجال وبلغة الآمال)، وذلك في بومباي بالهند، وبعده بعامين طبع عبد العزيز الرشيد أول كتبه في بغداد، وهو (تحذير المسلمين) الذي سبقت الإشارة إليه.

وطبع ديوان عبد الله الفرج سنة ١٩١٨م في بومباي بالهند على يد خالد الفرج ثم أعيدت طباعته في دمشق سنة ١٩٥٣م.



غلاف من تاريخ الكويت للشملان



العدد الأول من رسالة النفط

وكتاب (دليل المحتار في علم البحار) الذي ألفه عيسى القطامي، وطبعه خارج الكويت سنة ١٩٤٢م، وكان أصحاب السفن يحملونه معهم للاستدلال به.

وفي ١٩٤٧م طبع بمصر كتاب (صفحات من تاريخ الكويت) للشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وبعد ذلك بعامين طبع الشيخ القناعي في مصر أيضاً كتابه (الملتقطات).

وفي سنة ١٩٥٢م طبع خالد الفرج كتابه (ديوان النبط) في دمشق، وفي نفس العام طبع عبد الله الحاتم كتابه (خيار ما يلتقط من الشعر النبط) في المطبعة العمومية في دمشق.

أما أول كتاب أخرجته المطابع الكويتية، فكان كتاب (آلام صديق)، وهو قصة تقع في خمسين صفحة من القطع الصغير للأديب الكويتي فرحان راشد الفرحان، وقد نشر الخبر عنه في مجلة البعثة بعدد فبراير سنة ١٩٥٠م، وكتبت أنه (أول كتاب تخرجه مطابع الكويت).

ومن الإصدارات الرائدة، والثابت طباعتها في الكويت تقويم صالح العجيري لسنة ١٣٧١هـ (٥١ - ١٩٥٢م) الذي طبع في كراس صغير من أربعين صفحة بمطبعة المعارف بالكويت.

وأيضاً هناك (سجل الكويت اليوم)، وهو كتاب مصور أصدرته دائرة المطبوعات والنشر سنة ١٩٥٥م.

وكتاب (الحب طبيب)، وهي ثلاث مسرحيات لموليير صدرت سنة ١٩٥٧م عن مطابع دائرة المطبوعات والنشر بالكويت.

و(سلسلة التراث العربي) التي صدرت في الكويت، وأول مطبوعاتها كان كتاب (الذخائر والتحف) للقاضي الرشيد بن الزبير الذي طبع سنة ١٩٥٩م، وصدر من هذه السلسلة عدد من أمهات الكتب في التراث العربي كما تم طبع القرآن الكريم في أبريل ١٩٦١م.

وهناك كتب كويتية أخرى ظهرت في الخمسينيات، ولسنا على ثقة كاملة من طباعتها في الكويت إذ طبع فاضل خلف سنة ١٩٥٥م مجموعته القصصية الأولى (أحلام الشباب)، وطبع في العام التالي كتابه (في الأدب والحياة) سنة ١٩٥٦م، وكتاب (فهد العسكر حياته وشعره) من تأليف عبد الله زكريا الأنصاري سنة ١٩٥٦م، وكتاب (كاظمة في الأدب والتاريخ) ليعقوب الغنيم الصادر سنة ١٩٥٨م.

* * *

وختاماً.. هذه ملامح من حكاية (الطباعة والنشر في دولة الكويت) قبل استقلالها يوم الاثنين ١٩ يونيو ١٩٦١م (٥ محرم ١٣٨١هـ)، وهي بدايات بشرت بالواقع الزاهر الذي تعيشه هذه الحكاية في يومنا هذا إذ لا رقابة مسبقة على المطبوعات من صحف، ومجلات، وكتب في وجود العشرات إن لم أقل المئات من المطابع الحديثة في البلاد، والتي تتنافس لطباعة عدد كبير من الصحف، والمجلات، والكتب، وأيضاً في ظل وجود العديد من مؤسسات التوزيع، ودور النشر.

صحافة كويتية في اندونيسيا

خلال جولاتي في المكتبات، ومراكز البحث عثرت في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض على مجلد يحوي نسخاً مصورة من أعداد مجلة (الكويت والعراقي) التي أصدرها مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد، والصحافي العراقي يونس بحري المشهور بلقب (السائح العراقي)، فصورت من ذلك المجلد ما راق لي من موضوعات، وأحببت أن أتجول معكم في رحاب تلك المجلة النادرة.

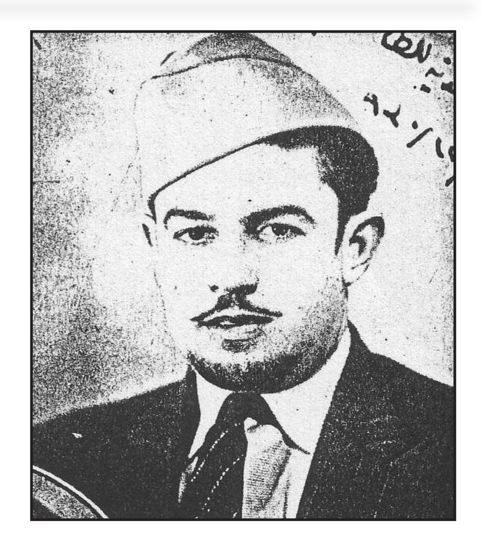
ولكن قبل هذه الجولة تعالوا نتعرف أولاً على هذين الرجلين، فالأول هو عبد العزيز بن أحمد الرشيد البداح الكويتي الحنبلي. هكذا كان يضع اسمه على كتبه. ولد سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م)، وتذكر رواية أخرى أنه من مواليد ١٨٨٧م.

وأخذ من العلم الشرعي نصيباً طيباً في الأحساء التي رحل عليها للدراسة سنة ١٩٠٦م، وتردد عليها أكثر من مرة، ودرس في بغداد سنة ١٩١١م على يد العالم السلفي محمود شكري الألوسي، وهناك ألف وطبع أولى كتبه، وهو (تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين)، وعندما أدى فريضة الحج سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) توقف في المدينة المنورة، فعمل مدرساً في الحرم النبوي الشريف ثم عاد إلى بلاده، وصار إماماً لمسجد النبهان في (فريج عليوه) ثم انضم إلى هيئة التدريس في مدرسة المباركية سنة ١٩١٧ حتى عين مديراً لها.

ثم انضم الرشيد إلى عبد الملك الصالح للتدريس في المدرسة العامرية التي افتتحها سنة ١٩١٩م في بيت العامر بسوق المعجل، والتي كانت النواة الأولى للمدرسة الأحمدية كما ساهم الرشيد في إنشاء النادي الأدبي في الكويت، وتأسيس المكتبة الأهلية التي دعا إليها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وزملاؤه سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م)، وشارك الرشيد في تشجيع وإعداد الطلاب الذين اختارتهم الجمعية الخيرية لإرسالهم إلى الدول العربية في بعثات علمية.

وشارك عبد العزيز الرشيد في معركة الجهراء سنة ١٩٢٠م ثم صار عضواً في المجلس التشريعي الأول في مايو ١٩٢١م، وفي سنة ١٩٢٦م أصدر كتابه الرائد (تاريخ الكويت) من جزأين، واستحق بذلك لقب مؤرخ الكويت الأول.

أما في الصحافة، فقد كان رائدها في الكويت أيضاً، فأصدر في ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) مجلته



يونس بحري



عبد العزيز الرشيد

الشهرية (الكويت)، فاستمرت حوالي العامين، وكان يطبعها في القاهرة، ويوزعها في الكويت ثم اضطرته بعض الظروف لإيقاف مجلته، ومغادرة الكويت إلى البحرين، ومنها انتقل إلى جاوه في اندونيسيا حيث أصدر هناك في جمادي الأول ١٣٥٠هـ (أغسطس ١٩٣١م) مجلة شهرية باسم (الكويت والعراقي) مع الصحافي العراقي يونس بحري، واستمرت المجلة قرابة الست سنوات، وتعرض الرجلان فيها هناك لعداوة بعض القيادات الدينية ممن كانوا ينشرون البدع والخرافات كما وقفا ضد المبشرين بالنصرانية حيث أصدرا مجلة مختصة بالشئون الدينية هي (التوحيد) في ذي القعدة ١٣٥١هـ (مارس ١٩٣٣م)، واستمرت هذه المجلة حتى ١٥ ديسمبر ١٩٣٣م بعد أن صدر منها أحد عشر عدداً.

وعن الصراعات التي خاضها الرشيد، وصاحبه العراقي في اندونيسيا تذكر جريدة العمل الموصلية في عددها بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٣٢م خبراً نصه الآتي:

(وفد إلى بغداد السائح العراقي يونس بحري من بتافيا عاصمة اندونيسيا عن طريق (الحجاز. مصر. فلسطين. سوريا) حيث بقي فيها نحو سبعة أشهر بعد أن قام وصديقه (الرشيد) بمقاومة أفكار المبشرين المستعمرين كما أنهما قاما بدعم الصلح بين الحزبين المتنافرين الرئيسين في البلاد (حزب العلويين) المحافظين على القديم، وحزب (الإرشاديين) المتمردين هناك، وإصلاح ذات البين بينهما علماً بأن في اندونيسيا جمعية لمقاومة التبشير هي جمعية (الإرشاد)، وهي عربية بحتة، وجمعية (شركة إسلام والمحمدية)، وأعضاؤها من أهل البلاد الأصليين).



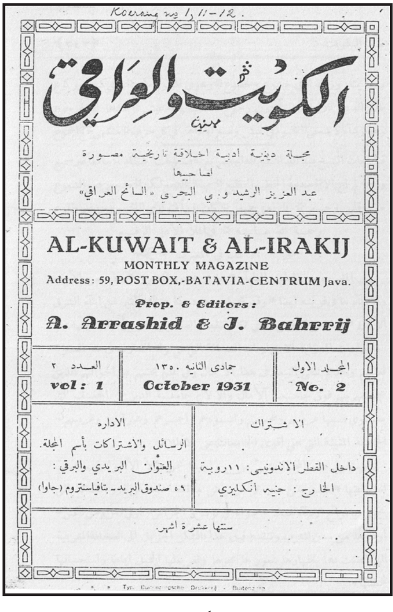
عبد العزيز الرشيد ويونس بحري جالسان وخلفهما رجلان خلال زيارتهما لجدة في أوائل الثلاثينيات

هذا، وقد استمرت (مجلة الكويت والعراقي) في الصدور فترة قبل أن يتوفي عبد العزيز الرشيد في جاكرتا في ٣ ذي الحجة ١٣٥٦هـ (٣ فبراير ١٩٣٨م)، ويدفن في مقبرة العرب هناك علماً بأن يونس بحري كان قد عاد إلى العراق بعد مرور سنة على تأسيس المجلة، واستمر بها الرشيد حتى لقي ربه.

* * *

أما يونس بحري، فهو يونس صالح بحري الجبوري. ولد في الموصل سنة ١٩٠٣م، وكان والده يوزباشي في الجيش العثماني يقوم بتأمين البريد بين إسطنبول وولاية الموصل، ودرس يونس في مدارس الموصل حتى دخل دار المعلمين سنة ١٩٢١م إلا أنه لم يكمل الدراسة، فالتحق بوظيفة في وزارة المالية سرعان ما تركها سنة ١٩٢٣م، وبدأ رحلاته خارج العراق سائحاً، فجاب الكثير من الدول الآسيوية والأوربية، واشتغل فيها بمختلف المهن حتى أصبح لقبه (السائح العراقي) معروفاً في الصحافة العربية، والتي كان يراسلها، ويزودها بأخبار مغامراته، فقابل بعض الملوك والزعماء، وكان موضع التكريم في كثير في البلدان التي زارها، وأتقن ست عشرة لغة عالمية قراءة وكتابة عدا اللغات واللهجات المحلية.

وكان يونس بحري مغامراً يحب السفر والترحال، وكان متعدد المواهب إلى حد لا يصدق،



Koerans no 1, 11-12.

الكويت والعراقي

مجلة دينية أدبية اخلاقية تاريخية مصورة

لصاحبيها

عبد العزيز الرشيد و. ي البحري «السائح العراقي»

AL-KUWAIT & AL-IRAKIJ

MONTHLY MAGAZINE

Address: 59, POST BOX,-BATAVIA-CENTRUM Java.

Prop. & Editors:

A. Arrashid & J. Bahrrij

المجلد الاول No. 2	جمادى الثانيه ١٣٥٠ October 1931	العدد ٢ vol: 1

الاشتراك	الاداره
داخل القطر الاندونيسي: ١١روبية	الرسائل والاشتراكات بأسم المجلة.
الخارج: جنيه أنكليزي	العنوان البريدي والبرقي:
	٥٩ صندوق البريد - بتافياسنتروم (جاوا)

سنتها عشرة اشهر.

غلاف مجلة الكويت والعراقي

ففي سباق للسباحة في بحر المانش في الثلاثينات كان يونس بحري هو الفائز الأول، وجرى حفل رفع فيه العلم العراقي، وقدمت له الجائزة الأولى، وتناقلت الصحف في مختلف أنحاء العالم نبأ فوزه، ومن الطريف أن يونس قد شارك في السباق دون إعداد مسبق أو تدريب!

وفي فترة من حياته عاشها في الهند كان يونس بحري يعمل كراهب في النهار، وراقص في ملهى بالليل، ويجد مع ذلك وقتاً ليقوم بعمل مراسل لأحدى الصحف الهندية، وفي وقت آخر أصبح مفتياً في اندونيسيا، ومن طرائفه أن جاءه أحد سكان الجزيرة مُصطحباً معه فتاة جميلة يريد منه أن يعقد قرانه عليها، ولما رأى يونس جمالها، وكبر سن الرجل ودمامته ادعى أنه لا يجوز شرعاً للرجل الطاعن في السن الاقتران بفتاة أصغر منه، فصدقه الرجل، وترك الفتاة، فتزوجها المفتي يونس بحري!

ومن الطريف أن يونس بحري كان مزواجاً في كل بلد يسافر إليه، ويحكى أنه كان ذات مرة في مجلس الملك عبد العزيز آل سعود حين جاء من يبشر الملك بمولود له، فنظر الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى يونس بحري، وابتسم، وكان الملك عبد العزيز لمّاحا، فلاحظ نظرة ولده، وابتسامته، فسأله عن ذلك، فقال الأمير فيصل: (يبلغ عدد أولاد يونس بحري أربعة وستين).

فسأله الملك عبد العزيز: (هل هذا صحيح يا يونس؟).

فرد يونس بحري قائلا: (الذكور منهم فقط.. يا طويل العمر!).

وقد تزوج يونس لأول مرة من امرأة موصلية اسمها مديحة، وأنجب منها ابنين وبنت، وهم الدكتور لؤي بحري (أستاذ يدرس حالياً في جامعة الجزائر للعلوم السياسية)، والثاني الدكتور سعدي يونس (الفنان الأكاديمي المتخصص في الفنون المسرحية)، والبنت هي الدكتورة منى بحري (أستاذة علم النفس المتقاعدة من جامعة بغداد).

ويذكر الدكتور عبد السلام العجيلي أن يونس بحري تزوج ثمانين مرة، وأبناؤه وبناته منتشرون

في مشارق الأرض ومغاربها، ولا سبيل لإحصائهم لكن عددهم يتجاوز المئة قطعاً!

وفي المملكة العربية السعودية قام يونس بحري برحلة من عسير إلى اليمن، ومنها انتقل بحراً إلى اندونيسيا، وفي اندونيسيا أصدر مجلة (الحق والإسلام)، ومجلة (الكويت والعراقي) مع مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد بين عامي (١٩٣١ - ١٩٣٧م)، وفي ليبيا عمل مستشاراً لملك ليبيا السنوسي.

وفي سنة ١٩٣١م عاد يونس بحري إلى العراق، فأصدر جريدة (العقاب)، ولكن تجربته هذه انتهت بكارثة عندما توفي الملك غازي بحادث اصطدام سيارته بعمود كهربائي في أبريل ١٩٣٩م، فما كان من يونس بحري إلا أن أصدر جريدته في اليوم التالي، وعنوانها بالخط العريض في أعلى الصفحة: (مقتل الملك غازي) موضحاً أن الأمير عبد الإله ونوري السعيد قد تآمرا مع الانكليز، واغتالوا الملك، وقام يونس بتوزيع نسخ الصحيفة يومئذ بنفسه على دراجة نارية.

وتسبب ذلك في مظاهرات صاخبة قتل خلالها القنصل البريطاني العام في الموصل، واتهم يونس بحري بالتحريض على تلك المظاهرات لما كتبه في جريدته من اتهامات للانكليز بقتل الملك بل أن هناك دلائل على أنه شارك في المظاهرات بنفسه، ولكن حينما توجهت الشرطة إلى بيت يونس بحري لإلقاء القبض عليه، وتقديمه إلى المحاكمة كان صاحبنا قد وصل إلى برلين بجواز سفر أصدرته له السفارة الألمانية في بغداد، وبطائرة ألمانية نقلته سراً.

وفي عهد هتلر خلال الحرب العالمية الثانية عمل يونس بحري مذيعاً في محطة برلين العربية بألمانيا، وكان يبدأ إذاعته بجملة (هنا برلين.. حي العرب) التي كانت بمثابة شارة افتتاح برامج الإذاعة، ويذكر له هنا مقولته الشهيرة: (لو أن سمكتين في البحر تصادمتا لكان السبب هو بريطانيا)، وخصصت هذه الإذاعة لمهاجمة الحلفاء في الحرب العالمية، والترويج للدعاية النازية.

وأصبح يونس بحري أحد المقربين للقيادة النازية، فمنح رتبة عسكرية بدرجة (ماريشال)، ومن طريف ما عمله يونس بحري من أجل جذب المستمعين المسلمين لإذاعة برلين أنه طلب من وزير إعلام هتلر (جوبلز) أن يوافق على بث القرآن الكريم في بداية إرسال الإذاعة، فتردد جوبلز، وأوصل المقترح إلى هتلر الذي وافق عليه بعد أن شرح له يونس بحري بأن بث القرآن الكريم سيجذب انتباه المستمعين المسلمين إلى إذاعة برلين، والعزوف عن الاستماع للبي بي سي التي لا تذيع القرآن، فكانت النتيجة أن غدت إذاعة برلين هي المفضلة عند المسلمين، وبعد أشهر قليلة بدأت البي بي سي ببث آيات القرآن.

وبعد سقوط برلين على يد الحلفاء كان يونس بحري من الأسماء المطلوب القبض عليها، وجاءت قصة هروبه من قبضة الحلفاء مثيرة حيث خرج من برلين مع عدد من الأجانب قبل أن يحاصرها الروس، وحرّف اسمه المسجل في جواز السفر إلى (يوني باري جبوري) محرفاً عن (يونس بحري الجبوري)، وزعم للمحققين أنه كان معتقلاً في ألمانيا، وأطلعهم على أثر جرح قديم في جسمه من أثر شجار قديم كأنه من آثار التعذيب، فسمحوا له بالسفر إلى باريس، ومنها توجه إلى الجزائر ثم تونس التي وصلها بالقطار يوم ٢٦ مايو ١٩٤٥م.

وقبيل ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨م التي قضت على الملكية وصل بحري إلى العراق، فأرسل في طلبه نوري السعيد، وكان هناك خلاف بين السعيد وعبد الناصر، فطلب إليه نوري السعيد أن يذيع مقالاته ضد عبد الناصر، ففعل، ولذا اعتبر يونس بعد الثورة كأحد أنصار نوري السعيد، وتم اعتقاله لفترة تقارب السبعة أشهر، وأطلق سراحه دون محاكمة بعد مقابلة حامية مع عبد الكريم قاسم.

وبعد إطلاق سراحه افتتح يونس مطعماً في منطقة الكرادة ببغداد كان يرتاده كبار الشخصيات السياسية والفكرية والسفراء، فصار أشبه بالمنتدى، وكان يونس يقوم في مطعمه بطبخ الأكلات المختلفة التي تعلمها أثناء سفراته، ولم تجد أجهزة أمن عبد الكريم قاسم ريبة في هذه المسألة كما أنهم سمحوا له بالسفر بعد أن أخذ عبد الكريم قاسم منه وعداً بعدم مهاجمة نظامه بعد مغادرته العراق، وتم تخصيص راتب له بعد سفره إلى لبنان قدره مئة دينار يستلمه من السفارة العراقية في بيروت، ولكنه لم يتوقف عن نشاطه، فأصدر كتابه الذي يشرح فيه ذكريات سجنه بعنوان: (سبعة أشهر في سجون قاسم).

وبعد بيروت تنقل يونس بحري بين باريس التي أصدر فيها مجلة العرب، وعاش لفترة بسيطة في الكويت حيث أصبح مديرا لمطعم اسمه (مطعم المدينة) كان يملكه أحد أصدقائه، وعمل كذلك في أبوظبي سنة ١٩٧١م حيث أصدر صحيفة (أبوظبي نيوز) الناطقة بالانكليزية.

وأخيراً عاد يونس بحري إلى مسقط رأسه ليقضي ما تبقى من عمره في بيت أحد أقربائه حتى مات في بغداد، ودفن في مقبرة الغزالي في مارس ١٩٧٩م.

وصدر ليونس بحري حوالي ستة عشر كتاباً منها (العراق اليوم)، و(الحرب العراقية البريطانية)، وسلسلة (هنا برلين حي العرب) في حوالي عشرة أجزاء، و(سبعة أشهر في سجون قاسم).

* * *

وبعد أن تعرفنا على صاحبي مجلة (الكويت والعراقي) نتوقف قليلاً عند اسمها الغريب، وهو تركيب من مسمى مؤسسيها (صاحب مجلة الكويت والسائح العراقي)، ولعل بعض المغرضين حاولوا تحوير الاسم إلى (الكويت العراقي)، وهو تجن صارخ على الحقيقة التي يراها القارئ لترويسة المجلة كما أن هناك من اعتقد أن اسمها هو (الكويت والعراق) غير أن الترويسة تدحض هذا الاعتقاد أيضاً.

وعندما نتصفح أعداد المجلة المتوفرة لدينا نجد أن صاحبيها وصفاها تحت الترويسة بأنها (مجلة دينية أدبية أخلاقية تاريخية مصورة لصاحبيها عبد العزيز الرشيد وي البحري السائح العراقي)، واشتراكها داخل القطر الاندونيسي ١١ روبية، وفي الخارج جنيه انكليزي، وتكون الرسائل والاشتراكات باسم المجلة، والعنوان البريدي والبرقي هو: ٥٩ صندوق البريد بتافيا سنتروم جاوا، والمجلة سنتها عشرة أشهر كما هو الحال في مجلات ذاك الزمان.

ورغم بعد الرشيد عن الكويت مكاناً إلا أنه ظل قريباً من أحداثها، وأخبارها، فنجده يتحدث في أحد أعداد المجلة عن وفاة عالم الكويت الشهير عبد الله بن خلف الدحيان، ويذكر الحفل التأبيني الذي أقيم في اليوم الأربعين لوفاته في قاعة المدرسة المباركية برئاسة الشيخ عبد الله النوري، وحضره أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر، وولي عهده الشيخ عبد الله السالم، وبقية أفراد الأسرة الحاكمة، ووجهاء البلد وعلماؤها وأدباؤها حتى غصت بهم المدرسة، وتحدث فيها ما لا يقل عن خمسة عشر مؤبناً.

وفي المجلة يكتب السائح العراقي موضوعاً بعنوان (ابن السعود كما عرفته) يتحدث فيه عن لقائه بالملك عبد العزيز آل سعود خلال موسم الحج، وفيه تفصيلات جميلة.

ومن أخبار المجلة البشرى بانحلال مشكلة المسابلة بين نجد والكويت بعد استقبال الملك عبد العزيز لوفد كويتي برئاسة الشيخ أحمد الجابر أمير الكويت، وبرفقته الشيخ عبد الله السالم، والشيخ سلمان الحمود، والشيخ علي الخليفة، وبالمناسبة ينظم عبد العزيز الرشيد قصيدة بالمناسبة، ومنها:

همس البشير بلهجةٍ جذابةٍ ... والبشر يطفح في الجبين، ويشرق
أنّ الكويت مع الرياض تصافتا ... وبنوهما هجروا الجفاء، وطلقوا
أسد الجزيرة، والأمير تصافحا ... والكل يجهر بالولاء، وينطق
هي نعمة أرجو الإله يديمها ... ليذل من يهوى الشقاق، ويعشقوا

وكما فعل في كتابه (تاريخ الكويت، ومجلة الكويت) يحتفل الرشيد بأشعار صديقه الشاعر صقر الشبيب الذي يلقبه بـ (رهين المحبسين. بلبل الكويت الغرّيد)، ومنها قصيدة في الشكوى يوجهها الشبيب للأديب حافظ وهبه، ومنها قوله:

أحافظ وهبةٍ.. قد كدت آتي ... إليك مسلّماً لولا قيودي
قيودٌ لو بها الآساد شدّت ... لما راع المها عادي الأسود
وحسبي بالعمى قيداً ممضّاً ... فبالصبر الجميل أذاه مودي
فكيف له إذا عضدت أذاه ... على الإنسان عاثرة الجدود

ويوجه الرشيد في مجلته قصيدة إلى صقر الشبيب، ومنها قوله:

أنت يا صقر بلبلٌ غرّيد ... إن تغني، فالغصن منه يميد
قد عهدناك في سما الشعر بدراً ... وشهدناك في القصيد تجيد
تقرع القوم بالنصائح جهراً ... بقصيد يلين منه الحديد
فلماذا سكتّ حتى ظننا ... أن صقراً.. قد غيبته اللحود؟

* * *

وإلى هنا نكتفي بجولتنا في أعداد مجلة (الكويت والعراقي)، والتي تعد أول تجربة للصحافة الكويتية المهاجرة، وكم نتمنى أن تسعى المؤسسات البحثية في الكويت لإعادة طباعتها في مجلد كما فعلت (دار قرطاس) مع مجلة الكويت، و(مركز البحوث الدراسات الكويتية) مع مجلات (البعثة، والرائد، وكاظمة).

تقرير بريطاني عن التعليم في الكويت

في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين كان العمل يجري على قدم وساق لتنظيم التعليم في دولة الكويت، وكانت البلاد تحوي وقتئذ أربع مدارس نظامية للأولاد، ومدرسة واحدة للبنات، وبعض المدارس الأهلية الصغيرة، واستقدمت دائرة المعارف بعض المدرسين العرب من فلسطين، واستعانت ببعض المدرسين الكويتيين، وسعت لإدارة عجلة التعليم بأقصى سرعة ممكنة، وعندما نعرف أن الكويت لم تكن قد صدّرت وقتئذ برميلاً واحداً من النفط، وأن الحرب العالمية الثانية كانت على الأبواب نعرف أن قلة الإمكانات لم تكن لتمنع الكويت من اللحاق بقطار التعليم في العالم.

وفي خطوة متقدمة استدعى الشيخ أحمد الجابر الصباح الحاكم العاشر للكويت سنة ١٩٣٩م (١٣٥٨هـ) خبيراً تربوياً بريطانياً يعمل في البحرين، ويدعى (أدريان فالانس) بترشيح من المعتمد البريطاني العام في الخليج لزيارة المدارس الحكومية الأربعة في الكويت وقتئذ، وهي (المباركية، والأحمدية، والشرقية، والقبلية) لتقديم تقرير مفصل عن حالة التعليم فيها، ودراسة أوجه القصور فيها، وتوجيه اقتراحات يمكنها تطوير عملية التعليم فيها.

ونظراً لأننا لم نقرأ هذا التقرير منشوراً من قبل، ولأهميته التاريخية، فإننا ننشر ترجمة كاملة له كما وردت في الوثائق البريطانية، وقد قدمت هذه الترجمة مع التقرير للشيخ أحمد الجابر:

* * *

* نص تقرير فالانس:

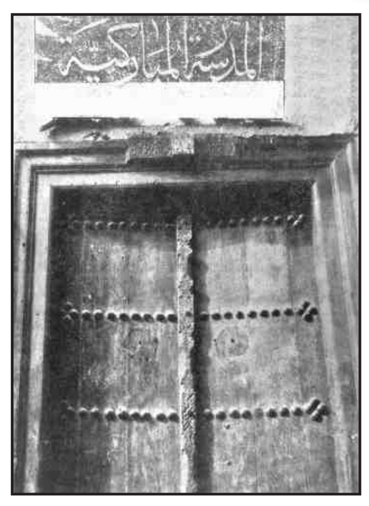
(لقد فتشت مدارس الكويت الحكومية الأربعة، وقد كان تفتيشي للمدرسة المباركية بصورة أدق من تفتيشي للمدارس الأخرى، وها أنا أقدم تقريراً مختصراً عما رأيت.

أستطيع أن أبدأ بالقول بأن فكرتي بصورة عمومية حسنة جداً، وقد كان الجو ملائماً، وهذا دائماً له أثره الحسن.

بنايات المدارس جيدة، ونظيفة، وحالتها العمرانية طيبة، ولكن نوع التدريس في هذه المدارس بطبيعة الحال أهم بكثير من نوع بنايات المدارس نفسها.



المدرسة القبلية



بوابة المدرسة المباركية

وتحتاج المدارس كثيراً من الأثاث، وأهمها الطاولات التي يستعملها الأولاد، وتحتاج إلى التجديد أو التصليح، وقد بلغني بأن العمل في هذا سيجري خلال العطلات.

بخصوص الموظفين، فإني أرى أن الحكومة على صواب باستخدامها معلمين فلسطينيين، وتفضيلهم على المصريين، والسوريين، والعراقيين، وبفكري أن مدير المدرسة الفلسطيني يستحق الثناء الجزيل على إصلاح حال المعارف في الكويت خلال مدة الثلاث سنوات الماضية، وقد بان بأن أغلب المعلمين رجال ذوي كفاءة، وقد دهشت بصورة خاصة من كفاءة معلم الكشافة الفلسطيني، واهتمامه العظيم.

وقد ظهر أن للأولاد آداب طيبة، وعلى العموم، فهم يتلقون تعليماً جيداً، وهم مجتهدون، وعلى الأخص الأولاد الذين في الصفوف الأولية، وصحتهم في الحقيقة أحسن من صحة أولاد مدارس حكومة البحرين إلا أن ملابسهم لم تكن نظيفة كما يرام.

الصفوف العالية والمتوسطة من المدارس كانت تحوي ما يقارب العدد الصحيح (من التلاميذ) إلا أن صفوف الأطفال كانت كبيرة جداً، وسأشير إلى هذه الصفوف الأولية فيما يلي من تقريري هذا.

إن درجة التعليم في الكويت لا توازي درجة التعليم التي وصلت إليها أفضل مدارس البلاد العربية الأخرى، وأفتكر أن هناك عدة طرق يمكن بواسطتها تحسين درجة التعليم، وسأبين هذه



طلبة المدرسة المباركية

الطرق أدناه.

إن أول وأهم شيء يجب أن نجعله نصب عيننا عندما نريد تعليم الأولاد، وهو أنه لا يحصل التعليم الصحيح ما لم يكن الجسم صحيحاً، فالحاجة ماسة جداً لطبيب للمدارس، ولست أعني بذلك أن الطبيب الذي يجب أن يعتني بصحة الأطفال تكون له أشغال أخرى أيضاً، ولكني أقصد أن يكون الطبيب خاصاً للأولاد فقط، فإذا الحكومة كانت لا تستطيع تعيين طبيب كهذا عندئذ يلزم عليها أن تخصص راتباً مناسباً إلى أحد الأطباء الذين عندهم أشغال قليلة جداً، ويكون من واجب الطبيب المعين أن يزور جميع المدارس يومياً، ويزور الأولاد الذين يتغيبون عن المدرسة أثناء المرض، ويحفظ سجلات منفردة عن صحة كل طالب مدرسة، ويحسن أن يكون مسئولاً شخصياً عن صحتهم البدنية طول مدة حياتهم المدرسية، ويجب أن يكون الطبيب المعين مختصاً بمعالجة أمراض العيون، ويلزم عليه شخصياً أن يلقي محاضرات على كافة الطلبة، وفي كل المدارس بمواضيع الصحة، وبوجوب معالجة كافة أنواع المرض بدرجاتها الابتدائية، وعدم تركها مدة طويلة، ويلزم أن يعلم الأولاد، وأن هذه الإرشادات هي بشأن أمراض العيون خاصة.

ويجب أن ينال الطبيب ثقة التلاميذ حتى يأتون إليه طوعاً، ومن تلقاء أنفسهم لطلب المعونة منه بدلاً من أن يحاولوا الهروب من أمامه، فإذا رغبنا أن ينال الطلبة الفائدة المرجوة من الأطباء يجب علينا أن نثقفهم بهذه الأمور بعين الطريقة الخاصة بالأمور الأخرى كما أنه من الواجب علينا أن

نجهز لهم أطباء لا يخافون منهم.

وقد كان من المؤسف أن يُشاهد في مدارس الكويت كثير من الأطفال الصغار محرومين من بصرهم أو على وشك الحرمان منه، والسبب الوحيد لذلك هو عدم وجود أحد يباشر المرض بدرجته الابتدائية أو يحذرهم من خطر إهمال المرض، فالأشخاص الفاقدين البصر أو الذين لهم نصف بصر فائدتهم للبلاد قليلة، وإني أقترح بأن كل ما يصرف من الدراهم الآن لإعداد طبيب لمدارس الكويت يرجع أضعافاً مضاعفة لمستقبل الرجال والنساء الذين يكونون بأحسن صحة في السنوات المقبلة، ولذا فإني أرى أن مسالة تعيين طبيب مدرسي هي من أول ضروريات الإصلاحات المدرسية.

والشيء الآخر الذي يجب عليّ ذكره هو ضرورة غرس الروح الوطنية في نفوس الطلبة، وأعني بذلك الروح الوطنية الخاصة بالكويت، وتقديمها على البلاد العربية عموماً، وقد تأثرت لما شاهدته من أن كثيراً من الأولاد في المدارس الأربعة كان يستعمل دفاتر تمارين تحمل على غلافها صورة حاكم أجنبي، واسم بلاد أجنبية. يجب منع هذا منعاً باتاً، وإذا كان لابد من وجود صورة على دفاتر التمارين المدرسية، فيجب أن تكون تلك الصورة لشيخ الكويت، وقد سرني وجود نشيد وطني من وضع أحد الكويتيين ينشده طلبة المدارس، ويتغنون به إلا أن ليس هناك تاريخاً للكويت يدرّس، ويجب إصلاح هذا الخلل فوراً.

إذ يجب أن يعهد إلى أحد الأشخاص تأليف كتاب تاريخ تدريسي يبحث في تاريخ الكويت فقط بأجرة يتفق عليها، ويجب أن يدرس للأولاد الصغار تاريخ الكويت قبل شروعهم بدراسة أي تاريخ آخر، ويجب أن يكون أسلوب الكتاب بسيطاً للغاية، وملائماً للصفوف الأولية بالمدارس، ولا نستطيع أن نترقب وجود أعلى درجات الوطنية في قلوب رعايانا ما لم نتخذ بعض الوسائل لتنشيط الروح الوطنية بهم في الوقت الذي هم طلبة في المدارس.

وفي الوقت الذي أتكلم فيه عن الروح الوطنية أحب أن أطرق موضوع الملابس المدرسية، فلقد أخبرني مدير المدارس الأربعة بأنه يحاول تدريجياً تشجيع الأولاد على لبس الملابس الأوربية إيثاراً لها على الملابس العربية، وأنه أحياناً لما يوزع الملابس مجاناً على الأولاد الفقراء في المدرسة يعطيهم ملابس أوربية، وإني متأكد من أن هذا خطأ كبير، فالملابس العربية جميلة ومحترمة لم يبدل لبسها لمدة قرون كثيرة، وقد وجدت من الاختبار الطويل لها أنها من الملابس الأكثر ملائمة للجو الذي يعيش فيه العرب، ويلزم أن لا يتعلم أولاد الكويت احتقار ملابس أسلافهم بل العكس يلزم أن يعلّموا احترامها، وحفظها نظيفة، ولبسها بافتخار، ويجب ألا يخشون من كون أنهم لا تكون لهم

قيمة إلا إذا ارتدوا الملابس الأوربية، فالانكليز خصوصاً يقدرون الناس الذين يحافظون على لباسهم الوطني، ويتباهون به.

وتوصيتي الثانية تختص بتعليم الأطفال أو الأحداث، فيظهر أنه جرت العادة في كافة البلدان الشرقية أن يخصص كل المعلمين الجيدين لتعليم الأولاد الكبار، والمعلمين الرديئين لتعليم المبتدئين، وهذا خطأ كبير لأن تعليم الطفل أهم بكثير من غيره، فهذه هي السنوات التي يتعلم خلالها النظافة والنظام، وأساليب التفكير الصحيحة، وما إلى ذلك، ونحن دائماً نرى أننا لا نتمكن من تعليم الأولاد بنجاح في الصفوف المتوسطة، والعالية بالمدارس أو رفع مستواهم الثقافي ما لم يحوزوا على الأساس الصحيح الذي هو القاعدة الوحيدة التي يمكن أن تؤسس عليه الثقافة العالية.

ويلزم دائماً أن يعين أجود المعلمين لأصغر الأولاد في كل مدرسة، وبخصوص هذه القضية أود أن أوصي بشيء أكثر من هذا.

أود أن أوصي بعدم فتح صفوف للأطفال في أية مدرسة من المدارس الحالية (التي يوجد بها أولاد بلغوا ١٨ سنة من العمر، وحتى ٢٠ سنة من العمر)، ويلزم فتح مدرسة إعدادية خاصة ليدرس بها كافة الأولاد الذين يتلقون التعليم للسنوات الثلاث الأولى، ويدرسوا في أي مدرسة أخرى، ومن المهم جداً أنه يعين فيها فقط أقدر المعلمين، وأحسنهم، وأصبرهم، وأن تكون هذه المدرسة مجهزة بكل اللوازم، وأن ينظر إليها كأهم مدرسة في البلاد، فإذا نفذ هذا الاقتراح ستكون النتيجة في مدة بضع سنوات تحسناً ملموساً في درجات التعليم في كافة الصفوف في المدارس الأخرى، وإذا أحبت حكومة الكويت فعلاً تحسين درجة التعليم في البلاد، فيكون باستطاعتها إنجاز ذلك بأسرع وقت، وذلك بشروعها من أساس نظام التعليم، وليس من قمته.

والاقتراحان الآخران يختصان بتعليم الحساب، واللغة الانكليزية، والمقصود من تعليم هذين الموضوعين هو أنه بعد مدة وجيزة من المحتمل أن تعرض شركة النفط بعض الوظائف ذات الرواتب الطيبة على الأولاد والشباب الذين تعلموا تعليماً كافياً يمكنهم من إشغال تلك المناصب، ومعرفة الطلبة الكويتيين بالحساب ليست جيدة بدرجة تستفيد منهم شركة النفط أو تمكنهم من الاشتغال بصفة كتاب لدى الحكومة أو المحلات التجارية، فإذا لم تتحسن درجة تعليم هذين الموضوعين في المستقبل القريب سنرى كافة الوظائف ذات الرواتب الطيبة في أيادي الأجانب عوضاً عن الوطنيين، وسيؤدي ذلك إلى سخط وتظلم أهل البلاد كما جرى ذلك بالماضي بالبحرين، والجهات الأخرى.

ويكون من الحكمة لو أقدمت الحكومة فوراً على استخدام معلم جيد بالحساب، وأن تعهد إليه تدريس الحساب في كافة المدارس، وأعني بذلك أن تجعل جميع معلمي الحساب الآخرين تحت سلطته، وأن تعطيه التعليمات بأن يرقى بكافة الدرجات الحسابية في المدارس بإدخال وسائل التعليم الحديث، وبمراقبة العمل شخصياً، وحال وصول هذا المعلم يجب عليه أن يتصل بالميجر (كلوني) لكي يستفسر منه عما تطلبه شركة النفط بخصوص الحساب.

وتدريس اللغة الانكليزية في المدرسة المباركية كما هو.. طيب وصحيح إلا أنه ليس متقدماً كثيراً، وللأولاد معرفة جيدة باللغة ضمن الحدود الضيقة لكتب التعليم المدرسية البسيطة التي يتعلمونها، ولا شيء آخر، وهذا ليس ما تتطلبه حاجة شركة نفط، فأحسن شيء هو استخدام انكليزي ذو كفاءة للتدريس بالصفوف العالية، وإذا لا يمكن ذلك يجب حث المعلمين الحاليين أن يجعلوا مستوى تعليم تلامذتهم أرقى بكثير مما هو عليه الآن.

وعليّ أن ألفت نظر الحكومة إلى مسألة كتابة الأولاد في مدارس الحكومة، فكتابتهم للعربية والانكليزية رديئة بل للانكليزية أردأ، وهذا مؤسف لأن حسن الخط من تقاليد العرب القديمة، والانكليز يعتبرون سوء الخط كدليل على وضاعة التربية والتعليم، وكذلك، فإن الولد العربي الذي خطه رديء لا يتمكن أبداً من إشغال الوظيفة لدى الحكومة أو البنك أو المحلات التجارية الذي هو مطمح كثير من طلبة مدارس الكويت، وسبب رداءة الخط هو عدم استعمال الكراسات في المدارس لتعليم الخط، فالأولاد يتعلمون الكتابة بطريقة نسخ ما يكتبه معلموهم على السبورة أو بتقليد الحروف المطبوعة بالكتب، وكل هذا غلط.

وإني أوصي بأنه يجب على كافة أولئك الذين في الصفوف الأولية في كافة المدارس أن يتعلموا العربية من الكراسات الصحيحة كما أنه يجب على كافة الصفوف الانكليزية أن يتمرنوا بانتظام على الكتابة من الكراسات الانكليزية، وقد سبق أن أخبرت المدير عن أحسن الكراسات الانكليزية لاستعمالها. أما الكراسات العربية، فبما أنه توجد الآن أنواع كثيرة مختلفة للخط العربي مدونة في الكراسات الموجودة، فإني أقترح أن تعرض على (سمو الشيخ) عدد من النماذج، وأن يقرر هو نوع الخط العربي الدارج في الكويت أو الملائم لحاجة أولاد الكويت، والمعلمون الذين يختارهم المدير لتدريس الخط إلى الأطفال يجب أن يتم اختيارهم بكل اعتناء، وبصورة خاصة من بين الرجال الذين كتابتهم جميلة، ويحسنون الرسم باليد.

وهناك سبب آخر لرداءة الخط بالمدارس، وهو استعمال أقلام الرصاص بدل الحبر، وإني أوصي

بأن يعوّد كافة التلاميذ أنفسهم على استعمال الحبر في حداثة سنهم، وتلاميذ الصفوف الأولية يجب أن لا يسمح لهم أبداً باستعمال أقلام الرصاص، فالكتابة بأقلام الرصاص غير مألوفة بالمدارس الانكليزية.

وأحب أن أذكّر بمداومة التلاميذ على الحضور المدرسي إذ لا يمكننا تعليم الأولاد كما يجب إذا كانت مداومتهم متقطعة أو غير منتظمة، ولذا فإني أوصي أن تستخدم كل مدرسة فراشاً خاصاً تكون وظيفته مراقبة دوام التلاميذ، ويكون من واجبه أن يطلع كل يوم على سبب تغيب كل ولد يوضع تأشير عن غيابه في قائمة الدوام، ولا أظن أن والدي الأولاد يكرهون زيارة شخص كهذا إلى بيوتهم لهذا الغرض لأنه غالباً ما يكون الوالدين غير عارفين بتاتاً بعدم حضور أولادهم للمدرسة، ويكونون ممنونين إن أخبروا بذلك، وعلى كل حال يجب علينا أن ننظر في كفاءة الولد بالمدرسة قبل النظر في شعور الوالدين.

ولي بضع كلمات عن (المدرسة المباركية) إذ يوجد ميل لاعتبار هذه المدرسة أهم بكثير من المدارس الأخرى لأن في المباركية بعض صفوف أرقى مما في المدارس الثلاث الأخرى، وهذه النظرة إلى المباركية كانت نتيجتها عدم الاهتمام بالمدارس الأخرى إلى حد بعيد، فمثلاً ليس هناك معلم فلسطيني واحد في كل المدارس عدا المباركية، وجميع الكشافة البالغ عددهم المئة هم من تلامذة المباركية، وهذا التمييز بين المدارس خطأ كبير، وإذا استمر، فإنه يقضي على شعور التضامن الذي ينبغي وجوده بين كافة المدارس الحكومية، ويجب أن تعتبر المدارس الثلاث الصغيرة كمغذية للكبرى، وأنها مهمة مثلها، والتعليم في المدارس الصغيرة يجب أن يكون جيداً مثل التعليم الموجود في المباركية.

وأشعر بوجود نفس التمييز بين المعلمين الفلسطينيين والكويتيين بالرواتب، وبنظري أن رواتب المعلمين الكويتيين قليلة جداً بالنسبة إلى رواتب المعلمين الفلسطينيين، ولو أننا نعرف أن الفلسطينيين عليهم مصاريف سفر، وأن مصاريف معيشتهم بالكويت أكثر من مصاريف الوطنيين، ولكني أرى أن من الإنصاف عمل زيادة قليلة في رواتب المعلمين الوطنيين، وإني أيضاً أشعر بأن راتب المدير قليل جداً إذا نظرنا إلى مسؤوليته عن كافة المدارس الأربع، وأنه خلال مدة ثلاث سنوات أجرى إصلاحات جمة في شؤون معارف الكويت، وأعتقد أن الحكومة تود تقدير خدمات المدير الماضية مالياً.

وأفتكر أن من الصواب لو الحكومة عند استخدامها معلمين جدد أن توظف رجالاً تلقوا كل ثقافتهم في فلسطين في المدارس الحكومية، ولم يسبق لهم الاشتغال بوظيفة التعليم في أية بلاد،

فمدارس الحكومة في فلسطين منظمة بصورة جيدة، ويلزم علينا أن نحصل على فائدة ذلك في الكويت.

وأخيراً من خصوص الشؤون السياسية في المدارس أرى أنه ليست للتعليم علاقة بالسياسة، وليس من المرغوب فيه أن يتدخل التلاميذ أو المعلمين بالأمور السياسية، ويجب التنبيه من وقت لآخر بالمدارس بأن كل معلم أو تلميذ يتدخل بالشؤون السياسية سيكون نصيبه الطرد من المدرسة، ويجب تنفيذ هذا القانون بدقة.

هذه هي توصياتي لإصلاح، وتحسين حالة معارف الحكومة بالكويت بالمستقبل، ولكن ينبغي أن أضيف قائلاً أنه أثناء زيارتي للمدارس لاحظت نواقص طفيفة أخبرني المدير أنه شخصياً راجع السلطات بشأنها مراراً عديدة، ولكن لم يتحصل على نتيجة ما، والنواقص الطفيفة، ولو أنها ليست لها من الأهمية ما يجعلها أن نضمنها هذا التقرير إلا أنها إذا جمعت معاً يكون لها تأثير مضر في كفاءة المدارس، ولذا فإني أفتكر أنه من الصواب أن يطلب من الشيخ إصدار أمره الشخصي إلى المسئولين عن المحافظة على بنايات المدارس وممتلكاتها بأن تلتفت فوراً إلى طلبات المدير المعقولة فيما يختص بالشؤون المدرسية.

ولما إني الآن انتهيت من وصفي للأشياء التي شاهدتها في الكويت، فربما يسمح عني لو تكلمت قليلاً عن شيء ما رأيته، ولكن سيكون من اللازم إعداده قريباً إذا صارت الكويت مركزاً من مراكز صناعة النفط، وأعني بذلك التعليم الفني.

ففي الوقت الحاضر لا يوجد شيء من هذا التعليم في الكويت، والأولاد الذين يودون الحصول على وظائف فنية لدى شركة النفط يجب عليهم أن يشرعوا بالتعليم الفني من الآن، ولا أعرف عن نوايا الحكومة في هذا الشأن، ولكن إنشاء وتجهيز، ولو مدرسة فنية صغيرة يتطلب كثيراً من النفقات، ولست أدري أيمكن توفير هذه النفقات أم لا؟، فإذا كان الجواب بالسلب، فإني أقترح أن يطلب من حكومة البحرين حالاً أن ترخص بإرسال الأولاد الكويتيين إلى مدرسة حكومة البحرين الفنية، وكذلك يمكن مخاطبة شركة النفط لتقديم المساعدة المالية لهذا الغرض، وقد رأيت مدرسة البحرين الفنية وقت العمل، وقد أثرت في نفسي تأثيراً حسناً، ويدير هذه المدرسة رجل انكليزي، وروح العمل والكفاءة التي لهذه المدرسة كفيلة بتقديم تمرين ابتدائي جيد للشبان الكويتيين الذين يرغبون بعد ذلك الالتحاق بخدمة شركة النفط.

بحضرة حميد الشيم عالي الجاه الافخم المحب العزيز المجر اى سي كلوى المعتمد السياسي
للدوله المعظمه الانكليزيه بالكويت المحترم
بعد السلام والتحية :-

اخذت بيد الوداد كتاب سعادتكم عدد كي ٢٣ والمؤرخ ٣٩/٨/٣ مع ترجمة تقرير المستر
ادريان فالانس عن معارف الكويت وكيفية تحسين طريقة التعليم بها - ولقد اطلعنا على ماجاء بالتقرير
من التوصيات الحسنة والآراء الصائبة وفي الوقت نفسه قد امرنا دائرة معارف الكويت ان تجعل
مناهج التدريس وغيره على ضوء توصية المستر فالانس -

وهنا نقدم لسعادتكم مبلغ خمسة وثلاثون دينارا (اى مايعادل -/٣٥ جنيها) لتتفضلوا
بارسالها للمستر فالانس وذلك عن اجرة قيامه بالعمل كما اننا نرجوان تعبروله عن فائق استحساننا
وتقديرنا العظيم على الآراء القيمة التي وضحها لمعارف الكويت -

هذا وبالختام ارجوان تتفضلوا بقبول فائق تحياتي وتمنياتي ودمتم / المخلص لكم

شعبان ١٣٥٨ الموافق ١٥ سبتمبر ١٩٣٩

[signature]

حاكم الكويت

رسالة الشيخ أحمد الجابر للمعتمد البريطاني بعد قراءة تقرير فالانس

ونتذكر أنه خلال البحث الذي جرى بيننا، وبين (مستر سكوت) بشأن الاشتغال في شركة النفط أكد ضرورة وجود درجة عالية من التدريب العملي بين الموظفين الشباب، ولكن أهم شيء يجب أن نجعله نصب عيننا هو أن التعليم الفني يحتاج شيئاً من الوقت، وأنه نظراً لذلك ينبغي علينا أن نشرع بتعليم الأولاد من الآن، وألا ننتظر إلى بعد حصول الشركة على النفط إذ أنه في ذلك الوقت يفوت الأوان.

وأرى أني قد قلت كل ما استطعت قوله بشيء من الفائدة بشأن المعارف هنا، ولا يسعني إلا أن أقدم شكري وامتناني إلى فخامة رئيس الخليج بواسطتكم لتكليفه إياي القيام بهذا العمل، وأن أشكره، وأشكركم لحسن ضيافتكم لي طيلة أقامتي بالكويت).

* * *

* ما بعد التقرير:

وبعد أن قرأ الشيخ أحمد الجابر التقرير السابق أرسل مبلغ خمسة وثلاثين جنيهاً إسترلينياً، وهي القيمة التي قررت لفالانس مقابل تقريره كما ورد في رسالة سابقة من الوكيل البريطاني في الكويت، وأرفق الشيخ أحمد ذلك برسالة جاء فيها:

(لقد اطلعنا على ما جاء بالتقرير من التوصيات الحسنة، والآراء الصائبة، وفي الوقت نفسه أمرنا دائرة معارف الكويت بأن تجعل مناهج التدريس وغيره على ضوء توصية المستر فالانس).

إننا عندما نقرأ هذا التقرير نجد فيه بعض التوصيات الصالحة للتطبيق حتى يومنا هذا، وهذا أمر نحيله لوزارة التربية، وخاصة فيما يتعلق بتوفير طبيب خاص لكل مدرسة، ومتابعة غياب التلاميذ، والاهتمام بالتدريس في المرحلة الابتدائية، وتقدير معلميها، وما يتعلق بالملابس الوطنية في المدارس، ومنع استخدام أقلام الرصاص في المرحلة الابتدائية، وغير ذلك من التوصيات التي قد يكون من المفيد التفكير بها حتى بعد مرور أكثر من سبعين عاماً على كتابة هذا التقرير؟!

وتجدر الإشارة إلى أن فالانس قد أشار في تقريره إلى نشيد وطني كان ينشده التلاميذ في المدارس في الثلاثينيات، وهناك مقطع في موقع اليوتيوب ينشد فيه رئيس المعارف الشيخ عبد الله الجابر الصباح ذلك النشيد الذي كتبه الشاعر فهد العسكر، وكلماته هي:

الشعب الكويتي لك البشرى	فمجدك يا وطني ازدهرا
وطالع سعدك مبتسمٌ	بعهدٍ حزت به الفخرا
بعهد المفدى أحمد من	سما أصلاً، وعلا قدرا
سليل المجد، فأجمعنا	نزفّ لسدّته الشكرا
لنبذل جهد مساعينا	لإحياء سؤدد ماضينا
كذاك الله يؤيّدنا	بروحٍ منه، ويهدينا
شباب الكويت ألا فانهضوا	فنحن بعصر المدنيّة
بعصرٍ فيه الشعوب رقت	فهبّوا، وأحيوا القوميّة
ولتسمو الكويت بأحمدها	شهم ونبراس الوطنية
وليحيا أحمد وأسرته	ولتحيا الأمة العربية

حكاية المصريين في الكويت

يعد المصريون أكبر الجاليات العربية المتواجدة حالياً في الكويت، وهم يأتون بعد الفلسطينيين من حيث الأقدمية الزمنية للجاليات من الدول غير المجاورة للكويت التي قدمت إلى الكويت، وعملت بها.

وكان الطلائع الأولى من المصريين الذين قدموا إلى الكويت من النخبة الثقافية حيث عملوا في وظائف التعليم، والطب، والهندسة، والإعلام، والإدارة، ولم تشهد الكويت العمالة المصرية اليدوية إلا في فترة الستينيات، وما تلاها.

ولعل أول مصري عمل في الكويت كان التربوي المعروف (حافظ وهبة) الذي عمل كمدرس في المدرسة المباركية عند تأسيسها سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) حيث كان معلماً في أول هيئة تدريس لها، واستمر فيها عدة سنوات حتى استقدمه الملك عبد العزيز آل سعود ليستفيد من خبراته، فاكتسب الجنسية السعودية، وعمل كسفير للسعودية في عدة دولة كان أبرزها العاصمة الانكليزية (لندن)، وهناك الشيخ محمد خراشي الذي قدم للكويت في تلك الفترة للتبشير بالمعتقد البهائي، وتم الانتباه لخطره، وغادر الكويت بعد فترة قصيرة.

إلا أن حافظ وهبة وخراشي لم يكونا أول المصريين في الدخول إلى الكويت إذا سبقهما بحوالي القرن مسئول مصري يدعى (محمد بيك) وفد إلى الكويت سنة ١٨٣٩م (١٢٥٥هـ) كمبعوث من القائد المصري خورشيد باشا الذي كان القائد العام للقوات المصرية المحتلة لنجد والأحساء في ذلك الوقت، وقد جاء محمد بيك لشراء كميات من الشعير كأعلاف لقوات بلده، واستقبله حاكم الكويت في ذلك الوقت الشيخ جابر العيش بن عبد الله الصباح مما أثار حفيظة السلطات العثمانية والبريطانية على حد سواء.

وعندما بدأ تنظيم التعليم في الكويت التفتت المعارف الكويتية إلى فلسطين ومصر، فتعاقدت مع عدد من المدرسين الفلسطينيين والمصريين الذين ساهموا بدور مهم في رفع مستوى التعليم النظامي في الكويت.

* * *

* استقدام المدرسين:

أرسل رئيس مجلس المعارف في الكويت وقتئذ الشيخ عبد الله الجابر العبد الله الصباح رسالة بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٦م (١٨ جمادى الآخر ١٣٥٥هـ) إلى السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين آنذاك، وقائد ثورتها طالباً إليه إرسال أربعة مدرسين مؤهلين، وعلى خلق حسن للعمل في مدارس الكويت، فوصلت أول بعثة من المدرسين العرب إلى الكويت بطريق البر من العراق في ١٠ نوفمبر ١٩٣٦م، وكانت تتألف من: (أحمد شهاب الدين، وجابر حديد، ومحمد المغربي، وخميس نجم)، وبوصولهم بدأ النظام التربوي الحديث في الكويت حيث استقبلهم بالجهراء العديد من المسئولين بدائرة المعارف، وعدد من الأساتذة، وجمهور من المواطنين الذين خرجوا إلى الجهراء لاستقبالهم، وكان من بين المستقبلين للبعثة الفلسطينية (خالد العدساني، وعبد الملك الصالح، وحمد الصالح الحميضي)، وغيرهم من أعضاء مجلس المعارف.

اعـــــلان

تعلن معارف حكومة الكويت عن حاجتها لمدرسين ومدرسات للعمل كنظار ومدرسين ومدرسات فى مدارسها الابتدائية والثانوية بالشروط الآتية: —

١ — مدة الخدمة سنة قابلة للتجديد.

٢ — تدفع الحكومة المصرية الراتب الأساسى للموظف فى مصر بالإضافة إلى علاوة الغلاء الصادر بها قرار مجلس الوزراء فى ٤٣/٩/١١

وهى ٤٠ ٪ بحيث لا تقل عن خمسة جنيهات ولا تزيد عن عشرة.

٣ — تدفع حكومة الكويت ما يماثل المرتب الأساسى للموظف فى مصر بالإضافة إلى علاوة غلاء قدرها ٧٥ ٪ من هذا المرتب، وتتحمل كذلك أى زيادة تطرأ على مرتب الموظف أثناء انتدابه.

٤ — تدفع حكومة الكويت ٣٦ جنيها بدل سكن فى العام تزاد إلى ٤٨ جنيها للمتزوج، وتصرف كذلك الأثاث اللازم.

٥ — تتحمل حكومة الكويت مصاريف سفر الموظف وزوجته من مصر إلى الكويت وبالعكس سنوياً

٦ — وأما المدرسات فتدفع لهن الحكومة المصرية علاوة الغلاء الصادر بها قرار مجلس الوزراء فى ١٩٤٣/٩/١١ فقط وتتحمل حكومة الكويت ماعدا تلك العلاوة من مرتبات.

فعلى من يرغب التقدم للعمل فى هذه الوظائف أن يتقدم بطلبه للمراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف فى أقرب وقت ممكن

عدد	بيـــان الوظائف المطلوبة
٨	مدرسين للغة الإنجليزية والمواد الاجتماعية
٦	« « العربية.
٦	« للرياضة والعلوم
٢	مدرسين للرسم والأشغال.
١	مدرس تربية بدنية.
٣	مدرسات فنون طرزية، القسم الراقى.
٥	« للمواد العلمية والتدبير.
٣١	الجملــة

ويفضل من لهم خبرة سابقة فى التدريس.

إعلان نشر بمجلة البعثة لطلب مدرسين مصريين

وجاءت البعثة الثانية في العام الدراسي (٣٨/ ١٩٣٩م)، وكانت تتكون من أربعة مدرسين من فلسطين أيضاً، وشهد العام الدراسي (٤٢/ ١٩٤٣م) وصول بعثات المدرسين من (مصر، وسوريا) لأول مرة بعد أن انتهت أعمال المدرسين الفلسطينيين، وكانوا أربعة من مصر، وأربعة من سوريا.

ومن بين أعضاء هذه البعثة المصريين كان الأستاذ محمد سيد الأهل الذي عمل مديراً للمدرسة الأحمدية في العام الدراسي (٤٢/ ٤٣)، فيصف لقاءهم عند وصولهم بالشيخ أحمد الجابر، ويقول

في حديث لمجلة البعثة: (ما وقفت أمام الأمير العظيم حتى عرفت أنني أمام ملك عربي جليل الشأن، وبين ديمقراطي حبيب للقلوب قريب لكل من ناداه عظيم في قلوب رعاياه).

ويتحدث سيد الأهل عن طلبة الكويت في ذلك الوقت، فيقول: (دهشت من طلاب الكويت دعة خلق، وإقبال منقطع النظير على الدرس، وحفظ عجيب على المدرسة، ونظامها، ومواعيدها، وإجماع في الصلاة من صغير السن في روضة الأطفال إلى طلاب الصف السادس).

وقد أدى هذا التعاون بين إدارة المعارف الكويتية والحكومة المصرية إلى صدور قرار سنة ١٩٤٥م بإلغاء منهاج التعليم العراقي الذي كان يعمل به منذ سنة ١٩٣٦م، واستخدام المنهاج المصري مما دعا طلبة المدرسة المباركية وأساتذتهم للقيام بأول إضراب طلابي في تاريخ الكويت كما يذكر عبد الله الحاتم في كتابه القيم (من هنا بدأت الكويت).

* * *

* حديث الوثائق:

ولو تصفحنا بعض الوثائق التي حفظتها أوراق المقيمية البريطانية في الكويت عن البعثة الأولى من المدرسين المصريين لوجدنا فيها بعض المعلومات الهامة التي لا تخلو من طرافة ومفارقات عند مقارنتها بالوضع الحالي من حيث الأعداد والرواتب.

ففي سنة ١٩٤٣م يتم استقدام أحد عشر مدرساً للتدريس في الكويت، فيرفع المستشار الثقافي لحكومتي الكويت والبحرين كتاباً إلى وزير المعارف المصرية نجيب الهلالي باشا بتاريخ ٢٢ نوفمبر (٢٤ ذي القعدة ١٣٦٢هـ) يذكر فيه تفقده لمدارس الكويت بعد وصول المدرسين الأحد عشر، فيذكر أسماءهم ووظائفهم مع راتب كل منهم كالآتي:

- الأستاذ علي هيكل مدير المعارف براتب ٢٥ جنيهاً شهرياً.

- الأستاذ أحمد ضيف مدير المدرسة المباركية الثانوية والابتدائية براتب ١٨ جنيهاً ونصف شهرياً.

- الأستاذ عبد القادر سعد وكيل المدرسة المباركية الثانوية والابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

- الأستاذ أحمد جودت المدرس في المدرسة المباركية الثانوية والابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ صابر الجمل المدرس في المدرسة المباركية الثانوية والابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ أحمد الشناوي المدرس في المدرسة المباركية الثانوية والابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ عبد الغني عبد الجواد مدير المدرسة الأحمدية الابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ أحمد ثابت وكيل المدرسة الأحمدية الابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ محمد عبد المنعم مدير المدرسة الشرقية الابتدائية براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ علي سلمان مدرس الفنون في أربع مدارس براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

– الأستاذ كمال عبده مدرس الألعاب في أربع مدارس براتب ١٢ جنيهاً شهرياً.

ويضيف المستشار إلى هذه القائمة (الأستاذ الشيخ زكي محمد أبو النصر) خريج جامعة الأزهر، والذي يقوم بتدريس الدين في المدرسة المباركية براتب قدره ١٢ جنيهاً مصرياً في الشهر، ويعلق المستشار: (هل لا يستلم راتباً آخر من الحكومة المصرية... إنه معلم قدير جداً، وذو فائدة كبيرة للجالية!).

ويكمل المستشار: (إن عشرة من هؤلاء المعلمين لم يمكثوا هناك إلا لزمن قصير، ولكني راض عن عملهم، وعن مواصلتهم له تمام الرضى، ولقد رحب بهم الكويتيون ترحيباً قلبياً حاراً، وأرجو أن يكونوا هم بدورهم مسرورين من الإقامة هناك، وسأعود لزيارتهم مرة ثانية في شهر مارس بينما أنا الآن على اتصال دائم بهم بواسطة البريد، وآمل أن أتمكن من الترتيب لمدير المعارف أن يزورني في البحرين هذا الربيع).

ويقترح المستشار على الوزير أمراً بخصوص اثنين من هؤلاء المعلمين حيث يقول: (إن الأستاذين علي هيكل، وأحمد ضيف يشغلان منصبين خطيرين في هذه الدائرة، وبالنظر إلى خطورة منصبيهما، فهل تتكرمون معاليكم بالنظر في رفع درجتهما من معلمي مدرسة ابتدائية إلى درجة معلمي مدرسة ثانوية؟... إن هذا لا يؤثر بطبيعة الحال إلا إذا رجعا إلى مصر).

ويكمل المستشار كتابه بالقول: (إن وزارة المعارف المصرية قد استنت بين آونة وأخرى أن تصدر مناشير وكتب لإرشاد القائمين بالتعليم فيها، وسأكون ممتناً لو تكرمتم بالأمر بإرسال شيء من هذه المنشورات إلى البحرين والكويت لنتمكن من مجاراة تطورات التعليم المصري الحديث).

وكان العقد الذي أبرم بين المدرسين المذكورين وبين إدارة معارف الكويت حسب النص الآتي:

(ستكون مدة خدمتك سنتين.

- سيدفع لك مبلغ ١٢ جنيهاً مصرياً من حكومة الكويت في كل شهر (باستثناء الأستاذ علي هيكل الذي سيكون راتبه ٢٥ جنيهاً.. أي ٤٣٠ روبية، والأستاذ أحمد ضيف الذي سيكون راتبه ١٨ جنيهاً ونصف.. أي ٢٥٠ روبية).

- ستدفع لك الحكومة المصرية مبلغ ١٢ جنيهاً مصرياً في كل شهر بالإضافة إلى ما تدفعه الكويت.

- ستدفع لك حكومة الكويت (علاوة حرب) قد يتغير مقدارها بين حين وآخر.

- سترتب لك حكومة الكويت مسكناً غير مؤثث أو تمنحك علاوة بدلاً من ذلك.

- ستمنحك حكومة الكويت مصاريف سفر في الدرجة الثانية من القاهرة إلى الكويت عند بدء اتفاقيتك، ومصاريف سفر في الدرجة الثانية أيضاً من الكويت إلى القاهرة عند نهايتها.

- ستدفع لك حكومة الكويت ١٥ جنيهاً مصرياً كمكافأة بعد إنهائك السنوات الأولى من خدمتك.

- عليك أن تطيع القوانين التي استنها المستشار الثقافي في ١٨ نوفمبر ١٩٤٢م).

وبعد فترة من عمل هؤلاء المدرسين تم رفع رواتبهم، وجاءت في قرار الزيادة أسماؤهم الكاملة مع ورود اسم معلمة لم ترد في الكتاب السابق، ويبدو أنها التحقت بالبعثة في وقت لاحق.

وجاء في القرار الموقع من وكيل المعارف المساعد التفصيلات الآتية:

- الآنسة درية حسين خيري من ٦ جنيه إلى ٧ جنيه ونصف.

- علي عيسوي محمد سلمان أفندي من ١٠ جنيه إلى ١٢ جنيه.

- محمد أحمد سيد أحمد علاء الدين أفندي من ١٦ جنيه ونصف إلى ١٨ جنيه.

- علي محمد هيكل أفندي من ١٢ جنيه إلى ١٣ جنيه ونصف.

- أحمد إسماعيل ضيف من ١٢ جنيه إلى ١٥ جنيه.

– عبد القادر مصطفى سعد من ١٢ جنيه إلى ١٣ جنيه ونصف.

– أحمد التهامي الشناوي من ١٣ جنيه ونصف إلى ١٥ جنيه.

– عبد الغني علي عبد الجواد أفندي من ١٢ جنيه إلى ١٣ جنيه ونصف.

– محمد عبد المنعم سالم المنجي من ١٢ جنيه إلى ١٣ جنيه ونصف.

وقد لجأت المعارف في وقت لاحق إلى نشر إعلانات بالصحف عن حاجتها للمدرسين العرب، ومن ذلك إعلان نشر في يوليو ١٩٤٧م بمجلة البعثة التي كان يصدرها بيت الكويت في القاهرة حيث جاء الإعلان على النص الآتي:

(تعلن معارف حكومة الكويت عن حاجتها لمدرسين ومدرسات للعمل كنظار ومدرسين ومدرسات في مدارسها الابتدائية والثانوية بالشروط الآتية:

– مدة الخدمة: سنة قابلة للتجديد.

– تدفع الحكومة المصرية الراتب الأساسي للموظف في مصر بالإضافة إلى علاوة الغلاء، وهي ٤٠ ٪ بحيث لا تقل عن خمسة جنيهات، ولا تزيد عن عشرة.

– تدفع حكومة الكويت ما يماثل الراتب الأساسي للموظف في مصر بالإضافة إلى علاوة غلاء قدرها ٧٥ ٪ من هذا المرتب، وتتحمل كذلك أي زيادة تطرأ على مرتب الموظف أثناء انتدابه.

– تدفع حكومة الكويت ٣٦ جنيهاً بدل سكن في العام تزاد إلى ٤٨ جنيهاً للمتزوج، وتصرف كذلك الأثاث اللازم.

– تتحمل حكومة الكويت مصاريف سفر الموظف وزوجته من مصر إلى الكويت، وبالعكس سنوياً.

وأما المدرسات، فتدفع لهن الحكومة المصرية علاوة الغلاء فقط، وتتحمل حكومة الكويت ما عدا تلك العلاوة من مرتبات).

ويبين الإعلان أن العدد المطلوب هو ٣١ مدرساً ومدرسة، وتخصصاتهم على الوجه الآتي: (٨ مدرسين للغة الانكليزية والمواد الاجتماعية — ٦ مدرسين للغة العربية — ٦ مدرسين للرياضيات والعلوم — ٢ مدرسين للرسم والأشغال — ١ مدرسين تربية بدنية — ٣ مدرسات فنون طرزية — ٥

مدرسات للمواد العلمية والتدبير).

* * *

* ذكريات المعلمين المصريين:

تزخر أعداد مجلة البعثة الكويتية التي صدرت في القاهرة بين عامي (١٩٤٦ – ١٩٥٤م) بالكثير من اللقاءات والمقالات التي تتحدث عن تجربة المعلمين المصريين في الكويت، فهذا الأستاذ علي هيكل أول مدير مصري للمعارف الكويتية يقول في حوار صحفي بعد سنوات من تركه الكويت: (إن أهم ما أعجبني في الكويت هو نشاط الكويتيين التجاري الملموس الذي تعدى أرض وطنهم إلى الأقطار المجاورة، وربما البعيدة، ومهارتهم التجارية التي استطاعوا بها مزاحمة الأجنبي كما يعجبني منهم الثقة المتبادلة بينهم في جميع نواحي الحياة مما لا تلمسه بين أفراد الأمم الأخرى).

وفي يوليو ١٩٤٧م يكتب المدرس المصري محمد السعيد محمود متولي يصف مشاعره عند مغادرة البعثة المصرية الكويت: (غادرت البعثة التعليمية المصرية الكويتية، وقد كان لي شرف عضويتها في أواخر مايو الماضي، وكان القلب يهفو حناناً، والنفس تذوب شوقاً إلى الوطن بعد غياب دام ثمانية أشهر قضتها البعثة في الكويت معززة مكرمة، وقد أخذ حب الأهالي كل مأخذ من نفوسهم، وأثرت فيهم أخلاقهم السامية، وصفاتهم الحميدة، وكانت هذه اللهفة، وهذا الحنين للوطن يقابلها لوعة وحسرة لترك ذلك البلد الذي خالطنا أهله، وعاشرناهم مدة ليست بالقصيرة).

وفي سبتمبر ١٩٤٧م يتحدث مدير المعارف الكويتية الأستاذ طه بك السيوفي لمجلة البعثة عن أحوال التعليم في ذلك الوقت، فيقول: (يمتاز التلميذ الكويتي بالذكاء المفرط، والجد في الدراسة، والخلق الكريم، ويمتاز فوق ذلك بذاكرة فذة تلفت النظر، ويلبس التلاميذ الزي القومي، وهو الجلباب (الدشداشة)، والكوفية بدون عقال، وقد رأى مجلس المعارف أن يوحد زي التلاميذ، فقرر أن يصرف للتلميذ في العام الدراسي المقبل قميصاً من الكاكي، وبنطلونين قصيرين، وحذاءين، وقد أحضرت هذه الملابس فعلاً من الهند، والتعليم وكذلك صرف الأدوات مجاناً للجميع، وبهذا لا يصد فقير عن التعليم).

ويقدم السيوفي جدولاً بأرقام الطلاب في الكويت في ذلك الوقت، فيذكر أنهم (٢٥٨٠) طالباً وطالبة متوزعين على عشرين مدرسة في مختلف المراحل من الروضة إلى الابتدائي إلى الثانوي حيث لم توجد في ذلك الوقت مرحلة متوسطة، ويضيف: (التعليم في الكويت في حاجة إلى زيادة

المنتدبين للعمل في مدارسها، فصار عدد المنتدبين للمدارس من وزارة المعارف، والأزهر الشريف ٣٥ مدرساً ومدرسة بعد أن كان ١٨ في العام الدراسي الماضي، ولقد كان عدد موظفي المعارف في العام الدراسي الماضي ١٢٦ شخصاً منهم ١٩ مصرياً ومصرية، وخمس سوريات، وثلاث لبنانيات، و٨٩ كويتياً، ولسوف يزيد العدد في العام الدراسي القادم إلى نحو مئة وستين موظفاً).

هذا، وقد أثرت الكويت على جوانب أدبية في المعلمين المصريين الذين عملوا بها، فهذا الشاعر أحمد عنبر الذي عمل مدرساً في الكويت له العديد من الأشعار بل والدواوين الذي تحدث فيها عن الكويت ورجالاتها، وكذلك نذكر الشيخ الأزهري أحمد الشرباصي الذي ألف عن تجربته في الكويت كتاباً ضخماً لا يخلو من فائدة.

* * *

* مهن أخرى:

وخارج مهنة التعليم نذكر بعض المصريين الأوائل الذين عملوا في الكويت، فمنهم الفقيه الشيخ عبد اللطيف شمس الدين الذي عين رئيساً لمحاكم الكويت بعد تنحية قاضي الكويت عبد العزيز قاسم حمادة سنة ١٩٤٩م، وكان في استقباله عند وصوله بالطائرة الشيخ عبد الله الجابر، ومن بين الأطباء المصريين الذي كانوا في الكويت سنة ١٩٤٧م الدكتور محمد علي بدر الدين الذي تولى منصب مدير الصحة في الكويت، والدكتور رياض مختار فرج طبيب المعارف، والدكتور أحمد حسيب الدفراوي طبيب رمد الصحة، والدكتورة بثينة محمود أحمد شفيق طبيبة أمراض النساء والولادة والأطفال، والحكيمة دولت أحمد حجازي مفتشة صحية المعارف، والحكيمة ثريا محمود نجيب، والباش تمرجي عبد الحليم أبو العينين.

... وختاماً هذه إطلالة على بدايات حكاية المصريين في دولة الكويت، وهي حكاية زاخرة بالعطاء والبذل، وقد سطرنا جوانب منها وفاء لما قدموه مع غيرهم من أجل النهوض بالكويت في تلك الفترة التي سبقت الوفرة المادية التي تنعم بها البلاد في وقتنا الحالي.

حكاية (تلفزيون الكويت)

يعود تأسيس تلفزيون الكويت إلى ما قبل الاستقلال، وبالتحديد إلى سنة ١٩٦٠م عندما أنشأ التاجر الكويتي مراد يوسف بهبهاني محطة تلفزيونية على نفقته الخاصة استورد لها أجهزة بث تعرض بعض الأفلام المصورة، وأفلام السهرة ذات الـ ١٦مم، ولما شعرت الدولة بقيمة التلفزيون استعارت أجهزة البث تلك من البهبهاني لمدة عام، وبدأت بالبث الفعلي لتلفزيون الدولة الرسمي في فبراير ١٩٦٠م (شعبان ١٣٧٩هـ) ثم اشترتها في ١٥ نوفمبر من ذات العام.

بدأ البث التجريبي للتلفزيون الرسمي للمرة الأولى لمدة أربع ساعات يومياً، وكانت قوة المحطة آنذاك ١٠٠ واط، وبدأت بعرض أفلام قصيرة عربية وأجنبية ثم شرعت تذيع القرآن الكريم، ونشرة الأخبار بالإضافة إلى برامج تثقيفية للأطفال، والأخبار المصورة، والبرامج المختلفة، وكذلك بدأ التصوير الخارجي حيث خرجت كاميرا التلفزيون من الأستوديو للمرة الأولى في ١٩ يونيو ١٩٦٢م (١٦ محرم ١٣٨٢هـ)، وذلك لتسجيل الاحتفالات الرسمية والشعبية التي أقيمت بمناسبة عيد الاستقلال الأول.

واستمر بث تلفزيون الكويت تجريبياً لمدة عامين حتى بدأ البث الرسمي في نهاية ١٩٦٢م عندما اكتملت التجهيزات، وقد تزايدت ساعات البث من أربع ساعات سنة ١٩٦٣م بمجموع ٢٨ ساعة أسبوعياً لتصل إلى ٣٦ ساعة أسبوعياً، وفي أوائل ١٩٦٦م زادت الساعات إلى ٥٢ ساعة أسبوعياً ثم ارتفعت في أوائل أكتوبر من نفس العام إلى ٥٨ ساعة أسبوعياً حيث كان البث يستمر من الخامسة مساء حتى منتصف الليل، وفي أيام الجمع يبدأ من الثانية بعد الظهر.

ونترك تلفزيون الكويت خمس سنوات، ونحل في سنة ١٩٦٧م عندما نشر استطلاعان صحفيان عن تلفزيون الكويت، فقد نشر الأول في يناير ١٩٦٧م في مجلة العربي، والثاني في مجلة (الإذاعة والتلفزيون) المصرية في ٢٦ أغسطس ١٩٦٧م، وتصدر غلافها صورة جميلة للمذيعة الكويتية أمينة الشراح، وقد اطلعت على هذين الاستطلاعين، ونقلت منهما بعض المعلومات المفيدة عن حكاية تلفزيون الكويت.

* * *

* استطلاع العربي:

نبدأ مع استطلاع مجلة العربي، ففي ذلك الاستطلاع قال وكيل وزارة الإرشاد والأنباء وقتئذ (سعدون الجاسم):

(إن المولود الصغير أصبح يمشي، ويتكلم، ويملأ كل بيت في الكويت، وكلما كبر المولود كبرت معه نفقاته، ويكفي أن تعلم أن ميزانية التلفزيون بلغت اليوم ٨٣٤ ألف دينار في العام، وهي التي لم تكن تتجاوز مبلغ ٣١٧ ألف دينار عندما وقفنا جميعاً نحتفل منذ خمس سنوات بوصول مولودنا الجديد، فالتلفزيون وكل العاملين فيه يلقون كل تشجيع أدبي ومادي من الدولة، فهي لا تبخل عليهم بشيء، وتقدم لهم كافة الإمكانات التي يمكن أن تجعل من هذا الجهاز الحيوي جهازاً تربوياً، وثقافياً، وترفيهياً يخدم الجمهور، ويحلق به في آفاق بعيدة داخل، وخارج حدوده بلاده.

ونحن نقدر الجهد الذي يبذله المسئولون عن التلفزيون، والمشرفون على العمل فيه، وقد خطت البرامج خطوات واسعة إلى الأمام من حيث الموضوع، والإخراج، والتصوير، وقد تضاعفت ساعات الإرسال، ولا تزال الجهود تبذل في سبيل الوصول بالتلفزيون إلى مستوى لائق به بين الدول).

وعن تطوير عمل التلفزيون منذ بداياته يقول سعدون الجاسم:

(أرسلت البعثات من أبناء الكويت إلى الخارج لدراسة أحدث ما وصلت إليه برامج التلفزيون في مختلف العواصم العربية والأجنبية، وعاد المبعوثون ليطبقوا العلم على العمل، وبدأت مرحلة بناء التلفزيون الكويتي على أحدث النظم العالمية ثم تلا ذلك خطوات كثيرة أخرى.

كان أمام المسئولين والمشرفين على التلفزيون مهمة البحث عن الوجوه الجديدة التي ستقدم برامج التلفزيون: وجوه المذيعين والمذيعات مقدمي البرامج ثم وجوه الممثلين والممثلات الذين سيضطلعون بأدوار البطولة في التمثيليات الكويتية التي يخرجها التلفزيون في استوديوهاته، وكانت مهمة شاقة أقيمت لها المسابقات، وعقدت اللجان لاختيار الأصلح والأنسب).

وذكر الجاسم أنهم يستعدون لإدخال التلفزيون الملون في الكويت عندما ينضج كما يدرسون إمكان الاشتراك في البرامج التي تنقل عن طريق التلستار - القمر الصناعي - للتمكن من نقل البرامج الحية من مختلف أنحاء الدنيا إلى الكويت وقت حدوثها.

في تلك الفترة كان تلفزيون الكويت ما يزال في موقعه القديم على شاطئ الخليج (قرب قصر

دسمان) بانتظار أن يتم بناء المجمع الضخم الذي سيضم الإذاعة والتلفزيون معاً، وكان ذلك الموقع القديم يضم ثلاثة استديوهات لتصوير التمثيليات والبرامج، ويشرف على تهيئتها للبرامج والتمثيليات المختلفة مهندسو الديكور الذين وضع تحت تصرفهم مخزن ضخم يسمونه مخزن الألواح، وهي ألواح موجودة بمقاييس مختلفة تصلح للمناظر المتغيرة، وهناك مخزن آخر هو مخزن اللواحق (الإكسسوارات) الذي يحوي مجموعات كبيرة من الأثاث والمعدات والأشياء المختلفة التي يحتاج إليها مهندسو الديكور والمخرجون لاستكمال المنظر.

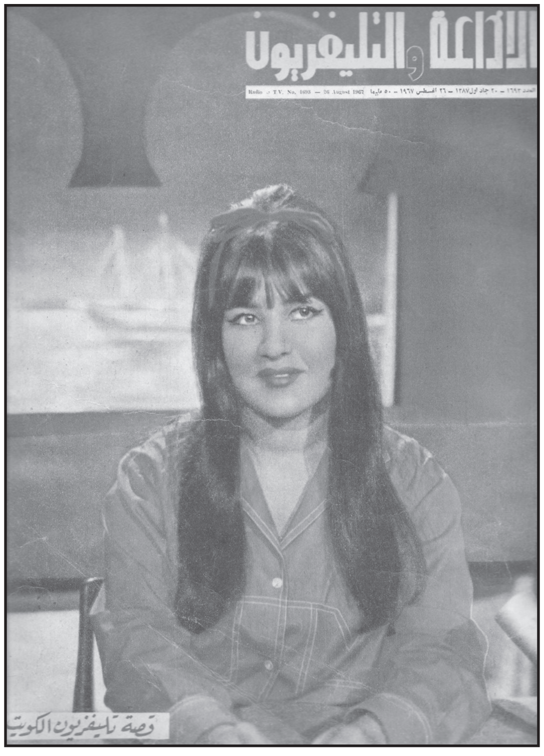
وهناك قسم خاص للأزياء، وآخر للماكياج، ولما زارت مجلة العربي قسم الأزياء وجدته مشغولاً بتصميم ملابس مسلسل (أسباب النزول) الذي يروي الأحداث التاريخية التي نزلت فيها آيات من القرآن الكريم، وقد بدأ التلفزيون بعرض هذا المسلسل في رمضان ١٣٨٥هـ (يناير ١٩٦٦م) ثم استأنف عرض بقية حلقاته في رمضان من السنة التالية.

ويعمل في هذا القسم فريق من مصممي الأزياء والخياطين، وفيه يرتدي الممثلون والممثلات الملابس التي تتطلبها الأدوار قبل الانتقال إلى القسم الثاني، وهو قسم تشكيل الوجوه، وتزيينها (الماكياج) الذي يعتبر من أهم الأقسام التي يعتمد عليها التمثيل.

وفي قسم الماكياج وجدت بعثة العربي شاباً يتحول إلى شيخ عجوز، وهو الممثل الكويتي سعد الفرج الذي قدم تمثيلية عن ماضي الكويت البحري، واشترك بها التلفزيون الكويتي في مهرجان التلفزيون بالقاهرة الذي أقيم في نوفمبر ١٩٦٦م.

ومن أقسام التلفزيون في ذلك الوقت قسم الهندسة الذي يتحكم في الإشارات المرئية والصوتية، ويقوم بضبطها وإعدادها، وإرسالها إلى محطات البث، ويعتبر هذا القسم هو العمود الفقري الذي يرتكز عليه العمل كله في التلفزيون، ويضم عدة أقسام فرعية من بينها: قسم تشغيل الاستوديوهات، وقسم الصيانة والتركيبات، وقسم النقل الخارجي، وقسم الإرسال الذي تتبعه محطتا الإرسال في منطقتي المطلاع والروضتين.

ويتحدث رئيس مهندسي الإذاعة والتلفزيون في ذلك الوقت المهندس عبد الرحمن الحوطي عن منابع البرامج التي يبثها التلفزيون، فيذكر أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام أولها المنابع الحية كمباريات كرة القدم والحفلات وغيرها، وثانيها المنابع السينمائية أو البرامج التي يتم تصويرها على أفلام، وثالثها البرامج المسجلة التي يتم تسجيلها على أشرطة مغناطيسية.



غلاف المجلة المصرية عن تلفزيون الكويت

ومن البرامج التي كان يقدمها تلفزيون الكويت في تلك الفترة برنامجي (دنيا الأسرة)، و(مجلة المرأة) اللتين اختصت بإعدادهما وتقديمهما السيدة فاطمة حسين، وبرامج (دنيا الطفولة)، و(طفولة ومرح)، و(مجلة الأطفال)، وتقدمها ماما أنيسة، وبرنامج (مع الشباب)، وهناك نشرات الأخبار، ومن أبرز المذيعين الكويتيين في تلك الفترة: (سالم الفهد، ورضا الفيلي، وجاسم الشهاب، وباسمة سليمان، ومنى طالب، وأمل جعفر)، وهناك الآنسة أمينة الشراح التي لا يتجاوز عمرها التاسعة عشرة.

* * *

* استطلاع المجلة المصرية:

أما استطلاع مجلة (الإذاعة والتلفزيون) المصرية، فيبدأ بمقدمة طريفة عن أحداث المسلسل الكويتي الرائج في تلك الأيام عن (أبو جسوم) كما تتحدث عن مشاركة المتدربين الكويتيين في الدورات التي تعقد في البلاد العربية، وخاصة في مصر، وتحدثت المجلة إلى المذيعة الكويتية الشابة أمينة الشراح التي كانت في ذلك الوقت تعد من ألمع المذيعات الكويتيات وقتئذ، وأجملهن، وهي تقول عن عملها:

(إنني أحب عملي، وهو أحب شيء إلى نفسي، وأتمنى أن تخوض الفتاة الكويتية جميع المجالات لتشارك بدورها في نهضة بلدها مع أنها بدأت فعلياً بالمشاركة في بعض المجالات، ولا ينقصها شيء يعوقها خصوصاً وأنها على قدر كبير من الثقافة، والوعي).

* * *



قصة صورة الغلاف:

رسالة الكويت

وهرب «أبوجسوم» الجرىء!

الـكويت ـ من عمر العلى:

انطلقت سيارة النجدة .. بصفاراتها وهديرها الصاخب .. تجوب شـوارع الكويت .. والاوامر التى تلقتها منذ دقائق .. تطلب القبض على «أبوجسوم» .. وتعلن عن جائزة لمن يقبض عليه او يبلغ عنه ..

ووصل الاهتمام «بأبوجسوم» الهارب .. الى حد أن تنطلق كاميرات تليفزيون الكويت .. خلف سيارات النجدة بهدف تسجيل عملية المطاردة والقبض على الهارب الخطير .. ولكن بأى تهمة ؟ .. هذا مالم يتضح بعد .

ولم يكن اهتمام تليفزيون الكويت .. بما يدور من أحداث فى هذا القطر العربى

.. بجديد .. انهم ينظرون اليه هنا ـ فى الكويت ـ باهتمام خاص ينبع من الشعور بأنه أصبح النافذة التى يطل منها الانسان على الحضارة .. أو تطل الحضارة عليه منها ..

من ٤ ساعات .. الى ٥٨ ساعة

والاهتمام المتبادل من داخل العشرين قسما .. التى تتكون منها اجهزة تليفزيون الكويت .. وبين الخارج .. أعنى جمهور

المشاهدين .. قد دفع بساعات الارسال الى النمو المتزايد .. ففى عام ١٩٦٤.. لم تزد مدة برامجه عن ٤ ساعات يوميا .. بمجموع ٢٨ ساعة أسبوعيا .. حتى وصلت الى ٣٦ ساعة اسبوعيا

.. وفى أوائل عام ١٩٦٦ زادت الى ٥٢ ساعة أسبوعيا .. ثم ارتفعت فى أوائل اكتوبر من نفس العام ... الى ٥٨ ساعة اسبوعيا .. اذ يبدأ من الخامسة مساء .. حتى منتصف الليل .. وفى أيام الجمع يبدأ من الثانية بعد الظهر..

مزيد من الفرص للفنانين ..

ويتيح التليفزيون اينما يوجد.. مناخا فنيا متسعا .. وهذا ما تم أيضا فى الكويت .. حيث يساهم التليفزيون الكويتى فى دفع الحركة المسرحية .. بتشجيعه الفرق المحلية الناشئة..بعرض أعمالها والتعاون مع افرادها .. الى جانب العروض للفرق الفنية الكبيرة .. كالفرق العربية وفرق الدول الصديقة ..يضاف الى ذلك .. اتاحة الفرص امام الفن الشعبى .. وتطويره .. اما المطربون والفنانون والكتاب الكويتيون بصفة خاصة .. فالتليفزيون بالنسبة لهم .. نافذة فنية طبيعية .. يعرضون من خلالها .. المزيد من الجهد الفنى ..

المباريات على الهواء

وبالنظر الى ظروف الكويت من ناحية تميزه بالجو الحار .. فانه لا تخلو مدينة أو منطقة من الاندية .. وهى غنية بأحدث الاجهزة الرياضية وأكفأ المدربين من عرب وأجانب .. ومن أندية الكويت الكبيرة : القادسية . النادى العربى .. ويسجل التليفزيون باهتمام ملحوظ ... احتدام المعركة الرياضية قبيل كل دورة رياضية .. وعندما يصل اهتمام الجمهور الى مداه .. ويتم نقل المباريات على الهواء مباشرة ..

تليفزيون .. أحد التجار

ـ ولكن كيف ظهر تليفزيون الكويت ؟..

ـ سؤال يجيب عليه السيد يوسف القطب مدير العلاقات العامة :

● عرفت الكويت التليفزيون .. على يد احد التجار الكويتيين حيث كانت محطة الارسال ملكا له فى ذلك الوقت.. وقبل عام ١٩٦١ (بقوة ارسال ١٠٠ واط) .. ومعظم برامجه كانت مقصورة على بعض أفلام الصور المتحركة وبعض أفلام السهرة ...

.. وبعد عام ١٩٦١ .. وبعد أن تبنت الحكومة الكويتية التليفزيون .. بدأت انطلاقته الحقيقية .. وعهد جديد للتليفزيون الكويتى .. فاستقدمت الحكومة الخبراء .. وحشدت له نخبة طيبة من أبناء البلاد .. وأوفدت الى الخارج العديد من البعثات .. ونظمت لهم الدورات التدريبية ..

فى المؤتمرات التليفزيونية

وكان طبيعيا بعد ذلك .. أن يظهر ممثلو تليفزيون الكويت ..جنبا الى جنب ممثلى تليفزيونات العالم .. فى المؤتمرات العربية والعالمية .. مما وضح بعد ذلك فى عديد من الفوائد التى اكتسبها العاملون بالتليفزيون .. خبرات ومعلومات فنية متصلة بهذا الجهاز .. ومما يدعم هذا الاتجاه .. اتصال تليفزيون الكويت بمختلف الاجهزة التليفزيونية فى البلاد العربية .. خاصة الجمهورية العربية المتحدة .. مما دعم من ناحية أخرى.. الروابط بين البلدين ..

مذيعات من الكويت

ولم يشأ تليفزيون الكويت .. أن يحرم الفتاة الكويتية من فرصة التعاون داخل هذا الجهاز .. ويتيح الفرصة امام جميع

استطلاع المجلة المصرية عن تلفزيون الكويت

* برامج التلفزيون:

وإذا شئنا معرفة البرامج التي كان يقدمها تلفزيون الكويت في أواسط الستينيات، فيمكننا الرجوع إلى حوار نشرته مجلة (العالم) اللبنانية في سبتمبر ١٩٦٤م مع مدير التلفزيون في ذلك الوقت الدكتور يعقوب الغنيم، ولخصه في مقال صحافي له، وذكر فيه أن برامج التلفزيون تنقسم إلى ثلاث مجموعات كالآتي:

١- المجموعة الأولى، وهي ثقافية، وتشتمل على برامج ثقافية وترفيهية موجهة للأطفال، وبرامج (عالم الحيوان)، وهو عرض لدنيا الحيوان، وما فيها من غرائب وطرائف، و(حديث الأسبوع)، وهو

مجموعة من المحاضرات الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وبرنامج (رسالة) الذي يعرض إحدى المشاكل الاجتماعية التي يستفسر عنها الجمهور في رسائل، ويعالج هذا البرنامج المشاكل المعروضة في قالب تمثيلي، فتعرض على المتفرجين بطريقة طريفة جديدة، ويناقش كل مشكلة معروضة أخصائي، وبرنامج (التثقيف الصحي)، وهو يعرض المشكلات الصحية ويناقشها، ويهدف إلى رفع مستوى المعرفة الصحية بين الجماهير، وبرنامج (مجلة المرأة)، وهو ركن خاص بالمرأة، ويهدف إلى الأخذ بيدها في طريق قويم ويثقفها، ويوضح لها شؤون بيتها، ويوسع مداركها، وبرنامج (علم وفن)، وهدف هذا البرنامج هو توسيع مدارك المشاهدين، وإطلاعهم على كل جديد في دنيا العلم والفن، وبرنامج (جولة الكاميرا) وهو خاص بنقل تطور الحياة في الكويت بشكل واضح من خلال زيارة الكاميرا إلى المصانع والمعامل والموانئ ومنشآت النفط لإطلاع المشاهدين على سير الحياة في بلدهم كما تنقل صورة حية عن نشاط الوزارات، وأقسامها المختلفة في جميع المجالات.

٢- أما المجموعة الثانية، فهي البرامج التعليمية، وفي طليعة هذه البرامج (تعليم اللغة الانكليزية)، وهذا البرنامج تشرف عليه وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع (المجلس الثقافي البريطاني)، ويلاقي استحساناً في أوساط الجمهور نظراً للإقبال الشديد من المشاهدين، واهتمامهم بتعلم اللغة الانكليزية عن هذا الطريق، وخاصة أن الكويت أصبحت مركزاً لتلاقي الكثير من الأجانب من مختلف الطبقات، وهذا ما يجعل للبرنامج هذه الحظوة والاهتمام لدى الجمهور لأنه برنامج مفيد للغاية خاصة بالنسبة إلى المواطنين الذين فاتهم تعلم اللغة الانكليزية في المدارس، وإننا نلمس هذا الأمر من خلال الاهتمام العام الذي يلقاه لدى الجمهور، وفي مخططنا أن نوسع نطاقه بحيث يشمل أبواباً أخرى لا تقتصر على تعلم اللغة، والتحدث بها بل وأصول كتابتها أيضا، ويظهر هذا الاهتمام بمئات بل قل بألوف الرسائل التي ترد إلينا، وبالمخابرات الهاتفية التي تثني عليه، وتطلب المزيد من دروسه، وكثير من هذه الرسائل والمخابرات الهاتفية تتضمن بعض الاستفسارات والأسئلة عن دروس سبقت.

٣- المجموعة الثالثة تتضمن برامج متنوعة، وهدفها التسلية والترفيه، ومن هذه البرامج: (ما يطلبه المشاهدون) تلبية للرغبات التي يبديها المشاهدون، فيعرض الأغنيات والمشاهد واللقطات المحببة إلى نفوسهم. ثم (المسلسلات الأجنبية)، وهي عبارة عن حلقات مسلية غربية يتراوح عرضها بين ربع الساعة والساعة، وتتضمن الفكاهات والمغامرات. ثم (سهرة الفن)، وهذا البرنامج يقدم من وقت لآخر، ويشترك في إحيائه الفنانون المحليون، والفنانون الضيوف. ثم هناك (مجلة التلفزيون) التي تضم أبواباً مختلفة في الرياضة والثقافة والعلوم والفنون.

حوادث في صحراء الكويت


الشيخ أحمد الجابر

تخبرنا الوثائق الرسمية عن بعض الحوادث التي يجمل ذكرها في إطار البحث في التاريخ الاجتماعي لبلادنا لما فيها من دلائل على حياة الناس البسطاء في الماضي بعيداً عن حوادث السياسة، ووقائع الحروب، وأخبار القاتل والمقتول.

وقد وجدنا في مراسلات الشيخ أحمد الجابر الصباح الحاكم العاشر للكويت مع الوكالة السياسية البريطانية سنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ) ذكراً لحوادث مميزة تحدثنا عن جانب من جوانب الحياة في الماضي.

* * *

تذكر الحادثة الأولى تعرض ثلاثة رجال من أبناء الكويت لسلب أمتعتهم من قبل دورية للهجانة العراقية، فتعالوا نقرأ تفصيلات تلك الحادثة من واقع المراسلات الرسمية.

في يوم السبت ٢٦ سبتمبر ١٩٣٦م (١٠ رجب ١٣٥٥هـ) يرسل الشيخ أحمد الجابر إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الكابتن ديكوري رسالة جاء فيها:

(نرفق بطيه ورقة حاوية الأشياء المأخوذة من (عبد المحسن الديري، ومرشد بن عليان، وظاهر الشمري) من عرب الكويت. المذكورين (كانوا) ظاهرين من الكويت إلى أهلهم على الحنبية، وبعدما تعدوا القشعانية بمسافة قليلة.. تقريباً ربع ساعة.. ظهروا عليهم أهل خمس هجانة عراقية الذين على أم قصر، وأخذوا هذه الأشياء مع البعارين الثلاثة حتى بشوتهم التي على ظهورهم، وذلك في يوم الخميس بعد غروب الشمس، وقد حضر واحد من المأخوذين الآن، فإن أحببتم حضوره

سيد الشيم عالي الجاه الافخم المحب العزيز الكبتن جي ٠ اس ٠ اج ٠ دكورى الوكيل السياسي
البهيه القيصريه الانكليزيه بالكويت دام محروسا

لام والسؤال عن عزيز خاطركم دمتم بخير وسرور ـ

نرفق بطيه ورقه حاويه الأشياء المأخوذه من عبد المحسن الديرى ٠ ومرشد بن عليان ٠
لشمري ٠ من عرب الكويت ـ المذكورين ظاهرين من الكويت الى اهلهم على الحنبيه وبعد ما تعدو
فشعانيه بمسافة قليله تقريبا ربع ساعه ٠ ظهرو عليهم اهل خمس هجانه عراقيه الذين على
ر" واخذو هذه الأشياء مع البعارين الثلاثه حتى بشوتهم التي على ظهورهم و[illegible] في
م الخميس بعد غروب الشمس ـ وقد حضر واحد من المأخوذين الان ان احببتم حضوره
ن افادته شخصيا ـ

انني متأسف جدا من هذه الغارات المتكرره الموجبه لعدم الراحه والأطمئنان
دود ؛ هذا والبارى يحفظكم / مخلصكم
رجب ١٣٥٥ موافق ٢٦ سبتمبر ١٩٣٦

حاكم الكويت

رسالة الشيخ أحمد الجابر للمعتمد البريطاني حول حادثة الديري وزميله مرشد

لسماع إفادته شخصياً).

وأنهى الشيخ أحمد رسالته بالقول: (إنني متأسف جداً من هذه الغارات المتكررة الموجبة لعدم الراحة والاطمئنان).

وأرفقت الرسالة بقائمة الأشياء المأخوذة من الرجلين حسب إفادة عبد المحسن الديري، وهي:

(ثلاثة أكياس شكر – أربع أواقي قهوة – أوقية هيل – أوقية ونصف جاهي (أي شاي) – عباءة مَرَه جديدة، وثوب دراعة جدد قيمتهم ٤٥ روبية –كساوي مرضوف وخام أبيض بقيمة ٣٥ روبية – بشوتهم ثلاثة يقدرون قيمتها من ١٥ إلى ٤٥ روبية – جمل قيمته ٨٠ روبية – جمل قيمته ١٠٠ روبية – ناقة قيمتها ١٠٠ روبية).

ويذكر عبد المحسن الديري في شهادة خطية تفصيلات أكثر عن الحادثة، فيقول:

(في يوم الخميس الموافق ٢٤ سبتمبر كنت متوجهاً مع اثنين من اخوياي من الكويت إلى الحنيبية، وكنا راكبين على ثلاثة أباعر تحمل ما اشتريناه من الزاد لأجل أهلنا من الكويت. أما أنا فقد كنت متوجهاً للزواج في الحنبية، ومعي غير الزاد ثياباً للعروس، فلما تجاوزنا الحنبية، وكان الوقت

من حميد الشيم عالي الجاه الافخم المحب العزيز الكبتن جي ٠ اس ٠ اي ٠ دكوري الوكيل السياسي
لدوله البهيه القيصريه الانكليزيه بالكويت دام محروسا

بعد السلام والسؤال عن عزيز خاطركم ان دمتم بخير وسرور

يوم السبت الماضي الموافق ٢٩/ ٨/ ٥٥ و١٤/ ١١/ ٣٦ اتت سيارتين من مخفر سفوان
الى اللياح وصادفو ناس من اهل الجهره رايحين للحطب ووقفوهم وسئلوهم عن مجيئهم واجابوهم
بانهم من اهل الجهره عرب الكويت قاصدين الحطب في ابحار اللياح وامرو عليهم ينوخون وامتثلوا امرهم
ونوخو
خمسة بعارين معهم ثلاثة انفار
اربعة بعارين معهم نفرين ٠
وبعدما فتشوهم تركوهم وراحو ٠ ومن مدة يوم ٢١ السيارة المذكوره اخذت بعارين سعد بن مدلج
الشواه من عرب الكويت في حسو الضبي وعددها ١٨ بعير رجعو منها خمسة بعارين وراحو
بالباقي — وفي الحقيقه ان تجاوز هالسيارة في داخل الحدود مخالف لحقوق الصداقه والجوار
انه قدمنا لسعادتكم عن هؤلاء مرات عديده ٠ ولكن مع الاسف ان تجاوزهم مستمر ونحن
نخشى من نتيجة ذلك

بناء عليه نأمل رجائنا برفع القضيه الى من يهمه الأمر لمحافظة
الأمر المختل ولكم مزيد الشكر والباري يحفظكم/ = مخلصكم
٣ رمضان ١٣٥٥ موافق ١٧ نوفمبر ١٩٣٦

حاكم الكويت

رسالة الشيخ أحمد للمعتمد حول حادثة حطابي الجهراء

بعد الغروب ظهرت علينا شرطة هجانة عراقية أهل خمس، وأمرتنا أن ننزل عن ركايبنا، ولم يكن معنا سلاح، وكانت الشرطة مسلحة، فأجبرتنا على النزول، وترك أباعرنا، وما تحمل، ولم تكتف بذلك بل أخذت حتى بشوتنا التي نلبسها).

* * *

وإلى هذا الحد تنتهي قصة هؤلاء الرجال الثلاثة دون أن تخبرنا بمصير ما سلب منهم، ونذهب إلى قصة أخرى مشابهة حدثت في نفس تلك السنة لبعض أهل الجهراء.

ففي رسالة وجهها الشيخ أحمد الجابر للكابتن ديكوري يوم الثلاثاء ١٧ نوفمبر ١٩٣٦م (٣ رمضان ١٣٥٥هـ) يعلمه بالحادثة الثانية على الوجه الآتي:

(يوم السبت الماضي الموافق ١٤ نوفمبر ١٩٣٦م أتت سيارتان من مخفر سفوان إلى اللياح، وصادفوا ناساً من أهل الجهرة رايحين للحطب، ووقفوهم، وسألوهم عن مجيئهم، وأجابوهم بأنهم من أهل الجهرة (عرب الكويت) قاصدين الحطب في أبحار اللياح، وأمروا عليهم ينوخون، وامتثلوا لأمرهم، فنوخوا (خمسة بعارين معهم ثلاثة أنفار — أربعة بعارين معهم نفرين)، وبعدما فتشوهم

حضرة الشهم عالي الجناب الافخم المحب العزيز الكبتن جي ٠ امن ٠ اج ٠ دكوري المعتمد السياسي
له البهيه القيصريه الانكليزيه بالكويت دام محروسا

السلام والسؤال عن عزيز خاطركم دمتم بخير وسرور ـ

لايخفى سعادتكم ان نفرين من عرب الكويت وهما براهيم بن حمد وعبد العزيز
بدالله البناق" معهم بعيرين شايلين عليهما خمسة اكياس شكر بوهند ونصف وثلاث كواني
بونجمه "وعلاقتين كاغد جكاره وثلث كيس شكر ناعم" وكرز كبريت " قاصدين بيع ذالك على
البادية وعند وصولهم شعيب بالجرفان " يوم السبت في ٢٢/١٢/٥٥ الساعه ١/٢ ١ عربي
جاتهم سيارتين من مخفر سفوان فيهم شرطه وقبضوا على البعيرين وذبوا المال من ظهر البعارين
وه في السيارة ثم صوتوا على الجمالين قايلين تعالوا أخذوا بعارينكم واجابوهم اذا رحتم لنهبا
تاخذها ٠ وفعلا تركوا البعارين وراحوا بالمال ٠ ـ وقد أمرنا أحد الجمالين بالحضور
اثرة سعادتكم ربما تحبون تأخذون من راسه زيادة ايضاح عن هذه القضيه ـ

بناء عليه نرجوكم الفات النظر على عمل هالسيارة وتجاوزهم المستمر في
الحدود ولكم مزيد الشكر والباري يحفظكم / مخلصكم
٢٠ ذو الحجه ١٣٥٥ موافق ٩ مارچ ١٩٣٦

حاكم الكويت

رسالة الشيخ أحمد للمعتمد حول حادثة بائعي البقالة

تركوهم وراحوا.

ومن مدة.. يوم ١٢ نوفمبر. السيارة المذكورة أخذت بعارين سعد بن مصلح، واخوياه من عرب الكويت في حسو الظبي.

وفي الحقيقة أن تجاوز هالسيارات في داخل الحدود مخالف لحقوق الصداقة والجوار، وقد قدمنا لسعادتكم عن هؤلاء مرات عديدة، ولكن مع الأسف تجاوزهم مستمر، ونحن نخشى من نتيجة ذلك.

بناء عليه نكرر رجاءنا برفع القضية إلى من يهمه الأمر لملاحظة هذا الأمر المخل).

وتجدر الإشارة أن تلك الحوادث وقعت خلال فترة حكم الملك غازي للعراق، ومعروف أنه قد كانت له توجهات معادية للكويت، وكان يخصص إذاعة في قصره المعروف بقصر الزهور لمهاجمة الكويت، ولذا فلنا أن نتوقع أنه قد كانت لتلك الهجمات أسباب سياسية، وتحريضات من جهات عليا.

* * *

وهناك حادثة أخرى مشابهة وقعت في نفس تلك السنة عن مصادرة لبضاعة تاجرين كويتيين كان يقومان ببيع بضائع البقالة على البدو شمالي الكويت، ولدينا هذه الرسالة المؤرخة يوم الثلاثاء ٩ مارس ١٩٣٧م (٢٦ ذي الحجة ١٣٥٥هـ) موجهة من الشيخ أحمد الجابر إلى المعتمد السياسي البريطاني يوضح له هذا الاعتداء على أبناء وطنه، والدخول المتكرر لسيارات الشرطة العراقية داخل الحدود الكويتية، ونقرأ في تلك الوثيقة قول الشيخ أحمد:

(إن نفرين من عرب الكويت، وهما: إبراهيم بن حمد، وعبد العزيز بن عبد الله البناق معهم بعيرين شايلين عليهما خمسة أكياس شكر بو هندر، وثلاث كواني كبريت بو نجمة، وعلاّقتين كاغد جكارة، وثلث كيس شكر ناعم، وكرز كبريت قاصدين بيع ذلك على البادية، وعند وصولهم شعيب بالجرفان يوم السبت ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٥هـ (الساعة ١١,٥) عربي جاتهم سيارة من مخفر سفوان فيها شرطة، وقبضوا على البعيرين، وذبوا المال من ظهر البعارين، وحطوه في السيارة ثم صوّتوا على الجمالين قايلين: تعالوا أخذوا بعارينكم، وأجابوهم: إذا رحتوا عنها نأخذها، وفعلاً تركوا البعارين، وراحوا بالمال).

وأهمية هذه الوثيقة بالإضافة إلى ما توضحه من تعديات حدودية مبكرة من الجانب العراقي، فإنها تبين لنا جانباً من حياة البادية، وهي أن البدو لم يكونوا يشترون حاجياتهم من المدن والقرى حين يحدرون إليها فقط بل كان هناك بعض الباعة المتجولين يقومون بدور البقالة بين مضارب القبائل، وهذا ما تبينه هذه الوثيقة بشكل جلي.

* * *

وهناك حادثة أخرى وقعت في نفس السنة عندما تعرض رجلان من بادية الكويت لإطلاق نار من قبل شرطة الحدود العراقية مما أدى لوفاة أحدهما، وقد بعث الشيخ أحمد الجابر إلى الوكيل السياسي البريطاني ديكوري يخبره بالأمر، ويطلب منه التدخل لدى السلطات العراقية، وفيما يلي نص رسالة الشيخ أحمد:

(نؤكد لسعادتكم أن أسماء الإعرابيين: ناصر بن فهاد القحطاني، ومرشد البريهي البرازي، وهذه أسماؤهم المعتبرة، وليس كما نقلت الحكومة العراقية أنهما ناصر بن عبد الله، وراشد بن هادي.

أما الإفادة التي نقلت عنهما أن ناصر شرع بإطلاق النار على الشرطة عندما شاهدهم، وأطلق مرشد طلقة واحدة قبل أن تكون الشرطة قد قامت بأي عمل ضدهم، وأن التهريب حرفتهم، فنحن

الذي نعرف، وهو الواقع أنهما ما يعرفان التهريب لا من قبل، ولا في حين مصادفة الشرطة لهما في بحار سنام، وبحسب إفادة مرشد أن ناصر ما قام بأي عمل اعتدائي ضد الشرطة، وأن الشرطة هي التي قامت بإطلاق النار مفاجأة بدون إنذار، وفي أول هج طاح ناصر صويب، ولم يشعر بشيء، ومات في ليلة اليوم الذي ضرب فيه، وأن الشرطة لما أخذوا سلاحهم رموا به.

ونرفق بطيه حاوية أشكال البعارين العائدين للمذكورين، وقد حضر أخو المقتول، وأولاده إن اقتضى حضورهم لديكم.

* أولاً: أشكال بعارين ناصر بن فهاد القحطاني أربعة:

١- بكرة صفرة عمرها خمس سنوات قيمتها ٨٠ ريال. وسمها المشعاب على الرقبة من يسار.

٢- بكرة شعلا عمرها ستة سنين قيمتها ٩٥ ريال. وسمها -٥- على الرقبة من يسار.

٣- جمل أشعل عمره ثمان سنين قيمته ١٠٠ ريال. وسمه حلقتين متصلات كذا ٥٥ على الفخذ من يسار.

٤- ناقة سفرة عمرها ثمان سنين قيمتها ١٢٠ ريال. وسمها وسم الحلقتين ٥٥ على الفخذ من يسار.

* ثانياً: أشكال الناقة والقعود خاصة مرشد البريهي البرازي:

١- ناقة حمرة عمرها ست سنين قيمتها ٨٥ ريال. وسمها المطرق على الرقبة من يسار.

٢- قعود أزرق عمره سبع سنين قيمته ٧٠ ريال. وسمه المطرق على الرقبة من يسار.

وتفق ناصر: شرفة أم إحدى عشر انكليزية.

وتفق مرشد: أم تاج موزر أم وحدة).

الفصل الثالث

من جغرافيا الكويت

جولة تاريخية وجغرافية في جزر الكويت

تعالوا نتجول في جانب من أراضي الكويت، ونلقي رحالنا على شواطئ الجزر الكويتية لنتعرف عليها عن قرب محاولين الغوص في تاريخ وجغرافيا تلك الجزر:

إذ تضم الكويت ضمن حدودها البحرية (عشر جزر طبيعية) متفاوتة في الحجم، والأهمية التاريخية، والجغرافية، والاستراتيجية، والاقتصادية، وبالطبع فإننا لن نتناول الجزر الاصطناعية التي تم استحداثها أو سيتم لاحقاً لأسباب اقتصادية أو سياحية، وسوف نبدأ جولتنا من الجزر الواقعة في شمال الكويت ثم نهبط شيئاً، فشيئاً إلى أقصى جنوبها:

* * *

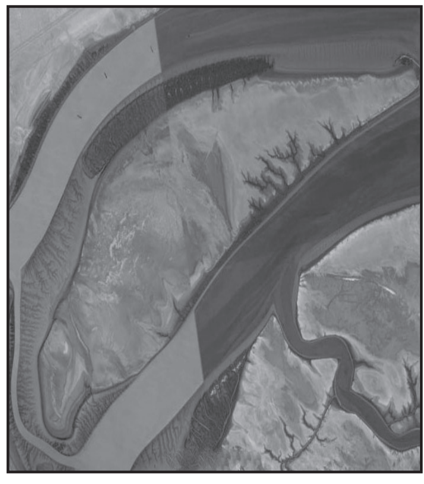
* جزيرة وربة:

تقع وربة في أقصى الشمال الكويتي قبالة السواحل العراقية حيث تبعد مسافة كيلومتر واحد عن الساحل العراقي، وهي على شكل مثلث منفرج الزاوية قاعدته العريضة باتجاه الجنوب.

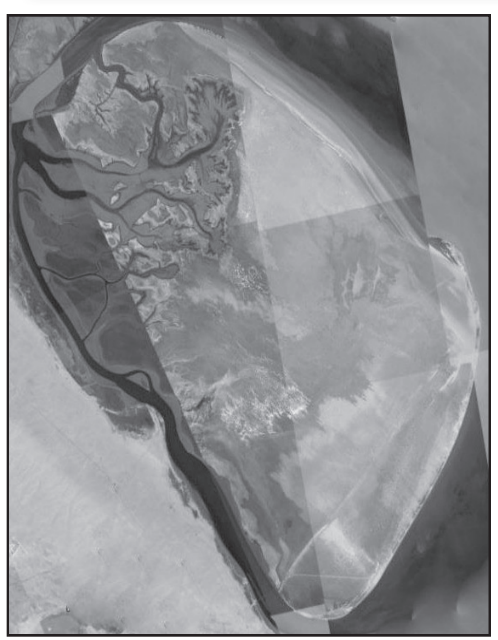
ويبلغ أقصى عرض للجزيرة ثلاثة عشر كيلاً بينما يبلغ أقصى طول لها أربعة أكيال، وتبلغ مساحتها الإجمالية (٣٧ كم٢)، وحول سبب تسميتها يذكر الباحث خالد سالم أنها سميت بهذا الاسم في الغالب نظرا لشكلها المنخفض، والمائل إذ يقال في العامية الكويتية

من ميجر ناكس بوليتكل اجنت الدولة البهية القيصرية الانكليزية في الكويت
الى جناب الاجل الاكرم الافخم المحترم المحب عمدة الاشراف الشيخ مبارك الصباح دام بقاه
اولاً السوال عنكم لازلتم بخير كتابكم المارخ ٧ جماد اول وصل ومهما شرحتم من طرف
جزيرة وربة صار معلوم انها ملككم ومحل مناصب حضور سماكة اهل الكويت
منذ مئتين سنة وانها محل كسب معيشة فقراء اهل الكويت السماكة وان
الجزيرة المذكورة جزء من الكويت لا باس ولاكن لا يخفى على جنابكم انه عند الناس
الذين غير رعايا الانكليز او رعايا جنابكم كتاب جنابكم ما يصير الا كلام المدعي ونحب
نثبت هذا الكلام بالدلايل والحجج ونحب دليل على ذلك ان هذه الجزيرة محل
منصب حضور سماكة اهل الكويت ولا بد يحصل بعض من الشيبان الذين
عندهم اطلاع عن ذلك اصير ممنون ان ترسل لنا احد من الذين عندهم
اطلاع حتى نسأل منهم وان تشوف مناسب ترسل واحد من اولادكم مثل
عبد العزيز بن سالم او عبد الله الجابر او حمود الجابر مع البعض السوال منهم على كيفية
هذا ما لزم ودم سالماً محروس ٧ جماد اول ١٣٢٦ مطابق ٧ جون عام ١٩٠٨

رسالة من المعتمد البريطاني نوكس للشيخ مبارك تؤكد تبعية جزيرة وربة للكويت



صورة من جوجل أيرث لجزيرة وربة



صورة من جوجل أيرث لجزيرة بوبيان

للقماش أن فيه (ورب) إذا كان في إحدى زواياه ميل قليل، وهو بذلك يؤيد ما ذكره قبلاً الباحث فرحان عبد الله الفرحان في تفسيره لأصل تسمية الجزيرة إذ يقول: (جزيرة وربة ملاصقة لجزيرة بوبيان من الناحية الشمالية، والكويتيون لم يتركوا مسميات غير عربية، ولهذا أعطوها الاسم العربي الفصيح، فعندما تشتري قماشاً من بائع الأقمشة، وتجد في هذا القماش ميلاً في زاوية قليلة، فتقول: القماش فيه ورب، وهذا ينطبق على جزيرتنا هذه، ففيها ميلان).

وقد ذكر المؤرخ عبد العزيز الرشيد في تاريخ الكويت أن وربة هي في الأساس عدة جزائر أكبرها طولها سبعة أميال، وعرضها أربعة، ويبدو أن لاحظ أن ضلع المثلث الغربي للجزيرة يفصله خور ضحل مما يمكنه من تقسيمها إلى عدة جزر، وعموماً، فتربة وربة رملية، وسواحلها طينية منخفضة الارتفاع، وهي خالية من السكان منذ أن عرفت الكويت العمران السكاني باستثناء بعض حظور الصيادين، وإن كان المؤرخ سيف الشملان ذكر أن فيها آثار أبنية تدل على أنها كانت مسكونة في العصور القديمة.

* * *

* جزيرة بوبيان:

(بوبيان) هي أكبر الجزر الكويتية على الإطلاق حيث تبلغ مساحتها خمسة بالمئة من المساحة

الكلية لدولة الكويت، وهي ثالث جزيرة في الخليج من حيث المساحة بعد (قشم، والبحرين)، وتقع بوبيان في الشمال الشرقي جنوبي وربة، وترتبط بجسر مع اليابسة الكويتية عند منطقة الصبية.

أما سبب تسميتها، فقد قيل أنه نسبة إلى كنية أحد الأشخاص الذين استوطنوا هذه الجزيرة منذ أمد طويل، وهذا مجرد تخمين لا دليل مؤكد عليه.

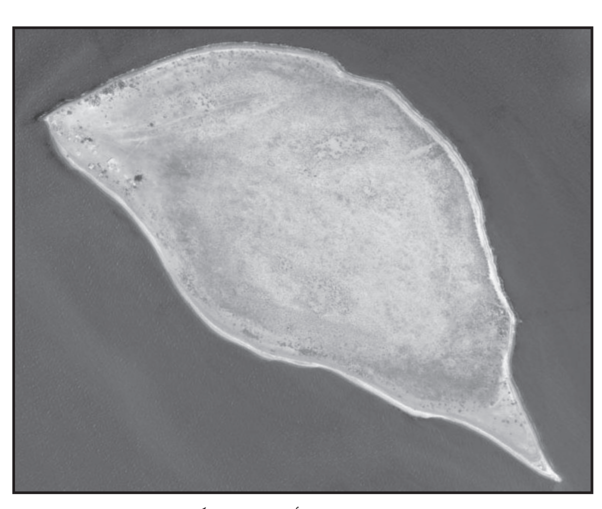
وبوبيان على شكل مستطيل يبلغ أقصى طول له خمسة وأربعين كيلاً، وأقصى عرض له هو ثلاثين كيلا، وبذلك تبلغ مساحتها حوالي (٦٨٣ كم٢)، وذكر الرشيد في تاريخه أن فيها حظور لصيد السمك، ويسمى رأسها الجنوبي الغربي رأس البرشة، وفي الجهة الشمالية شبه أنهار مندرسة، وفيها خوران هما: خور الملح، وخور آخر كبير.

وقد ظهر اسم بوبيان على الخرائط الجغرافية الأوربية لأول مرة في مجلد فان كولن سنة ١٧٥٣م (١١٦٦هـ)، ولا يبدو أنها شهدت استقراراً سكانياً إذ أنها تخلو من المياه العذبة إلا في الفترة التي احتلتها القوات التركية في بدايات القرن العشرين خلال محاولاتها لتحدي سلطة الشيخ مبارك الصباح، وأرض بوبيان مسطحة منخفضة الارتفاع تتخللها الأخوار، والمجاري المائية التي تمتلئ بالمياه في فترات المد العالي للبحر، ورغم ذلك، فهناك جهود حالية لبناء ميناء مبارك الكبير في الجانب الشرقي لبوبيان، وإقامة محمية طبيعية في شمالها، وهو مشروع بدأ العمل في مراحله الأولية.

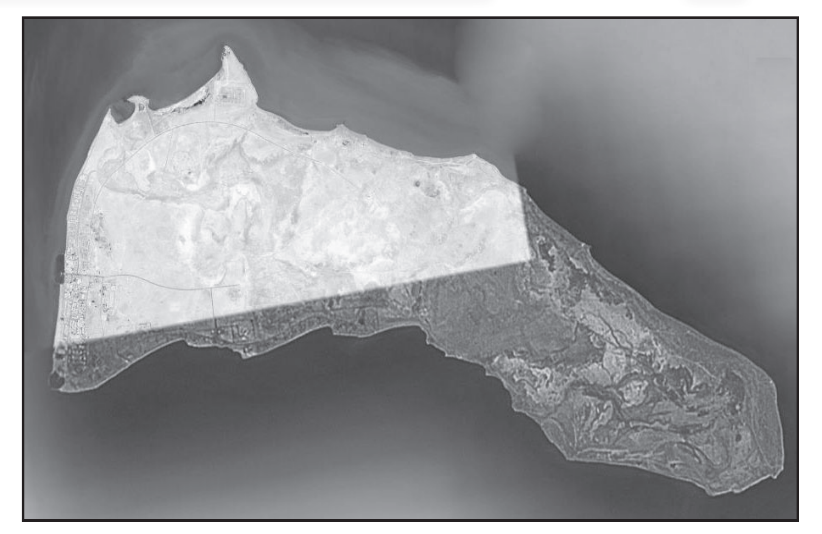
* * *

* جزيرة مسكان:

تقع جزيرة مسكان في الجهة الشمالية الغربية من جزيرة فيلكا خارج جون الكويت، والمسافة بين الجزيرتين ثلاثة أكيال وثلاثمئة متراً، وتبعد مسكان عن أبراج الكويت ستة وعشرين كيلاً، ومسكان جزيرة رملية منخفضة على شكل قطرة الماء، ولها ذيل في جنوبها الغربي، ويبلغ أقصى طول لها أقل



صورة من جوجل أيرث لجزيرة مسكان



صورة من جوجل أيرث لجزيرة فيلكا

من كيلين بقليل، وأقصى عرض لها نصف كيل.

ومسكان غير مأهولة بالسكان، فهي اسم على غير مسمى، وقد ظهرت باسمها هذا في خريطة نيبور الذي مر بالمنطقة سنة ١٧٦٥م كما ذكرها الرحالة الانكليزي باكنغهام الذي مر بالكويت سنة ١٨١٦م.

وقد وضع في مسكان سنة ١٩١٨م مصباح ليهتدي به المسافرون ليلاً، ويوجد حتى الآن منار لهداية السفن ليلاً لتجنب الاقتراب منها بسبب ضحالة المياه قربها، ويشاهد بها الآن بعض شبرات الكيربي حالياً في جزئها الشمالي الغربي.

* * *

* جزيرة فيلكا:

جزيرة فيلكا هي أهم الجزر الكويتية على الإطلاق لكونها الجزيرة المأهولة الوحيدة بالإضافة إلى تاريخها العريق منذ العصر اليوناني، وحتى الآن.

وفيلكا على هيئة مثلث قاعدته في الغرب ورأسه في الجنوب الشرقي، وأقصى طول لها هو أربعة عشر كيلاً. أما عرضها، فيتفاوت ما بين ثمانية أكيال في الغرب، وخمسة أكيال في الوسط، وأربعة في الشرق، ويبعد طرفها الشرقي عن رأس الأرض بالسالمية ثمانية عشر كيلاً وربع، وتبلغ المساحة الإجمالية للجزيرة حوالي (٢٤ كم٢).



صورة جوية لغرب جزيرة فيلكا

ويعتقد أن اسم الجزيرة مشتق من الكلمة اليونانية (Fylakio)، والتي تعني الموقع العسكري المتقدم أو (فليكسا) باللغة اللاتينية، وتعني (السعيدة)، وهناك رأي آخر محلي يرى أن الكلمة جاءت من الفلوج أو الأفلاج، وهي من طرق الري المعروفة في الجزيرة العربية، وذلك لشهرة الجزيرة بالزراعة.

وتحتوي جزيرة فيلكا على أحد أقدم المواقع الأثرية في الكويت حيث أنها تضم آثاراً يونانية، وعثر فيها على تمثال لرأس الإسكندر، وتمثال لأفروديت، وأختام تعود لسنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد كما أعلنت البعثة الكويتية السلوفاكية عن اكتشافها آثاراً مهمة في فيلكا من بينها أساسات لجدران تعود إلى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وتم العثور على جرار للتخزين تعود لنفس الفترة السابقة كما عثر على بيت مكون من ١٢ غرفة إحداها كان ورشة للحدادة، وتم الكشف فيها عن قلعة يونانية، وعدد كبير من الأختام الدلمونية المستديرة بلغ عددها ٤٣ ختماً.

والمنطقة المأهولة من الجزيرة تقع في جنوبها الغربي، وتسمى (الزور)، وكان أهلها قديماً يشتغلون بالملاحة، وصيد الأسماك، والزراعة.

وذكر سيف الشملان في تاريخه بعض قرى الجزيرة المندثرة، وهي (القرين بالتصغير في الجهة الشرقية الجنوبية، والدشت في الجنوب من مقام الخضر، والسعيدة، والصباحية في الرأس الغربي الجنوبي، وبها مقبرة كبيرة، وقديمة جداً).

وذكر أنه في سنة ١٩٤١م عثر الشيخ سالم الحمود الصباح عندما كان العمال يشقون أساساً للبناء على صخرة أثرية عليها كتابة يونانية قديمة، وبعد فحصها من قبل علماء معهد الآثار في لندن عرف أن الكتابة تعود إلى ما قبل الميلاد بنحو أربعمئة سنة، وكتبها رجل يوناني بعد نجاته ورفاقه من

الغرق تعظيماً لزيوس إله البحر عند اليونان، وكانوا يزعمون أن مقره في فيلكا.

وقد أنجبت هذه الجزيرة عدداً من العلماء والأدباء لعل أشهرهم هو المؤرخ المعروف عثمان بن سند المتوفى في بغداد سنة ١٢٤٢هـ، وهو صاحب المؤلفات الأدبية والتاريخية والفقهية المعروفة.

وقد عرف اسم فيلكا على الخرائط الأوروبية عندما ظهر في أطلس ميلر البرتغالي الصادر سنة ١٥١٩م (٩٢٥هـ) اسم (فيليج) لجزيرة في رأس الخليج، ويبدو أنه لفظ (فيلكا) حسب النطق العامي.

وفي الخريطة البرتغالية التي أعدت سنة ١٥٦٣م (٩٧٠هـ) ظهرت فيلكا باسم (اليا ده قودا) أي جزيرة الماء، وقربها جزيرتان حملتا اسماً مشتركاً هو (دوس بركوس) أي الخنزيرتين لعلهما (مسكان، وعوهة)، واستمر هذان الاسمان في الخرائط الأجنبية لمدة قرنين بعد ذلك ثم ظهر اسم (فيلشة) في القرن الثامن عشر أو (بيلوتشي).

وكتب نيبور سنة ١٧٦٥م عن فيلكا ما نصه: (توجد عدة جزر غير مأهولة، وبالقرب من مدينة القرين توجد جزيرة مأهولة تماماً هي فيلكا أو (فيلجة)، وهي للعرب، ومعظم سكانها أصلاً من البحرين، وفي الوقت الحاضر ما يزالون يعيشون أساساً على صيد اللؤلؤ في المغاصات الموجودة قرب تلك الجزيرة).

وتحدث الرحالة جيمس باكنغهام سنة ١٨١٦م بإسهاب عن فيلكا، وقال أنها لابد أن تكون جزيرة إيكاروس.

وكتب الضابط الانكليزي فليكس جونز الذي مر بفيلكا سنة ١٨٣٩م تقريراً جيداً عن الجزيرة، فقال أن فيها ثلاثة مدن غربية هي الطور، (ولعله يعني الزور)، وشمالية هي سعيد، وشرقية هي القرين، والأولى منها هي المسكونة اليوم. أما الأخريتان، فقد خلتا من السكان بسبب الوباء الأخير، وتحتوي على ٧٠ إلى ٨٠ بيتاً، وحوالي ١٥٠ نسمة.

وأضاف: يملك أهلها ١٥ أو ١٦ سفينة بغلة تتاجر إلى البصرة، وبين ٤٥ إلى ٥٠ قاربا صغيراً مصنوعة من سعف النخيل لا تستعمل إلا للصيد، وتتميز الجزيرة بعدد مبعثر من أشجار النخيل، وفيها بعض أراض مزروعة بقليل من البصل والبطيخ، وكمية ضئيلة من القمح، وهم يروونها من مياه آبار تظل صالحة خلال فصل المطر ثم تكون قليلة القيمة بعد ذلك.

وقدر ديكسون عدد سكان الجزيرة في منتصف القرن العشرين بألف وخمسمئة شخص، وتصف السيدة ديكسون زيارتها لفيلكا سنة ١٩٤٦م، فتقول أنها وجدت أشجار نخل فتية في الزور والقرين، وكلها مثمرة، ووجدت كذلك أشجار التين، والكينا، والبمبر، والسدر، والحنة، وينتشر حول الزور ٦٠ أو ٧٠ قبراً من قبور الأولياء، فإلى مسافة ميل جنوبي الزور يوجد قبرا (سعد، وسعيد)، ويقال أن هذين القبرين بنيا تخليداً لأخوين وأختهما قتلوا في ذلك المكان، ويقصدهما الزوار من اليمن، والهند، ومن أفغانستان، وبلوشستان، وهناك قبر آخر يقصده الزوار هو قبر محمد البدوي، وعلى بعد ثلاثة أرباع الميل إلى الشمال الشرقي من الزور هناك مزار يدعى مقام الخضر.

وكانت في فيلكا منطقة سكنية ومدارس وشاليهات سياحية قبل احتلال الكويت سنة ١٩٩٠م، ولكن ظروف الاحتلال، والتدمير الشديد الذي تعرضت له الجزيرة اضطرت أهل الجزيرة إلى النزوح إلى أرض الكويت الأم، فعوضوا بمنازل في منطقة القرين، وبقيت الجزيرة خالية سوى من تواجد عسكري بالإضافة إلى بعض المشاريع السياحية، والمصالح الحكومية، والجزيرة حالياً تحتوي على مهبط للطائرات العمودية، وميناءين بحريين، وقرية سياحية، ويمكن الذهاب إلى الجزيرة عن طريق ميناء رأس الأرض بمنطقة السالمية أو ميناء المارينا البحري.

* * *

* جزيرة عوهة:

جزيرة صغيرة غير مسكونة تقع إلى الجنوب الشرقي من جزيرة فيلكا، وتبعد عنها حوالي أربعة أكيال، وقيل في سبب تسميتها أن أرضها مصابة بعاهة رملية كثيفة، وساحلها ضحل جداً لا يصلح



صورة جوية لجزيرة عوهة





صورة من جوجل أيرث لجزيرة أم النمل

لرسو السفن، وقد ظهر اسم عوهة على الخريطة في مجلد فان كولن سنة ١٧٥٣م (١١٦٦هـ) باسم (hou)، وذكرها باكنغهام، وكتبها (عوخر).

وعوهة ذات شكل شبه مربع، ويبلغ طولها ثمانمئة متراً، وعرضها ٥٤٠ متراً، وتبعد عن رأس الأرض في السالمية واحداً وأربعين كيلاً، وعن مرسى فيلكا أربعة عشر كيلاً.

ولعوهة مكانة كبيرة عند محبي الحداق (الصيد)، فهي من أفضل الأماكن الكويتية لصيد السمك، ويتكاثر بها سمك الهامور، ولذا يرتادها الصيادون بكثرة، وفيها حالياً منارة، ومهبط لطائرات الهليكوبتر، وعدد من شبرات الكيربي يتجاوز عددها العشرين شبرة.

* * *

* جزيرة أم النمل:

هي جزيرة داخل جون الكويت قريبة من رأس عشيرج (غير بعيد عن المدينة الترفيهية)، وهي على شكل مطرقة رأسها إلى الشمال الشرقي، وأقصى عرض لها كيل واحد وثلاثة أرباع الكيل، وعرضها من جهة رأس المطرقة ثلاثة أرباع الكيل، ومن الجهة الغربية لا يتجاوز عرضها المئتي متراً، وتسمى أم النمل بالجزيرة العودة (أي الجزيرة الكبيرة) لتمييزها عن جزيرة الشويخ الواقعة إلى جنوبها المسماة بالجزيرة الصغيرة، ويقال أنها سميت بأم النمل لكثرة تواجد النمل فيها خلال فصل الصيف.

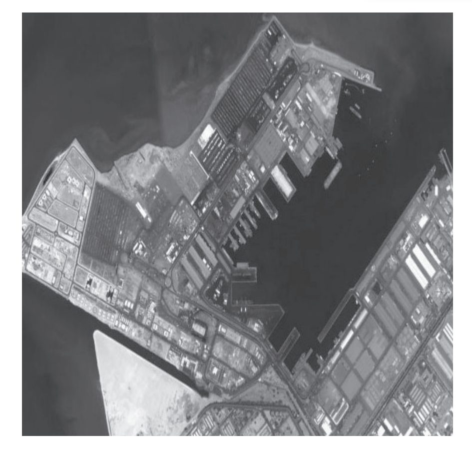
وذكر الرشيد في تاريخه أن فيها حظوراً لبعض أبناء قبيلة العوازم يمارسون فيها صيد السمك، ولهم أكواخ يأوون إليها خلال فترات الصيد للاستراحة.

وتدل الآثار التي تم اكتشافها في جزيرة أم النمل على أنها كانت مسكونة في عصور قبل الميلاد، وأنها اتخذت وقتئذ قاعدة عسكرية لأنها تكشف أكبر جزء من اليابسة من موقعها، وأم النمل على صغرها غنية بالمواقع الأثرية حيث وجد الباحثون فيها آثاراً تعود للعصر البرونزي، والديلموني، والإسلامي، وقد طالب أخيراً المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت بتحويل حق استغلال الأماكن الأثرية في هذه الجزيرة إليه، وأثيرت سنة ٢٠١١م قضية ردم البحر بمخلفات الإزالة بين الجزيرة ورأس عشيرج مما سيؤثر على حركة التيارات المائية داخل جون الكويت سلبياً، ويبدو أن أم النمل في طريقها للاختفاء كما اختفت جزيرة الشويخ إذا لم يتم تدارك الأمر.

* * *



صورة جوية في الستينيات لجزيرة الشويخ





صورة من جوجل أيرث بعد دمج جزيرة الشويخ مع ميناء الشويخ

* جزيرة الشويخ:

جزيرة صغيرة كانت تقع شمال غرب ميناء الشويخ، وهي ملاصقة لساحل الجون الجنوبي، وكانت تبعد عن الساحل حوالي كيل واحد، وتبلغ مساحتها حوالي اثني عشر ألف متر مربع، وتربتها طينية رملية، وتتخللها عدة تلال أحدها يبلغ ارتفاعه سبعة وعشرون قدماً، وقد وجدت بعثات التنقيب عن الآثار حول تلال الجزيرة كسراً متناثرة من الفخار، والأحجار التي استعملت قديماً في البناء، واتضح أن بعضها يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ومنها ما يعود إلى العصور البرونزية، والبعض الآخر منها يعود إلى الفترة الإسلامية مما يدل على وجود استقرار سكاني في الجزيرة أو في الساحل القريب منها.

وكان يطلق على جزيرة الشويخ أسماء أخرى مثل (عكاز، والقرين، والجزيرة الصغيرة)، وقد ضاعت معالم الجزيرة في الوقت الحاضر بسبب الامتداد الذي شمل ميناء الشويخ حيث تم ردم البحر الفاصل بينهما، ولكن أرضها تحتلها المنطقة الشمالية الشرقية من المنطقة الحرة بميناء الشويخ.

ولهذه الجزيرة تاريخ سياحي، وأدبي طريف حيث يذكر الرشيد في تاريخه أنه كانت فيها حظور صيد، وأكواخ، وقد اتخذها بعض الكويتيين لقربها من المدينة منتجعاً لهم في ليالي الصيف يروحون فيها أنفسهم بالتعرض لهوائها الطلق، وجوها الصافي، فيبيتون هناك ثم يكرون راجعين صباحاً، وقد كثرت مداعبات الأدباء حولها، ويشير الرشيد إلى أن العالم الشيخ عبد الله الخلف الدحيان ذمها بقصيدة طريفة بعثها إليه، وكان الرشيد وبعض رفاقه قد ذهبوا إلى جزيرة الشويخ للنزهة، فكان مما قال الدحيان:

على هاجري الأوطان يبغون دونها ... وجلّ هواهم في سباخ الجزيرةِ
مناظرها تعزى إلى ضدّ وصفها ... فلا حسناً فيها لرب البصيرةِ
أعشّاق سبخاها، وحلّال ربعها ... بسوء مناخٍ في أراضٍ صغيرةِ
لئن طاب منها الليل، فالويل في الضحى ... إذا اتّقدت رمضاؤها في الظهيرةِ
أيدفع بالأخصاص حرّ شموسها ... ومن قصبٍ بالٍ بناء الحضيرةِ

فرد عليه عبد العزيز الرشيد مدافعاً عن الجزيرة:

رحلنا إلى أرض الجزيرة علّنا ... نزيل هموماً بالفؤاد استقلتِ
فنلنا بحمد الله ما فيه أنسنا ... ولو نالنا في ذاك بعض المشقةِ
كمنظرنا للبحر، والبحر هادئٌ ... ومنظره، والموج يبدو كهضبةِ
ومنظرنا تلك الحضور، وأهلها ... وقد حملوا الأسماك منها بقلّةِ
وما ضرّنا حرّ الجزيرة إذ غدا ... كنارٍ.. لها في القفر أعظم شعلةِ
ولا البقّ إذ يمسي علينا محلّقاً ... كما حلّق البالون يوم الكريهةِ
فيرمي علينا من مدافع صوته ... قنابل ترمي الكلّ منا بنشوةِ

وبالغ القاضي عبد المحسن البابطين في مدح جزيرة الشويخ، فقال:

يا ليتني أحظى بها لو ساعةً ... فأنال فيها الأنس، والأفراحا
فلها عدا حسن الهواء فضيلةٌ ... مرأى عجيبٌ يذهب الأتراحا
ولها على (لبنان) فضل واضح ... فسلوا ملوك الأرض، والسيّاحا
فترابها كالمسك فاح أريجه ... أو ما ترى وادٍ بها فيّاحا
ما شاقني جزرٌ.. سواها تنبت ... الزيتون، والرمان، والتفاحا
إنّي أهنئ سادتي من معكمو ... يوم الخميس على الجزيرة راحا

فرد عليه الرشيد:

إنّ الجزيرة أنسنا.. يا أنسنا ... وبحبّها جمعٌ غفيرٌ باحا
وأنا فديتك عذّلي في حبّها ... جمعٌ، وكلٌّ قد غدا ملحاحا
لا تسألن عن أنسنا بخميسنا ... وقد امتطينا قارباً ملواحا

* * *



صورة جوية لجزيرة كبر



صورة جوية لجزيرة قاروه

* جزيرة كبّر:

تقع جزيرة كبّر (بضم الكاف، وتشديد الباء المفتوحة) إلى الجنوب من جزيرة فيلكا، وتبعد عنها تسعة وعشرين كيلاً، وتقع إلى الشرق عن ساحل الزور بثلاثين كيلا، ومساحتها قريبة من مساحة عوهة.

وهي جزيرة رملية سواحلها منخفضة، وقيل أنها سميت بكبّر لوجود نبات الشفلح الأحمر بها، والذي يسمى أيضا بالكبر، والطريف أن باكنغهام كتب سنة ١٨١٦م أن اسمها (كبة) وقال أنها سميت بذلك لوجود قبة على ضريح أحد الأولياء!، وهذا خلط بينها وبين جزيرة فيلكا، وتتميز كبّر بمياهها الصافية التي تجذب عشاق البحر، وصيادي السمك، وتعد متحفاً طبيعياً، وبها أنواع من النباتات النادرة، ومحاطة ببعض الشعاب المرجانية، وتكثر بها أسراب طيور الفلامنجو والنورس، ويرتادها في العطل عشاق البحر عن طريق بعض اليخوت.

وقد أقيمت بها منارة لإرشاد السفن تعمل بالطاقة الشمسية، ومهبط للطائرات العمودية.

* * *

* جزيرة قاروه:

هي أصغر الجزر الكويتية الجنوبية، وأكثرها توغلاً داخل الخليج حيث تبعد عن ساحل الزور سبعة وثلاثين كيلاً ونصف كما تبعد عن جزيرة كبر ثلاثة وثلاثين كيلاً و ٧٨٩ متراً، وتبعد عن جزيرة أم المرادم مسافة ستة عشر كيلاً و٩٠ متراً.

ويبلغ طول قاروه ٢٧٥ متراً، وعرضها في بعض الأماكن لا يتجاوز ١٧٥ متراً، ولذا هي قريبة من الشكل الدائري، وقد سميت بقاروه لوجود رواسب نفطية من القار تخرج من سواحلها وصخورها، وتجرفها الأمواج إلى سواحل الكويت عند بنيد القار.

ولقاروه ذكرى جميلة في نفوسنا إذ أنها كانت أول الأراضي الكويتية المحررة في حرب التحرير سنة ١٩٩١م، وهي خالية من السكان عدا المخفر المقام عليها، وفيها برج المنارة، ومرسى، والجزيرة منخفضة الارتفاع لدرجة أنه تصعب رؤيتها من مسافة بعيدة.

وفي سنة ٢٠٠٨م نشر تقرير بأن جزيرة قاروه مهددة بالغرق بسبب التلوث حيث تحيط بالجزيرة أحزمة من المرجان بدأت بالتحطم بسبب رسو القوارب بجانبها مما قد يتسبب بوصول الأمواج القوية إلى الجزيرة التي لا ترتفع عن الأرض كثيراً، وقد بدأت ملاحظة الظاهرة في سنة ١٩٩٧م، وقال مدير دائرة العلوم البيئية في معهد الأبحاث العلمية الدكتور عبد النبي الغضبان أن هناك سببان قد يؤديان إلى اختفاء الجزيرة: الأول هو اختفاء الشعاب المرجانية، والثاني هو ارتفاع منسوب مياه البحر.

* * *

* جزيرة أم المرادم:

هي آخر الجزر الكويتية من جهة الجنوب، وهي بيضاوية الشكل مع لسان يابس في شرقها، ومنخفضة الارتفاع، ويبلغ طولها كيلاً ونصف، وعرضها ٥٤٠ متراً، وتتميز بشواطئها عميقة المياه لدرجة أن السفن الكبيرة تستطيع أن تلاصق الشاطئ دونما خطر، وكانت بعض مغاصات اللؤلؤ تقع بالقرب منها، وفي موسم المطر تخضر أراضي الجزيرة.



صورة جوية لجزيرة أم المرادم

وتخلو أم المرادم من السكان عدا منشآت إرشاد السفن، ومخفر الشرطة، وكانت ثاني أرض تحرر في حرب التحرير، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى طائر المردم المتواجد بالجزيرة.

الطرق البرية من الكويت قبل مئة عام

في (دليل الخليج) للوريمر الذي صدر سنة ١٩٠٦م الكثير من المعلومات التاريخية، والجغرافية المتعلقة بالكويت، وغيرها من دول المنطقة، ومن المعلومات المفيدة في ذلك السفر الضخم متعدد الأجزاء حديث عن الطرق البرية التي كانت تنطلق من مدينة الكويت إلى الدول المجاورة في بدايات القرن العشرين قبل أن تدخل السيارات إلى المنطقة.

وتنطلق من الكويت إلى خارجها حالياً ثلاث طرق عبر ثلاث منافذ برية: اثنان مع السعودية (غربي: السالمي – الرقعي)، و(جنوبي: النويصيب – الخفجي)، وواحد مع العراق (شمالي: العبدلي – صفوان).

ولكن تعالوا نعود أكثر من مئة عام من الزمان، ونستذكر الطرق البرية التي كانت تنطلق من الكويت في بدايات القرن العشرين عبر التقارير البريطانية.

في ذلك الوقت كانت هناك ست طرق (غير معبدة بالطبع) منها طريقان يصلان الكويت شمالاً بالبصرة، وطريقان يصلانها غرباً بحفر الباطن، وطريق جنوبي غربي، وطريق سادس جنوبي.

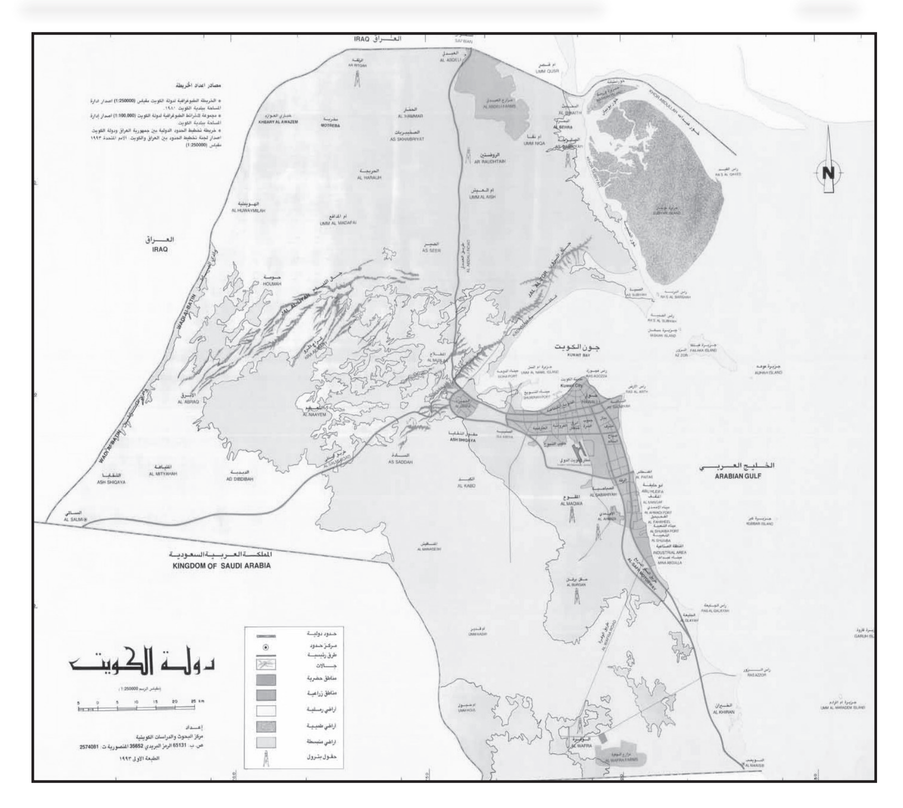
ويقول التقرير في بدايته أنه على الرغم من خلو سطح الكويت من التضاريس الطبيعية إلا أن السفر فيها ليس سهلاً، فلا يمكن الحصول على أقل كمية من الطعام إذا ابتعدت عن المدينة مسافة أقصاها عشرون إلى خمسة وعشرين ميلاً، وفي أي اتجاه، ومن الضروري أن تحمل كل ما يلزمك من طعام. أما وجود طعام الحيوانات، فليس بهذه الصعوبة حيث أن الإبل يمكنها أن تعيش على الرعي، وهي في الطريق، ولكن الماء نادر خاصة إلى الشمال من الجهرة، والطرق تتحدد بصفة رئيسة في كل مكان بموقع وحالة الآبار.

وهذا تفصيل لما ورد في تلك التقارير:

* * *

* الطريق الأول (شمالي):

وينطلق من مدينة الكويت، فيمر بالجهرة ثم قصر الصبية ثم أم قصر، وصفوان وصولاً إلى



البصرة.

يحاذي الطريق عند خروجه من مدينة الكويت الشاطئ الجنوبي لخليج الكويت (الجون)، ويكون الطريق في الخمسة أميال الأولى ناعماً، ومعطلاً للسير إلى حد ما ثم يتعرض بعد ذلك لتموجات طفيفة، وتكون الأرض صلبة إلى حد ما، وعلى يمين تقع آبار (عشيرج، وملكشي، وجرثامة)، وعلى يساره تقع آبار (الجدادية، والصليبية، وأمغرة، وقلبان ياسين).

وتنتهي المرحلة الأولى بالوصول إلى الجهرة بعد عشرين ميلاً غرباً من مدينة الكويت، وتكون المرحلة الثانية بعد ذلك بتسعة عشر ميلاً إلى الشمال الشرقي عند (مديرة)، وهي بئر واحدة للماء العذب، وهي معرضة لأن تمتلئ بالرواسب الطينية في الطقس الممطر.

ويسير الطريق من الجهرة إلى مديرة خلال أرض حجرية قاحلة تعرف بالسيف، وهي في بعض الأماكن مرتفعة بين تلال الزور، والشاطئ الشمالي الطيني لخليج الكويت (الجون)، ويمر المسافرون بعد خمسة أميال من الجهرة بأم الخويسة، وهي بئر مليئة بالرواسب الطينية، وبجوارها قليل من أشجار النخيل البري، وبعد ستة أميال ونصف يمر ببئر (معترضة) ثم بعد ١١ ميلاً يمر بآبار (كويكب)،

وهي حوالي عشرين بئراً، وبها ماء ضارب إلى الملوحة على عمق تسعة أقدام، وتخيّم عندها عشائر مطير في الصيف، وبعد ١٥ ميلاً تقع آبار (غضي)، وهي ضاربة إلى الملوحة، وبعد ١٧ ميلاً نجد (المحرقة)، وهي بئر مياهها قابلة للشرب، ولكنها ضاربة إلى الملوحة.

وبعد ٢١ ميلاً إلى الشمال الشرقي من مديرة يصل المسافرون إلى قصر الصبية، والطريق من مديرة إلى الصبية يبدأ بثلاثة أميال من الرمال، وبعدها ثمانية أميال عبر منطقة طينية منبسطة لا تغمرها المياه عند المد ثم يصعد الطريق بعد التلال الرملية، ويمر فوق أرض حجرية متعرجة، ويمر المسافر بعد سبعة أميال من مديرة بآبار (بحرة) بمائها الضارب إلى الملوحة قليلاً، وبعد ثمانية أميال يمر بآبار (مشاش العجمان)، وبعد ١٢ ميلاً يمر بالآبار العذبة المعروفة بآبار المغيرة.

وتكون محطة الوقوف القادمة هي (العرفجية)، وتقع على بعد عشرة أميال ونصف إلى الشمال الغربي، وهي مكان حوله جدار طيني مهدم، وآبار عديدة ماؤها جيد نوعاً ما، ولا أشجار فيه، ولكن هناك علامات على وجود زراعة سابقة عمرها أكثر من سبع سنوات، وفي هذا السهل يوجد تل (قهدية) المنخفض إلى الجنوب الغربي بحوالي ثمانية أميال.

ويسير الطريق من الصبية إلى العرفجية فوق منطقة حجرية متعرجة قليلاً، ويمر المسافرون على بعد ستة أميال بآبار (شميمة)، وآبار (حجيجة)، وهي ثمان أو تسع آبار مياهها ضاربة إلى الملوحة قليلاً، وعلى بعد سبعة أميال ونصف توجد بئر (أخفر، ونبث)، وهي بئر تقع في مجرى مائي جاف.

وتكون المحطة القادمة هي (الصابرية)، وتقع على بعد ١٥ ميلاً إلى الشمال الغربي من العرفجية، والصابرية منطقة بها آبار أكثر من أي منطقة أخرى، والماء بها جيد ووفير.

والطريق إلى الصابرية يمر بمنطقة منبسطة، وحجرية، ويمر المسافر بآبار (المطوعية) بعد ثلاثة أميال، وبعد ستة أميال توجد آبار (الطرفاوي)، وبها ماء صالح للشرب، ولكنه مر إلى حد ما، وبعد سبعة أميال توجد آبار (حصوان)، وبعد ثمانية أميال توجد بئر (كرادي)، وبعد تسعة أميال توجد آبار (زمامي)، وبعد ١٣ ميلاً توجد آبار (صبير).

والمحطة بعد ذلك هي أم قصر، وتقع على بعد ١١ ميلاً شمالاً من جهة الغرب من الصابرية، ويعبر الطريق إليها عبر تلال منخفضة، ويمر المسافر بآبار (بحرة) بعد ميلين ونصف من الصابرية، وماؤها جيد ووفير ثم بئر (بحيث)، وماؤها مُر ثم على مسافة خمسة أميال تقع بئر (أم نقا)، وماؤها جيد.

وبعد أم قصر تكون المحطة القادمة هي (صفوان) على بعد ١٥ ميلاً إلى الشمال الغربي، والطريق إليها متعرج، ويوجد فيه تلان صغيران.

ومجمل الطريق من مدينة الكويت حتى الحدود التركية عند صفوان هي ١١١ ميلاً، ونصف الميل.

* * *

* الطريق الثاني (شمالي أيضاً):

وهو ينطلق من مدينة الكويت إلى البصرة عبر الجهرة، ومنها إلى صفوان مباشرة، وهو يشبه الطريق الأول حتى الجهرة ثم يسير في طريق مستقيم تقريباً لمسافة ٥٦ ميلاً شمالاً باتجاه صفوان، وهذا الجزء دون ماء إطلاقاً إلا إذا انحرف المسافر شرقاً لكي يصل إلى آبار (القشعانية)، وهي ست آبار، وبها ماء جيد على عمق ١٨ قدماً، ويعبر الطريق في سيره مناطق (زقلة، وكراع المرو، والللياح، والباطن)، والطريق مستو، ولكنه حجري، وتبلغ المسافة كلها بهذا الطريق حوالي ٧٦ ميلاً.

* * *

* الطريق الثالث (غربي):

وهو ينطلق من مدينة الكويت إلى الحفر (حفر الباطن) عبر الرقعي، وينطلق من الكويت إلى الجهرة، وبعد ذلك يصل إلى (أم العمارة) التي تبعد ٢٥ ميلاً عن الجهرة منها ١٦ ميلاً باتجاه الجنوب الغربي، وتسعة أميال غرباً، فقبل أن يترك المسافر منطقة الجهرة يترك على يمينه (خبرة البعل) على بعد خمسة أميال، وعلى يساره تل (الرحية) على بعد ستة أميال، وعلى بعد تسعة أميال يعبر مرتفعاً منحنياً يتصل بتل (فريضة) إلى اليمين، وذلك بعد عبور وادي (أم طوينج)، وعلى بعد ١٦ ميلاً يتم ارتقاء مرتفع (السدة)، وبعد السدة بأربعة أميال يهبط الطريق إلى وادي (الشق) الذي يبلغ عرضه خمسة أميال.

وبعد أم العمارة بخمسة وعشرين ميلاً إلى الجنوب الغربي يمكن التوقف في منطقة غير محددة الاسم حيث لا توجد محطات منتظمة للوقوف، ولا يتوافر الماء عادة.

وبعد ذلك يصل المسافر إلى محطة (الرقعي)، وتقع على بعد ٣٧ ميلاً من المحطة السابقة غير المسماة إلى الجنوب الغربي، والطريق إلى الرقعي يمر بمنطقة فقيرة، وليس بها علامات مميزة، ويرى بها

القليل من الغزلان، وعلى بعد ٣٠ ميلاً يتم المرور على خبرة (أم الحمير)، ومن هذه المنطقة يصعد الطريق في بادئ الأمر في سلسلة من المرتفعات ثم يهبط إلى الرقعي، والماء في الرقعي ليس متوافراً دائماً.

والمحطة القادمة بعد الرقعي بستة وثلاثين ميلاً إلى الجنوب الغربي هي (قصر بلال)، ويقع الطريق إليه على طول وادي الباطن قرب ضفته الجنوبية عابراً الوهاد المسماة (العضيرات)، ويمكن الحصول أحياناً على المرعى من قاع هذه الوهاد.

وبعد قصر بلال بخمسة وعشرين ميلاً إلى الجنوب الغربي يصل المسافر إلى الحفر، والطريق يحتوي على الماء في الآبار العميقة، ولكن الوقود باستثناء روث الإبل نادر تماماً.

هذا، وتبلغ المسافة من مدينة الكويت إلى الحفر حوالي ١٨٦ ميلاً.

* * *

* الطريق الرابع (غربي أيضاً):

وهو ينطلق من مدينة الكويت إلى الحفر مباشرة دون المرور بالجهرة، ويكون باتجاه الجنوب الغربي لمسافة ٤٦ ميلاً بعد أن يترك هضبة (كبد) إلى الشمال الغربي، وتلي (وارة، وبرقان) في العدان إلى الجنوب الشرقي.

ويمر المسافر بعد تسعة أميال من مدينة الكويت بآبار الجدادية، وتوجد على بعد ميلين منها غرباً آبار (الصليبية)، والماء غير صالح للشرب في أي منهما، ولكن ماء الجدادية هو الأوفر، والأقرب إلى السطح إذ هو على مسافة أربع قامات، وبعد ٤٦ ميلاً من مدينة الكويت يمكن للمسافر التوقف في مكان يبعد حوالي ٢٠ ميلاً غربي آبار (الصبيحية) في العدان، وهنا يتغير الاتجاه من الجنوب إلى الغرب، وبعد مكان التوقف بتسعة أميال، وإلى الجنوب من تلال المناقيش يهبط الطريق إلى وادي الشق، ويستمر فيه لتسعة أميال، وبعد الضفة الغربية للشق بحوالي أربعة أميال يظهر واد ليس له ملامح معينة تابع لمنطقة الدبدبة.

والمرحلة التالية هي حوالي عشرين ميلاً باتجاه (أبي الحيران) في الدبدبة، ويمر المسافر على مرتفع (سلع) بعد أكثر من منتصف الطريق.

وتوجد في (أبي الحيران) حفرة يقال أنها تحتفظ بالماء شهراً بعد المطر، وبين سلع وأبي الحيران

يتم صعود مرتفع هو أحد الملامح الرئيسية للدبدبة.

والمرحلة التالية بعد أبي الحيران تبلغ ٢٤ ميلاً باتجاه محطة وقوف ليس لها اسم محدد، وليس فيها ماء أو أي من وسائل الراحة.

ثم يسير الطريق بعد ذلك لمسافة ٢٨ ميلاً في الجنوب الغربي متجهاً إلى أرض من النوع المعتاد لإقامة المخيمات فوق قمة مرتفع يدعى (المسناة) لا يكاد يحس المرء بارتفاعه، وهو أهم الظواهر الطبيعية في الدبدبة.

ويستمر الطريق بعد المسناة ٢٨ ميلاً، وينحرف الطريق باتجاه الغرب، والأرض هنا (حزم) أي أنها صلبة، ومفروشة قليلاً بالحصى، والمرحلة الأخيرة بعد ذلك طولها ١١ ميلاً، وتنتهي في حفر الباطن باتجاه الجنوب الغربي.

وتبلغ إجمالي المسافة من الكويت إلى الحفر عبر هذا الطريق حوالي ١٨٠ ميلاً، ولا يمكن الاعتماد على وجود الماء في أية نقطة منه إلا بعد سقوط المطر.

* * *

* الطريق الخامس (الجنوب الغربي):

يسير هذا الطريق من مدينة الكويت إلى (اللقيط) في منطقة العدان على بعد ٢٤ ميلاً ثم يستمر حتى مدينة الزلفي قرب القصيم.

* * *

* الطريق السادس (جنوبي):

وهو ينطلق من مدينة الكويت جنوباً إلى (وبرة) باتجاه نجد، ويمكن للمسافر الوصول إلى وبرة التي تبعد ١٤٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي لمدينة الكويت بطرق مختلفة عبر الطرق المتداخلة، وهناك طريق واحد من وبرة يؤدي إلى المجمعة في إقليم سدير كما يوجد طريق آخر إلى سدوس في العارض (قرب الرياض)، ولا شك أن هناك طرقاً أخرى كما تنتهي إلى ذلك التقارير البريطانية عن الطرق البرية المنطقة من الكويت بكل الاتجاهات في بدايات القرن العشرين.

* * *

ويحتوي التقرير في ختامه على معلومات عن سكان الكويت في تلك الفترة، فيحدثنا عن السكان المستقرين في الكويت، ويبلغ عددهم حوالي (سبعة وثلاثين ألف نسمة) منهم ألفين فقط في القرى خارج العاصمة بينما البقية في العاصمة. أما السكان البدو، فهم حوالي ثلاثة عشر ألف نسمة.

والقرى الدائمة في الكويت هي الجهرة على رأس خليج الكويت، وقصر الصبية على خور الصبية، والزور على جزيرة فيلكا، والدمنة، والفحيحيل، والفنطاس، والشعيبة على ساحل العدان، ولا تبعد الواحدة منها أكثر من خمسة وعشرين ميلاً عن مدينة الكويت بخط مباشر.

جولة مع أسماء المناطق الكويتية

تتكاثر مناطق الكويت ومدنها يوماً بعد يوم، ويتزايد عدد سكانها، وتتسع مساحة العمران فيها، فتستحدث أسماء، وتندثر أخرى، وتتلاحق الأجيال، ويفرض الواقع سيطرته على الحياة، فنكاد ننسى أسباب تلك الأسماء، ويتغلب الاسم على المسمّى.

وهنا سنحاول التجوال في عدد كبير من أسماء مناطق الكويت لنبحث في أسمائها، وأسباب إطلاق هذا الأسماء عليها.

* * *

وفي البداية ننوه إلى بعض الأمور، والأسس التي اعتمدناها في البحث:

- أهملنا الأسماء التي اندثرت، وكادت أن تنسى بل ركزنا الضوء على ما هو موجود حالياً، ولذا فلن نتطرق إلى أسماء الأحياء (والفرجان) القديمة الذي ذهبت مع الأيام.

- اهتممنا بأسماء المواقع المأهولة حالياً، فلم نتطرق إلى أسماء المناطق الصحراوية التي تحمل أسماء تستحق البحث، وندع أسماء (الخباري، والتلال، ورؤوس الخليج، والخيران، والآبار، وحقول النفط، ومراكز الهجانة) إلى جهد آخر.

- ركزنا البحث في المناطق السكنية، فلم نتطرق إلى مسميات الآثار، والأسواق، والمساجد، والشوارع لخروجها عن محور اهتمامنا هنا.

- اعتمدنا على مصادر عدة من بينها كتاب (الموسوعة الكويتية المختصرة) لحمد السعيدان، وبحوث فرحان الفرحان، وكتابات مختلفة في شبكة الإنترنت، وبعض الإصدارات الحكومية، وبسؤال بعض الأخوة المهتمين، وما تراكم لدينا من معلومات شفوية، ومقروءة، ومشاهدة، ومستنبطة على مدى السنوات السابقة.

* * *

وعلينا أن نلاحظ أن مناطق الكويت في عمومها تنقسم في تسمياتها إلى ثلاثة أصناف:

- الأول: ما سبق تسميته على تأسيس الكويت الحديثة كمسميات كاظمة، والقرين، والوفرة،

ووارة، والكويت.

– الثاني: ما سمي عفواً من قبل الناس دون تدخل حكومي كالجهراء، والقبلة، وحولي، والمباركية، والصالحية، وخيطان، والفروانية، والفحيحيل.

– الثالث ما أطلق عليه الاسم بقرار من الدولة كأسماء الضواحي، والصباحية، والرقة، وهدية، وما شابه.

ونبدأ موزعين أسماء المناطق حسب مبررات تسميتها، وليس حسب تقسيماتها الإدارية أو أقدميتها الزمنية.

* * *

* أولاً: المناطق المنسوبة لأشخاص من الأسرة الحاكمة:

– جليب الشيوخ: منطقة تبعد ثلاثة عشر كيلاً إلى الجنوب الغربي من العاصمة، وكانت قديماً منطقة صحراوية بها عدد من الآبار يلتف حولها البدو الرحل، وأساسها بئر (قليب) حفرها بعض شيوخ الكويت، وقيل أن من حفرها هو جابر العيش الحاكم الثالث للكويت، والأشهر ما ذكره السعيدان من أن من حفرها هما الشيخان محمد وجراح الصباح أخوي الشيخ مبارك، ومن هنا أتت تسمية المنطقة بجليب الشيوخ.

– الصباحية: منطقة تبعد ٣٢ كم جنوب العاصمة بنتها الدولة في أواخر الستينيات، وأطلقت عليها هذا الاسم نسبة إلى الشيخ صباح السالم حاكم الكويت في ذلك الوقت.

– الخالدية: منطقة في محافظة العاصمة، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ خالد بن عبد الله السالم نجل حاكم الكويت الحادي عشر الذي كان أول من أقام بها، وبني له فيها قصراً، فأصبح نواة لمنطقة الخالدية السكنية.

– مبارك الكبير: منطقة تقع جنوبي العاصمة بـ ١٨ كم، وأطلقت الدولة عليها هذا الاسم في التسعينيات تكريماً لحاكم الكويت السابع الشيخ مبارك الكبير، وقد توسع هذا المسمى فيما بعد ليشمل سادس محافظات الكويت.

– الأحمدي: مدينة مشهورة تقع جنوب العاصمة بـ ٣٣ كم، وتعتبر عاصمة النفط في الكويت، ونسبت إلى الشيخ أحمد الجابر الذي أسست المدينة في عهده سنة ١٩٤٦م.

– الدعية: منطقة ضمن محافظة العاصمة، وقد نسبت إلى أول من سكنها، وهو الشيخ دعيج السلمان الصباح الذي كان قائداً لجيش الكويت في معركة حمض سنة ١٩١٩م، وعمّر حتى بلغ سن الثامنة والتسعين من عمره، وتوفي سنة ١٩٨١م، ولكون اسم دعيج ينطق بالعامية (دعيي) مع قلب الجيم إلى الياء، فقد تحول اسم المنطقة إلى (الدعيية) ثم خفف إلى (الدعية).

– الجابرية: منطقة في محافظة حولي تقع جنوب العاصمة بثمانية أكيال، وقد نسبت إلى الشيخ جابر العبد الله الجابر الصباح الذي كان يمتلك قسماً كبيراً من أراضيها، وتم بيعها بعد ذلك للمواطنين.

– السالمية: مدينة مشهورة تقع شرق العاصمة، ونسبت إلى الشيخ سالم المبارك، وكانت تسمى قديماً (الدمنة) نسبة إلى دمن الغنم، فغير اسم الدمنة لقبحه إلى العنبرة سنة ١٩٥٢م، فلم يستسغه الناس، ولم يتداولوه بينهم، فحول مسماها بقرار من الدولة إلى السالمية سنة ١٩٥٣م.

– ميناء عبد الله: ميناء نفطي يقع جنوب العاصمة بخمسة وأربعين كيلاً، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ عبد الله السالم الذي أسس الميناء في عهده.

– ضاحية عبد الله السالم: منطقة تقع ضمن محافظة العاصمة نسبة إلى الشيخ عبد الله السالم، وكان اسمها القديم (المجاص)، وهو المكان الذي يؤخذ منه (الجص) ثم غيّر إلى هذا الاسم تكريماً لحاكم الكويت الحادي عشر، وهي أول ضاحية في سلسلة الضواحي التي تحمل أسماء لبعض شيوخ الأسرة الحاكمة ممن خدموا البلاد، وقد بلغ عددها حتى الآن ١١ ضاحية ومدينة.

– ضاحية صباح السالم: منطقة في محافظة حولي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ صباح السالم الحاكم الثاني عشر لدولة الكويت.

– ضاحية جابر العلي: منطقة في محافظة الأحمدي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ جابر العلي السالم أحد رجالات الكويت البارزين.

– ضاحية صباح الناصر: منطقة في محافظة الفروانية سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ صباح الناصر المبارك الصباح أحد رجالات الكويت البارزين.

– ضاحية الشهيد فهد الأحمد: منطقة في محافظة الأحمدي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ الشهيد فهد الأحمد الصباح أحد رجالات الكويت البارزين.

– ضاحية مبارك عبد الله الجابر: منطقة في محافظة حولي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ مبارك العبد الله الجابر الصباح أحد رجالات الكويت البارزين.

– ضاحية عبد الله المبارك: منطقة في محافظة الفروانية سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ عبد الله المبارك الصباح أحد رجالات الكويت البارزين.

– ضاحية علي الصباح السالم: منطقة في محافظة الأحمدي سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ علي الصباح السالم الصباح أحد رجالات الكويت البارزين، وكانت تسمى قبل ذلك (أم الهيمان).

– مدينة جابر الأحمد: منطقة في محافظة العاصمة قرب رأس عشيرج سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح الحاكم الثالث عشر للكويت.

– مدينة سعد العبد الله: منطقة في محافظة الجهراء قرب أمغرة سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح الحاكم الرابع عشر للكويت.

– مدينة صباح الأحمد: منطقة في محافظة الأحمدي سميت بهذا الاسم نسبة إلى أمير البلاد الحالي الشيخ صباح الأحمد الصباح، وهي مدينة بدأ البناء بها قريباً، وتقع قرب عريفجان جنوبي البلاد.

* * *

* ثانياً: المناطق المنسوبة لأشخاص من خارج الأسرة الحاكمة:

– الصالحية: منطقة تجارية ضمن حدود العاصمة، وهي تقع غرب العاصمة، وقد نسبت إلى الملا صالح محمد العنزي سكرتير الشيخ أحمد الجابر، وذلك لوقوع مسجد الملا صالح في تلك المنطقة التي يخترقها شارع فهد السالم الشهير.

– الفروانية: كانت منطقة الفروانية تعرف قديماً (مطلع عياد)، (وهذا في الحقيقة تحسين للاسم الحقيقي، وإلا فالاسم الأصلي مشابه يحمل بعض البذاءة اللفظية!!)، وبقي هذا الاسم حتى بداية الأربعينات حين تحول صانعو الجص من منطقة المحاص (ضاحية عبد الله السالم حالياً) إلى (مطلع عياد) لصناعة الجبس، وبعد فترة ترك صانعو الجص وراءهم العديد من الحفر التي شوهتها النيران، وأطلق عليها الناس مسمى (الدوغة).

وفي سنة ١٩٦٢م غير اسم الدوغة إلى الفروانية نسبة إلى (سرور بن فروان المويهي المطيري)،

وهو من رجال الشيخ أحمد الجابر الصباح كان يسكن الفروانية بالقرب من مسجد أبي شيتان، وحفر بها بئراً، ويذكر السعيدان أنه شاهده سنة ١٩٥٦م وهو رجل مسن ضخم الجثة.

وأشار الشيخ عبد الله الجابر في محاضرة له أن سرور بن فروان كان من فرسان الأخوان، فانتقل إلى الكويت، والتحق بمعية الشيخ أحمد الجابر.

– خيطان: قرية سكنية تبعد عشرة أكيال إلى الجنوب من العاصمة، وقد سميت المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى خيطان العتيبي، وهو مزارع سكنها قديماً حوالي سنة ١٩١٨م، وبني فيها بيتاً، وحفر بها بئراً كان الناس يستقون منها، ويقولون: (أتينا من خيطان، وذهبنا إلى خيطان) حتى اشتهرت المنطقة باسمه، وكان خيطان أيضاً يعمل دلالاً يبيع ويشتري بالإضافة إلى زراعته للقمح.

ونظراً لطبيعة مرتفع جنوب خيطان (المختلط حصاه بالرمل)، فقد عرفت المنطقة الجنوبية منها أيضاً بأبرق خيطان.

– العارضية: منطقة تبعد أربعة عشر كيلاً إلى الجنوب الغربي من العاصمة، وقد أطلقت عليها هذه التسمية نسبة إلى محمد العارضي المطيري، وقيل بل أن اسمه (عبد الله بن دغام العارضي)، وكان يسكن هذه المنطقة، فاشتراها منه الشيخ صباح الناصر، وبقي الاسم منسوباً إلى صاحبها القديم.

– حولي: قرية صغيرة تقع على بعد سبعة أكيال إلى الجنوب من العاصمة، وقد بدأ تأسيسها سنة ١٩٠٥م أو سنة ١٩٠٦م عندما نبعت في تلك السنة بئر عذبة غزيرة في مزرعة رجل يدعى (حولي بن مرزوق أبو حقطة المسحمي العازمي) كما ذكر لي الأخ الباحث طلال الرميضي، وإن كانت هناك أقوال أكثر ترجيحاً أن اسم (حولي) سابق لأبي حقطة، وأن الرجل سمي بهذا الاسم لأنه ولد في حولي التي سميت بهذا الاسم لحلاوة مائها.

وقد استبشر الناس بهذه البئر حتى قال شاعرهم:

مـــاء حـــولي مـثـلـه مـــا دارا   لا في فـنـيـطـيـس، ولا في وارا
مـــن حـسـنـه.. قــد تـيّـه الأفـكـــارا

فرد عليه آخر:

يـــا مـــادحـــاً مـــاء حـــولي مـسـرفـاً   هـــلا مــدحــت الــشــط، والأنهـــارا

– عين بغزي: عين ماء تبعد ستة عشر كيلاً إلى الجنوب الغربي من العاصمة، وهي منسوبة

إلى بغزي المطيري، وعندما بنت الدولة مساكن قربها، ووزعتها على المواطنين أبقت على الاسم لفترة قصيرة ثم غيرته سنة ١٩٨٢م إلى الفردوس.

ويذكر أن العين الأصلية ليست في نفس المنطقة السكنية حالياً بل هي تقع الآن ضمن منطقة صباح الناصر خلف فرع بيت التمويل حالياً.

– العضيلية: منطقة قرب جليب الشيوخ كانت مأهولة بأعشاش، وتنسب إلى رجل من آل العضيلة من قبيلة مطير.

– الحساوي: وهو اسم غير رسمي لجزء من منطقة جليب الشيوخ، وهو منسوب لرجل الأعمال المعروف مبارك الحساوي عضو المجلس التأسيسي الذي كان يملك جانباً من أراضي المنطقة.

– العباسية: وهو اسم غير رسمي لجزء من منطقة جليب الشيوخ، وهو منسوب لرجل الأعمال المعروف عباس مناور المسيلم الرشيدي عضو المجلس التأسيسي حيث كانت المنطقة في الأساس قطعة أرض قسمها، وباعها سنة ١٩٦٥م.

– بوبيان: ذكر الأستاذ خالد سالم أن اسم هذه الجزيرة منسوب لشخص يحمل هذه الكنية، ولم يفصل أكثر من ذلك.

– العبدلي: منطقة مزارع في شمال الكويت، ومنفذ حدودي على بعد ثمانين كيلاً شمال العاصمة، ويعتقد أنها منسوبة إلى رجل اسمه عبد الله أو أنه أحد أفراد بطن بني عبد الله من قبيلة مطير.

– صبحان: منطقة صناعية قرب مطار الكويت تبعد عن العاصمة بثمانية عشر كيلاً، ولم أهتد لمعرفة أسباب تسميتها، وهل هي منسوبة لشخص بهذا الاسم أم أن لها معنى آخر؟.

– أبو فطيرة: منطقة تبعد ٢٦كم من إلى الجنوب من العاصمة، وقد تم بناءها في الفترة الأخيرة، ويعتقد أنه سيتم تغييرها مستقبلاً، ولا نعرف سبباً لهذه التسمية الطريفة.

– الشويخ: من أهم مناطق الكويت السكنية والتجارية، وكان فيها ميناء صغير يحرسه رجال يتزعمهم رئيس عليهم يدعى دعيج، فكان يلقب بـ (الشويخ) بصيغة التصغير لأن اسم دعيج من أسماء الشيوخ في الكويت.

– المهبولة: منطقة ساحلية تقع بين الفنطاس وأبي حليفة، وذكر أن اسمها الغريب منسوب

لامرأة مختلة العقل كانت تقيم بها، وذكر لي أيضاً سبب آخر، وهو أن المنطقة لارتفاعها لم تكن تحتفظ بمياه الأمطار لنفسها بل كانت تفيض به على غيرها، فنعتت بهذا الوصف لعدم احتفاظها بما ينفعها لنفسها.

* * *

* ثالثاً: المناطق المنسوبة لعشائر وأسر كويتية:

- الصوابر: الصوابر منطقة في حي الشرق بالعاصمة تم بناؤها كعمارات سكنية للمواطنين في العاصمة، وهي منسوبة لفخذ الصوابر من قبيلة العوازم.

- صيهد العوازم: نسبة إلى قبيلة العوازم المعروفة، وهي منطقة شمال غرب جليب الشيوخ غير مأهولة حالياً إلا أنها كانت حتى أوائل الثمانينيات مأهولة بالعشش، ولذا ذكرناها هنا، والصيهد في اللهجة هو المرتفع، وتجمع على (صياهد)، وهناك في الكويت أيضاً (صيهد الهواجر) في السالمية (قرب شارع قطر حالياً)، و(صيهد نايف) بالمرقاب، و(صيهد البقر) بالشامية.

* * *

* رابعاً: المناطق المنسوبة لأمور خاصة تحتويها:

١- منشآت في المنطقة:

- الفنطاس، والفنيطيس: من قرى الكويت الساحلية، وتبعدان حوالي عشرين كيلاً جنوب العاصمة، وكان في أولاهما خزان مياه خشبي، والخزان يسمى في اللغة العربية، واللهجة العامية (فنطاساً)، وكان هناك خزان آخر أصغر حجماً شمال الفنطاس يسمى بالفنيطيس، وقد ارتاد الناس هذه المناطق لوجود المياه العذبة فيها، وهي من القرى الزراعية الغنية بالسدر، والأثل.

- مشرف: منطقة جنوب العاصمة باثني عشر كيلاً، وقد سميت بذلك لوجود قصر مشرف بها، والذي شيده الشيخ مبارك الصباح على ربوة مرتفعة تشرف على ما حولها.

- القصر: إحدى مناطق مدينة الجهراء، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى القصر الأحمر أحد أبرز معالم مدينة الجهراء.

- القصور: منطقة جنوب العاصمة بثمانية عشر كيلاً ضمن محافظة مبارك الكبير، وكان هذا الاسم يجمع عدداً من القرى القريبة من الموقع الحالي للمنطقة، وهي (الفنطاس، وأبو حليفة،

والفحيحيل)، وما قاربها، وكانت تحتوي على منازل طينية ينظر إليها الصيادون على أنها قصور.

– سلوى: منطقة جنوب الرميثية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مزرعة للشيخ جابر العبد الله الجابر أنشاها سنة ١٩٥٧م كانت تحتوي على حديقة للحيوان، وسماها بسلوى من باب التسلية عن النفس، وكانت منطقة سلوى قديماً منطقة صحراوية تنمو فيها أشجار، وشجيرات ترعاها الأغنام والإبل، وبها مجموعة من المزارع الخاصة التي تحتوي على بعض أشجار الأثل، والسدر.

– الري: منطقة تجارية تكثر بها المشاتل الزراعية، وأعتقد أن مسماها جاء بسبب وجود مشتل أو شركة تحمل هذا الاسم.

– الضجيج: منطقة أسواق ملاصقة لمطار الكويت من الجهة الشمالية، ولا أرى مبرراً لمسماها سوى ضجيج الطائرات التي تقلع وتهبط قربها.

* * *

٢– ظواهر في المنطقة:

– عوهة: جزيرة صغيرة قيل أن أرضها مصابة بعاهة رملية كثيفة، وساحلها ضحل جداً لا يصلح لرسو السفن.

– الدسمة: منطقة ضمن محافظة العاصمة، وكان يسكنها قبل بنائها بعض العشائر البدوية التي تبيع على أهل الحاضرة (الدسم)، وهو مصطلح يشمل منتجات البادية كالإقط، والحليب، والقرص العقيلي، والدهن العداني.

– المنصورية: منطقة ضمن محافظة العاصمة، وكأنها منسوبة لمن اسمه منصور، ولكن يعتقد أنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت تضم موقع الاحتفالات، والعرضات التي كانت تقام خارج السور في الأعياد، والمناسبات، وهم ينشدون:

طلعنا من باب السور بيرقنا بيرق منصور

ومن جاءت تسمية المنطقة، وإن كان الباحث باسم اللوغاني في كتابه عن (المنصورية) قد جزم بأنها سميت نسبة للخليفة أبي جعفر المنصور مثلها في ذلك كالعمرية التي نسبت للخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

– الصليبيخات: منطقة سكنية ساحلية تبعد أربعة عشر كيلاً غرب العاصمة، وسميت بذلك

نسبة إلى الصلبوخ، وهو الحجر الصغير المستخدم في البناء، وتصغيره الصليبيخ، ومن جاءت التسمية (الصليبيخات) لكثرة الصليبيخ بها، ومثلها في ذلك منطقة (الصبية) التي تنسب إلى الصخر الصبّي المتواجد بها.

– قاروه: جزيرة صغيرة في أقصى جنوب الكويت، وسميت بهذا الاسم لكثرة القار الطافح حولها.

– بنيد القار: منطقة ساحلية جنوب شرقي العاصمة، وأصل مسماها (بنيدر القار) نسبة إلى رواسب زيتية تلتصق بصخور بمرسى المنطقة كانت تأتيها من جزيرة قاروه البعيدة، والبنيدر تصغير بندر، وهو الميناء.

* * *

٣– التضاريس الجيولوجية:

– المطلاع: منطقة في سلسلة مرتفعات شمال الجهراء، وتتخذ طريقاً للعبور إلى الأراضي الشمالية، والعكس، ومنها يطلع المرتحلون أو يتطلعون إلى الكويت من خلالها، ومن هنا جاءت تسميتها، ويبعد المطلاع مسافة ثلاثة وثلاثين كيلاً غرب العاصمة، وهي غير مأهولة حالياً، ولكن هناك نية مستقبلية لبناء مدينة في المطلاع.

– السرة: منطقة جنوب العاصمة بثلاثة عشر كيلاً، وكان يتوسطها تل مستدير يشبه سرة البطن، وقد أعدت منطقته للسكن سنة ١٩٦٧م.

– النقرة: منطقة قرب حولي، وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة للمنخفض الذي تحتله.

– بيان: منطقة قرب مشرف، وكانت ربوة مرتفعة من صعدها بانت له البيوت المبنية في المنطقة المنخفضة، ومن هنا جاءها هذا الاسم، وكان الشيخ أحمد الجابر الصباح يتردد عليها في فصل الربيع، وبعد ذلك بنى فيها قصراً من الطين ليكون منتجعاً له في أيام الربيع، ومكانه الآن قصر بيان المشهور الذي بني في الثمانينات، وأصبح قصر الحكم في الكويت.

– المرقاب: منطقة في جنوب وسط العاصمة، وذلك لوجود مرتفع فيها عن سطح الأرض، وكانوا يصعدون عليه، ويراقبون منه القادم من وراء السور.

– الرابية: منطقة كانت تسمى قديماً بالمزرعة بسبب كثرة وجود المشاتل الزراعية فيها، وفي سنة

١٩٧٤م أطلق عليها اسم الرابية لوقوعها على ربوة مرتفعة.

– الشعب: منطقة سكنية ساحلية تبعد سبعة أكيال جنوب العاصمة، وتقع بين منطقتي الدعية والسالمية، وشيد بها الشيخ سالم المبارك الصباح قصراً فيها هو (قصر الشعب) بكسر الشين، فكان أول من عمرها ثم تبعه الشيخ مبارك الحمد الصباح.

والشعب من الشعيب، وهو مسيل الماء، والمنطقة كانت في السابق وادياً للسيول المتدفقة من الأمطار.

– المقوع: منطقة شمال مدينة الأحمدي جنوب المطار، وتبعد عن العاصمة ثلاثين كيلاً، وجاءها هذا الاسم لأن قاعها مستو مع الأرض، وكانت مأهولة حتى أوائل السبعينيات بالبيوت الطينية والعشش.

– الظهر: منطقة سكنية تقع جنوب العاصمة بخمسة وعشرين كيلاً، وسميت بذلك لوقوعها في منطقة ظهر العدان، وشكلها المتسلسل جاء على شكل صياهد (ارتفاعات رمليه)، وكأنها على شكل عمود فقري، وذكر الشيخ عبد الله الجابر أنها تسمى أيضاً (حجاج البنت).

* * *

٤– المياه:

– الجهراء: مدينة مشهورة غرب العاصمة بثلاثين كيلاً، وقيل أن هذه التسمية جاءتها عند تأسيسها حيث حفرت إحدى الآبار بها، فأجهرت المياه لصفائها العيون، فسميت المنطقة بالجهراء، وذكر الشيخ عبد الله الجابر سبباً آخر، وهو أن بيوتها عند التأسيس طليت بالجص الأبيض، فكانت عند الشروق أو الغروب تجهر العيون ببياضها.

– الصليبية: منطقة سكنية، وآبار مياه قليلة العذوبة غرب العاصمة بعشرين كيلاً، وفي اللغة الماء الصليب هو الماء الذي تقوى عليه الماشية، ويصلب عودها، وكان العرب يسمون الماء دون العذب بماء صليب، وهناك اعتقاد في سبب آخر للتسمية ذكره الشيخ عبد الله الجابر هو نسبتها لقبيلة الصلبة التي كانت تسكنها، ولكن السبب الأول أقوى.

– العديلية: منطقة سكنية تقع جنوب العاصمة تم تأسيسها في أوائل الستينيات، وكان فيها مجموعة من الآبار معتدلة المذاق، وقيل سميت بهذا الاسم لأنها كانت تعدل غيرها بغزارة مائها، وجاء

في أحد المواقع الالكترونية أنها منسوبة لرجل يدعى (عدلان الرشيدي).

-كيفان: منطقة سكنية تقع ضمن محافظة العاصمة، وقد أسست سنة ١٩٥٠م، وهي منسوبة إلى بئر ماء يحمل اسم (كيفان) من الكيف إذ أنه (يكيّف) مزاج شاربه، ويذكر أن موقع تلك البئر الآن لا يقع ضمن حدود المنطقة بل يقع في منطقة الشامية المجاورة لها.

- المسيلة: منطقة ساحلية تقع جنوب العاصمة بسبعة عشر كيلاً، وسميت بهذا الاسم لكثرة المياه التي تسيل منها في البحر، فتتكون بسببها السباخ الموجودة حتى يومنا هذا.

* * *

٥- النباتات:

- الرميثية: منطقة سكنية تقع جنوب السالمية، وكانت في السابق مراعي للإبل تكثر فيها شجيرات الرمث، ومن هنا جاءتها هذه التسمية.

- كبّر: جزيرة صغيرة جنوبي الكويت، وسميت بكبّر لوجود نبات الشفلح الأحمر بها، والذي يسمى أيضا بالكبر.

- الفحيحيل: مدينة ساحلية تقع جنوب العاصمة بخمسة وثلاثين كيلاً، وسميت كذلك نسبة تصغير لذكر شجرة النخيل الفحل، وكانت فيها بعض مزارع النخيل، وأفاد الشيخ عبد الله الجابر أن آل سلمان من آل صباح زرعوا فيها نخيلاً نقلوها من البصرة، فلما كبرت تبين أن أكثرها من فحول النخيل.

- أبو حليفة: منطقة سكنية كانت في السابق تعد من أقدم القرى الكويتية، وتقع جنوب العاصمة بثلاثين كيلاً، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى (الحليفا) الذي يكثر بها، وهو نبات يشبه الحلفاء، ولكنه أصغر منه، وهذا النبات يسمى الكفتا أو أصابع فاطمة، وكان يستخدم علاجاً للعاقر، وتسهيل الولادة.

- عريفجان: منطقة تقع جنوب البلاد شمال مزارع الوفرة، وفيها معسكر مشهور للجيش، وإسطبلات الخيل، وتم الشروع ببنائها كمنطقة سكنية تحمل اسم صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، وسميت نسبة لنبات العرفج الذي يكثر بها.

- الشدادية: منطقة قرب جليب الشيوخ تبنى فيها الآن مدينة صباح السالم الجامعية، وكانت

مأهولة بالعشش حتى أوائل الثمانينيات، وتسميتها الصحيحة (القتادية) نسبة إلى نبات القتاد الشوكي، وتنطق القاف بالجيم الفارسية القريبة من الشين، ولا علاقة لها بشداد الإبل كما قد يظن البعض.

* * *

٦- الحيوانات:

- أبو الحصانية: منطقة ساحلية تقع بين الفنطاس والمسيلة، والعرب يسمون الثعلب (أبو الحصين أو الحصيني)، ونظراً لكثرة الثعالب في هذه المنطقة قديماً سميت بهذا الاسم.

- أم الهيمان: منطقة سكنية تقع جنوب العاصمة، وتعد ضاحية علي الصباح حالياً جزءاً منها، وهي تبعد خمسة وأربعين كيلاً جنوب العاصمة، والهيمان جمع الهامة، وهو من أسماء الثعابين، ويبدو أن المنطقة كانت تكثر بها الثعابين.

* * *

٧- الطيور والحشرات:

- أم المرادم: جزيرة صغيرة جنوب الكويت، وهي نسبة إلى طائر المردم الذي كان يكثر فيها، وهو طائر يسهل اصطياده، ولذا يطلق اسم المردم على الرجل الغبي البليد في اللهجة الكويتية.

- أم النمل: جزيرة داخل جون الكويت (مقابل المدينة الترفيهية)، وكان يمر بها الصيادون، ويقيمون فيها خلال عملهم، ويبدو أنها كانت زاخرة بالنمل.

* * *

* خامساً: المناطق المنسوبة لمعان جمالية وسامية:

(الروضة — الدوحة - النزهة — النعيم — النسيم — الواحة — الفيحاء — الرحاب — العيون — السلام — الشهداء — النهضة).

* * *

* سادساً: المناطق المنسوبة لمعارك:

(اليرموك — القادسية — حطين — الرقة — هدية).

* * *

* سابعاً: المناطق المنسوبة لمناطق ومدن خارج الكويت:

– الشامية: منطقة سكنية في الجنوب الغربي للعاصمة، وكان فيها آبار تتجمع عندها القوافل التجارية الذاهبة إلى الشام، والعائدة منها يوم أن كانت الكويت محطة مهمة في هذا الطريق البري.

– تيماء: منطقة سكنية في الجهراء، وتيماء من الأسماء القديمة للجهراء إذ أنه عندما نبع الماء من آبارها شبهوها بمدينة تيماء السعودية التي يوجد بها بئر هداج الشهير بغزارته.

وأيضاً من المدن الحديثة في الكويت المسماة بمدن تاريخية: (الأندلس – غرناطة – أشبيلية – قرطبة).

* * *

* ثامناً: المناطق المنسوبة لشخصيات تاريخية:

– الصديق: نسبة إلى الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه).

– العمرية: نسبة إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه).

– الزهراء: نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله تعالى عنها).

وإلى هنا تنتهي جولتنا في أسماء المناطق الكويتية، ومحاولة البحث في أسباب أسمائها.

الفصل الرابع

رحالة مروا بالكويت

هؤلاء مروا بالكويت

سنحاول هنا تقديم رصد أولي بأهم الأسماء التي مرت بالكويت خلال تاريخها منذ بداية تأسيس كيانها الحديث في القرن السابع عشر الميلادي وصولاً إلى نقطة أردنا التوقف عندها، وهي سنة الاحتلال الغاشم ١٩٩٠م، ويلاحظ أننا بالنسبة لفترة ما بعد استقلال الكويت، فقد انتقينا قائمة مختارة لبعض من مروا بالكويت في الفترة من الاستقلال سنة ١٩٦١م حتى سنة الاحتلال، وقد اقتصرناها على بعض المشاهير خاصة في مجالات السياسة، والأدب، والعلم، والفن، والرياضة، وذلك بعد أن استبعدنا أسماء رؤساء الدول، والمسئولين الأجانب، والدبلوماسيين الذين زاروا الكويت زيارات رسمية لأن القائمة لن تنتهي لو ذكرناهم.

وبالطبع، فإننا لن نستطيع رصد كل الأسماء المهمة، فالكويت على امتداد تاريخها كانت محطة لعبور قوافل التجارة البرية المتجهة من الشرق إلى الغرب وبالعكس كما أنها كانت ميناء بحرياً مزدهراً يصل بين نقاط العالم القديم.

ولذا سنحاول هنا رصد أهم الأسماء التي مرت بالكويت من رحالة، وسياسيين، وزعماء، وعلماء، وغيرهم:

* * *

* أولاً: قبل الاستقلال سنة ١٩٦١م:

أ

– د. أحمد زكي: كاتب مصري كان أول رئيس تحرير لمجلة العربي جاء للكويت عند تأسيس المجلة سنة ١٩٥٨م، وبقي فيها أكثر من عشر سنوات.

– أحمد الشرباصي: عالم أزهري مصري جاء إلى الكويت للتدريس فيها سنة ١٩٥٢م لمدة عام كامل، وألف عنها كتابه (أيام الكويت).

– أحمد الشرماني: عالم يماني زار الكويت سنة ١٩٤٨م، وذكرها في كتاب رحلاته.

– أحمد شهاب الدين: مدرس فلسطيني جاء للتدريس في الكويت سنة ١٩٣٦م، وضمت

البعثة أيضا زملاؤه: (جابر حديد، ومحمد المغربي، وخميس نجم).

– أحمد عنبر: شاعر عمل مدرساً في الكويت، وله العديد من الأشعار بل والدواوين التي تحدث فيها عن الكويت، ورجالاتها.

– أدريان فالانس: خبير بريطاني زار الكويت سنة ١٩٣٩م، وكتب تقريراً عن تطوير التعليم فيها.

– إليانور كالفري: ممرضة أميركية تعد أول طبيبة نسائية تعمل في الكويت، وذلك عند تأسيس مستشفى الإرسالية الأمريكية سنة ١٩١١م.

– أمين الحسيني: الزعيم الفلسطيني المعروف، ومفتي القدس زار الكويت لجمع تبرعات لصالح الثورة الفلسطينية في الثلاثينيات.

– أمين الريحاني: مؤلف لبناني زار الكويت في العشرينيات، وتحدث عنها في كتابه (ملوك العرب).

– أنطوان جوجيه: مستشرق، وتاجر سلاح فرنسي كان على علاقة بالشيخ مبارك الصباح، وزار الكويت سنة ١٩٠٤م متخفياً بزي عربي.

ب

– باركلي رونكيير: رحالة دنماركي زار الكويت سنة ١٩١٢م في طريقه إلى نجد، والتقط فيها بعض الصور الفوتوغرافية كما ذكرها في كتاب رحلاته.

– بدر شاكر السياب: شاعر عراقي من رواد قصيدة التفعيلة، وكتب في الكويت أجمل قصائده: (أنشودة المطر، وغريب على الخليج)، وذلك في الخمسينيات ثم عاد في أوائل الستينيات ليعالج في الكويت، ومات في مستشفاها الأميري سنة ١٩٦٤م.

– بلكة كونكور: ممرضة تركية عملت في الكويت سنة ١٩٥٢م، وألفت عنها كتيباً صغيراً.

– بيتر لينهاردت: باحث أنثربولوجي زار الكويت في أواخر ١٩٥٣م، وألف عنها كتاباً.

ث

– ثويني بن عبد الله الشبيب: زعيم قبلي. لجأ الكويت ثم مر بها قادماً من الدرعية سنة

١٢٠٥هـ (١٧٩١م)، ونصحه حاكمها الشيخ عبد الله الأول بالتوجه إلى بغداد، واسترضاء واليها سليمان باشا.

ج

– جيمس باكنغهام: رحالة بريطاني زار الكويت سنة ١٨١٦م، وكتب عنها في رحلته.

ح

– حافظ وهبة: كاتب مصري الأصل عمل في المدرسة المباركية ثم التحق بالملك عبد العزيز آل سعود، وعمل في الدبلوماسية السعودية.

– حمد بن عبد اللطيف المغلوث: شاعر نبطي من أهل الأحساء. عاش في الكويت أوائل القرن العشرين، وافتتح بها دكاناً صغيراً.

خ

– خالد بن سعود آل سعود: أحد أمراء الرياض، ولجأ إلى الكويت خلال صراعه مع ابن عمه الأمير عبد الله الثنيان على الحكم في نجد سنة ١٢٥٧هـ.

– خزعل بن جابر المرداو: حاكم المحمرة، والصديق الشخصي للشيخ مبارك الصباح. كان يتردد على الكويت، وبنى فيها قصراً، وحسينية.

د

– داود السعدي: عالم عراقي زار الكويت بعد انتهاء رحلة الحج سنة ١٨٧١م.

– ديكسون (السيد، و السيدة): زوجان بريطانيان. عاشا في الكويت سنوات طويلة، وعمل السيد هارولد ديكسون معتمداً سياسياً في الكويت، ولهما البيت المشهور على ساحل البحر (مقابل سوق شرق)، وتوفي الزوج في الكويت بينما بقيت الزوجة حتى نقلت أثناء احتلال الكويت إلى بريطانيا، وتوفيت هناك سنة ١٩٩١م كما ألفت ابنتهما (زهرة) كتاباً بعنوان (الكويت كانت منزلي).

ر

– راسم رشدي: صحافي لبناني عمل مندوباً لوكالة اليونايتد برس في الكويت، وألف عنها

كتاباً صدر في بيروت سنة ١٩٥٥م بعنوان (كويت وكويتيون).

– راشد بن ثامر السعدون: زعيم قبلي. لجأ إلى الكويت، واحتمى بحاكمها الثالث الشيخ جابر العيش الذي رفض تسليمه للسلطات العثمانية.

– راكان بن حثلين: زعيم قبلي. قاد معركة الطبعة في المطلاع، وكان على علاقة طيبة بالشيخ مبارك الكبير الذي تزوج من حفيدة راكان.

– رونالد ستورس: سياسي بريطاني زار الكويت سنة ١٩١٧م خلال الحرب العالمية الأولى، وذكرها في مذكراته.

– رينود: كاتب انكليزي رافق المقيم البريطاني في البصرة (مانسيتي) في زيارة الكويت سنة ١٨٠٥م.

س

– ستانلي ميلري: طبيب أمريكي عمل في الكويت مع زوجته في مستشفى الإرسالية الأمريكية سنة ١٩١١م، وتوفي بالكويت، ودفن بها.

– الهر ستيمرخ: القنصل الألماني في اسطنبول. زار الكويت في أوائل ١٩٠٠م على رأس بعثة ألمانية لإقناع الشيخ مبارك بالموافقة على مد سكة حديد (برلين – بغداد) إلى الكويت الأمر الذي رفضه الشيخ رفضاً قاطعاً.

– ستوكويلر: رحالة بريطاني زار الكويت سنة ١٨٣١م.

– سعدون باشا بن منصور السعدون: زعيم قبلي. لجأ إلى الكويت سنة ١٩٠٣م، وأقام في الفنيطيس كما شارك في معركة الصريف إلى جانب الشيخ مبارك.

– سعيد فريحة: صحفي لبناني، ومؤسس مجلة الصياد. زار الكويت سنة ١٩٥٠م، وكتب عنها عدة موضوعات.

– سليمان بن عبد الرزاق الزهير: شيخ بلدة الزبير. لجأ إلى الكويت سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م)، واحتمى بشيخها جابر العيش.

– سليمان بن شريم: شاعر نبطي من أهل القصيم تردد على الكويت في بدايات القرن

العشرين، وساجل شعراءها في شعر القلطة.

ش

– شكسبير (وليم هنري): ضابط بريطاني عمل في الكويت معتمداً بريطانياً، وقتل في معركة جراب سنة ١٩١٥م.

ص

– صالح عزرا: مطرب وملحن يهودي استقر في الكويت فترة ثم غادرها، واستقر به المطاف في الكيان الصهيوني حيث عمل مذيعاً في الإذاعة الإسرائيلية باسم (صالح الكويتي)، ولعله من مواليد الكويت، وبالتالي لا تنطبق عليه شروط المرور بالكويت.

– صمويل زويمر: مبشر أمريكي زار الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح.

– صمويل مانسيتي: مدير الوكالة البريطانية في البصرة. زار الكويت مع مساعده هارفارد جونز سنة ١٧٩٠م، وكتب عنها تقريراً اقتصادياً.

ط

– طالب النقيب: زعيم سياسي بصري. زار الكويت مراراً في الربع الأول من القرن العشرين.

ع

– عبد الرحمن الفيصل آل سعود: آخر أمراء الدولة السعودية الثانية. لجأ إلى الكويت، وغادرها سنة ١٩٠٢م بعد استرداد الرياض على يد ابنه عبد العزيز الذي عاش في الكويت مع أخوته عدة سنوات.

– عبد الرحمن السويدي: عالم بغدادي. زار الكويت هارباً من وباء الطاعون سنة ١٧٧٢م، وكتب عنها وصفاً جميلاً، وذكر أهلها بخير.

– عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود: مؤسس المملكة العربية السعودية قضى صباه في الكويت مع أسرته كما زار الكويت عدة مرات في سنوات حكمه في النصف الأول من القرن العشرين.

– عبد العزيز الثعالبي: زعيم تونسي. زار الكويت في الثلث الأول من القرن العشرين، وأقيمت

له فيها احتفالات ترحيبية.

– عبد العزيز بن حمد الأحسائي: عالم، وشاعر أحسائي درّس في المدرسة المباركية.

– عبد العزيز بن صالح العلجي: عالم أحسائي زار الكويت، ودرّس فيها.

– عبد الله الإبراهيم الراشد: شيخ الزبير لجأ إلى الكويت خلال فترات الصراع على حكم الزبير.

– عبد الله بن أحمد آل خليفة: أحد أمراء البحرين، ولجأ إلى الكويت خلال الصراع على الحكم في البحرين سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م).

– عبد الله بن ثنيان آل سعود: أحد أمراء الرياض، ولجأ إلى الكويت خلال الصراع على الحكم في نجد في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

– عبد الله بن محمد الربيعة: شاعر نبطي لجأ إلى الكويت في عهد جابر العيش، وأسكن أولاده بها في بعض الفترات.

– عبد الغفار الأخرس: شاعر عراقي زار الكويت، ومدح حاكمها الخامس الشيخ عبد الله الصباح.

– عبد اللطيف شمس الدين: عالم مصري عين رئيساً لمحاكم الكويت سنة ١٩٤٩م.

– عبد المسيح الأنطاكي: صحفي سوري صاحب مجلة العمران. زار الكويت، وألف كتاباً عن الشيخ مبارك الصباح سنة ١٩٠٦م بعنوان (الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة).

– عبد الهادي التازي: أديب مغربي زار الكويت سنة ١٩٥٨م لحضور مؤتمر أدباء العرب، وألف عنها كتاباً، وممن حضر ذلك المؤتمر من الأدباء: (مندوب الجامعة العربية سعيد فهيم، والأردني إبراهيم القطان، والبحريني إبراهيم العريض، والتونسي محمد مزالي، والجزائري صالح الخرفي، والسوداني صالح عبد القادر، والعراقي محمد مهدي الجواهري، والسعودي سعد البواردي، وعن الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) مهدي علام، والعماني محمد أمين عبد الله، والفلسطيني رامز فاخرة، واللبناني سليم حيدر، والقطري عبد الرحمن السمرة، والليبي خليفة التليسي، والمغربي عبد الكبير الفاسي، واليمني القاضي عبد الله الشماحي، والسوداني محمد المهدي مجذوب، والعراقي الدكتور صلاح خالص).

– عفيف الطيبي: صحافي لبناني زار الكويت، وألف عنها كتاباً صدر في بيروت ١٩٥٢م بعنوان (١٤ يوماً في الكويت).

غ

– غسان كنفاني: فدائي، وأديب فلسطيني. عمل في الكويت مدرساً سنة ١٩٥٥م لمدة خمس سنوات ثم عاد إلى بيروت.

ف

– فاريا ستارك: رحالة بريطانية زارت الكويت مرتين في سنة ١٩٣٢م، وسنة ١٩٣٧م، وكتبت عنها، والتقطت فيها بعض الصور.

– فان آيس: مبشر أمريكي افتتح مدرسة بالبصرة، وكان يتردد على الكويت، والتقط لها بعض الصور الفوتوغرافية النادرة.

– فرانس كانتر: موظف هولندي جاء إلى الكويت هارباً من البصرة سنة ١٧٥٠م، وأرسل منها أول رسالة بريدية معروفة ثم غادرها إلى حلب.

– فرانسس أندرس: مهندس أمريكي عمل في شركة بكتل بالكويت سنة ١٩٥٠م، والتقط فيها الكثير من الصور الفوتوغرافية

– فون كنيبهاوزن: المقيم الهولندي في جزيرة خارج. زار الكويت سنة ١٧٥٤م، وكتب عنها تقريراً مفيداً.

– فوجن: جندي بريطاني. زار الكويت سنة ١٩٢٨م ضمن قوة بريطانية قدمت لحماية الكويت من التهديدات التي كانت تتعرض لها.

– فيصل بن سلطان الدويش: زعيم قبلي. أسره الانكليز في صحراء الكويت مع رفيقيه الشيخين (نايف بن محمد آل حثلين، وجاسر بن صاهود بن لامي) سنة ١٩٣٠م.

– فيلكس جونز: ضابط بريطاني. زار الكويت وفيلكا سنة ١٨٣٩م، وكتب عنها تقريراً مفيداً.

ك

– كريتسجي: شاب هندي زار الكويت سنة ١٩١٦م، وذكرها في كتاب رحلاته (أرض

التمور).

– كورزون (اللورد): الحاكم البريطاني للهند. زار الكويت ضمن جولته الرسمية في الخليج سنة ١٩٠٣م، واستقبله الشيخ مبارك.

– كومبول: عقيد ضابط بريطاني زار الكويت في ١٨ أبريل ١٩٠١م للاطمئنان على صحة الشيخ مبارك الكبير بعد معركة الصريف.

ل

– لويس بيلي: سياسي بريطاني زار الكويت سنة ١٨٦٥م في طريقه إلى الرياض.

– لوشر: كاتب أمريكي زار الكويت سنة ١٨٦٨، وكتب عنها في رحلاته.

م

– محمد بيك: مسئول في الحملة المصرية على نجد. زار الكويت سنة ١٨٣٩م لشراء أعلاف لقوات الحملة.

– محمد بن إبراهيم الثاقب: شيخ الزبير. زار الكويت عدة مرات، واستقر بها عدة مرات خلال صراعه على حكم الزبير، وزّوج ابنته (لولوة) من حاكمها الشيخ صباح بن جابر، وهي أم أولاده (محمد، ومبارك، وجراح).

– محمد أمين باش أعيان: سياسي عراقي من أهل البصرة. أبعده الانكليز إلى الكويت في بداية الحرب العالمية الأولى لنشاطه السياسي.

– محمد أمين الشنقيطي: مصلح ديني موريتاني زار الكويت عدة مرات في عهدي الشيخ مبارك، والشيخ سالم، واستقر في الزبير حتى توفي.

– محمد الخراشي: عالم أزهري زار الكويت، ودرّس فيها ثم اتضح أنه يدعو للمعتقد البهائي، فتم إخراجه من البلاد.

– محمد بن خليفة آل خليفة: أحد أمراء البحرين، ولجأ إلى الكويت خلال الصراع على الحكم في البحرين سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م).

– محمد رشيد رضا: مصلح ديني، وصاحب مجلة المنار. زار الكويت سنة ١٩١٢م.

– محمد سيد الأهل: مدرس مصري عمل مديراً للمدرسة الأحمدية سنة ١٩٤٢، وكانت البعثة المصرية تضم بالإضافة إليه: (علي هيكل مدير المعارف، وأحمد ضيف مدير المدرسة المباركية الثانوية والابتدائية، وعبد القادر مصطفى سعد وكيل المدرسة المباركية، وأحمد جودت المدرس في المدرسة المباركية، وصابر الجمل المدرس في المدرسة المباركية، وأحمد التهامي الشناوي المدرس في المدرسة المباركية، وعبد الغني علي عبد الجواد مدير المدرسة الأحمدية الابتدائية، وأحمد ثابت وكيل المدرسة الأحمدية، ومحمد عبد المنعم سالم المنجي مدير المدرسة الشرقية الابتدائية، وعلي سلمان مدرس الفنون في أربع مدارس، وكمال عبده مدرس الألعاب في أربع مدارس، والشيخ زكي محمد أبو النصر، والآنسة درية حسين خيري، وعلي عيسوي محمد سلمان، ومحمد أحمد سيد أحمد علاء الدين، ومحمد السعيد محمود متولي، وطه بك السيوفي).

– د. محمد علي بدر الدين: طبيب مصري تولى منصب مدير الصحة في الكويت سنة ١٩٤٧م، ومن بين الأطباء المصريين الذين كانوا في الكويت سنة ١٩٤٧م: (الدكتور رياض مختار فرج طبيب المعارف، والدكتور أحمد حسيب الدفراوي طبيب رمد الصحة، والدكتورة بثينة محمود أحمد شفيق طبيبة أمراض النساء والولادة والأطفال، والحكيمة دولت أحمد حجازي مفتشة صحية المعارف، والحكيمة ثريا محمود نجيب، والباش تمرجي عبد الحليم أبو العينين).

– محمد العبد الله العوني: شاعر نبطي زار الكويت عدة مرات، وخاصة بعد معركة الصريف سنة ١٩٠١م.

– محمد الفرجاني: رحالة سوري زار الكويت سنة ١٩٥٧م، وألف عنها كتاباً بعنوان (الكويت بين الأمس واليوم).

– محمد بن لعبون: شاعر نبطي تردد على الكويت، وتوفي بها خلال وباء الطاعون سنة ١٨٣١م.

– محمد بن مسلم: شاعر من أهل الأحساء زار الكويت، ومدح حاكمها الثالث جابر العيش بأكثر من قصيدة.

– محمود بهجت سنان: ضابط عراقي برتبة (زعيم). زار الكويت، وألف عنها كتاباً صدر في بيروت سنة ١٩٥٥م بعنوان (الكويت زهرة الخليج العربي).

– مدحت باشا: والي بغداد الشهير، والصدر الأعظم العثماني. زار الكويت سنة ١٨٧٨م،

وكتب عنها تقريراً وصفها فيه بالجمهورية المستقلة.

– مرتضى بن علوان: رحالة سوري كان أول من كتب عن الكويت، وذكرها بهذا الاسم حينما مر بها بعد عودته من الحج سنة ١٧٠٩م.

– مصطفى آغا الكردي: متسلم البصرة، ويعد أول لاجئ سياسي للكويت جاءها هارباً من سلطة والي بغداد حوالي سنة ١٨٠٢م.

– مقبل بن عبد العزيز الذكير: مؤرخ نجدي قدم للكويت بقصد الدراسة سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) ثم تنقل بين عنيزة والعراق والهند، وعمل بالتجارة، وألف بعض الكتب التاريخية مازال معظمها مخطوطاً.

– منيب محمود مصطفى الشلبي: لبناني جاء إلى الكويت، وكان يعمل في تصليح الساعات، وتوفي في الكويت سنة ١٩٦٨م.

– مهدي بن صالح القزويني: عالم دين عراقي. عاش في الكويت بعض الوقت قبل أن ينتقل إلى البصرة، ويتوفى بها سنة ١٩٣٩م.

– مير مهنا: حاكم جزيرة خرج قرب الساحل الفارسي، وقد لجأ إلى الكويت سنة ١٧٦٩م هرباً من حصار حاكم إيران نادر شاه ثم توجه إلى البصرة.

ن

– نوكس: أول معتمد بريطاني يعين في الكويت سنة ١٩٠٤م، وبقي فيها حتى سنة ١٩٠٩م حيث خلفه في عمله شكسبير، وفيما يلي قائمة بأسماء المعتمدين البريطانيين الذين عملوا في الكويت قبل الاستقلال، وهم: (١٩٠٤م اللفتنانت كولونيل نوكس – ١٩٠٩م الكولونيل شكسبير – ١٩١٤م اللفتنانت كولونيل إجري – ١٩١٦م اللفتنانت كولونيل هاملتون – ١٩١٨م الكابتن ماكلوم – ١٩٢٠م اللفتنانت كولونيل مور – ١٩٢٩م اللفتنانت كولونيل ديكسون – ١٩٣٦م اللفتنانت كولونيل دي جوري – ١٩٣٩م اللفتنانت كولونيل جالوي – ١٩٤١م الميجور هيكنبتام – ١٩٤٣م المستر بلي – ١٩٤٤م المستر جاكسون – ١٩٤٥م الميجور تاندي– ١٩٤٨م اللفتنانت كولونيل جالوي– ١٩٤٩م المستر جاكنس – ١٩٥١م المستر بلي – ١٩٥٥م المستر بيل آخر معتمد بريطاني في الكويت).

هـ

– هاركون ميليش: سائح دنماركي زار الكويت سنة ١٩٥٤م، وألف عنها كتاباً بعنوان (بلاد علاء الدين).

و

– ويلمسون (وليم): بريطاني أعلن إسلامه، وتسمى بعبد الله الفضل الزبير المسلماني، واستقر بين الكويت والعراق في أوائل القرن العشرين، وذريته أسرة كويتية مسلمة.

ي

– ياسر عرفات: الرئيس الفلسطيني السابق. عمل موظفاً في الكويت بالأشغال بين عامي (١٩٥٧ – ١٩٦٤م).

– يونس بحري: صحفي يلقب بالسائح العراقي زار الكويت في الخمسينيات.

* * *

* ثانياً: بعد الاستقلال سنة ١٩٦١م:

أ

– أحمد الشقيري: أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولعله وصل الكويت قبل الاستقلال.

– أحمد بهاء الدين: كاتب مصري رأس تحرير مجلة العربي في السبعينيات.

– أحمد عبد المنعم البهي: قانوني مصري عمل رئيساً لقسم الشريعة بكلية الحقوق بجامعة الكويت حتى توفي سنة ١٩٧٢م.

– د.أحمد مصطفى أبو حاكمة: مؤرخ عربي. ألف كتاباً مهماً عن تاريخ الكويت بتكليف رسمي.

– أحمد مطر: شاعر عراقي. عمل بجريدة القبس في الثمانينيات.

– أحمد سوسة: مهندس، وعالم آثار عراقي حصل سنة ١٩٦٣م على جائزة من دولة الكويت.

– د.أسامة الخولي: عالم مصري. عمل مستشاراً في الأمم المتحدة.

ب

- بروتشش: مدرب لمنتخب الكويت كرة القدم في السبعينيات.

ج

- جابر عصفور: ناقد أدبي مصري. درّس في جامعة الكويت.

- جورج أبونا: طبيب وجراح عراقي في رزاعة الكلى. عمل في مستشفيات الكويت.

ح

- حازم الببلاوي: خبير اقتصادي مصري في الأمم المتحدة. عمل في أحد بنوك الكويت.

- حردان التكريتي: سياسي عراقي معارض. اغتيل في الكويت في ٣٠ مارس ١٩٧١م.

- حسان حتحوت: طبيب، وداعية إسلامي مصري ثم انتقل بعد ذلك إلى أميركا، وتوفي سنة ٢٠٠٩م.

- حسن العلوي: كاتب عراقي معارض.

- حسن حاكم: رسام كاريكاتير. عمل بمجلة العربي.

- حسن شحاتة: لاعب كرة قدم مصري شهير لعب في نادي كاظمة الكويتي.

خ

- خالد أبو خالد: شاعر فلسطيني عمل في الكويت.

- خالد الشيخ: مطرب بحريني. درس في المعهد الموسيقي بالكويت خلال الثمانينيات.

- خلف بن هذال العتيبي: شاعر نبطي. عمل جندياً في الكويت في أوائل الستينيات.

ر

- راضي صدوق: رئيس تحرير مجلة حماة الوطن في الستينات.

ز

- زجالو: مدرب برازيلي درب منتخب الكويت في السبعينيات.

– زكي طليمات: مسرحي مصري. أسس المسرح الحديث في الكويت.

– زكي نجيب محمود: أديب مصري. عمل في الكويت.

– زهير الدجيلي: مؤلف مسرحي عراقي. عمل في الكويت.

– زهير الكرمي: عالم عربي. ساهم في تأليف المناهج المدرسية للعلوم.

س

– سعد أردش: ممثل مصري. درّس في معهد الفنون المسرحية.

– سعدي يوسف: شاعر عراقي. عمل مدرساً في الكويت.

– سلمان زيمان: فنان بحريني. عمل في الكويت في الثمانينيات.

– سمير محمد علي: حارس مرمى النادي العربي الكويتي، والزمالك المصري.

– سهيلة السايح: فدائية فلسطينية عرفت بخطف الطائرات. عاشت في الكويت.

– سيد القمني: مفكر، وباحث في تراث الأديان. درّس في مدارس الكويت.

– سالم الجمري: شاعر إماراتي. عمل في الكويت.

ش

– د. شاكر مصطفى: مفكر، وكاتب سوري.

ص

– صلاح خلف (أبو أياد): زعيم فلسطيني عمل مدرساً للغة العربية في الكويت خلال الستينيات، واغتيل في تونس سنة ١٩٩١م.

ط

– طه بصري: لاعب كرة قدم مصري. لعب في الكويت.

ع

– عبد الرحمن الصالح: كاتب إماراتي. مؤلف فيلم (بس يا بحر).

– عبد الرحمن بدوي: أكاديمي مصري. درّس في الكويت.

– عبد الرزاق الحصان: مؤرخ عراقي قومي. عاش في بؤس، وأنهى حياته غريباً في فندق بالكويت سنة ١٩٦٤م.

– عبد العظيم أنيس: مفكر يساري مصري.

– عبد الله الطائي: شاعر وطني عماني. توظف في الكويت، ورأس بعثة الكويت التعليمية إلى دبي، وتولى وزارتي الأنباء والعمل في عمان، وتوفي سنة ١٩٧٣م.

– عبد الله الطيب: أستاذ جامعي، ومفكر سوداني.

– عثمان خليل عثمان: حقوقي مصري ساهم في وضع الدستور الكويتي.

– علي الراعي: ناقد عربي.

– علي القحطاني: شاعر، وملحن يمني، وصاحب مؤسسة فنية.

– علي لطفي: رئيس وزراء مصري. درّس في جامعة الكويت.

– عيسى الأحسائي: مطرب شعبي كان يتردد على الكويت لتسجيل أغانيه.

غ

– غادة السمان: أديبة، وصحفية لبنانية زارت الكويت، وكتبت عنها.

ف

– فاروق شوشة: شاعر مصري.

– فايزة كمال: ممثلة مصرية. درست في الكويت.

– فهمي هويدي: مفكر، وكاتب مصري. عمل سكرتيراً لتحرير لمجلة العربي.

– فؤاد راتب: فنان كوميدي مصري. عرف بشخصية الخواجة بيجو.

– د.فؤاد زكريا: فيلسوف، ومفكر مصري. درّس في جامعة الكويت.

– فؤاد سالم: مطرب عراقي. عاش في الكويت في الثمانينيات.

– د.فينيس جودة: وزيرة للبحث العلمي في مصر. عملت في معهد الأبحاث.

ك

– كارلوس ألبرتو: مدرب برازيلي لكرة القدم درّب منتخب الكويت.

– كرم مطاوع: ممثل مصري عمل في المعهد العالي للفنون المسرحية.

ل

– ليلى الشقير: مذيعة لبنانية عملت في الكويت.

م

– محمد القيسي: شاعر فلسطيني عمل في الصحافة الكويتية.

– محمد مصطفى حمام: شاعر مصري ظريف. جاء إلى الكويت في أواخر أيامه، وتوفي بها سنة ١٩٦٣م.

– محمود حسن إسماعيل: شاعر مصري صاحب قصيدة (النهر الخالد). توفي في الكويت سنة ١٩٧٧م.

– محمود السعدني: كاتب ساخر مصري عمل في جريدة السياسة الكويتية.

– مصطفى أبو لبدة: صحفي فلسطيني عمل مديراً تحرير لجريدة السياسة.

– د.مصطفى الخوجلي: طبيب، ووزير سوداني. لجأ للكويت أيام جعفر النميري.

– مصطفى السعيد: وزير اقتصاد مصري في بداية الثمانينيات.

ن

– ناجي العلي: رسام كاريكاتير فلسطيني عمل في جريدتي الطليعة والقبس في السبعينيات والثمانينيات.

– ناجي علوش: شاعر فلسطيني. عمل موظفاً في الكويت.

– نازك الملائكة: شاعرة عراقية. درست في جامعة الكويت.

– نبيل السلمي: رسام كاريكاتير.

كتابات الرحالة عن الكويت

إذا كان (الخليج ليس نفطاً) كما يؤكد المفكر الدكتور محمد الرميحي في كتابه الشهير، فإن الكويت من باب أولى ليست نفطاً أو صنيعة لهذه الثروة، وتاريخها، وتألقها عبر التاريخ أمر لم يكن متعلقاً أساساً بوجود النفط على أرضها.

ومنذ بدايات تأسيسها، والكويت مقصد للزوار من رحالة، ولاجئين، وطالبي الرزق والأمان، وكان من نتائج هذا الوضع أن تشكلت لدينا ثروة زاخرة من الكتابات عن الكويت في القرون الثلاثة الأخيرة.

وقد مر بمنطقتنا الكثير من الرحالة الذين وجدوا فيها سحراً لا يقاوم، فتحملوا مشاق السفر، ولكل منهم أسبابه الخاصة، فهذا أتى للتبشير بعقيدته، وذلك أتى جاسوساً لمخابرات بلده، والثالث جاء مبتعثاً من جمعية علمية ليقدم تقريره لها، والرابع قدم لشراء الخيول أو جمع النباتات، والخامس، والسادس... الخ.

ومن خلال هذه السطور سنتجول بين هذه الكتابات في ما خطه الآخرون عن الكويت القديمة – كويت ما قبل النفط – نطلع على كتابات بعض الرحالة العرب والأجانب الذين زاروا الكويت.. هذا البلد الذي صنع بالدم أحياناً، وبالعرق كثيراً، وبالحب طوال الوقت، وسوف نرتب الكتابات زمنياً.

وسوف نلحظ في كتابات المؤرخين والرحالة في القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي أنها تتأرجح بين تسميتين للبلاد هما (القرين، والكويت)، ونجد أن التسمية الأولى لم يستعملها في الغالب سوى الموظفين الرسميين الأجانب بينما تطغى تسمية (الكويت) على كتابات الرحالة العرب إلا في حالات قليلة كما في إشارة ابن علوان إليها.

والأرجح أن تسمية القرين (تصغير القرن) التي جاءت بسبب موقع الكويت في رأس الخليج العربي أو بسبب جزيرة تحمل هذا المسمى استخدمها الأجانب لكونها التسمية التي تعرفها الدوائر الأجنبية لهذا الموقع حتى قبل تأسيس الكويت (المدينة) في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي.

أما تسمية الكويت، فهي الاسم الذي أطلقه السكان الأوائل على مدينتهم لوجود كوت (حصن) صغير ينسب بنائه لأحد أمراء بني خالد (ابن غرير)، ولصغر الحصن أسموه (كويتاً) مقارنة بالكوت الكبير الموجود في الأحساء، ويبدو أن أهل الكويت لم يستخدموا اسم القرين إلا لفترة محدودة.

كما نلحظ في بعض الكتابات نسبة (آل صباح) حكام الكويت إلى قبيلة تدعى (بني عتبة)، والمشتهر أن آل صباح، وآل خليفة حكام البحرين، والجلاهمة، وأسر أخرى تنتمي في الغالب إلى ربيعة تحالفوا حلفاً سموا على أثره بـ (العتوب)، وفي ذلك يقول عثمان بن سند قبل قرنين من الزمان: (الكويت على ساحل بحر العدان. سكنها بنو عتبة، ولهم في عنزة بن أسد نسبة)، وللمؤرخين تخريجات لغوية عدة حول سبب هذه التسمية.

***

ابن علوان: الإشارة الأولى

تكتسب رحلة مرتضى بن علوان إلى الحج سنة ١١٢٠هـ (١٧٠٩م) أهميتها التاريخية من خط سيرها، ومروره على عدد من المدن والقرى التي ندر ذكرها بين الرحالة في عصره.

ويمكن القول أن أهم ما ذكره ابن علوان في رحلته هو حديثه عن الكويت باسمها الحالي، وبهذا يعد أول رحالة زار الكويت قادماً إليها من الأحساء بعد أدائه فريضة الحج ممن وصلتنا أخبارهم، وأول من أشار إليها تاريخياً.

وتعالوا نتعرف على الرحالة الحاج مرتضى بن علي بن علوان، فهو رجل من أعيان الشام ينتسب إلى أسرة دمشقية ترجع بنسبها إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين (رضي الله عنهم)، وكان مسئولاً فيما يبدو عن أوقاف ضريح السيدة زينب بدمشق، وفي ذرية رحالتنا (آل مرتضى) تنحصر مسؤولية الوقف حتى يومنا هذا.

وليس لدينا الكثير عن مرتضى بن علوان، فلم تذكره أي من المراجع الأخرى، وقد رجعنا إلى مصادر شامية معاصرة له كتاريخ ابن كنان، وتاريخ البديري الحلاق، وسلك الدرر للمرادي، فلم نجد له ذكراً فيها، ولم يترجم حتى هو لنفسه في مخطوطة رحلته، وبالتالي لا نملك معلومات عنه سوى أنه

جزء من مخطوطة ابن علوان يتحدث فيه عن زيارته للكويت

من مواليد ١٠٧٠هـ (١٦٦٠م) تقريباً لأنه يذكر أن حجته الأولى سنة ١٠٨٨هـ (١٦٧٧م) كانت في أيام الصبا، وعنفوان الشباب.

ولم يترك مرتضى لنا سوى هذا المخطوط الصغير الذي لا تتجاوز صفحاته الثمانية وعشرين صفحة، والذي قام بتحقيقه سنة ١٩٩٧م (١٤١٨هـ) الدكتور سعيد بن عمر آل عمر، ونشرته جامعة الكويت بعنوان (رحلة إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق سنة ١١٢٠/ ١١٢١هـ).

خرج ابن علوان من دمشق برفقة الركب الحلبي بإمارة والي الشام نصوح باشا في زمرة الأعيان يوم ٢٦ شوال ١١٢٠هـ (٧ يناير ١٧٠٩م) حيث أدى فريضة الحج، وبعد الحج تبدأ أهمية الرحلة الحقيقية، وتميزها عن غيرها من الرحلات، وذلك بسبب قرار ابن علوان أن يكمل رحلته بزيارة العتبات المقدسة في العراق، فتوجه إلى المدينة المنورة، ومنها اتخذ الطريق الشرقي للوصول إلى العراق: (المدينة، فنجد، فالأحساء، فالكويت، فالعراق)، وهو بهذا الخيار مر على مواقع ذات أهمية بالنسبة لنا ندر مرور الرحالة بها في تلك الفترة.

وما يهمنا هنا توجه ابن علوان بعد الأحساء (الحسا) شرقاً، فتطلب الأمر منه خمسة عشر يوماً

من المسير للوصول إلى الكويت، وذكر مشاهداته قبل وصوله إلى الكويت قادماً من الأحساء – وهو في الطريق إليها – أنه كان يشاهد كثرة المراكب القادمة إلى ميناء الكويت، وكثرة المراكب الخارجة منه طوال أيام ثلاثة، وذلك لأنه كان يسير مع قافلة الجمال القادمة من الأحساء على الطريق البري المحاذي للساحل.

يقول ابن علوان: (دخلنا بلداً يقال لها الكويت بالتصغير. بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها، وكان معنا حج من أهل البصرة فرق عنا من هناك على درب يقال له الجهرا، ومن الكويت إلى البصرة أربعة أيام، وفي المركب يوم واحد لأن مينا البحر على كتف الكويت، وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب لأنها أسكلة البحر.

أقمنا بها يوماً وليلتين، وتوجهنا على بركة الله تجاه النجف الأشرف نهار الحادي عشر من الشهر المذكور (جمادى الأولى ١١٢١هـ — ١٨ يوليو ١٧٠٩م).

وهذه الكويت المذكورة اسمها (القرين)، ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار البحر ثلاثة أيام، والمراكب مسايرتنا، والميناء على حدود البلدة من غير فاصلة، وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من البحر.. حنطة وغيرها لأن أرضها لا تقبل الزراعة حتى ما فيها شيء من النخيل، ولا غير شجر أصلاً، وأسعارها أرخص من الحسا لكثرة الدفع (أي الاستيراد) من البصرة).

ويمكننا من خلال ما ذكر ابن علوان عن الكويت أن نستخلص من نصه النتائج الآتية:

–كان وصول ابن علوان للكويت في (جمادى الأولى ١١٢١هـ — يوليو ١٧٠٩م)، وهو قريب من التاريخ المتوقع لوصول هجرة العتوب إليها بالاستناد إلى وثيقة والي البصرة علي باشا المؤرخة سنة ١١١٣هـ (١٧٠١م)، والتي تتحدث عن هجرتهم، وإن كانت وثيقة الشيخ مبارك الصباح التي قال فيها (الكويت أرض قفراء نزلها جدنا صباح ١٠٢٢هـ) تتماشى مع القول بأن هجرة العتوب للكويت كانت سابقة على زيارة ابن علوان بمئة سنة مما يرجح مقولة أن تأسيس الكويت بدأ مع استقرار العتوب، ولاشك بأن مئة سنة كفيلة بأن تجعل للكويت العمارة والأبراج التي ذكرها ابن علوان.

– ذكر ابن علوان عمارة الكويت، وأبراجها الشبيهة بأبراج الأحساء، ويعني ابن علوان بها قلعة الكوت في الهفوف التي مازالت موجودة إلى يومنا هذا، ولعل ذلك يدل على أن الكويت كانت

مأهولة بالسكان قبل القرن الثامن عشر الميلادي.

– عدم ذكر ابن علوان لحاكم الكويت وقت زيارته يرجح أن البلاد لم يكن فيها نظام سياسي واضح قبل انتخاب الشيخ صباح الأول، وهو الأمر الذي تم فيما يبدو بعد مغادرة ابن علوان للكويت، ولكن لا يمكننا التسليم بذلك بسبب قصر المدة التي أقامها ابن علوان في الكويت، والتي لم تتجاوز الستة وثلاثين ساعة فقط (يوماً وليلتين).

– يؤكد ابن علوان تلازماً قديماً بين مسميي (الكويت، والقرين) في تلك الفترة، ويمكننا أن نستنتج أن القرين هو المسمى الأشمل والأعم لمدينة الكويت وما حولها من مناطق تابعة لها بينما (الكويت) هو الاسم الخاص بمنطقة العاصمة.

– يوضح النص قدم قرية الجهراء، وحملها لهذا الاسم، وأن الطريق الخارج من الكويت، والمار بالقرية، والمتجه شمالاً نحو البصرة كان يسمى في ذلك الوقت يسمى (درب الجهراء)، وهو مسمى مازلنا نستخدمه حتى الآن.

– يشير النص إلى قدم النشاط البحري لميناء الكويت، واستيرادها المحصولات الغذائية عن طريق البحر خاصة من البصرة القريبة مما أثر في رخص الأسعار بها مقارنة بالأحساء.

– يوضح النص أن طريق الحج البصري كان يمر بالكويت دون أن يدخل البلدة حيث يفرق قبلها عن طريق الجهراء.

– لا يشير النص إلى وجود أي نشاط زراعي في الكويت، وهو يقصد العاصمة، ولعل استعجاله منعه من المرور ببعض القرى الزراعية القريبة من الكويت، وإلاّ لذكرها، ولعله أهمل ذكرها، فمن المؤكد أن طريق سفره مر بالقرب من الجهراء، ولو عرج بها لرأى بها بعض المزارع، وذكرها في رحلته.

وبعد الكويت انتقل ابن علوان إلى النجف، فوصلها في ٦ جمادي الثاني (١٢ أغسطس ١٧٠٩م) بعد خمسة وعشرين يوماً من خروجه إلى الكويت، ومنها إلى الحلة، ومنها لكربلاء، فبغداد التي التقى بواليها وقتئذ حسن باشا ثم انتقل إلى سامراء لزيارة مراقد الأئمة هناك، ومنها خرج إلى بعقوبة.

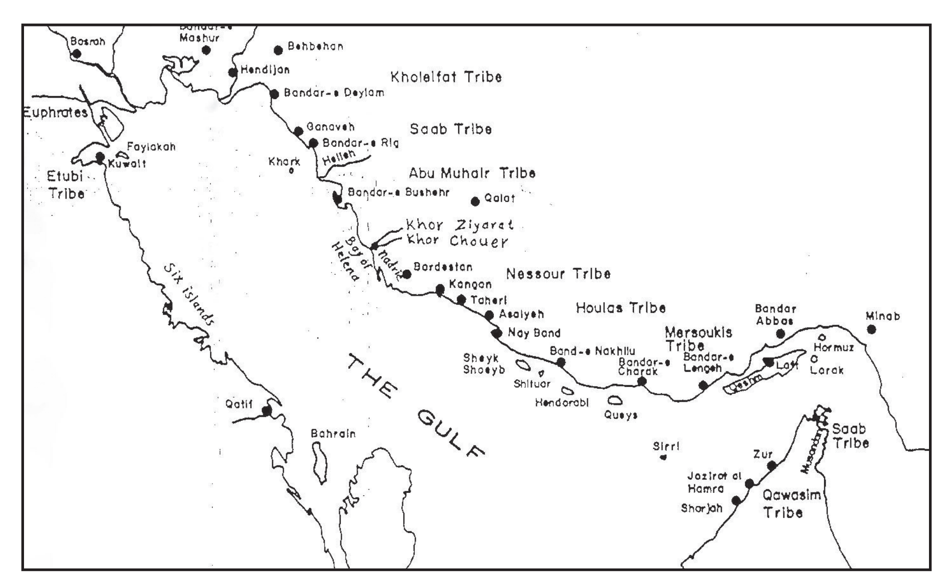
***

تقرير كنيبهاوزن سنة ١٧٥٤م:

لعل أول الكتابات الغربية التي ذكرت الكويت جاءت في سنة ١٧٥٤م (١١٦٧هـ) بينما كانت الكويت في بدايات تأسيسها ككيان سياسي حينما كتب رئيس المقيمية الهولندية في جزيرة خارج التابعة لإيران حالياً السيد (تيدو فريدريك فون كنيبهاوزن) تقريراً لدولته يصف فيه سواحل الخليج العربي، وسكانه في ذلك الوقت.

وتقرير كنيبهاوزن لم يطبع حتى الآن، وقد ترجمته عايدة خوري، وطبع على الآلة الكاتبة، وهناك ترجمة أخرى له غير منشورة أيضاً، وهو يقدم معلومات نادرة عن طبيعة الخليج العربي في ذلك الوقت، ويتحدث بتفصيل جيد عن الإمارات العربية التي كانت تقوم على الساحل الشرقي للخليج، وخاصة التابعة لعرب الهولة، ولكن ما يهمنا هو ما كتبه حول الساحل الغربي للخليج، وما يتعلق منه بالكويت، فنجده يتحدث عن جزيرة فيلكا، ومنها يصل إلى شواطئ القرين التي تقيم بها قبيلة (العتوب).

يتحدث كنيبهاوزن عن سكان القرين قائلاً:



خريطة توضح الأماكن التي وردت في تقرير كنيبهاوزن

(يعتمد هؤلاء شكلاً على شيخ الصحراء (يعني به أمير بني خالد) حيث يدفعون له ضريبة صغيرة جداً، وفي حوزتهم ثلاثمئة مركب إلا أن معظمها صغير، ويستخدمونها لذلك للغوص وصيد اللؤلؤ فقط إلا في موسم صيد السمك الكبير حيث يستخدمونها للصيد أيضاً، ويعتبر الغوص والتقاط اللؤلؤ المصدر الوحيد لدخلهم، وهم يعدون بأربعة آلاف رجل قوي، وجميعهم تقريباً لديهم سيوف ودروع ورماح، ولكن قلما يكون لديهم بنادق يدوية، فهم لا يعرفون كيف يستخدمونها!).

ثم يتحدث كنيبهاوزن عن خلافات أهل القرين مع الهولة، ويعطينا معلومة لا تقدر بثمن عن طبيعة الحكم في تلك الفترة عندما يؤكد أن القرين يحكمها (عدد من الشيوخ الذين يعيشون معاً متحدين أهمهم مبارك بن صباح، ولكنه ما يزال حديث السن، وفقيراً، وهناك شخص يدعى محمد بن خليفة، وهو غني، ويمتلك عدة مراكب كما أنه يحظى باحترام كبير من قبل شعب قبائله).

وهذه المعلومة حول الشيخ مبارك بن صباح لم ترد في تواريخ الكويت، وهو -كما نرجح- مبارك بن صباح الأول أخو الشيخ عبد الله الأول بن صباح الذي تواتر الخبر بأنه حكم الكويت بعد وفاة أبيه، ولم يذكر سابقاً أن مبارك قد حكم الكويت في فترة ربما توسطت الفترة بين حكم أبيه وأخيه.

وعن ملامح الكويت في تلك الفترة يقول كنيبهاوزن أنه (فوق القرين نجد حصناً مدمراً قد بناه البرتغاليون قبل وصولنا)، وهذه معلومة غريبة أخرى حول (الكوت) التي سميت الكويت نسبة إليه، فهو يذكر أنه رآه مدمراً سنة ١٧٥٤م (١١٦٧هـ)، ويضيف أن البرتغال هم من بنوه بخلاف الشائع والمرجح من أن بناته هم (أمراء بني خالد)، ولعل الأمر اختلط على كنيبهاوزن، فلم يرد أن البرتغاليين وصلوا إلى هذه المنطقة في رأس الخليج.

***

نيبور.. وزيارة عن بعد



كارستن نيبور

رغم أنه لم يزر مدينة الكويت إلا أن ما كتبه الرحالة الدنماركي كارستن نيبور سنة ١٧٦٥م (١١٧٨هـ) يقدم معلومات رقمية جيدة عن الكويت، فهو يقول عنها: (الكويت مدينة يبلغ عدد سكانها نحو عشرة آلاف

نسمة. لديهم ثمانمئة مركب، وهم يعيشون على التجارة، وصيد السمك، والغوص بحثاً عن اللؤلؤ).

***

السويدي هاربا من الطاعون:

نلتقي بواحد من أقدم زوار الكويت في الماضي، والذين وثقوا زيارتهم إليها، وهو العالم والمؤرخ البغدادي عبد الرحمن السويدي الذي أقام في الكويت بأسرته مدة شهر هرباً من وباء الطاعون الذي عم العراق سنة ١١٨٦هـ (١٧٧٢م)، وقدم لنا أول وصف لسكان الكويت، وطبائعهم.

فبعد أن عم الطاعون بغداد خرج عبد الرحمن السويدي بعياله إلى كربلاء مع بقية آل السويدي، ولما وقع فيها الوباء أيضاً انتقل إلى الحلة، فلما وصلها الوباء وضع عياله في سفينة، واتجه بهم إلى البصرة، واستقبله هناك العلماء والوجهاء، وقال أنه رأى فيها الدين ظاهراً، والإسلام باهراً، ورأى فيها من العلماء جماً غفيراً، وصار يدرس طلبة العلم صباحاً، ويقرأ حديث البخاري في مسجد القبلة عصراً.

ولما وصل الوباء إلى البصرة انتقل السويدي إلى الزبير، فانكب عليه أهلها، وأكرموه، وقرأ البخاري في جامع سيدنا الزبير كل عصر، وبقي فيها حتى وقع الطاعون فيها، فخرج إلى الكويت مع جماعة.

وقال في مذكراته:

(الكويت بلدة على ساحل البحر، وكانت المسافة ستة أيام براً (من الزبير إليها)، فدخلتها، وأكرمني أهلها إكراماً عظيماً، وهم أهل صلاح وعفة وديانة، وفيها أربعة عشر جامعاً، وفيها مسجدان، والكل في أوقات الصلوات الخمس تملأ من المصلين. أقمت فيها شهراً، ولم أسأل فيها عن بيع أو شراء ونحوهما بل أسأل عن صلاة وصيام وصدقة، وكذلك نساؤها ذوات ديانة في الغاية، وقرأت فيها الحديث في ستة جوامع.. نقرأ في الجامع يومين أو ثلاثة، فيضيق من كثرة المستمعين، فيلتمسون مني الانتقال إلى أكبر منه، وهكذا حتى استقر الدرس في جامع (ابن بحر)، وهو جامع كبير على البحر كجامع القمرية في بغداد، وجاء الطاعون إليها لكنه لم يكبر، ولم تطل أيامه.

ولما تواترت الأخبار بانقطاع الطاعون عن البصرة أردت الرجوع إليها، فقدموا لي سفينة كبيرة،

وأنزلوني أنا وعيالي، ونزل في المركب معي من أكابر الكويت أناس بقصد التبرك بخدمتي ورفقتي، ونزل معي جميع من كان في الكويت من أهل البصرة بلا نول (أي أجرة)، وصاحب المركب يخدمنا بنفسه).

***

تقارير أوربية عن الكويت:

حفلت تقارير الأوربيين من عسكريين وموظفين بمعلومات عن الكويت، ونتجول في بعضها هنا مستفيدين مما ذكره د. أحمد أبو حاكمة في (تاريخ الكويت)، ونبدأ مع سطور من تقرير كتبه الكولونيل جيمس كابر في ٢٤ يناير ١٧٧٩م (٦ محرم ١١٩٣هـ) يقول فيه: (يحكم مدينة القرين (الكويت) الواقعة على بعد سبعين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من البصرة شيخ عربي تربطنا به روابط وثيقة)، وكان حاكم الكويت وقتئذ الشيخ عبد الله الأول الصباح.

ويكمل كابر مؤكداً استقلالية الشيخ عبد الله عن الأتراك المسيطرين على العراق حيث كان يجير الثائرين عليهم، فيقول: (لقد استجار ثويني شيخ مشايخ عرب المنتفق الذي ثار ضد باشا بغداد، واستولى على مدينة البصرة ثم هزمه الباشا بعد ذلك في معركة نظامية على ضفاف الفرات إلى الشمال من البصرة بشيخ القرين الذي رفض أن يسلمه لبغداد رغم الرشاوى الكثيرة التي قدمت إليه، ورغم أن باشوية بغداد كانت تهدده بكل قوتها، وقد ألقى باشا بغداد (سليمان باشا) خطاباً في تلك المناسبة بعد أن جرب الرشاوى، والوعيد، وكل شيء آخر ليحقق هدفه، فقال: (بعد كل هذا.. أعتبر أن من سعادتي العظيمة أن يكون على مقربة مني شخص في مثل طابع شيخ القرين).

كما نقرأ تقريراً اقتصادياً كتبه مدير الوكالة التجارية الانكليزية في البصرة صموئيل مانسيتي، ومساعده هارفارد جونز سنة ١٧٩٠م (١٢٠٤هـ) نلحظ من خلاله مدى الاتساع في تجارة الكويت (القرين) مع عواصم العالم القديم في تلك الفترة حيث يقولان: (هي ميناء بحري يقع على الساحل الغربي من الخليج قريباً من رأسه، وكانت منذ أمد بعيد في حوزة بني عتبة، وبين الحين والحين كانت ذات أهمية تجارية).

ويضيفان في تقريرهما: (كانت القرين هي الميناء الذي تنقل منه منتجات الهند إلى أسواق بغداد، ودمشق، وحلب، وأزمير، والقسطنطينية من بعد ما كانت تنقل سنوياً عن طريق البصرة، وقد

كانت القرين على الدوام ذات صلة ميسرة عن طريق الصحراء ببغداد وحلب، وكانت قوافل كبيرة وفيرة البضائع تتردد بينها، وبين هاتين المدينتين).

وبالإضافة إلى الازدهار الاقتصادي يبدو أن الكويت كانت تعيش في أواخر القرن الثامن عشر ازدهاراً سياسياً أيضاً، ويوضح ذلك تقرير كتبه سنة ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) الكابتن مالكوم، ونقرأ فيه: (يقع الساحل العربي من الخليج تحت حكم شيوخ متعددين أهمهم شيخا القرين ورأس الخيمة، وتمتد سيادة الأول منهما، واسمه الشيخ عبد الله الصباح على القرين، والبحرين، والقطيف، والزبارة، والقبيلة التي يرأسها تسمى (بني عتبة)، وغالباً ما يطلق عليها اسم العتوب، ولهم تجارة ذات شأن مع البصرة، ومسقط، وسورت، وساحل مليبار).

ورغم أن التقرير السابق يعطي صورة عن الحالة السياسية إلا أننا لا نسلّم بما قاله مالكوم حول سيطرة عبد الله الصباح على البحرين، والقطيف، والزبارة، فالثابت تاريخياً أن الزبارة والبحرين كانتا تخضعان في تلك الفترة لسيطرة آل خليفة، وهم من العتوب أيضاً، ومن هنا جاء الخلط الذي وقع فيه مالكوم كما أن القطيف كانت تحت سيطرة بني خالد في تلك الفترة.

ومر بالكويت خلال فترة حكم الشيخ جابر العيش التي أعقبت حكم أبيه عبد الله الأول الصباح عدد من الرحالة الأجانب من أولهم البريطاني باكنجهام سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م) أي بعد عامين فقط من حكم جابر العيش، وكتب عنها ثماني صفحات في كتاب رحلته، فقال أنه: (لا ميناء يلي القطيف شمالاً له أهمية تذكر سوى ميناء القرين) ذاكراً أن الكويت قد احتفظت باستقلالها حتى في الوقت الذي خضعت فيه هرمز، ومسقط، والبحرين، والأحساء للحكم الأجنبي.

وبعد أربعة أعوام من مرور باكنجهام بالكويت كتب الميجور كوليبرك في تقرير عن ساحل الخليج العربي بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٨٢٠م (٢ ذي الحجة ١٢٣٥هـ) ما يلي: (أن الكويت هي أول مستوطنة على رأس الخليج العربي، وتقع في ميناء واسع يصلح لرسوّ السفن، ويسكنها مجموعة من العرب يخضعون لآل الصباح، وهم فرع من قبيلة العتوب، وتحميها قلعة مجهزة بعشرين مدفعاً، وبناء على أكثر التقديرات احتمالاً، فإن السكان المسلحين يتراوح عددهم بين خمسة آلاف إلى سبعة آلاف رجل، وأن بضع مئات منهم من العتوب أما الباقي فهم عبارة عن خليط، وأنهم يعملون بالتجارة، ويعيشون بسلام).

ويذكر الميجور جورج بروكس في تقرير مؤرخ في أغسطس ١٨٢٩م (صفر ١٢٤٥هـ) أن

الواردات الكويتية تبلغ خمسة ملايين روبية بينما لا يتجاوز حجم صادرتها المئة ألف روبية.

كما يوضح الرحالة ستوكويلر الذي زار البلاد في سنة الطاعون الرهيبة ١٨٣١م (١٢٤٧هـ) النظام الضريبي في الكويت عندما يقول أن الكويت تتقاضى رسماً جمركياً على الواردات قدره ٢ ٪.

وقد زعم ستوكويلر أنه الأوربي الوحيد الذي زار هذه البقاع منذ أمد بعيد!، وذكر أن مدينة الكويت في زمنه تمتد نحو ميل على الشاطئ، وسكانها لا يزيدون على أربعة آلاف نسمة، ولعل هذا التناقص الرهيب في عدد السكان يعود إلى فتك وباء الطاعون بأهل الكويت قبيل زيارة ستوكويلر لها.

ومازلنا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وفترة حكم الشيخ جابر العيش، ونقرأ تقريراً بريطانياً كاتبه ضابط زار الكويت وجزيرة فيلكا لتقديم تقرير عنهما، ونجده يذكر أدق التفصيلات عن موارد الكويت، فيقول الليفتانت فيلكس جونز من ضباط البحرية الهندية في نوفمبر ١٨٣٩م (رمضان ١٢٥٥هـ): (أن القرين صحية بصورة عامة، وخاصة بعد الطاعون الأخير إلا أنها ليست صحية أكثر من الأماكن المجاورة لها في الخليج، فقد انتشرت الكوليرا هناك في نفس الوقت الذي ظهرت فيه بين سكان جزيرة خارج، وليس لدى أهلها خضروات أو لديهم شيء قليل منه باستثناء البصل لأن المنطقة قاحلة تماماً، وأحياناً يحصلون على مؤن من البصرة أو من الموانئ الواقعة في الخليج، وتتألف فواكههم من البطيخ (الرقي) الذي ينبت عندهم، ومن التمر والحمضيات والرمان والشمام، وهذه يحصلون عليها من بوشهر والبصرة).

كما يذكر جونز أن أهل الكويت يحصلون على الحنطة والشعير والذرة من البصرة والهند، وعلى الأرز من منكلور، وعلى كلاب الصيد من البصرة وبوشهر، وعلى الماشية والطيور من البدو، وتتفاوت الأسعار كثيراً، فالخروف يباع لدى وصول قطيع البدو بدولار، وإذا قل عدده كما كانت الحال عندما زار جونز الكويت يبلغ ثمنه الدولارين.

ويقول جونز عن الكويتيين أنهم: (يحصلون على ألواح الساج لبناء القوارب من بومباي، ويجلبون من مسقط نوعاً آخر من الخشب الصلب يتخذونه دعائم وسنادات، وتتوفر لديهم الحجارة والجندل (نوع من الخشب) لبناء البيوت بكثرة، والثانية وفيرة ورخيصة من نوع ممتاز، ويكثر السمك في الميناء.

أما زيارة فيلكس جونز لجزيرة فيلكا، فيبدو أنها كانت للبحث عن موقع لإنشاء مرفأ لرسو

سفن البحرية الهندية، ولذلك فهو يركز في تقريره على مسألة عمق المياه الساحلية، وارتفاع سطح الجزيرة، ونجده أخيراً يوصي في تقريره بعدم اختيار فيلكا كموقع للمرفأ لأنها (لا تصلح لرسو سفن يزيد عمقها عن ثمانية أقدام، ولو رست، فإنها لن تستطيع الخروج إذا هبت الرياح الشرقية) لانخفاض منسوب المياه على الشاطئ كما أن فيلكا حسبما يقول: (جزيرة منخفضة الارتفاع يبدو أنها أثناء طغيان المد الربيعي يغمرها الماء في عدة اتجاهات، وتكون مستنقعاً تاماً خلال فصل المطر)!

وهناك تقرير اقتصادي آخر كتبه الكابتن هنيل المقيم البريطاني في الخليج صدر سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م)، وجاء فيه: (أن شيخ الكويت لا يحصّل الضرائب، والعوائد الجمركية سوى فرضه ضريبة صغيرة على سلع البدو الذين يأتون إلى مدينته. أما ميناء الكويت، فهو حر لا قيود فيه، ويكاد الدخل الذي يحققه الشيخ لا يتجاوز ثلاثة آلاف ريال (دولار).

***

لويس بيلي في الكويت:

في سنة ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ) قام العقيد لويس بيلي المقيم السياسي البريطاني في بوشهر (عاش في الفترة ١٨٢٥ - ١٨٩٥م) برحلة نحو مدينة الرياض لمقابلة الإمام فيصل بن تركي آل سعود بدأها من الكويت التي وصلها في يناير من تلك السنة برفقة بعض المختصين الذين منعهم بيلي من الكتابة عن الرحلة لينسب كل فضلها إليه!

هدف الرحلة المعلن كان (إزالة سوء الفهم الناتج من القوانين الخاصة بتجارة الرقيق، وتأكيد حسن النوايا للإمام فيصل) كما ذكر بيلي في رحلته التي صدرت لها عدة ترجمات إلى العربية مزودة بالملاحق المخطوطة، والخرائط التي وضعها بيلي ورفاقه عن تفصيلات رحلتهم.

حل بيلي في الكويت في ضيافة يوسف البدر أحد الكرماء المذكورين في تاريخ الكويت، فيقول عنه: (لقد كنت طوال هذه الفترة أتلقى من كرم الضيافة صوراً لا يمكن أن تعادلها ضيافة أي نبيل انكليزي)، ويصف أهل الكويت عموماً، فيقول: (الغريب فيها لا يجد الفنادق بل يجد بهواً كبيراً يقدم فيه الطعام مجاناً للغرباء)، ويضيف: (تعتبر الكويت إحدى الموانئ النامية على الخليج، ويملك سكانها سفناً كبيرة تنقل التجارة من وإلى الهند، ودول الخليج، ويعرف بحارتها بالمقدرة الملاحية الفائقة).



لويس بيلي

وعن تجارة الكويت يقول بيلي: (تستورد الكويت الأرز من شوشتر، والبصرة، وساحل المليبار، والذرة من الساحل الفارسي، والتمور من البصرة، وخشب بناء السفن من سواحل جنوب الهند، ويتبادل تجار الكويت مع بدو البادية الأصواف والخيول مقابل القهوة والأرز).

وفي ١٨ فبراير انطلق بيلي ورفاقه من الكويت، ومعهم بعض الأدلاء والمرافقين من العرب، ومر بمواقع مثل وارة ثم وبرة ثم ثاج والصمان وصولاً للرياض حيث التقى بالإمام فيصل بن تركي آل سعود، وتلك رحلة لها تفصيلات أخرى.

***

رحلة لوشر:

(تظهر الكويت كمدينة عربية فائقة النظافة). جملة لكاتب أمريكي لم يكتبها هذه الأيام، ولكنه سطرها بالتحديد سنة ١٨٦٨م (١٢٨٥هـ) عندما زارها في رحلته التي شملت الخليج ابتداء

من مسقط، وترجم الجزء المختص بالكويت عبد الله الصانع، وطبعه في أواخر الستينات.

جاء لوشر إلى الكويت على متن سفينة تجارية انكليزية قادمة من الهند تحمل بضاعة للتاجر المشهور يوسف الإبراهيم، وقضى في صيف الكويت أياماً التقى خلالها بحاكم الكويت الخامس الشيخ عبد الله الثاني بن صباح.

يصف لوشر الشيخ عبد الله الذي زاره في السفينة قبل الرسو بقوله: (كان الشيخ الحاكم طويلاً مفتول العضلات لطيفاً قد أطال لحيته البيضاء. يناهز الثمانين، وتبدو على وجهه ملامح الذكاء، وكان غاية في الأدب في كلامه، وعاداته الشرقية، وكان يلبس ملابس عربية من الحرير الفاخر، وقد ارتدى العباءة ذات اللون الأرجواني موشاة بغزارة بالذهب، ويداه تشعان بالألماس، وفي وشاحه الحريري الأبيض الذي لفه حول وسطه كان قد غمس خنجراً صغيراً ذا مقبض من الذهب الصلد، وقد طعم باللؤلؤ والفيروز والياقوت).

وبعد رسو السفينة دعا الشيخ عبد الله الثاني لوشر ورفاقه إلى قصره المربع المبني بالطابوق، فيصف لوشر الحديقة الصغيرة الموجودة بداخله، وقاعة الاستقبال بسقفها المزين بالنقوش الصغيرة الزرقاء، والسجادة الفارسية الثمينة، والأرائك العريضة.

كما حدثنا لوشر عن مأدبة أقامها لهم الشيخ عبد الله، فيصف حليباً حامضاً يدعى (اللبن!)، وقال أن المائدة وضع عليها طقم أوربي للطعام جُلب من بومباي. أما الطعام، فيقول لوشر أنه قدم بطريقة فاخرة، فقد: (جَلب لنا الخدم الصحون المختلفة، وتحتوي على لحم الماعز المسلوق، ولحم الغنم المحمر، ولحم جمل أيضاً، ودجاج، وثلاثة أنواع مختلفة من السمك، وصحناً كبيراً يحتوي على الرز المطبق فيه الزبد، وحشو البصل، واللوز، والكشمش، والدجاج المقلي، ويعتبر هذا النوع الصحن الشعبي للبلاد العربية، وإلى جانب هذه الصحون هناك الخضروات، والمرق، وفواكه تعتبر غريبة!).

وعن جو الكويت كتب لوشر: (جو الكويت حار لدرجة مخيفة، وتظهر المدينة محاطة من الشمال والجنوب والغرب بصحراء مقفرة لذلك يعتبر جيران الكويت اثنان هما: القفر، والحرارة)!

وبعد ذلك ينطلق الرحالة الأمريكي في وصف طبيعة البيئة في الكويت، وانعدام الخضرة فيها عدا بعض الواحات البعيدة بحوالي ثلاثين ميلاً، ولعله يعني (الجهراء، والفنطاس) كما تحدث عن سفن (البغلة) التي ينقل بها الكويتيون ما يحتاجونه من مؤن من البلاد المجاورة، وهو يقول: (جل الرجال من سكان الكويت يمارسون التجارة أو الملاحة، وهم يتاجرون مع البصرة، والساحل الفارسي

أو مع عشائر بدو الصحراء باللؤلؤ، والعود، والأسلحة النارية، والذخيرة، والملابس، والسروج، والزل.. الخ).

أما نساء الكويت، فيقول عنهن لوشر: (نساء الكويت مشهورات بصناعتهن، ومهارتهن في جميع الأعمال اليدوية كالحياكة والغزل والنسيج، ومثل ذلك حسن مظهرهن، فهن يعتبرن بجانب التركيات والإيرانيات، ولهذه الغاية يعتبرن أشد نساء الخليج ملاحة).

وفي الليل يصف لوشر مسألة النوم فوق السطح حيث تطلع لأسطح البيوت من حوله، فرأى أحد المؤمنين ما يزال منشغلاً في صلاته، وهناك زوج من الصغار يتبادلان أحاديث ود ناعمة، وإلى البعيد رأى أماً ترعى أطفالها، وهنالك فتيات عربيات يغنين بصوت عذب أغانيهن الشعبية الحزينة، وهنالك في الأفق الأبعد خارجاً في الصحراء عدة مسافرين منفردين راجلين أو على ظهور الخيل أو الجمال على شكل أشباح مظلمة حيث تتباين تبايناً غريباً مع الأفق الذهبي في المنطقة الخلفية).

وفي النهاية يسافر لوشر، وصحبه بعد أن ودعهم الشيخ عبد الله الثاني.

وللعلم، فإن الشيخ عبد الله الثاني هو الأخ الأكبر لحاكم الكويت السابع الشيخ مبارك الصباح الذي حكم الكويت بعد زيارة لوشر بثلاثين عاماً، وللشيخ عبد الله الثاني ذرية معروفة من آل صباح من بينهم الشيخين الكبيرين عبد الله الجابر العبد الله رئيس المعارف المشهور في تاريخ الكويت، والشيخ عبد الله الخليفة العبد الله، وأخوه الشيخ علي الخليفة.

***

زيارة مدحت باشا:

يعد (مدحت باشا) واحداً من أشهر الشخصيات السياسية التي ظهرت في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

فقد تولى هذا الرجل المولود في اسطنبول سنة ١٨٢٢م (١٢٣٧هـ) عدداً من المناصب المهمة حيث تدرج حتى صار والياً لنيش، ولوفجة، وبغداد، وحلب ثم تولى منصب (الصدر الأعظم) أي رئيس وزراء الدولة العثمانية، وقاد عملية إصلاح الدولة حتى لقب بأبي الدستور، وأبي الأحرار، وكلل عمله بإعلان الدستور العثماني، وإنشاء برلمان سنة ١٨٧٦م (١٢٩٣هـ).


مدحت باشا

وبالطبع، فإن هذه الإصلاحات أدت إلى تقليص صلاحيات السلطان عبد الحميد، والذي لم يهدأ حتى تمكن من عزل مدحت باشا سنة ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ)، ودبر له محاكمة ظالمة بتهمة اغتيال عمه السلطان السابق عبد العزيز، وحكم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم إلى المؤبد، وتم نفيه إلى الطائف حيث مات فيها في ظروف غامضة ليلة الخميس ١٢ رجب ١٣٠١هـ (٨ مايو ١٨٨٤م)، والمشهور أنه اغتيل بأمر السلطان عبد الحميد.

وما يعنينا الآن تلك الفترة التي تولى فيها مدحت باشا ولاية بغداد بين عامي (١٨٦٩ — ١٨٧٢م)، وقام خلالها بتسيير حملة لاحتلال الأحساء سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م)، ونسلط الضوء على زيارته إلى الكويت بعد انتهاء الحملة في ربيع الأول ١٢٨٨هـ (مايو ١٨٧٨م) في عهد حاكمها الخامس الشيخ عبد الله الثاني بن صباح، وكتب عنها في مذكراته:

(تبعد الكويت عن البصرة ستين ميلاً بحرياً، وهي كائنة على الساحل بالقرب من نجد، وأهلها كلهم مسلمون، وعدد بيوتها ستة آلاف، وليست بتابعة لأية حكومة، وكان والي بغداد السابق نامق باشا يريد إلحاقها بالبصرة، فأبى أهلها لأنهم قد اعتادوا عدم الإذعان للتكاليف، والخضوع للحكومات، فبقى القديم على قدمه).

ويكمل مدحت باشا، ونلاحظ في الفقرة القادمة أنه يتخبط في كلامه، فيذكر بعض المعلومات الخاطئة حيث يقول:

(نسل هؤلاء العرب من الحجاز، وكانوا قبل خمسمئة سنة قد حضروا إلى هذه البقعة، وهم جماعة من قبيلة المطير، وواضع أول حجر لتلك البلدة رجل اسمه (صباح)، وقد كثر عدد أهلها على تمادي الأيام، وشيخها اليوم اسمه (عبد الله بن الصباح)، وهو من هذه القبيلة، والأهالي هناك شوافع، وهم يديرون أمورهم معتمدين على الشرع الشريف، وحاكمهم وقاضيهم منهم، فهم يعيشون في شبه جمهورية، وموقعهم مساعد على الاحتفاظ بحالتهم الحاضرة، وهم لا يشتغلون بالزراعة بل

بالتجارة البحرية، وعندهم ألفان من المراكب التجارية الكبيرة والصغيرة، فهم يشتغلون بصيد اللؤلؤ في البحرين وعمان، وتسافر سفنهم الكبيرة إلى الهند وزنجبار للتجارة.

وقد رفعوا على سفنهم راية مخصوصة بهم، واستعملوها زمناً طويلاً غير أن خوفهم من غارة الأجانب عليهم قد حدا بهم إلى رفع الرايات الأجنبية، فرفع بعضهم راية الفلمنك، وآخرون راية الانكليز، واعتادوا على هذه العادات بالتدريج، وبدأت مقدّمات الحماية الأجنبية تظهر فيها، وقبولهم الحماية الأجنبية يعد ضربة قاضية على استقلال البصرة).

ونلاحظ أن قول مدحت باشا أن الكويت تأسست قبل خمسمئة سنة (أي ٨٠٠هـ) مبالغة منه، ونعتقد أن زاد من عمر البلاد حوالي القرنين كما أن نسبته أهل الكويت إلى قبيلة مطير أيضاً فيه خطأ، والصحيح أن عدداً من أسر الكويت المؤسسة ترجع إلى هذه القبيلة الكريمة، ولكن أهل الكويت في تلك الفترة كانوا خليطاً من قبائل وأصول مختلفة، وابن صباح هو من العتوب كما أن القول بأن أهل الكويت على المذهب الشافعي لا ينفي أن الأسرة الحاكمة وعدداً من الأسر الأخرى على المذهب المالكي، وفي البلاد حنابلة، وحنفية، وشيعة، وغيرهم.

وبعد ذلك تحدث مدحت باشا عن محاولاته فرض التبعية العثمانية على الكويت مقابل مغريات مثل عدم تغيير شكل حكومتها، وإعفائها من الرسوم الجمركية والتكاليف الأميرية، ومنح الشيخ لقب القائمقام، ورفع العلم العثماني على السفن الكويتية، وهي محاولات لم تتكلل بالنجاح، فسرعان ما ذهب مدحت باشا، وذهبت خطواته تلك في ذمة التاريخ، وبقيت الكويت على استقلالها الفعلي.

وقد امتدح مدحت باشا في مذكراته دور الكويت في حملته على الأحساء سنة ١٢٨٨هـ حيث ساهمت بقوات برية وبحرية، وكانت بداية المعركة ضرب القطيف من جهة البحر بواسطة القوات الكويتية حيث تم استسلامها بعد ثلاث ساعات، وكان للسفن الكويتية دور في حمل الجنود والمؤن والذخائر إلى المناطق التي احتلها العثمانيون كما ساندت الكويت الحملة بقوات برية بقيادة الشيخ مبارك الصباح.

وأوصى مدحت باشا الحكومة العثمانية بمنح حاكم الكويت الشيخ عبد الله مع مجموعة من رجال الكويت الأوسمة والنياشين العثمانية، وبالفعل كافأته الدولة بعدة مزارع للنخيل في منطقة البصرة.

***

سفن روسية في الكويت

بينما كان التنافس قائماً على أشده بين دول الاستعمار للاستفادة من موقع الخليج العربي وخيراته أرسلت روسيا القيصرية سنة ١٨٩٩م، وعلى مدى سنوات أربع عدداً من سفنها الحربية والتجارية في تظاهرة عسكرية وسياسية كان القصد منها لفت الانتباه، وإثبات الوجود.

وبعيداً عن هذا التنافس سنحاول مرافقة بعض هذه السفن في جولاتها بين موانئ الخليج خاصة وأن هذه السفن حملت معها كاميرات التصوير، والتقطت لنا أقدم الصور الفوتوغرافية التي وصلتنا عن الخليج وأهله، وقد طبع الإتحاد السوفييتي في سنته الأخيرة قبل انهياره سنة ١٩٩٠م الترجمة العربية لكتاب بعنوان (سفن روسية في الخليج) تضمن أخبار هذه السفن، وبعضاً من صورها النادرة.

نبدأ مع رحلة السفينة (غلياك) سنة ١٨٩٩م، والتي كانت سفينة خفر سواحل افتتحت رحلتها في بندر عباس على الساحل الفارسي من الخليج، وظلت تباري هذا الساحل حتى وصلت البصرة مروراً ببوشهر والمحمرة.

وفي طريق عودتها مرت بالكويت، فوجدت أمامها سفينة البريد البريطانية (سفينكس)، والتي حاول قبطانها إقناع حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح بعدم استقبال الروس، ولكن الشيخ مبارك رفض تدخلهم هذا، وقدم من الصحراء خصيصاً لاستقبال طاقم (غلياك)، ودعاهم للتفرج على قصره، وأعد لهم رحلة صيد بالصقور والكلاب السلوقية.

وبعد سنة ونصف من زيارة (غلياك) للخليج قدمت سفينة روسية أخرى هي الطراد (فارياغ) الذي بدأ رحلته من مسقط، والتقى طاقمه بالسلطان فيصل بن تركي البوسعيدي ثم أبحر (فارياغ) شمالاً باتجاه الكويت، وحال وصوله صعد الشيخ جابر المبارك الصباح إلى ظهره مقدماً الهدايا، وهي عشرة خراف لطاقم الطراد، واعتذر عن حضور والده المتواجد في الجهراء مع قواته البالغة ثلاثة آلاف رجل لحمايتها من هجوم محتمل من بعض خصومه.

وتوجه الضباط الروس إلى الجهراء حيث التقوا بالشيخ مبارك الذي أراهم قواته، وأقيمت أمامهم بعض الرقصات الحربية، وألعاب الفروسية، وأشاد الروس في تقاريرهم بالتدريب الجيد لجند

مبارك رغم أنه لم يكن يوجد في عسكره مدربون أجانب، فقد تعلم الجنود البدو حفر الخنادق، وتلقوا على الطراد البريطاني (بومونيه) تدريباً على إطلاق المدافع.

وعلى العموم كانت (فارياغ) هي أكبر سفينة تدخل الخليج على الإطلاق حتى ذلك الوقت مما أعطى انطباعاً جيداً عن قوة الروس لدى أهل الخليج، وصار الانكليز ينظرون بتخوّف لتلك الجولات المتكررة للسفن الروسية في مياه الخليج.

وفي أبريل ١٩٠٢م (محرم ١٣٢٠هـ) وصل إلى البحرين عالم الحيوانات الروسي بوغويا فلنسكي، وانتقل إلى جزيرة دارين حيث التقى بالشيخ محمد باشا بن عبد الوهاب الفيحاني كما اجتمع بحاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وانتقل بعد ذلك إلى المحمرة، واجتمع بشيخها خزعل بن جابر المرداو ثم في الكويت بولي العهد الشيخ جابر المبارك الذي كان أبوه خارج المدينة وقت زيارة بوغويا فلنسكي ثم اجتمع بالشيخ مبارك حال عودته، ودار بينهما حديث طويل لم تغب الشؤون السياسية والعسكرية عنه.

وبعد ذلك جاءت زيارة الطراد الحديث ذي المداخن الخمس (أسكولد) لتزيد من هيبة الروس في الخليج خاصة إذا علمنا أن ذلك الطراد كان من الضخامة بحيث بلغ عدد أفراد طاقمه خمسمئة فرداً.

بدأ (أسكولد) رحلته من مسقط أواخر سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ)، واجتمع قبطانه بسلطانها، وعزفت الجوقة الموسيقية أمامه بعض الأغاني، وبعد ذلك توجه إلى الكويت، فوصلها مساء، وأضاء المدينة بمصابيحه الكاشفة، والتقى الشيخ مبارك بالقنصل الروسي في البصرة أداموف الذي جاء مع الطراد، ويحتوي تقرير قبطان الطراد على عرض مفصل للوضع السياسي حول الكويت، وعلى وصف لميناء الكويت، والأسطول الكويتي المؤلف من ألف سفينة، واليخت الأبيض للشيخ، والشبيه بسفينة شراعية متعددة الصواري من القرون الوسطى، وصعد إلى السفينة الشيخ جابر المبارك، ونجله أحمد، وابنه الصغير، وأجرى الروس حديثاً ودياً مع الشيخ مبارك.

وجاء في تقرير قبطان ذلك الطراد معلومات مهمة عن الكويت كتقدير سكان المدينة بين ١٥ و١٨ ألف نسمة، والحديث عن بيوت المدينة المبنية من التربة المحلية (الطين) المجصصة بينما لا يوجد سوى بيتين أو ثلاثة مبنية بالحجر، وهو ما لا يتأتى إلا للأغنياء. أما السوق، فهناك ساحة فسيحة عند الطرف المحاذي لليابسة (يقصد ساحة الصفاة)، ويؤمها العرب من الصحراء جالبين

معهم الخيول والثيران والخراف لبيعها (لعله يقصد الإبل بذكره للثيران!)، وفي السوق يشاهد المرء جميع البضائع الضرورية للحياة العربية اليومية.

وكذلك استمرت الرحلات الروسية مع الطراد (بويارين) الذي ألقى مرساته يوم الاثنين ٢٣ فبراير ١٩٠٣م (٢٥ ذي القعدة ١٣٢٠هـ) في ميناء مسقط، والتقى طاقمه بسلطانها فيصل بن تركي، وولي عهده تيمور، وفي الخامس من مارس وصلوا إلى الكويت، فصعد إلى متن (بويارين) الشيخ صباح بن مبارك (توفي قبل أبيه)، وابن أخيه أحمد بن جابر (الحاكم العاشر للكويت فيما بعد)، وعلى الشاطئ استقبل الشيخ مبارك الضباط الروس مرتدياً حلة العيد.

ويحتوي تقرير القبطان على وصف مفصل لقاعة استقبال الشيخ مبارك المؤثثة والمزينة بشيء من الأبهة والإجلال، ويذكر ضمن أثاثها طقم أوان من الفضة الخالصة من صنع وارسو، ومعطف فرو هدية من تجار روس كما قام الضباط بزيارتين للأمير عبد العزيز آل سعود (الملك المؤسس للمملكة العربية السعودية) الذي وصل أخيراً من الرياض، فأحسن وفادتهم، وقام بمعية أخويه محمد وسعد بزيارة لتفقد الطراد.

وبعد وصف رائع قدمه قبطان الطراد لمدينة الكويت وضواحيها نجد في تقريره حديثاً مفصلاً عن الخندق الدفاعي نصف الدائري المحيط بالمدينة، ولتنتهي زيارة (بويارين) للكويت، وتبحر جنوباً في طريق العودة، وتختتم بذلك أشهر الزيارات التي قامت بها السفن الروسية للخليج في مطلع القرن العشرين.

***

كورزون في زيارة رسمية:

بعدما وصف مدحت باشا الكويت بأنها (شبه جمهورية)، ويعني بذلك أن أهلها مشتركون في اتخاذ القرار السياسي ندخل بوابة القرن العشرين، ففي نهاية سنة ١٩٠٣م (١٣٢١هـ) قام اللورد كورزون نائب ملك انكلترا وحاكم عام الهند بجولة في عواصم وموانئ الخليج العربي لتفقد المؤسسات الهندية في هذه المنطقة، وزيارة المشايخ العرب الذين تربطهم معاهدات مع الحكومة البريطانية بموافقة من الحكومة المركزية في لندن.

أقلعت السفينة (هاردينج) من سفن البحرية الملكية باللورد كورزون من ميناء كراتشي قبل

اللورد كرزون

الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الاثنين ١٦ نوفمبر ١٩٠٣م (٢٥ شعبان ١٣٢١هـ)، وكانت تصحبه زوجته، وعزّز بالسفينة (آرجونوف)، وعدة سفن أخرى، وقد وصل الأسطول ظهر ١٨ نوفمبر إلى مسقط، فاستقبله وفد من قبل سلطان عمان السيد فيصل بن تركي البوسعيدي ثم مر في طريقه برأس مسندم عند مضيق هرمز، وتفقد الجبال والجزر في الطريق حتى وصل إلى الشارقة في ٢١ نوفمبر، وهناك اجتمع كورزون مع شيوخ الإمارات المتصالحة.

وبعد الشارقة زار اللورد كورزون بندر عباس، وجزيرتي هرمز وقشم في ٢٢ نوفمبر، والتقى هناك بالرعايا التابعين لبريطانيا كما تفقد في اليومين التاليين جزيرة هنجام، وساحل قشم الجنوبي، وباسيدو، ولنجة.

وفي الثامنة من صباح ٢٦ نوفمبر وصل الأسطول إلى البحرين، وعقد اجتماع بين كورزون والشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين على ظهر السفينة هاردينج، وكانت هناك ترتيبات للالتقاء بشيخ الدوحة أحمد بن محمد آل ثاني في المنامة، ولكن الترتيبات لم تتم في الوقت المناسب، وبالتالي لم يعقد اللقاء.

وبعد ذلك كانت زيارة اللورد كرزون للكويت، وسنذكرها بالتفصيل (مع بعض التصرف) في السطور الآتية:

فقد وصلت السفينة (هاردينج) في الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٨ نوفمبر (٨ رمضان


اللورد كورزون وزوجته في رحلة صيد بالهند

١٣٢١هـ) إلى الكويت، وكانت السفن الكبيرة من الأسطول قد سبقتها في الوصول إلى هناك، ورافقتها إلى المرسى الداخلي من الميناء السفينة (برمون) ثم أطلقت البطاريات القديمة المنصوبة أمام بيت الشيخ ٣١ طلقة تحية، وما إن ألقت السفينة هاردينج مراسيها حتى صعد على ظهرها الشيخ مبارك بنفسه يرافقه كيمبول المقيم السياسي ليستفسر عن صحة اللورد كرزون، ويستعلم عن الوقت المحدد للزيارة الرسمية.

ثم عاد الشيخ مبارك في الساعة المحددة للاستقبال الرسمي، وهي الثالثة بعد الظهر، فوصل إلى السفينة هاردينج بصحبة أكبر أبنائه الشيخ جابر، واستقبل الشيخ في احتفال ومراسم مشابهة تماماً لما جرى في استقبال شيخ البحرين من قبل، وكان من بين الهدايا التي تسلمها الشيخ (سيف)، وعندما غادر السفينة أطلق المدفع له خمس طلقات تحية.

وغادر اللورد كورزون السفينة هاردينج في الساعة العاشرة من صباح ٢٩ نوفمبر في حين أطلقت القطعة (بومون) من مدافعها ٣١ طلقة تحية له، ونزل في بندر الشويخ وهو مرسى يبعد ثلاثة أميال عن مدينة الكويت، وكان في انتظاره عند الشاطئ الشيخ مبارك، ومعه أولاده، وكبار أتباعه على رأس جماعة من الفرسان العرب، واستقل كورزون العربة الوحيدة التي تفخر الكويت بها، وكان الشيخ مبارك قد استوردها من الهند خصيصاً لهذه المناسبة، وزود أفراد حاشية كورزون بخيل ليركبوها.

وسار الموكب بغير نظام وسط إطلاق العيارات النارية، وهتاف العرب المنبعث من الحناجر متجهاً إلى المدينة، ومخترقاً سهلاً منبسطاً واسعاً، ومحاطاً بكوكبة من الخيالة يركضون بعنف إلى الأمام مشرعين حرابهم أو مطلقين عيارات بنادقهم في الهواء، وهم يقفزون مستديرين حول أنفسهم طوال الوقت مخلّدين بمناوراتهم هذه أيام العرب، ولقد كان المنظر أخاذاً بجماله إذ كان الفرسان بألبستهم

الفضفاضة البراقة الألوان من برتقالية وحمراء أو ذهبية يلوحها الهواء على ظهور خيولهم العربية الرشيقة كلما قاموا باستعراضاتهم هذه.

في حين كانت مجموعات راكبي الجمال يهرولون في سكون ووقار هنا وهناك، وفيهم أبناء المدن المترفون بأحسن ملابسهم، وفيهم بدو من الصحراء ضامرون جياع يرتدون عباءاتهم الممزقة، ونساء محجبات يضعن عباءاتهن الزرقاء الداكنة ملقاة على رؤوسهن، ويلبسن فساتين من القطن المزركش الألوان تتدلى إلى الأرض، وأطفال ذوو عيون سوداء، وبشرة بنية على درجات متفاوتة من العري، وخلف هذا المشهد كله، ووراء مضارب البدو الكبيرة بخيامها السوداء، وجدران بيوت المدينة البيضاء التي ترفرف الرايات على أسطحها المنبسطة، وفي زرقة الخليج الباهتة المحاطة بالرمال الصفراء كان يقف الأسطول في مرساه داكناً قاتماً، وفي وسطه السفينة (هاردينج) بيضاء بادية للعيان.

وقد اشترك في هذا الاستقبال ما يزيد على مئتين من الخيالة، وعشرون من الهجانة، وما يقرب من أربعة آلاف من المشاة يحمل معظمهم مسدسات وبنادق من نوع (مارتيني هنري)، وكان العلم الذي يحملونه عبارة عن راية عربية حمراء عليها شعار (ثقتنا بالله) أو كما هي بالعربية: (توكلنا على الله).

وتوجه اللورد كورزون في العربة عبر المدينة إلى بيت الشيخ المواجه للبحر حيث أطلقت له المدافع ٣١ طلقة تحية عند وصوله، وعقد عقب ذلك اجتماع في غرفة علوية من البيت كان الشيخ يستعملها كقاعة استقبال، وزينت في هذه المناسبة بصور ملونة لملك وملكة انكلترا، والملكة السابقة فيكتوريا، وبعد أن قدم إلى نائب الملك أبناء الشيخ الصغار قدمت القهوة العربية، ويبدو أن العلم التركي الذي كان يرفرف على بيت الشيخ في اليوم السابق لم يرفع في هذه المناسبة.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر قام الشيخ مبارك بزيارة خاصة لكورزون على ظهر السفينة (هاردينج)، وعندما دعي الشيخ للحديث قال أنه تخلى عن علاقته مع الأتراك، ودخل تحت الحماية البريطانية، وأنه أكثر من ذلك رفض العروض التي قدمتها فرنسا وروسيا له، وطلب أن تحرر أراضيه في أم قصر وبوبيان من الأتراك الذين استولوا عليها بالسرقة قبل هذه الزيارة بفترة قصيرة.

وقد رد اللورد كورزون على ملاحظات الشيخ بأنه مسرور لتعرفه على ما يدور في خلد الشيخ، وأن مطالبه هذه ستؤخذ بعين الاعتبار تماماً لكنه لا يستطيع أن يعد بتلبية أي منها ثم جرى الحديث عن قضية وكيل الشيخ في البصرة (عبد العزيز بن سالم البدر القناعي) الذي سجنته

الحكومة التركية بتهمة الخيانة، وأبلغ الشيخ أن السفير البريطاني يسعى لتخفيف الحكم الذي صدر عليه ثم غادر الشيخ مبارك بعد أن كرر الشكر لكورزون لزيارته للكويت، وللحماية التي قدمتها الحكومة البريطانية، وقد حضر المقابلة كل من السيد دان وزير الخارجية في حكومة الهند، والعميد المقيم السياسي في الخليج.

وبعد ذلك أخذ وزير الخارجية الشيخ مبارك من السفينة (هاردينج) إلى ظهر السفينة الحربية (هياسنت) التي بها غرفة قيادة نائب أمير البحر (اتكنسون ويليز)، وكانت هذه أول مرة تطأ فيها قدم الشيخ ظهر بارجة حربية، ولذا أبدى اهتماماً كبيراً بالسفينة ومدافعها، وبعد أن تناول القهوة في غرفة الأميرال غادرها، وأطلقت له مدافعها خمس طلقات تحية.

وفي الساعة العاشرة من مساء نفس اليوم غادر كورزون الكويت على ظهر السفينة (لورنس) تصحبها السفينة (سفينكس) في زيارة تفقدية لخور عبد الله، وخور موسى، وتأخر بقية الأسطول في الكويت حتى صباح الأول من ديسمبر، وقد خصص يوم الثلاثين من نوفمبر لمرافقي اللورد الذين بقوا في الكويت ليتجولوا بالمدينة، وما يحيط بها، وقامت صاحبة الفخامة عقيلة اللورد كرزون بنزهة في الخليج في قارب بخاري.

وجاء عقب ذلك في التقرير الذي رفعه اللورد كورزون إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن عن نتائج رحلته إلى الكويت ما يلي:

(لقد وجدت هنا كما في مسقط أن الرحلة في حد ذاتها بصرف النظر عن الوعود أو الالتزامات الجديدة كانت في نظر الحاكم رباطاً نهائياً يربطه بنا، واعترافاً رسمياً بحماية بريطانيا، وسيادتها، وفي الحقيقة أن الشيخ مبارك اعترف لي بصراحة في محادثته الخاصة معي أنه قطع كل ارتباط له مع الأتراك، وأنه يرفض كل علاقة مع أية دولة أخرى غير بريطانيا، وبعد ذلك طلب أن يحصل على لقب أو نيشان، ومن الواضح أنه طلب ذلك حتى تكون إقراراً بالعلاقة التي يعتبر الشيخ أنها قائمة بالفعل بيننا وبينه لا كخطوة أولية في نظام جديد أكثر تحديداً).

أما الاستطلاع الذي قام به اللورد كورزون في خور عبد الله، فقد جرى بأن دخلت السفينتان (لورانس وسفينكس) الخور في الصباح الباكر من الثلاثين من نوفمبر، وكانتا قد أنزلتا أعلامهما في السادسة والنصف صباحاً لتتجنب ضرورة تبادل المجاملات مع المراكز التركية التي لابد من المرور على مرأى منها بسبب عدم اعتراف الحكومة البريطانية بوجودها في بوبيان، وكان أول هذه المراكز

هو مركز رأس القيد الواقع على جزيرة بوبيان حيث وجد العلم التركي مرفوعاً.

وفي الساعة ١١ ونصف وصلت السفينتان (لورانس وسفينكس) إلى مرسى عند ملتقى خور الزبير وأم قصر، وارتطمت السفينة لورانس بلطف بلسان الأرض عند طرف جزيرة وربة الشرقي، وكانت قلعة أم قصر ترى محتلة على بعد ميلين أو ثلاثة أميال إلا أنه لم يكن يرى أي علم على السارية أثناء فترة وقوف السفن هناك التي استمرت من الساعة ١١ ونصف صباحاً إلى ١٢ ونصف ظهراً، وعندما مرت السفينتان من أسفل خور عبد الله في المساء في طريق عودتهما إلى عرض الخليج كان العلم التركي ما يزال يرفرف على مركز رأس القيد، ووصلت السفينتان إلى مدخل خور موسى في الساعة ١١ ونصف من مساء نفس اليوم.

وفي الساعة السادسة ونصف من صباح اليوم الأول من ديسمبر تم اختبار عمق المرسى هناك، وكان المد وقتها كاملاً تقريباً، وتابعت السفينتان (لورانس وسفينكس) الدخول إلى خور موسى، وحدث بعض التأخير نتيجة البحث عن المجرى، وعند التغلب على هذه الصعوبة اندفعت السفينتان أعلى خور موسى بأقصى سرعتهما إلى نقطة التقائه مع خور (جناقة)، وسارتا مسافة قصيرة أعلى فرع هذا الخور، وفي المساء التقت السفينتان (لورانس وسفينكس) مع بقية الأسطول عند تقاطع خط عرض ٨٤ ٢٩ شمالاً وخط طول ٨٠ ٤٩ شرقاً.

وبعد ذلك كان هناك ترتيب للقاء بين اللورد وشيخ المحمرة خزعل بن جابر، ولكن لم تنجح الترتيبات لذلك، وتبودلت بين الطرفين رسائل مجاملة بدلاً من ذلك، وبعد ذلك توجه اللورد كورزون إلى بوشهر، فوصلها صباح الثاني من ديسمبر، ولكنه قرر عدم النزول في المدينة بسبب خلاف على الترتيبات البروتوكولية مع السلطات الفارسية، ورغم ذلك قابل اللورد على ظهر السفينة هاردينج وفداً كبيراً من رعايا بريطانيا المقيمين هناك.

وفي الرابع من ديسمبر غادر اللورد كورزون بوشهر في طريق عودته إلى الهند بعد أن نجح في جولته في زيادة قوة الروابط السياسية لإمارات الخليج العربي ببريطانيا.

وتجدر الإشارة أننا استعنا في الكتابة عن رحلة كورزون بما ورد عن تفصيلاتها في دليل الخليج للوريمر (الجزء السابع)، والذي أورد ما جاء عن الرحلة في السجلات البريطانية الرسمية، وما نشر عنها من رسائل صحفية في جريدة التايمز في ديسمبر ١٩٠٣م، ويناير ١٩٠٤م.

***

رحلة نوكس بين الجهراء وحفر الباطن:

في ٢٤ يونيو ١٩٠٤م (١٠ ربيع الآخر ١٣٢٢هـ) وافق الحاكم السابع للكويت الشيخ مبارك الصباح على تعيين معتمد سياسي بريطاني في الكويت التزاماً منه باتفاقية الحماية التي كان قد وقعها قبل ذلك التاريخ بخمس سنوات، وبالفعل وصل الكولونيل (س.ج نوكس) كأول معتمد بريطاني إلى الكويت في أغسطس من نفس السنة، وتلقى تعليمات واضحة تنظم عمله في الكويت مفادها: (راقب دون أن تتدخل)، واستمر نوكس في منصبه هذا خمس سنوات أخرى حيث خلفه الكابتن شكسبير في منصبه في أبريل ١٩٠٩م (ربيع الآخر ١٣٢٧هـ).

وبعد حوالي سنة ونصف من وصوله إلى الكويت قام (نوكس) برحلة برية قصيرة نوعاً ما بين الجهراء وآبار حفر الباطن، ومن ثم العودة من الحفر إلى الشعيبة جنوبي الكويت، والتوجه شمالاً بعد ذلك إلى مدينة الكويت، ويلاحظ أنه لم يدخل مدينة الحفر بل اكتفى بوصف الطريق إليها، وكان الأمر أشبه بكشتة برية في جو بارد ممطر، وكتب نوكس عنها تقريراً لم يترجم حتى الآن، وقد رأيته ضمن وثائق المقيمية البريطانية في الكويت، وكلفت أحد الأحبة بترجمته، وقام بذلك مشكوراً، وأحببت أن أشرككم بأهم ما ورد في ذلك التقرير:

غادر نوكس قلعة الجهراء (لعله يقصد القصر الأحمر) في ٢٠ يناير ١٩٠٦م (٢٤ ذي القعدة ١٣٢٤هـ)، وعاد إلى الكويت في ٣١ من يناير (٥ ذي الحجة ١٣٢٤هـ) أي أن الرحلة استغرقت اثني عشر يوماً فقط، وكان الفريق المصاحب له يتكون من رجل يدعى (الملا عبد الله) من أهالي الكويت، وأربعة رجال آخرين من أبناء البادية تم تكليفهم من قبل الشيخ مبارك، وهم: (إربد (ربما اسمه عربيد) المويهي من مطير، وأوكلت له مهمة قيادة الفريق، وأعطيت له هذه الثقة من قبل الشيخ مبارك، وفهد الظفيري، ومريخان الرشيدي، وفهد الرشيدي)، وكان هؤلاء الأربعة يركبون جمالاً زودهم بها الشيخ مبارك.

وحمل نوكس معه خريطة للطريق، ولكن تبين له بعد ذلك أنها ليست دقيقة، وتزود ببوصلة جيب جيدة، واعتمد في حساب المسافات على مسير جمال الرحلة حيث وجد أن سيرها المنتظم يقدر بثلاثة أميال في الساعة.


الكولونيل نوكس وزوجته

وبدأت الرحلة بعد وداع مختصر للشيخ مبارك، ومن معه في الجهراء، والذين تمنوا لنوكس ورفاقه رحلة آمنة وسريعة، وانطلقوا في الساعة السابعة والثلث صباح السبت ٢٠ يناير، وفي السابعة مساء وصلت حملة نوكس إلى آبار الجهراء التي تبعد ميلاً واحداً فقط عن القلعة، ومسارها كان باتجاه الجنوب الغربي.

وكتب نوكس في أول أيام الرحلة: (معظم مسيرنا كان في الصباح مميزاً بالجو الغائم، وزخات المطر المؤقتة، وفي الساعة ٨،٣٥ مساء تركنا (خبرا البعل) على يميننا، وهذا الحوض جمع كمية من الماء، وفي المواسم الجيدة أخبرت بأن قليلاً من محاصيل القمح والشعير تنبت هنا، وفي الساعة ٨،٥٥ مساء أتينا وادي الرحية، ولمدة وجيزة بعد مغادرة هذا المكان أزعجنا ذئب انقض على جمل ميت، ومريخان الرشيدي انطلق لطائر جارح اصطاده ببندقيته، وكان هناك عدد كبير من طيور الطيهوج على طول الطريق في الباطن، وأطلقنا النار على أربعة أنواع منها يسميها البدو (كدني)، وكانت هذه الطيور جميلة ذات نعيب قاس يشبه نعيب الغراب).

وبعد انحراف زاوية منزلق ذهبنا باتجاه جنوبي غربي باتجاه غربي أكثر نحو السدة، وكانت هناك علامة جميلة في مقدمتنا اليمنى لحافة السدة (خبرة السدة)، وتسمى النهدين، والاعتراض الوحيد على التسمية أنه يوجد ثلاثة منها، وليس اثنتين!).

ويكمل نوكس: (قبل وصولنا إلى الحافة الصخرية للسدة نظرت خلف كتفي الأيسر حيث رأيت الأخوة التوأم (النهدين) خلفي، وعلامة أخرى ممتازة هي أم الروس (أم القمم)، فتسلقنا حافة السادة عن طريق قريب من سيل جاف غذي من السهل المرتفع، وكنا تقريباً نتجه نحو الأعلى طوال الرحلة، ولكننا الآن سوف ننزل إلى الشق).

في يوم الأحد ٣١ يناير كتب نوكس: (وابل من المطر القوي في الساعة ٥،٣٠ جعل من إفطارنا أمراً صعباً، وأجلنا حزم أمتعتنا، ولكن الحملة كانت متأخرة حتى الساعة ٧،٤٠، واتجاه سيرنا سيكون غرباً مع قليل من الجنوب الغربي فيه).

وفي يوم الاثنين ٢٣ يناير كتب: (رأينا تقريباً سبعة غزلان، وغادرنا في الساعة الواحدة مساء، وفي الساعة ٣،٣٠ مساء توقفنا في الرقعي لخمسة أميال أبعد، وبعض الرشايدة أخبرونا أخباراً سيئة بأنه لا أمل بأن نملأ قربنا من الرقعي، وعندما توقفنا في خبرة أم الحمير انطلقت أنا، وأربد، ومريخان لإيجاد الفرص الممكنة للعثور على الماء في الرقعي، وكانت الأرض من أم الحمير إلى الرقعي قاحلة جداً، فمنزلق حاد باتجاه الأسفل شرقاً مع ارتفاع منخفض إلى الغرب، والمياه الضئيلة تتجه إلى الأسفل باتجاه أم الحمير، وهذا أمر يتكرر خمساً إلى ست مرات، ويعتبر الإشارة الأولى الصحيحة للمراقب غير الخبير بأنه قريب من الباطن).

والآبار الموجودة في منتصف الشعيب حفرت، وحولها دهاليز قد ارتبطت بها، والبدو يقولون

بأنها أصلاً حفرت من قبل الذئاب، وأعتقد أنه وصف غير سيء).

وفي يوم الثلاثاء ٢٣ يناير كتب نوكس: (بدأت الحملة في الساعة ٧،١٠ صباحاً، ووصلت آبار الرقعي في الساعة ٨،٣٠ صباحاً، وكان هناك ماء قليل في بئر أم الخراجين، وتوجد الكثير من الآبار الأخرى، ولكن لا يوجد بداخلها سوى التراب، وحصلنا على نصف قربة من الماء الجيد، والبدو يقولون بأن هذا الماء من السنة الماضية، ولكن عندما يحصل سيل هنا وهناك، فإن الماء يبقى طوال مدة الصيف.

وكان وادي الباطن يلوح لنا عن قريب من هنا، ونحن تحركنا على طول المنزلق الجنوبي الغربي، واجتزنا آثار سلسلة من ستة سيول معظمها لها نفس خاصية الرقعي في احتفاظها بالماء تحت الأرض، وفي مسيرة اليوم نزلنا إلى شعيب الباطن، ويتكون الشعيب من طين ذي لون غامق به أثر الماء لكن معظمه من الماء الراكد الذي ترسب يميناً وشمالاً.

وإذا كانت الجهود قد بذلت لحفر بئر بين الرقعي والحفر من أجل تحسين الطريق بين البصرة والقصيم إلا أن الأمر لم يتم، وفي الشعيب يوجد الكثير من الأشجار المنخفضة التي يبلغ طولها القدر الذي يحجب به الغزال مثلاً، ولا يتجاوز عرض الشعيب أكثر من نصف ميل.

وأضاف أصدقائي البدو اليوم إلى حصيلتي المعرفية نباتين غير عاديين يسمون الأول (طرطوث)، وهو هجين بين الفطر واللفت، وجذره كان مكسوراً من كلتا الجهتين بحيث لا يمكنه الغور في أعماق كبيرة، وكان طوله عند إحضاره في كل مرة قدماً واحداً تقريباً، ولون الرأس والعنق وردي مائل للبني، وعند قطعه، فالشيء الذي بداخله أبيض ورطب، والبدو يأكلون الجذر، وقد تجرأ الطباخ على بهاراتنا، وصنع من الطرطوث وجبة شهية).

وفي يوم الأربعاء ٢٤ يناير كتب نوكس: (بدأت الحملة في الساعة ٧،٢٠ صباحاً، ووصلت إلى قصر بلال في الساعة ١٢,٢٥ باتجاه الطرف الشمالي الغربي من الباطن، ويبعد القصر تقريباً خمسة وثلاثين ميلاً من الرقعي، وهو بقايا قلعة طينية قديمة تاريخها غير معروف، وتنسب إلى بلال من بني هلال، والجدران القديمة تغطي مساحة بقدر خمسين خطوة تقريباً، وهو مربع الشكل، وهناك بقايا حطام ملقاة بعيداً، ولا يظهر أنها كانت تستخدم للسكن كما هو الحال في قلعة الشيخ مبارك الموجودة في السرة، والبدو يقولون بأن الرطوبة الضرورية لتماسك الطين جاءت من روث هذا الحيوان المفيد (الجمل)، ولكن الشيخ مبارك أخبرني بأنه توجد علامات بئر قديم في مكان ما هنا، ولكني

List of vernacular words used in the report.

A'athariyāh	اعذريات
Abulhiran	ابلحيران
Adān	عدان
Agthai	اقضي
As-Sādda	الساده
Atraf	الطراف
Atwal-uth-Thaffir	الطوال الضفير
Atwal-ul-Umteyr	الطوال المطير
Awwalin	اولين
Faleyj-ul-Janoobiya	فليج الجنوبية
Faleyj-ush-Shamaliyn	فليج الشماليه
Farida	فريده
Garaa	قرعه
Grayn	كرين
Hafar	حفر
Inheydeyn	انهيدين
Kasr-i-Ballal	قصر بلال
Khabra-ul-Bal	خبر البعل
Khabra-ul-Faragh	خبر الفراغ
Kha-i-Sadda	خب الساده
Kharja	خرجه
Managish	مناقيش
Mosannah	مسناه
'MR'oos	ام روس
Mutla'	مطلع
Rahaya	ارحيه
Rashaida-Rashidi	رشايده رشيدي
Rigai	رقعي
Sadiq	شادق
Sadda ridge	
Salaa'	سلع
Sedeyr	سدير
Shag	شق
Soliba	صلبه

قائمة وضعها نوكس للكلمات العربية التي استخدمها في تقريره

Report on Political Agent Koweit's Tour to Hafar in January 1906.

Duration of tour. The Political Agent left Jahra Fort on the 20th January and returned to Koweit on the 31st January. The tour thus lasted twelve days.

Composition of Party. The Political Agent was accompanied by Moolla Abdulla, Munshi, a Koweit town bred Arab, four Bedouin sowars, supplied as escort by Sheikh Mobarak:-

1. Erbid of the Umwaha, the leading section of the Umteyr, had a loose command over the escort, entrusted to him by Sheikh Mobarak. He was only primus inter pares.
2. Fahad of the Thaffir tribe.
3. Amreykhan } Rashaida.
4. Zahid }

These last two belong to an inferior Bedouin tribe with whom other Bedouins will not intermarry.
All the above were mounted on rakaib or trotting camels, supplied by Sheikh Mobarak.
Two Arab chuprassis, both town bred, one from Basrah and the other from Sadiq in the Sedeyr district of Nejd.
Seven camelmen from Sedeyr with 8 baggage camels very lightly laden. The Political Agent was thus the only foreigner in the party.

Map and intruments. A map of the route is attached but must not be regarded as more than the roughest indication of the country

الصفحة الأولى من تقرير نوكس حول رحلته

لم أر شيئاً لأحدد، ومن الواضح أن الشعيب أوسع، وقد يكون فيه حياة نباتية أكثر من أي مكان آخر، وكان مليئاً بالطيور الرملية (الطيهوج: دجاج البر).

وتركنا قصر بلال، وبقينا على مرأى من الحملة على الرغم من كونهم خلفنا بثلاثة أميال في الساعة الخامسة مساء، وعلى الرغم من كون مسيرة اليوم كانت طويلة إلا أن أرواحهم المعنوية كانت مرتفعة فضلاً عن الرقص والأغنيات التي لم تحد من سير الرحلة، ولابد أنهم على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من مخيمنا الأخير، وتقدمنا مع قدر لا بأس به من الهرولة حتى وصلنا آبار الحفر بحلول الظلام).

وفي يوم الخميس ٢٥ يناير كتب نوكس: (أعطانا الصبح فرصة لرؤية الحفر، وكل ما استطعت فهمه في الليل هو أننا كنا نميل أكثر وأكثر ليسارنا أي باتجاه الجنوب، ولكن اتضح أن الطريق مازالت أكثر جنوبية باتجاه القصيم، ولكن هذا مجرد إشاعة، وتقع الآبار في منتصف الشعيب الذي أصبح الآن عبارة عن سهل كبير دائري الشكل بقطر يبلغ تقريباً ثلاثة أميال.

ويبلغ الباطن من الطرف إلى الطرف الآخر ثمانية أميال تماماً عبر وادي الحفر، وهو واد رملي منخفض يقع إلى الشرق من الآبار، ويبلغ عدد آبار الحفر تقريباً أربعين بئراً، و ١١ منها فقط صالحة

لاستعمال البدو، ويبلغ عمقها حوالي مئة وخمسين قدماً، ويكون الماء فيها غالباً فاتراً، ويستطيع الشخص أن يرى الضباب يرتفع من أفواه الآبار في أجواء الصباح البارد، ويقول البدو بأنها عندما تترك من غير استخدام، فإن مستوى الماء يبلغ ثلاثين قدماً، وحفرت الآبار حول السهل بمئة ياردة إلى ربع ميل جانباً، وهناك بئر في مركز رابية ما على ارتفاع عشرة أميال تقريباً من مستوي السهل.

واصطفت هذه الآبار على شكل مبنى صخري قوي، وتبلغ الفوهة حوالي ستة أقدام من جانب إلى الجانب الآخر، والسهل في المنطقة المجاورة للآبار خال تماماً حتى أنه لم ينبت فيه حتى عود واحد، ولذلك سيكون الطبخ معتمداً على روث الجمال.

وتطير طيور الطيهوج جيئة وذهاباً فوق الآبار، وصرخاتي عليها أذعرت بشكل كبير راع مطيري جاء ليعتني بأغنام ستباع في العيد، وقد استنفد هو وفريقه الصغير مخزونهم من الماء منذ خمسة أيام، واقتربوا لتوهم إلى الحفر ليشربوا من الآبار التي بجانبها، ولما سمعوا صرخاتي المذعرة للطيور ظنوا أن هناك أعداء يتقاتلون مع بعضهم من أجل امتلاك آبار الحفر، وعلى أية حال، فالعطش مخيف أكثر من الحرب، فتجرأوا للمجيء بعد فترة وجيزة ليجدوا أنفسهم بين أصدقاء، وبدأوا يكلمون فريقنا عن الطريق والماء، وبعد فترة من الراحة بدأت الجمال رحلة العودة بأجسام ممتلئة بالماء.

ووصلت الحملة إلى أعلى قمة الجنوب الشرقي للباطن، وعند هذه النقطة في الغالب يقع الطرف الشرقي للباطن، وامتد طرف الحفر بعيداً، وحول قاعدته الشرقية كان هناك وابل متدفق إلى حوض الحفر يسمى الفليج الجنوبي، والذي يعتبر علامة لطريق اللصافة، وهو الأول من (طوال مطير)، وهي صف من الآبار المتجهة جنوباً بمعدل يومين إلى ثلاثة أيام جانباً، وفي المقابل يدخل فليج الشمالية الحفر من الشمال، ويعتبر علامة لطريق الدليمية، وهو الأول من (طوال الظفير)، وهو صف مشابه من الآبار.

ويمتد طريقنا عبر أراض قاسية مليئة بالحصى، وهذا النوع من الأراضي يسمى (حزم)، وهو مشابه لقمم المطلاع).

وفي يوم الجمعة ٢٦ يناير كتب: (بدأت الحملة في الساعة ٦،٣٠ صباحاً، وفي الساعة ٨،٣٠ كان اتجاه مسيرنا شرقي بانحراف شمال شرقي بحوالي سبعين درجة، وبقينا على نفس هذا الاتجاه طوال هذا اليوم، واليوم الذي يليه، والتلة التي اجتزناها كانت مشابهة كثيراً لما هو في اليوم السابق، والطريق عموماً كانت أكثر وعورة مما قد جربناه في الدبدبة بين الشق والرقعي).

وفي يوم السبت ٢٧ يناير كتب نوكس: (بدأت الحملة في الساعة ٦،٤٠ صباحاً، واسترحنا في الساعة ٤،٢٠ مساء، وبذلك نكون قد أكملنا مسير ثمانية وعشرين ميلاً، والغزال الذي اصطاده امريخان الليلة الماضية وجدنا نصفه مأكولاً من قبل الثعالب في الصباح، وعلى الرغم من ذلك، فقد أكله البدو، وقابلنا رشيدي مع قطيع من الأغنام، واشترينا واحداً مما عنده، وقد توقفنا في (أبا الحيران)، وهي خبرة كبيرة جداً يستطيع سيل كامل أن يملأها.

وتناولنا العشاء، وكان عبارة عن تمر ولحم قدم مع قهوة سوداء، وبعد ساعة من العشاء نزل المطر، وهبت علينا الريح من كل الاتجاهات، ولذلك كان من الصعب جداً أن تكون ليلتنا هذه مريحة، وقد أيقظت البدو عندما طلع الفجر، وكان صباحاً مظلماً مملاً كئيباً مع ريح شمالية خفيفة.

أحد رفاقي ذهب لملء القربة من برك مياه أمطار ليلة البارحة، واثنان آخران رتبوا فيما بينهم أمر إشعال النار على الرغم من رطوبة الحطب، والرذاذ الخفيف.

وأشبعنا ركائبنا، وملئنا القربة من حفرة ماء في (أبا الحيران)، والتي أخبرت بأن الماء سيتجمع فيها لمدة شهر بعد مطر ليلة البارحة، وبدأنا نهرول بقوة، وتوقفنا في الثالثة مساء في سهل مجرد من أي علامات في الدبدبة أيضاً، ويبدو أن هذه لحظة مناسبة لمناقشة أصل كلمة (الدبدبة)، فأكد البدو بأنها تعني الشيء الذي يعمله شخص ما عندما يضل طريقه، ولكن يبدو لي أنها المكان الذي يزحف على طوله الشخص ليحفظ اتجاهه، ويلوح بعدم ثقة يميناً وشمالاً، والحية هنا تسمى (داب)، وأثرها وطريقها مشابه جداً لأثر الدليل الهادئ البدوي، والمرتفعات والمنخفضات كافية تماماً لإخفاء حتى الجمال، ومع ذلك، فإنه متدرج بشكل كبير، ولكنه خال من أي علامات).

في يوم الثلاثاء ٣٠ يناير كتب: (تركت الحملة المخيم في الساعة صباحاً لكن الركائب أخذت درساً من تجاربنا السابقة، وبقيت فوق وقود نار المخيم حتى الثامنة لأعطي علامة البداية، ومسافة الأربعة أميال التي قطعناها أعطتنا رؤية كاملة للطرف الشرقي للشق، ومن هنا يستطيع البدوي تمييز منطقة الصبيحية، وهي منخفضة قليلاً على يمين الحافة الأكثر ارتفاعاً، ورأينا في طريقنا الطرف الغربي للشق، وعلى يميننا هناك النجد المرتفع من قارة، والذي يحضر منه البدو العلف اليابس للكويت.

والمناقيش هي مجموعة من التلال الضاربة إلى البياض تقع على بعد عشرة أميال، وهي تعتبر علامة جيدة للمكان بالإضافة إلى حفرة ماء تسمى الثميلة، والشخص الذي يذهب من هنا إلى الجهراء يترك المناقيش والثميلة إلى اليمين، ويتركهما على اليسار عند ذهابه إلى الكويت، وأيضاً عند

ذهابه من الصبيحية إلى الجهراء يقعان على اليسار.

وقد استغرق اجتياز وادي الشق ساعتين من أقصى الغرب إلى أقصى الطرف الشرقي له، والخط الفاصل بين الحمض والعرفج يقع في منتصف الطريق في (خبرة الدويش).

وفي الساعة ٢،١٠ مساء شاهدنا أولاً (برقان)، وبعد فترة وجيزة رأينا (وارة)، ومن ثم أخذت اتجاه ٨٩ درجة، و٧٤ درجة على التوالي، وتوقفت وفقاً لمسير الحملة، فقد قطعنا اليوم ٢٢ ميلاً، وما يزال أمامنا أربع ساعات تقريباً من آبار الصبيحية، ونستطيع الآن الانطلاق بصورة مباشرة إلى الكويت، وأقدر أن المسافة بين الصبيحية والحفر وفقاً لساعات مسيرنا تبلغ تقريباً ١٤٦ ميلاً، ولكن ما العمل مع الجمال المتعبة، والطريق المتعرج؟!).

وأخيراً في يوم الأربعاء ٣١ يناير كتب نوكس: (الحملة كما رتبنا ستتابع في بطء ليومين، ولكن الركائب قد غادرت المخيم في الساعة ٦،٤٥ مساء، وذهبت مسرعاً، وبثبات حتى المساء حين رأينا المطلاع عبر الخليج، وتركنا برقان ووارة على يميننا، وفيما كانت البئر علامة لحافة (العدان)، وعلى اليسار رأينا سهل (كبد).

واتجاهنا العام كان ٣٥ درجة، ووصلنا الكويت في الساعة الرابعة مساء، ووجدنا الشيخ مبارك جالساً في الصفاة، فذهبنا لتحيته، وعلى الرغم من تأخرنا يوماً واحداً فقط إلا أنه كان قلقاً جداً لأنه لم تتوفر لديه أخبار عنا طوال الوقت، ولذلك فقد بدا سعيداً جداً لرؤيتنا.

والأخبار العادية عن الطريق أعطيت للشيخ بصورة تكميلية من تقرير إربد الرسمي، ومن ثم أخذنا الإذن بالمغادرة، وكانت الإصابة الوحيدة في الطريق هو فقدان جمل بحمولته كان دائماً ضعيفاً، فقد تركناه خلفنا بالمسنة، والحمولة التي تتبعنا جاءت في اليوم التالي، وهذا لا يعتبر سيئاً حيث أنه حتى الرجال الذين أبدوا اعتراضهم في الجهراء عملوا معي بجد، وعن طيب خاطر طوال الرحلة، ولم يثيروا أية مشكلات على الرغم من الجوع والعطش والبرد والمطر، وكان الجميع كلهم أصحاء، ومستعدين للعمل).

***

رحلة نواب بهادر:

رحالة مسلم هندي الجنسية هاشمي الأصول زار الخليج العربي والعراق سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، وتتميز رحلته بكونها رحلة نادرة لرجل شرقي للمنطقة كما أنها خط سيرها جاء على عكس الرحالة الغرب من الجنوب إلى الشمال، وبذلك يكون مر على مناطق لم يتطرق إليها من سبقوه من الرحالة الذين كانوا يأتون للمنطقة قادمين من بلاد الشام.

ذلك هو (نواب حميد يار جونك بهادر)، وهو من الأثرياء ذوي الأصول العربية الشريفة، وكان قد انطلق من بومباي برفقة والده شديد الاهتمام باقتناء الخيول العربية متجهين إلى الكويت التي وصلاها يوم الأربعاء ١٩ صفر ١٣٢٥هـ (٣ أبريل ١٩٠٧م)، ولم يمكثا أكثر من ساعة على شاطئها، ولكن (نواب حميد) كتب عنها هذه الفقرة:

(تقع الكويت على ساحل الجزيرة العربية، وأغلب سكانها من التجار العرب، وسلطان الكويت يتمتع باستقلال تام، وله تأثير عظيم في شعبه، وهو غني جداً، ويمتلك عدداً كبيراً من بساتين النخيل على ضفتي شط العرب، وفي الكويت يقيم قنصل بريطاني هو الميجر نوكس، وهو الأوربي الوحيد فيها!).

وبعد الكويت تنتقل السفينة بنواب حيدر ورفاقه إلى الفاو ثم المحمرة، فالبصرة، ومن هناك أكملوا طريقهم في العراق، وعندما عاد نواب حميد إلى بلاده سارع بطبع مذكراته عن تلك الرحلة، والتي صدرت طبعتها الهندية سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) عن مطبعة جريدة بومباي، ولم تترجم إلى العربية حتى الآن حيث استفدنا مما نشرته مجلة المورد العراقية عن تلك الرحلة.

***

أول طبيبة في الكويت:

نلتقي بطبيبة أميركية لم تزر الكويت فحسب بل عاشت فيها ثمانية عشر عاماً، وهي إليانور كالفري أو (الخاتون حليمة) كما سماها الكويتيون، والتي وصلت الكويت في ديسمبر ١٩١١م (ذي الحجة ١٣٢٩هـ) إبان حكم الشيخ مبارك الصباح مع أطباء آخرين وضعوا اللبنات الأولى لمستشفى الإرسالية الأميركي (المستشفى الأمريكاني).

وتصف كالفري لحظة وصولها إلى الكويت قائلة: (لم أر شجرة نخيل واحدة، ولا رقعة صغيرة

يمكن القول أنها خضراء، ومع كل ذلك، فلقد كان للكويت أوجه جمال خاصة بها.. جمال الرمال المستحمة في الشمس مقابل زرقة منعشة في البحر، وفي السماء، ولقد أحببت هذه المدينة الصحراوية عند الشاطئ منذ الوهلة الأولى).

وتصف لنا كالفري ما رأته في طريقها إلى منزلها للمرة الأولى: (مررنا بعدة أبواب، وسمعنا طرطقة المدقة في الهاون النحاسي لإعداد القهوة (المشروب المفضل عند العرب)، وقد استهوتنا رائحة البن المحمص، وذكرتنا رائحة السمك المشوي باقتراب موعد الغداء).

وحكاية كالفري في الكويت يجدها القارئ في كتابها الذي ترجم إلى العربية بعنوان (كنت أول طبيبة في الكويت) رغم أن الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب هي (أيامي ولياليّ العربية)، وفيه معلومات مهمة عن معركة الجهراء، وبناء السور الثالث، والمحاولات الفاشلة للتبشير بالنصرانية، والحالة الصحية في الكويت خلال النصف الأول من القرن العشرين.

وعلى ذكر الأطباء الأمريكان في الكويت، فإن من يقرأ مذكرات الطبيب ستانلي ماليري التي ترجمت إلى العربية، ونشرت تحت عنوان (الكويت قبل النفط) يجد معلومات وافرة عن الدور الذي كانت تقوم به الإرسالية الطبية الأمريكية في الكويت سواء في دورها المحمود في معالجة الناس بعلاج طبي علمي أو دورها المشبوه في التبشير بالنصرانية!

***



إليانور كالفري مع مريضاتها الكويتيات



باركلي رونكيير

زيارة باركلي رونكيير:

من الرحالة المميزين الذين مروا بالكويت والمنطقة ذلك الشاب الدنماركي المسمى (باركلي رونكيير)، والذي جاء إلى الكويت في ربيع سنة ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) يحمل آلة تصوير مما ساعده على تقديم بعض بواكير الصور الفوتوغرافية التي التقطت في الكويت بعد شكسبير، وقلائل قبله.

ورونكيير هو الابن الوحيد لعالم النباتات البروفسور كريستان رونكيير (١٨٦٠ - ١٩٣٨م)، والكاتبة انجبورج (١٨٦٣ - ١٩٢٠م)، وقد ولد سنة ١٨٨٩م، وسافر مع والده سنة ١٩٠٩م إلى تونس لمساعدته في أبحاثه لدراسة أسلوب الري الزراعي في البلاد العربية، وبدأ رحلته إلى الجزيرة العربية، وعمره ٢٣ سنة، وقد مرض أثناء الرحلة، ومازالت تزداد حدة المرض عليه بعد رجوعه إلى بلده حتى مات فيها سنة ١٩١٥م، وعمره يناهز الخامسة والعشرين.

وقد ترك رونكيير كتاباً بعنوان (عبر الأرض الوهابية على ظهر جمل) ترجم إلى الانكليزية ثم إلى العربية على يد منصور الخريجي، ونشرت الطبعة العربية عن دار العبيكان قبل عدة سنوات.

كان رونكيير مبتعثاً من الجمعية الجغرافية الملكية الدنماركية، وعلى علاقة طيبة بالألمان حلفاء الأتراك مما سهل رحلته، ولا يبدو أن لرحلته هدفاً سوى تأليف كتاب عن المنطقة، وتهيئة القاعدة لبعثة دنماركية لاحقة، وقد بدأ رحلته من اسطنبول مستقلاً وسائل نقل متعددة كالقطارات، وعربات

الخيول، والسفن حتى وصل إلى بغداد، ومنها ركب يوم الثلاثاء ١٦ يناير ١٩١٢م (٢٦ محرم ١٣٣٠هـ) سفينة شراعية على نهر دجلة متجهاً إلى البصرة، ومنها إلى الكويت.

وفي الكويت التقى رونكيير بحاكمها الشيخ مبارك الصباح، وصوّره صورة فوتوغرافية نادرة كما نام عدة ليالي في قصر السيف، فوصف دقائق هذا القصر، وطبيعة الحياة فيه ثم التفت إلى البحر، فأسهب في الحديث عن علاقة الكويت بالبحر، ووصف أسواق العاصمة كسوق الفحم، وسوق البشوت، وسوق اللحم.

ولا يبدو أن معمار المدينة راق له كثيراً حيث كتب في ختام فصله عن الكويت: (إن الكويت بلد الصحراء دون أي حدائق أو مساحات خضراء، وتأتيها الذرة والخضروات والتمر من الفاو، وأماكن أخرى إذ لا يرى فيها أي أرض خضراء مزروعة، ولا توجد أيضاً بها شجرة واحدة إذا استثنينا بعض أشجار الأثل، وما عدا الشباب الذين يعملون في البحر، والبدو الذين يغشونها، والذين لا يعرفون الزراعة، فإن الكويت ليست أكثر من مكان طيني بين الصحراء والبحر).

ومن الكويت رافق باركلي إحدى قوافل التجارة المتجهة إلى بريدة مروراً بالزلفي ثم مر بالغاط، والمجمعة، ومدن سدير، فالمحمل، والشعيب، فالعارض، وفصل مجريات ذلك في رحلته حتى وصل الرياض يوم الأربعاء ٢٧ مارس ١٩١٢م (٨ ربيع الآخر ١٣٣٠هـ) ثم واصل رونكيير رحلته الى الهفوف والعقير في ٢٩ مارس، فالبحرين حيث بقي حوالي الشهرين، ومنها عاد إلى الهند فيما يبدو ليركب بعد ذلك الباخرة التي عادت به إلى الدنمارك.

وحالما عاد باركلي رونكيير إلى الدنمارك قام بتبييض ما كتب، وسارع إلى إصدار كتابه سنة ١٩١٣م مما يعطيه كثيراً من المصداقية حيث أن الكتاب صدر بعد عام واحد فقط من القيام بالرحلة مما يجعل أحداثها ماثلة في ذهن المؤلف لم تمتد لها يد النسيان.

***

شاب هندي في الخليج:

في سنة ١٩١٦م (١٣٣٤هـ) طاف بمدن الخليج شاب هندي تخرج للتو من جامعة أكسفورد بلندن يدعى (سي أم كرستجي) قاصداً أن يؤلف كتاباً عن رحلته يحقق له بعض الثراء خاصة وأن

كتب الرحالة في الشرق كانت تحظى برواج كبير في الأسواق الأوربية وقتئذ.

وطبع كرستجي كتابه (أرض التمور) سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ)، وفيه أحاديث شائقة بأسلوب يمتاز بالشاعرية عن مدن في الخليج مثل (دبي، والمنامة، والكويت، والبصرة، والمحمرة)، وقد ترجم الكتاب إلى العربية بعنوان (أرض النخيل)، ولكننا نقلنا هذه المعلومات عن النسخة الانكليزية.

وصل كريستجي الكويت عن طريق البحر بعد ظهر الخميس ٢١ سبتمبر ١٩١٦م (٢٣ ذي القعدة ١٣٣٤هـ)، ونزل في ضيافة رجل من تجار الكويت الأثرياء يدعى عبد اللطيف (دون توضيح أكثر)، وفي اليوم التالي زار الرحالة الهندي قصر الحكم، والتقى بالشيخ جابر المبارك، وتعالوا نصحبه في وصف تفصيلي لتلك الزيارة.

يقول كريستجي:

(بعد أن أرسلنا إشعاراً بقدومنا سرنا على أقدامنا نحو قصر الحاكم، وهو عبارة عن مبنى ملتوي يتكون من عدة وحدات إنشائية، ويمتد فوق مساحة واسعة من الأرض، وإذا كان هذا المبنى لا يتميز بطابع فخم، فهو يتميز بالتأكيد بمنظر رائع كما يبدو جميلاً من خلال شرفاته العديدة، وسطوحه المنبسطة، والمنظر العام الشامل الممتد، وبعد أن صعدنا على سلم خشبي خال من الزخرفة، ومتخلخل إلى حد ما لا يتلاءم مع وجوده في قصر دخلنا غرفة واسعة للانتظار مجاورة لقاعة مجلس الشيخ، ولغرف المعيشة، وكانت الغرفة مزدحمة بثلة متنوعة من أتباع الشيخ وحرسه الشخصي كما يقف خارجها الحراس والعساكر الذين كانوا ينظرون إلينا شزراً بعيون مرعبة تواقة للقتال كما كانوا مدججين بتشكيلة متنوعة من الأسلحة كالبنادق بأنواعها الحديثة والقديمة، والمسدسات بمختلف أنواعها، والسيوف الطويلة، والصوارم المعقوفة، والسكاكين القاطعة، والنصال الحادة، والخناجر، والحراب، والرماح.

وبعد أن مررنا بهؤلاء العساكر العرب الذين كانوا يتفرسون فينا ملياً تم إرشادنا نحو غرفة المجلس حيث قام صديقنا السيد عبد اللطيف بتقديمنا إلى حاكم الكويت، فالغرفة التي يتداول فيها الشيخ الرأي حول شؤون الدولة مع أعضاء مجلسه عبارة عن قاعة كبيرة واسعة رحبة ذات سقف مرتفع مزخرف على نحو غريب بنقوش بسيطة ملونة من الأشكال الجمالية الشهيرة المصقولة والمحفورة داخل أطر صغيرة مذهبة مربعة الشكل، وقد أقيمت في صدر الغرفة التي تطل على المرفأ منصة وضع عليها كرسي كبير مذهب، ويصطف على جانبي القاعة عدد من الأرائك والمقاعد كما فرشت أرضية

الغرفة بالسجاد الفاخر، وعلقت عند الجدار صورة ملونة مزينة لصاحب الجلالة الملك الإمبراطور جورج الخامس.

وكان الشيخ حاكم الكويت الذي يحمل وسام فارس إمبراطورية الهند من الدرجة الأولى جالساً على كرسي الحكم فوق المنصة، وقد استقبلنا بحفاوة بالغة، ووقف مصافحاً لنا بيده، وأجلسنا إلى جانبه الأيسر على مقربة دانية من المنصة، وهو رجل في الخمسين من عمره تقريباً أو أكثر من ذلك بقليل إلا أنه يبدو دون سنه الحقيقية إذ يتمتع بمظهر حسن.

وتبدو سيماؤه كئيبة إلا أنها تفصح عن ذكاء خارق، وهو لا يتحدث الانكليزية أو الهندية، ولذا فقد كانت وسيلة التخاطب بيننا معطلة، وكانت القاعة غاصة بأعضاء مجلس الدولة، ومعظمهم من الكهول الوقورين المبجلين ذوي النفوذ، وأحدهم سبق له أن زار بومباي، وهو يتحدث الهندية تقريباً، وبمساعدته، ومساعدة ترجماننا السيد عبد اللطيف تبادلنا مع سموه محادثة قصيرة عادية دارت حول سفرنا، وصحتنا، وحول الطقس، وحول بعض الموضوعات الأخرى العابرة، وقد قال لنا الشيخ أنه يعتزم زيارة بومباي عما قريب، وقد تطوعنا بالطبع بتقديم خدماتنا إليه لكي نجعله يشعر بالراحة أثناء زيارته لها، وبعد تقديم القهوة استأذنا بالانصراف).

وفي الهامش يكتب كريتسجي: (وقد توفي الشيخ الذي قابلناه بعد فترة قصيرة من زيارتنا له، والشيخ الحالي هو شقيق الحاكم المتوفى)، وبالفعل، فقد توفي الشيخ جابر المبارك بعد شهر ونصف من تلك الزيارة.

كما تجول كرستجي في أسواق الكويت، فرأى بائعي اللحوم، والصرافين الذين جلس كل منهم أمام صندوق ممتلئ بالعملات النقدية كما زار المدرسة المباركية، وتلقى دعوة للغداء في بيت مضيفهم السيد عبد اللطيف، وكان وليمة على الطريقة الأوربية حيث جلسوا على المقاعد، وطاولة الطعام، وقدمت لهم المناديل، والأطباق، والكؤوس، والسكاكين، والشوك، والملاعق.

***

رحلة رونالد ستورس:

صدرت مذكرات السير رونالد ستورس تحت عنوان (توجهات بريطانية شرقية) أول مرة في



رونالد ستورس



غلاف مذكرات ستورس

لندن سنة ١٩٣٧م، وأعيدت طباعتها في نيويورك سنة ١٩٧٣م، وقد ترجمها أخيراً إلى العربية المؤرخ الدكتور رؤوف عباس حيث صدرت ضمن أعمال (المشروع القومي المصري للترجمة)، وتعد هذه المذكرات برأي العديد من المؤرخين والدارسين من أهم مذكرات المسئولين البريطانيين والأوروبيين، وجاءت ترجمة الكتاب الذي يروي تفاصيل مأساة الشعب الفلسطيني في أكثر من (٦٨٠) صفحة من القطع المتوسط.

وقد تخرج ستورس من جامعة كامبردج، واتجه إلى الدراسات الشرقية وهو طالب، واهتم باللغة الفارسية كما درس اللغة العربية على يد المستشرق وأستاذ اللغة العربية براون، ووقع عليه الاختيار للعمل ضمن البعثة البريطانية في القاهرة، وفي سنة ١٩٠٤م وصل ستورس إلى القاهرة ليعمل موظفاً بالإدارة المالية مدعوماً بتوصية إلى الليدي كروم زوجة المعتمد البريطاني، وظل يتنقل بين عدة وظائف حتى تم اختياره السكرتير الشرقي بدار المعتمد البريطاني أو (قصر الدوبارة).

وبقي ستورس في مصر حتى سنة ١٩١٧ عندما قام برحلته إلى العراق والكويت ثم تولى منصب الحاكم العسكري للقدس ما بين ١٩١٧م و١٩٢٠م ثم أصبح حاكماً للقدس حتى سنة ١٩٢٦م، وانتقل من هناك ليكون حاكماً لقبرص، وبقي في المنطقة لمدة إحدى وعشرين سنة، وقام بعدة مهام في بغداد، ومع الشريف حسين خلال الثورة العربية.

وهنا سنتطرق لمسألة وصوله للكويت سنة ١٩١٧م براً، ومحاولته السفر عن طريق البر أيضاً من الكويت إلى الرياض ليقابل الملك عبد العزيز آل سعود، ولكنه اضطر للعودة بعد أن بدأ الرحلة

فعلاً ليعود من الكويت بحراً إلى الهند.

غادر ستورس البصرة يوم الأحد ٣ يونيو ١٩١٧م (١٢ شعبان ١٣٣٥هـ)، فتوجه إلى المحمرة، وقابل حاكمها الشيخ خزعل، وبعد ذلك ركب السفينة ليتجه من الفاو إلى الكويت التي وصلها في الرابع من يونيو ناوياً المغادرة منها إلى بريدة رغم حلول فصل الصيف.

والتقى ستورس في الكويت بحاكمها الشيخ سالم المبارك الصباح، وقال عنه أنه (يتميز بالدهاء مع محافظته على مظهر الحاكم المسلم الورع، وقد أعجبت به)، وفي اليوم التالي أرسل الشيخ سالم سيارته المينرفا، والتي سارت بهم وسط الطرق الضيقة، والسوق المسقوفة حتى بلغوا القصر، وهو مبنى جيد.

وعن مدينة الكويت كتب ستورس: (الكويت مدينة نظيفة أحسن طقساً من البصرة، ويتم بها بناء القوارب والسفن الصغيرة التي تخرج للصيد أو السفر بمهارة تامة، وأعداد كبيرة، والأسواق بها جيدة، ولكنها أغلى من أسواق العراق).

وبعد أن رتب ستورس مع النفيسي وكيل ابن سعود في الكويت لزيارة الرياض، وبدأ رحلته عبر الصحراء إلى نجد، وتجاوز ماء الصبيحية جنوب الكويت تعرض لوعكة صحية كما أن متاعب في السفر اضطرته للعودة إلى الكويت، ومنها ركب سفينة عادت به إلى الهند ثم إلى مقر عمله في القاهرة، وليكمل بعد ذلك حياته السياسية.

***

الجندي فوجن في الكويت:

خلال سنة ١٩٢٨م شهدت المنطقة بعض الاضطرابات كما تعرضت الكويت لبعض التهديدات التي أعقبت معركة الرقعي مما دعا الشعب الكويتي للاستعداد للدفاع عن وطنه كما قامت بريطانيا المرتبطة باتفاقية الحماية مع الكويت بإرسال قوة عسكرية عبر سفنها البحرية عسكرت خارج المدينة في المنطقة الواقعة بين العاصمة الكويتية ومدينة الجهراء لمدة شهرين، وانسحبت بعد زوال تلك التهديدات، ومن بين أفراد تلك القوة كان الجندي البريطاني (فوجن) الذي تميز عن بقية رفاقه بأنه وثق هذين الشهرين فوتوغرافياً من خلال الكاميرا التي كان يحملها، وتحريرياً عبر المذكرات التي تركها.

وقد قام الباحث الكويتي (محمد إبراهيم الشيباني) بترجمة ونشر هذه المذكرات في كتاب صغير صدر عن (مركز المخطوطات والتراث والوثائق) في الكويت ليطلع القارئ على تفصيلات ومعلومات تخص تلك الأحداث لم تكن المعلومات المحلية وحدها قادرة على تعريفنا بها.

ومع أوائل مارس ١٩٢٨م (رمضان ١٣٤٦هـ) أقام العساكر الانكليز مخيمهم على بعد ربع ميل من شاطئ البحر، وبدأوا بإجراء تمرينات عسكرية مع القوات المحلية، وتدفق الناس لمشاهدة ذلك، فكتب (فوجن) واصفاً: (شكلوا صفوفاً متراصة في مشهد عظيم، ونسمات الهواء جعلت الأعلام ترفرف من على صواريها في حين كانت السيوف والرماح تبرق، وتلمع من انعكاس أشعة الشمس عليها كما كان الهواء يحمل صدى دقات الطبول، وصيحات الرجال المنفعلين).

ويكمل فوجن مذكراته، ويذكر في يومياته أحد أيام شهر رمضان الذي حل خلال وجود صاحبنا في الكويت: (عندما تم توزيع الرجال على السور سار الكابتن، والممثل السياسي، والشيخ أحمد الجابر حول السور يتفقدون المواقع، وكان منظراً رائعاً أن ترى العرب يقومون بأداء العبادة في المساء. كانوا يتركون أماكنهم على السور، ويتوجهون بصلاتهم إلى مكة ثم تفرقنا قبل مغيب الشمس: القوات البحرية إلى خيامها، والعرب إلى بيوتهم بانتظار مدفع الإفطار).

ويقدم فوجن وصفاً جيداً عن الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت وقتئذ، فيذكر أنه ذو لحية داكنة، ووجه لطيف، ورغم بدانته إلا أنه كان يخرج كل مساء مع أصدقائه في سيارته، ويمارس رياضة الجري مع مرافقيه. أما قصر الشيخ، فهو عبارة عن مبنى أبيض واسع من الطراز العربي التقليدي، والأثاث الذي في الداخل مريح، وعلى طرز غربية، وقد دعاهم الشيخ لاحتساء القهوة، و(الشربت)، وهو شراب الورد الأحمر ثم تفرجوا على ألبومات الصور الفوتوغرافية التي يمتلكها الشيخ، وفيها صور لزعماء عرب وغربيين كثر.

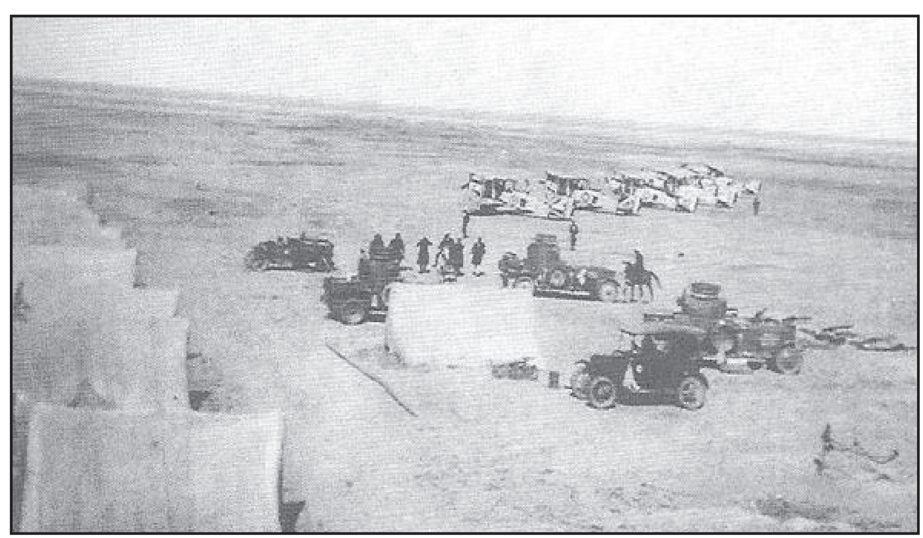
أما الكويت نفسها، فيكتب عنها فوجن: (تقع الكويت على حافة الخليج العربي، والبيوت فيها متلاصقة جداً حيث أنه لم تترك مساحات للطرق، وفي الواجهة يقع مقر المندوب البريطاني (بيت ديكسون حالياً)، والمراكب والأشرعة تنتشر على الشاطئ، ومؤخرتها تصل إلى الشارع. أما السوق، فإنه نظيف وممتع، ولا يوجد شيء مصنوع محلياً، ولكن الأشياء الغريبة وتنسيقها كان ينفذ إلى قلوب من يعشق جمع تلك الأشياء النادرة التي يمكن شراءها بعد قليل من المساومة: أواني القهوة بأشكالها الجذابة. مرشات ماء الورد. السيوف. الخناجر. البنادق من كل نوع وشكل، وتستطيع التجول بين الدكاكين الصغيرة الدافئة الممتعة، وتأخذ أي شيء ترغب فيه، وفي الممرات يجلس العرب



جنود الفرقة البريطانية في الكويت سنة ١٩٢٨م مع بعض الكويتيين عند السور

مقرفصين يحتسون قهوتهم، وينهمكون في الحديث مع بعضهم، وكأننا غير موجودين).

ويكمل فوجن: (معظم الشوارع تقود إلى السوق حيث تجلس النساء المنقبات على الرمل، ويحمين أنفسهن من الشمس بنوع من الحصير، ويبعن الطعام الذي لا نعرف أصله وماهيته بسبب العدد الضخم من الذباب الذي يغطيه، وخارج هذه المنازل تمتد الصحراء تتخللها بعض الزروع حول الآبار في حال توافرها).



من آليات القوة البريطانية في الكويت سنة ١٩٢٨م

ويضيف: (حول المدينة يوجد سور طوله ثلاثة أميال ونصف الميل، ويمتد من البحر إلى البحر، وهو من الطين والإسمنت، ومقام عليه واحد وثلاثون برجاً، وله أربعة أبواب، وعلى الجزء الأكبر من السور توجد منطقة إطلاق النار، وفوقها فتحات، وقرب البوابة الجنوبية يوجد قصران واحد لشيخ الكويت، والآخر لشيخ المحمرة المسجون حالياً في طهران).

واستمر وجود القوة الانكليزية مدة لم تحدث فيها مناوشات سوى حادثة مقتل أحد الرعاة، ومطاردة قاتليه، وعندما جاءت باخرة أخرى لتحل محل الباخرة التي جاءت بفوجن ورفاقه استعد صاحبنا للمغادرة في شهر أبريل متجهاً إلى بومباي، وهو يكتب في مذكراته مختتماً ذكرياته في الكويت: (لقد كان التغيير للروتين شيئاً جميلاً، والعيش في الخيام، وكل شيء يمثل لنا تجربة ممتازة).

***

آل ديكسون.. عشق بريطاني للكويت:

(بيت ديكسون).. أو (بيت أم سعود) كما نسميه مازال يقف شاهداً قرب شاطئ البحر في العاصمة الكويتية (مقابل سوق شرق)، وهو يحكى قصة اثنين من الأجانب قدما إلى الكويت، فأحباها، وبادلهما الكويتيون الحب.

تبدأ القصة عندما جاء هارولد ديكسون، وزوجته السيدة فيوليت إلى الكويت ليتولى الزوج مهام منصبه كسابع معتمد بريطاني في الكويت يوم الأربعاء ٢٢ مايو ١٩٢٩م (١٢ ذي الحجة ١٣٤٧هـ)، وكان الزوج قد ولد في بيروت يوم الجمعة ٤ فبراير ١٨٨١م (٤ ربيع الأول ١٢٩٨هـ)، والتحق بالجيش البريطاني سنة ١٩٠٣م، وعين حاكماً سياسياً في جنوب العراق سنة ١٩١٦م، وبعد ذلك صار معتمداً سياسياً في البحرين سنة ١٩٢٠م ثم نقل بذات المنصب إلى الكويت، واستمر معتمداً فيها حتى يوم الثلاثاء ٤ فبراير ١٩٣٦م (١١ ذي القعدة ١٣٥٤هـ)، ورغم انتهاء مهمته في الكويت إلا أنه استمر يسكنها، وعمل منسقاً بين الحكومة البريطانية وشركة النفط حتى توفي يوم الاثنين ١٥ يونيو ١٩٥٩م (٨ ذي الحجة ١٣٧٨هـ)، ودفن في الأحمدي كما أوصى ثم نقل جثمانه فيما بعد ليدفن في ساحة السفارة البريطانية.

وتضم المكتبة التاريخية للكويت كتابين من تأليف هارولد ديكسون هما (عرب الصحراء، والكويت وجاراتها) ضمنهما الكثير من الحكايات والحوادث التي عايشها بنفسه، وكان شاهد العيان



ديكسون وزجته بالملابس العربية خلال زيارتهما لقصر الملك عبد العزيز بالرياض

الوحيد على بعضها كما يلحظ قارئ كتبه اهتماماً ملحوظاً بالقبائل، وأنسابها، وتواريخها، وهو في هذا المجال مصدر موثوق يروي عن أصحاب الاختصاص بدقة (في الغالب).

واشتهر ديكسون بكنية (أبي سعود) حيث أنه سمى ولده الأكبر سعوداً تلبية لرغبة الملك عبد العزيز آل سعود، فقد بشر ديكسون بالمولود خلال مؤتمر العقير الذي حضره مع الوفد البريطاني، وضم الملك عبد العزيز سنة ١٩٢٠م كما أن له بنتاً تحمل اسماً عربياً هو (زهرة)، وقد ولدت زهرة في الكويت، وعاشت فيها إلى أن تزوجت، وغادرت إلى بريطانيا، ولها كتاب مترجم إلى العربية بعنوان (الكويت كانت منزلي).

أما السيدة ديكسون (أم سعود)، فقد قدمت إلى الكويت مع زوجها، واستمرت تقيم في الكويت طوال عمرها حتى بعد وفاة زوجها، ولم تغادر الكويت إلا عند حدوث الاحتلال العراقي الغاشم سنة ١٩٩٠م، فغادرت البلاد إلى لندن حيث توفيت قبيل تحرير الكويت سنة ١٩٩١م، وصدر لها أيضا كتابان هما (أزهار الكويت والبحرين، وأربعون عاماً في الكويت)، وسجلت في الأخير مذكراتها كما شاركت زوجها في كتابة بعض موضوعات كتبه فيما يتعلق بالنساء، والنباتات، والحيوانات البرية.

أما منزل الأسرة الشهير (بيت ديكسون)، فيعد من المتاحف المعروفة في الكويت، وقامت إدارة المباني الأثرية بالمتحف الوطني في الكويت بعملية ترميم شاملة له سنة ١٩٩٢م، وقد حضرت عملية



ديكسون وأحد زواره من البدو



فيوليت ديكسون بالملابس العربية في بستان بالعراق

الترميم تلك (الحديث لمؤلف هذا الكتاب إبراهيم حامد)، والتقيت بمدير إدارة المباني الأثرية عبد العزيز بهمن الذي أكد لي أن الترميم يقوم على أساس أعادة البناء كما كان عليه بحيث لا يغير شيء في المنزل سوى التالف منه مشيراً إلى أن البيت يحتاج إلى ترميم جذري خاصة، وأنه هجر لمدة سنتين.

وحول تاريخ البيت قال بهمن أنه أسس سنة ١٩١٠م، ورمم جزئياً في الثلاثينات، وتم إضافة الجزء الشرقي له منوهاً إلى أن مساحته تبلغ سبعمئة وعشرة أمتار مربعة، ويحتوي على ثلاثة أجزاء هي: (المبنى الرئيسي، والملحق الشرقي، وحوش الغنم)، ومجمل الغرف في البيت بما فيها الصالات والمرافق الأخرى تبلغ (٣٢) غرفة، ويملكه منذ زمن طويل ورثة الشيخ مبارك الكبير حتى في الأيام التي كانت تسكنه فيها أم سعود ثم حولت ملكيته بعد التحرير إلى المتحف الوطني.

وكان يشرف على عملية الترميم سنة ١٩٩٢م آخر جيل البنائين الكويتيين القدماء، وهو (محمد بن سليمان البحوه)، والذي أشرف من قبل على إعادة بناء بوابة المقصب التي هدمها المحتلون بالكامل كما كان في نفس الفترة يشرف على ترميم البوابات الثلاث الأخرى: (الشامية، والشعب، والجهراء).

وقد التقيت بالبحوه وقتئذ، وهو رجل يبلغ من العمر الخامسة والسبعين، وكان يشرف بنشاط على العمال الذين ينفذون توجيهاته لإتمام ترميم بيت ديكسون بالطريقة القديمة ذاتها، وقال لي البحوه أن بيت ديكسون هذا قام ببنائه والده المرحوم سليمان بن إبراهيم البحوه، والمرحوم راشد

البحوه ليكون منزلاً للتاجر الكويتي المعروف شملان بن على آل سيف ثم اشتراه منه حاكم الكويت السابق الشيخ أحمد الجابر.

ويتذكر محمد البحوه هارولد ديكسون، فيقول أنه كان يتقن العربية كأحد أبنائها، وكان يركب الخيل مع زوجته التي كانت هي الأخرى تتقن العربية لدرجة أن من يحادثها يعتقد أنها من نساء البادية، ويضيف أنه بنى ذات يوم منزلاً لديكسون في منطقة خيطان مقابل خمسة آلاف روبية، وكان مبلغاً كبيراً في تلك الأيام.

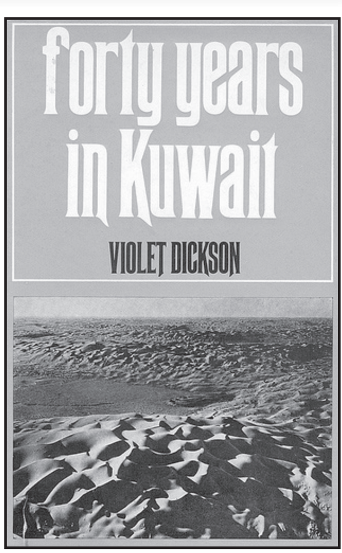
وحول الإشراف على عمال البناء قال البحوه أنه يدرب العمال على طريقة البناء القديم، وتجهيز أدوات البناء، فمثلاً يصنع لهم لبنة الطين الأولى ثم يقلدونه، وحول الأدوات المستخدمة قال أنها الطين الأحمر الذي يتم تخميره لمدة أسبوعين، وصخور البحر، والجندل، والباسكيل، والبواري (أنواع من الخشب)، والجص (الجبس)، وأكد أن الترميم الذي بدأ في ٢٥ أغسطس ١٩٩٢م (٢٥ صفر ١٤١٣هـ) سوف يستغرق مدة شهرين.

وتجدر الإشارة إلى أن ترميماً آخر أجري فيما بعد لبيت ديكسون على أسس الترميم الحديثة بإشراف المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي نقلت إليه مسؤولية البيت، وافتتح كمتحف فلكلوري.

ومن طرائف ديكسون، فنظراً لكونه قد نشأ في بيروت، ورضع في صغره لدى آل مصرب من السبعة من عنزة مما جعله أخاً للبدو، وتعلم من طباعهم، وأخذ من شيمهم الكريمة، ومنها حماية الدخيل، وحق الجار، فقد جرت له حادثة خلال إقامته في الكويت، وهو يرويها في كتابه (عرب الصحراء)، فيقول:

(يسعدني أن أقول أنني دعيت مره لنجدة شخص كان جاري وقصيري، وقمت بواجبي آنذاك بشكل مقنع، وقد وقعت الحادثة كما يلي:

كنت في الكويت في شهر الحر (يوليو) من عام ١٩٣٢م، وقد اعتاد الجميع النوم على سطوح البيوت ليلاً. أما أنا، فكنت ليلتها نائماً في مقر عملي، وبجانبه تسكن امرأة بدوية هي مطلقة تاجر لؤلؤ مشهور، وتنحدر من أصل بدوي نقي، وكان زوجها قد طلقها بسبب رغبته بالزواج مرة أخرى، وتعيش المرأة مع ابنتها البالغة من العمر خمسة عشر عاماً، وهي كل ما تملكه في هذا العالم، ومبعث فخرها، وقرة عينها.



غلاف مذكرات فيوليت ديكسون



فيوليت ديكسون بالملابس العربية

يقع السطح الذي كنت نائماً فيه بمحاذاة سطح بيت تلك المرأة إلا أن الأخير كان يرتفع عن مكاني عدة أقدام، ولم تقم المرأة باستخدام سطحها للنوم كونه ملاصقاً لسطح مقر عملي.

كان ابن عم الفتاة قد تقدم بطلب يدها للزواج بأحقيته في ذلك حسب القانون والعادات لكن الأم رفضت بإصرار وإثبات بحجة أن ليس لها غير ابنتها تخدمها، ودونها ستجوع، وبعد ضغوط عديدة وافقت الأم بشرط أن تحصل على تعويض مالي كاف عن السنين والنفقات التي تكبدتها حتى ربت ابنتها. أما الواقع، فهو أنها كانت تريد المال لتكفل لنفسها حياة كريمة.

ورفض ابن عم الفتاة وقومه طلبات الأم، واشتكوها للشيخ الذي قرر أن الشاب على حق، وأمر الفتاة أن تنتقل إلى بيت أحد أقاربها لتتم مراسيم الزواج هناك، وحضر فداوية الشيخ إلى بيت المرأة أربع مرات، وكانت في كل مرة ترفض السماح لهم بالدخول علماً بأن القانون كان لا يسمح لهم بالدخول عنوة، فهددوها بأنهم في المرة القادمة سيقتحمون البيت سواء سمح لهم القانون أم لا لأخذ الفتاة إلى بيت أقاربها.

ووقع الحادث فعلاً، ففي ليلة حارة غير مقمرة كنت نائماً خلالها على السطح، وكانت الساعة حوالي الحادية عشرة قرب منتصف الليل عندما استيقظت على صوت قادم من ظلام ينادي: (يا أبو سعود... يا أبو سعود. استيقظ، واسمع)، فاستيقظت، ولمحت من يناديني همساً من السطح المجاور على بعد عدة ياردات، فقلت: (من؟)، فقال الصوت: (جارتك.. قصيرتك. أنا بنت فلان،

وأناشدك أن تصغي إليّ).

وبعد أن حكت قصتها أردفت قائلة: (يا أبا سعود. أنا في أعمق الحزن، وأتوسل إليك أن تساعدني، فأنا جارتك)، فأجبتها: (وما الذي ينبغي علي عمله يا أختاه؟).

فقالت: (اذهب غداً للشيخ أحمد الجابر (حاكم الكويت وقتئذ)، وأخبره عن العهد بيني وبينك، ودافع عني، وعن ابنتي لأنها إن أخذت مني سأموت).

ولكنني كنت أعلم أن لا حق لي في ذلك، وليس لي عليها سلطان إلا أنها أجابتني بقولها أنها لا تعرف سوى أني جارها، والقانون يلزمني بمساعدتها، وانتهى الأمر بوعدي لها بأن أفعل ما طلبته.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى الحاكم، وقابلته، واعتذرت له عن تدخلي فيما لا يعنيني ثم أشرت له أن جارتي تسولت بكل الوسائل أن أساعدها، ولأني أفهم توسلاً كهذا، فاني أرجو سموه أن ينظر إليها بعين العطف.

وكان لروايتي أشد الأثر لدى الشيخ، ومما زاد في سعادته أن أتوسل له من أجل واحدة من رعاياه المسلمين ضد أحد قراراته، فتراجع عن قراره ذاك قائلاً: (يا كولونيل ديكسون إن قانون القصارة هذا مقدس لدينا نحن العرب، وكونك تعرفه وتفهمه بعمق أعتبره امتيازاً لي. الفتاة لك، فأعدها لأمها، وقل أن الشيخ أحمد تراجع عن قراره الذي اتخذه سابقاً، فكما أصغيت أنت لتوسل المرأة لأنها جارتك عليّ أن أصغي لك، وأجيبك إلى طلبك لأعبر لك عن عمق شعوري لأنك شرّفت امرأة من مواطني بمساعدتك كما شرفت قانون القصارة).

يقول ديكسون: (تأثرت جداً بكلمات الشيخ، ومضى وقت طويل قبل أن أنسى كلماته، فقلت ما أمر به الشيخ إلى جارتي، ولم أرها منذ ذلك اليوم إلا أنها كانت تعبر عن امتنانها بلطف دائماً عن طريق خدمي).

وهناك حكاية أخرى رواها ديكسون تبين نخوته، وذلك في كتابه (الكويت وجاراتها)، وملخص ما ذكر كالآتي:

كان بندر بن عبد العالي بن سليمان باشا بن منصور السعدون أحد الشباب الذين تعاونوا مع الانكليز عند دخولهم إلى العراق بعكس الكثيرين من أبناء عمه، وكان من الرجال المحيطين بالكولونيل ليتشمان، وبعد مقتل الأخير مُنح بندر راتباً تقاعدياً بسيطاً سرعان ما قُطع بعد تشكل

الحكومة الملكية في العراق، وقد طالب بندر بحقوقه كثيراً، ولعناده مضى في شتم الحكومة العراقية والانكليز متهماً الحكومة بحرمانه من تقاعده لا لشيء إلا لأنه من آل سعدون، وترك العراق، وذهب بأسرته الصغيرة المكونة من زوجته، وولديه الصغيرين (علي ومحمد) إلى الرياض حيث التحق بحاشية الملك عبد العزيز آل سعود فترة قاربت السنتين.

وفي سنة ١٩٣٩م (١٣٥٨هـ) عاد بندر وأسرته إلى الكويت، وتركهم هناك بينما أكمل طريقه إلى العراق لمواصلة مطالباته، ويبدو أن حدته في المطالبة أوصلته إلى السجن في السماوة بينما بقيت زوجته وولديها في الكويت لا يعرفون عن أخباره شيئاً، وبعد مرور شهرين بدأت الزوجة تشعر بالضيق المادي، فباعت مصاغها، ولكن ذلك لم يكن كافياً لتسديد إيجار البيت الذي تسكنه، ومتطلبات الغذاء والكساء، فأرسلت ولديها (علي ومحمد) اللذين كانا في العاشرة والثامنة من عمريهما إلى ديكسون لاقتراض ثلاثمئة روبية تعاد بعد رجوع الزوج، ويقول ديكسون أن الطفل علي قال له بكل شجاعة أنه سيستخدم مئة روبية في الذهاب إلى بغداد لمقابلة الملك غازي، والطلب منه إطلاق سراح الأب السجين.

ذهب ديكسون وزوجته إلى بيت الأسرة الصغيرة، وتركا للزوجة مبلغاً من المال كما دفع ديكسون ما تأخر من إيجار، ونقل الوضع للشيخ أحمد الجابر الذي أمر فوراً بإرسال كيسين من الأرز، وكيساً من الطحين، وعدة سلال من التمر للأسرة.

وفي اليوم التالي جاء الطفل محمد ليخبر ديكسون أن علياً ذهب مع خادم الأسرة إلى بغداد بالفعل، وبعد شهر علم ديكسون أن الطفل قابل الملك فعلاً، وطلب منه إطلاق سراح أبيه ثم توجه إلى السماوة حيث قابل الأب ثم عاد إلى الناصرية حيث بقي عند عم أبيه فهد بن سليمان باشا المنصور بانتظار إطلاق سراح الأب.

ويقول ديكسون أنه كتب إلى بعض أقرباء الأسرة في البصرة لمساعدة الأسرة الصغيرة الموجودة في الكويت دون أن يتلقى منهم رداً، فلجأ إلى صديقه الشيخ فرحان الرحمة للتوسط في هذا الأمر، ولكن محاولات فرحان ذهبت أدراج الرياح، وعندئذ تذكر ديكسون الشيخ عبد الله الفالح السعدون، فكتب له رسالة حول الموضوع، وبالفعل بعث عبد الله خادمه بسيارة خاصة إلى الكويت، ومعه مبلغ ثمانمئة روبية مع رسالة لديكسون جاء فيها: (لو كان كل الأوربيين في العراق يفكرون ويتصرفون مثلك ومثل السيدة ديكسون لتجنبنا كل الأفكار الخاطئة، وسوء التفاهم الذي حدث في الماضي).

وحملت رسالة عبد الله الفالح أيضاً بشرى قرب إطلاق سراح بندر، وأنه تلقى وعداً من الملك بذلك، وخلال شهر كان بندر، وابنه علي قد عادا إلى الكويت، والتمّ شمل الأسرة من جديد، وتوجهوا جميعاً إلى الرياض.

أما ابنة العائلة زهرة ديكسون، فتعالوا نتحدث عن تجربتها في الكتابة عن حياتها العربية، فيبدو أنها ورثت صفة الترحال عن أبويها، فحاولت السير على منوالهما، وتركت لنا كتاباً خفيفاً جميلاً يصور ذكرياتها في الكويت التي نشأت وترعرعت بها، وعايشت الحياة البسيطة التي أولع أبويها بها كما أنها كانت شاهدة على تطور البلاد، وسيرها الحثيث نحو المستقبل.

تركت زهرة ديكسون كتاباً بعنوان (الكويت كانت منزلي)، وقد احتوى على مقالات منفصلة عن الكويت، وكان بعضها عبارة عن تعريف بهذا البلد بينما كان البعض الآخر اجترارا لذكريات جميلة عاشتها في طفولتها وصباها وشبابها في الكويت حاضرتها وباديتها.

تتحدث زهرة ديكسون في الكتاب عن زيارتها للبلاد سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) بعد غياب امتد عشر سنوات تزوجت خلالها في بريطانيا، وأسمت تلك السنة بسنة التغيرات الكبرى إذ تم فيها تصدير أول شحنة من النفط الكويتي، وبذلك بدأت البلاد تخطو نحو تغيير جذري في اقتصادها، وبالتالي نمط حياتها، وطبيعة مجتمعها.

وفي فصل بعنوان (أصدقاء كويتيون) تحدثت زهرة عن علاقات أبيها ديكسون الذي كان يعمل وقتئذ مستشاراً في شركة نفط الكويت بعد أن ترك العمل السياسي، وتذكر أصدقاء والدها من البدو، ومنهم رجل من قبيلة آل مرة كان شكله (يعكس صورة أرستقراطية الصحراء بأجلى مظاهرها) كما تحدثت عن عبد الوهاب القطامي الذي جاء للسلام عليها، وهو ثري يملك بعض السفن كما أن زهرة توجهت بعد تلك الزيارة مع أمها لزيارة زوجة القطامي التي كانت تستعد وقتئذ للسفر للحج على ظهر الجمال.

ثم تحدثت عن سالم المزين صديق والدها، وزوجته عمشة، وابنتهما الوحيدة حصة التي بقيت من سبعة أطفال توفوا صغاراً، وكانت أسرتهم تضرب خيامها بالقرب من آبار الشامية في أيام الصيف بينما تنتقل إلى قلب الصحراء إذا حل الشتاء سعياً وراء المرعى لمواشيها.

وتقول زهرة عن المرأة العربية بشكل عام: (هي تجاري صنوها الرجل في مجالي الكياسة والاحتفاء بالضيف. أما طبيعتها، فمجبولة أبداً على البشاشة واللطافة، والمرأة العربية معطاءة سخية



زهرة ديكسون مع الشيخ عبد الله المبارك وعزت جعفر في وسط الصورة

إلى حد الإفراط إذا ما نزل بساحتها ضيف، وأقل ما يمكن أن ينعت به هذا السخاء هو أنها لا تدع مناسبة تمر مهما كانت طبيعة الزيارة دون أن تقدم الطعام والشراب لضيوفها).

وترحل بنا زهرة ديكسون إلى الجهراء عندما رافقت أبويها في زيارة إلى تلك القرية الزراعية، وفي الطريق مروا بالقصر الأحمر، وتل (فضيحة) المشهور ثم التقوا بالمرحوم هيف الحجرف، وقالت عن ذلك: (استقبلنا الأمير هيف بمنتهى الكياسة واللباقة، وغمرنا بفيض بلاغته، وناعم احتجاجه لزيارتنا المفاجئة، وإلا لكان قد أقام لنا وليمة فاخرة تليق بنا).

ثم احتفى بهم الحجرف، وقاموا بعد ذلك بجولة في بساتين النخيل، ومزارع البرسيم المنتشرة في الجهراء.

وعن التحولات التي عاشتها الكويت في السنوات العشر التي غابت فيها زهرة عن البلاد تذكر العديد من الأمثلة، فعن شاطئ الشويخ مثلاً نجدها تقول: (سوف أظل أفضل شاطئ الشويخ على سواه من شواطئ الكويت لأن نفسي تزخر بالذكريات عنه منذ عهد طفولتي أيام كنت أذهب إلى هناك لمراقبة الصيادين، وهم يصطادون السمك، فمنذ عشرين عاماً خلت كان هذا الشاطئ الواقع في الزاوية الغربية من مدينة الكويت يوحي بالعزلة لا يؤمه إلا عدد قليل من الصيادين. أما اليوم، فقد غدت الشويخ مسرحاً للأعمال، وتضج بالحياة بحركة مينائها الجديد فضلاً عن بناء بيوت حديثة فيها).

وفي فصل آخر حمل عنوان (حفلة الشيخ ورقصة الحرب) تتحدث زهرة عن حفل عشاء أقامه الشيخ عبد الله المبارك في قصر الكائن في الصحراء (تقصد قصر مشرف)، ونجدها تفصل في ذكر المأدبة التي حضرها حاكم البلاد يومئذ الشيخ أحمد الجابر، وتصف فخامتها للدرجة التي دعتها للقول: (كانت الحفلة من الروعة والسخاء بحيث لا يخجل هارون الرشيد لو بعث حياً أن يولمها لمدعويه من ذوي الرتب الملكية).

وبعد أيام من هذه الحفلة حل عيد الأضحى المبارك الذي صادف في تلك السنة الثالث من نوفمبر، فخرجت زهرة مع أبويها إلى فناء السوق (ساحة الصفاة) لمشاهدة رقصة العرضة التي أقيمت بالمناسبة، وتقدم لنا وصفاً عن ذلك، فتقول: (كان علم الكويت الأحمر يرفرف فوق الساحة الفسيحة التي خصصت لرقصة الحرب، وترجلنا من السيارة مجاهدين للوصول إلى وسط الحلبة المعدة للمتفرجين لكثرة ما احتشد من الناس حول الساحة، وهنا وجدنا سمو الشيخ عبد الله المبارك جالساً بين لفيف من الشيوخ على مقاعد خشبية، وكم كان منظر الشيوخ رائعاً إذ كانوا يرتدون أفخر ثيابهم، وعلى جنوبهم سيوفهم ذات المقابض الذهبية).

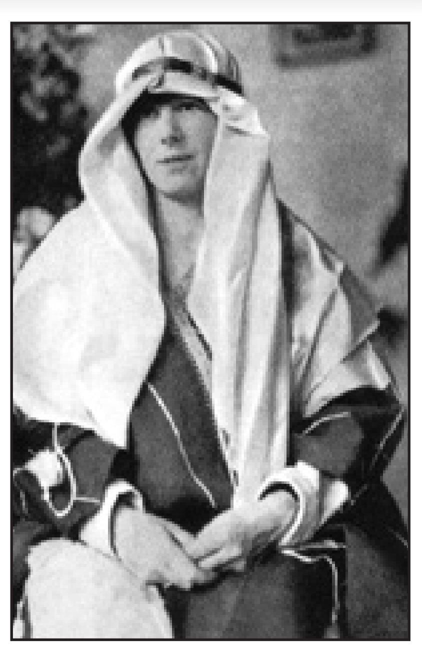
وتمضي زهرة في وصف رقصة العرضة التي شارك فيها الشيخ أحمد الجابر، وأولاده، وأفراد الأسرة الحاكمة، وتمضي بعد ذلك في تقديم موضوعات أخرى في كتابها حول الصيد بالصقور، ورحلات الربيع، وغير ذلك.

وختاماً، فإن زهرة ديكسون هي نمط خاص من الكتاب الأجانب الذين عايشوا المجتمعات العربية، وكتبوا من واقع هذه المعايشة، فهي ابنة البلد الذي ترعرعت فيه ثم تركته بعد الزواج كما أنها وإن لم تكن موهوبة في الكتابة والبحث مثل أبيها الأمر الذي يبدو واضحاً من مستوى كتابها (الكويت كانت منزلي) إلا أنها قدمت من خلال هذا الكتاب صورة جيدة عن الكويت في مرحلة التغيير.. من المجتمع البسيط إلى المجتمع المدني معقد التركيب.

***

فاريا ستارك في الكويت:

بين عامي (١٩٣٢م و١٩٣٧م) قامت الرحالة المعروفة فاريا ستارك برحلة إلى الكويت، والتقطت صوراً نادرة لها، وقد كشف (مركز البحوث والدراسات الكويتية) في أحد أعداد نشرته



فاريا ستارك في شبابها بالملابس العربية الرجولية



فاريا ستارك في سن متقدمة

(رسالة الكويت) النقاب عن هذه الرحلة، وأبرز كنوزها من صور ومعلومات.

ولدت (فاريا ستارك) في باريس سنة ١٨٩٣م، ونشأت في إيطاليا، وعملت ممرضة على الجبهة النمساوية خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد أن تعلمت اللغة العربية في العشرينيات بدأت تقوم برحلاتها في المنطقة، فزارت العراق، وإيران، وجنوب الجزيرة العربية، وعملت لصالح بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، فزارت القاهرة، وبغداد، وعدن، والهند، وأمريكا، وبعد الحرب، وخلال الخمسينيات، وما بعدها واصلت رحلاتها، فزارت اليونان، وتركيا، والصين، وأفغانستان، ونيبال، وكشمير، ونشرت العديد من الكتب خلال حياتها الطويلة التي استمرت مئة عام كاملة حيث توفيت سنة ١٩٩٣م.

أما زيارتها الأولى للكويت، فكانت سنة ١٩٣٢م (١٣٥١هـ) عندما جاءت قادمة عن طريق البر من بغداد، فذكرت يومئذ أن الكويت بلدة صحراوية صغيرة يسكنها حوالي سبعين ألف نسمة لم تدخلها من وسائل الحضارة الغربية سوى (الجرامفون) المسماة محلياً بالبشتختة، ولكنها في المقابل أعجبت بالبضائع المحلية في أسواق الكويت، واشترت منها أربع دراعات نسائية محلية الصنع.

وكتبت فاريا ستارك يومئذ انطباعاتها العامة، فأعجبت بتمسك الكويتيين بتقاليدهم وعاداتهم،

وشوارع المدينة الهادئة، وجدران المنازل الخالية من النوافذ الخارجية مما يوفر للشارع مزيداً من الهدوء، وللمنازل قدراً كبيراً من الخصوصية، وتحدثت بالطبع عن حياة البحر التي يعيشها أهل المدينة، وأسهبت في وصف السفن الشراعية، وأنواعها في الكويت.

أما زيارتها الثانية للكويت، والتي حدثت سنة ١٩٣٧م (أواخر ١٣٥٥هـ) بتكليف – على ما يبدو – من المجلة الجغرافية البريطانية، فقد جاءت عن طريق الجو إذ كانت هنالك طائرة بريطانية تهبط في الكويت مرتين أسبوعياً.

وجاءت زيارة ستارك هذه المرة خلال فصل الربيع مما جعلها تتلمس مفردات خاصة بهذا الفصل كالتخييم في البر، وهو ما فعلته ستارك أيضاً حيث خيمت في بقعة قريبة من جون الكويت، فوصفت الأطفال، وهم يطيرون طائراتهم الورقية أو ينصبون الفخاخ للطيور المهاجرة.

وتحدثت ستارك عن أبناء البادية الذين يأتون إلى أسواق الكويت، ويطلبون ما شاءوا من البضائع، ويعودون إلى البادية دون يدفع الواحد منهم شيئاً إلا كلمة الشرف، وفي الوقت المحدد يعود ليقوم بسداد كل ما عليه، وهم يأتون من أماكن بعيدة كالحسا، وبريدة، والرياض.

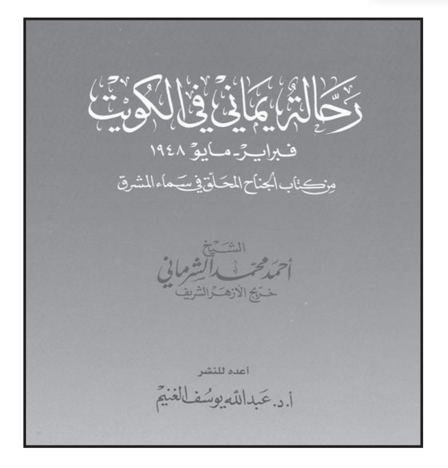
وتقول أيضاً: (إلى جانب المحلات التجارية العادية في المدينة يوجد سوق خاص ببضائع الصحراء، وهو عبارة عن سقائف مؤقتة تمتد فوق أرض واسعة مستوية (تعني ساحة الصفاة) حيث يشاهد أبناء البادية بشعرهم الطويل المجعد المسترسل على أكتافهم، وعيونهم الحادة التي تشبه عيون الصقر، وأخلاق هؤلاء البدو رائعة. فيها جلال وصرامة مثلها مثل تلك السهول الشاسعة التي نشأوا فيها، فعندما تدخل عليهم خيامهم، وتلقي عليهم التحية يرد عليك جميع الجالسين بصوت خال من التشنج فيه رنة الصدق والصراحة، ويحيونك عند رحيلك بقولهم (في أمان الله)).

وعن السوق تقول ستارك: (المحلات التجارية في الكويت مثلها مثل حجرات الاستقبال في المنازل حيث يعامل الزبون معاملة الضيف، فتقدم له القهوة، وهو يحادث صاحب المحل في الشؤون التجارية، وهذا التواصل السمح الكريم يثير دهشة الزوار الأجانب، فهم لم يعتادوا هذا السلوك الطيب من الباعة عندهم).

وقد نشرت فاريا ستارك حال عودتها مقالاً بعنوان (الكويت) نشر في عدد أكتوبر ١٩٣٧م من (المجلة الجغرافية البريطانية)، وجاء في أربع صفحات مكتوبة مع عدد من الصفحات الأخرى المخصصة للصور الفوتوغرافية النادرة التي التقطتها ستارك في رحلتها إلى الكويت.



الشيخ فهد السالم الصباح



غلاف رحلة الشرماني

***

رحلة الشرماني اليماني:

وفي أواخر الأربعينيات قام عالم يماني من خريجي الأزهر هو (أحمد محمد الشرماني) برحلة في أنحاء المشرق، وقد دونها في كتاب أسماه (الجناح المعلق في سماء المشرق)، وطبعه في القاهرة سنة ١٩٥٠م، وتضمن في أجزائه الثلاثة رحلاته في بلاد الشام، والعراق، والكويت، وباكستان، والهند، وسيلان، وعودته إلى بلاده اليمن.

وقد تعرض الشرماني في الجزء الثاني من كتابه إلى رحلته إلى الكويت التي زارها بين (فبراير، ومايو ١٩٤٨م)، وقد استلها مؤخراً الدكتور عبد الله الغنيم، وقدم لها، وعلق عليها، وطبعت في كتاب خاص بعنوان (رحالة يماني في الكويت) جاء في ١٠٩ صفحة من القطع الصغير، وصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية سنة ٢٠٠٨م.

وبدأت علاقة الشرماني بالكويت من خلال تعرفه في سوريا سنة ١٩٤٧م (١٣٦٦هـ) بالشيخ فهد السالم الصباح، وقد صحبه في جولاته في بعض الآثار التاريخية في بلاد الشام ثم لحق بالشيخ في بغداد، ومن هناك غادر العراق براً متجهاً إلى الكويت حيث حل في ضيافة أمير البلاد الشيخ أحمد الجابر، وابن عمه الشيخ فهد السالم.

وعن الشيخ أحمد الجابر كتب الشرماني: (قد سعدت مراراً بمجالسة سمو الأمير الكبير الشيخ

أحمد الجابر الذي كان يحوطني بعطفه ورعايته، ويهش للقائي، وكثيراً ما كان يعرج بالحديث معي إلى اليمن الميمون).

ويضيف الشرماني: (قضيت في إمارة الكويت زهاء شهور أربعة لم يمر علي فيها يوم واحد دون قيامي بإلقاء محاضرة أو درس عام في المنتديات والمساجد، وما إليها، وذلك فوق حديث الجمعة الأسبوعي الذي كان يفد إليه الكثيرون ممن تعوقهم أعمالهم اليومية عن حضور الدروس، وكان لذلك صداه في النفوس المتجاوبة التي وجدت لها إقبالاً منقطع النظير على العلم، وحب العلم، وميلاً غريزياً للتفقه في أمور الدين).

ويتحدث الشرماني عن الدوائر الحكومية في الكويت وقتئذ، فيبدأ بدائرة الأمن العام التي كان يتولاها في ذلك الوقت الشيخ عبد الله الأحمد، واختصاصها حفظ الأمن، ورعايته في عموم الإمارة، ويتبعها أسلحة الجيش من دبابات ومصفحات ورشاشات وغيرها، ولديها من الجند النظاميين عدد مناسب لحفظ النظام، ويشير هنا الشرماني إلى أحداث المجلس التشريعي سنة ١٩٣٨م، ودور الدائرة في تطويق الأمور، وكذلك يتحدث عن زيارته للدائرة، واستقبال الشيخ عبد الله الأحمد له.

ثم يتحدث بعد ذلك عن دائرة الشرطة بما يتبعها من أقسام البوليس، وتحصيل الضرائب الجمركية، وعوائد السفن الشراعية، ومحاكم المرور ومخالفاتها، والفصل بين شركة البترول وعمالها الكويتيين، ولها قسم مدني يرأسه الشيخ صباح السالم، وقسم بحري يرأسه الشيخ عبد الله المبارك.

وحضر الشرماني بعض القضايا التي كان يفصل فيها الشيخ صباح السالم (الذي تولى حكم الكويت بعد ذلك سنة ١٩٦٥م)، فرأى فيه دربة على الحكم، وأصالة الرأي، وحسن استنتاج للأحكام الشرعية، فهو تارة مع المتحاكمين حاكم عسكري، وطوراً سياسي لبق، وأخرى قانوني بارع.

ثم تطرق للحديث عن دائرة البلدية، ومهمتها الإشراف العام على تنفيذ عمليات التجديد، والتوسيع للشوارع القديمة، وإزالة الأتربة والأمطار من الأرصفة والشوارع، وقد نشطت في وقت زيارة الشرماني في عمليات رصف الطرق، وتنوي القيام بمشروع إنشاء المجاري الصحية.

ولم يكن من المستغرب أن يطيل الشرماني، وهو العالم الأزهري الحديث عن الدائرة الحكومية الرابعة، وهي دائرة المعارف، وكان يرأسها في ذلك الوقت الشيخ عبد الله الجابر الذي يلقبه الشرماني بحق (نصير العلم والحضارة)، وفي البدء تحدث عن أشهر عالمين كويتيين في ذلك الوقت، وأولهما

الشيخ أحمد الخميس واعظ وخطيب مسجد البدر أكبر وأشهر مساجد العاصمة، وثانيهما هو الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي طلب العلم في مكة المكرمة، ويعتبر حافظاً لأكثر النصوص الفقهية والعلمية، وله مكتبة فريدة تحوي أمهات الكتب، ولذا فقد استقر الرأي على أن يقوم القناعي بمهمة الإفتاء الديني والقضاء لفترة حتى استقال، وتم استقدام الشيخ محمد عبد اللطيف شمس الدين من مصر للقيام بمهمة القضاء.

وعن حال التعليم في الكويت يتحدث الشرماني عن جهود المدرسة المباركية، والمدارس النظامية التي أنشئت بعدها، وخطوة الحكومة في استقدام بعض المدرسين الفلسطينيين والسوريين والمصريين، والذي بلغ عددهم في فترة وجود الشرماني فوق الثلاثين مدرساً، وحوالي عشر مدرسات، ويشير إلى وجود مدرس من أصل يماني هو الأستاذ أحمد السقاف (الشاعر الكويتي المعروف)، وقد أعجب الشرماني بذكائه الخارق، وقريحته الوقادة، وتأثير أسلوبه في الإلقاء.

وتحدث أيضاً عن البعثات الدراسية التي كانت ترسلها الكويت في ذلك الوقت إلى مصر وسوريا ولبنان ولندن، وذكر أن الكويت في ذلك الوقت كانت تحتوي على مطبعة واحدة تقوم بطبع المنشورات، وأوراق الحكومة، وليس ثمة مجلات، ولا صحف محلية بالمرة، وليس في البلد سوى مكتبتين تجاريتين تستوردان الكتب من الهند والعراق وسوريا ومصر، وبعض المجلات والصحف، ولكن الشرماني يشير إلى أن الروح الأدبية بدأت تستيقظ في الشعب كما تم إنشاء معهد ديني على أحدث نظم التعليم.

وبعد ذلك يتحدث الشرماني عن دائرة المالية التي يتولاها الشيخ عبد الله السالم ولي العهد، ودائرة التموين التي يرأسها الشيخ فهد السالم، وقد أنشئت بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، ويذكر للشيخ فهد قولته عندما فتح أبواب قصوره للفقراء أثناء الحرب: (لا أشبع، وبطن من بطون أهل الكويت جائعة، ولا أنام، وعين من أعين الفقراء ساهرة من آلام القلة وبؤس العدم، فإما أن نعيش معاً، وإما أن نموت معاً).

وبعد ذلك يقدم أحمد الشرماني تصوراته لمشكلات الكويت في ذلك الوقت، فيتحدث عن عدم وجود دائرة لتشجيع الصناعات المحلية، والإشراف على المرافق التجارية، وعدم وجود دائرة خاصة بالمسائل الصحية حيث أنها كانت ملحقة بالبلدية في ذلك الوقت، ولكنه يستدرك بالحديث عن تشييد المستشفى الحديث الوحيد في البلاد (يقصد المستشفى الأميري) كما أنه ينبه إلى وجوب تطوير القضاء بإيجاد نظام خاص لاستئناف القضاء، وعدم وجود الفنادق باستثناء فندق واحد

تزدحم حجراته بعمال شركة البترول.

وبعد ذلك يقدم الشرماني ملاحظات عامة عن مشاهداته في الكويت كنظام الدوام، وتوقيت عمل الأسواق، والأمانة التي يتسم بها الكويتيون حيث رأى شاباً يستعين بمناد لينادي على رجل ضاعت منه مجوهرات تقدر بثلاثة آلاف روبية، وكان الشاب بادي الحاجة والفقر لكنه كان يتأبط لفافة الجواهر التي يحرص على تسليمها للشخص الذي فقدها.

ويقول الشرماني عن الوضع التجاري للكويت وقتئذ: (إذا صح لكتاب أوربا أن يصفوا كوبنهاجن بأنها بقال شرق أوربا لبراعتها التجارية، وتخصصها في توريد الأطعمة إلى دول أوربا الشرقية، فيحق لنا كذلك أن نصف الكويت بأنها بقّال شرق آسيا الذي يورد إلى بلدانها العديدة أنواعاً كثيرة من المستهلكات المدنية من الحبوب والحرائر والأصداف واللآلئ إلى الأعشاب الجافة والأسماك الطازجة).

وغادر الشرماني الكويت في باخرة متجهة إلى الهند، وودع الكويت، وهو يقول: (نعتقد أن الأمور ستسير من حسن إلى أحسن مما يبشر لهذه الإمارة بمستقبل جميل في عالم أسعد).

***

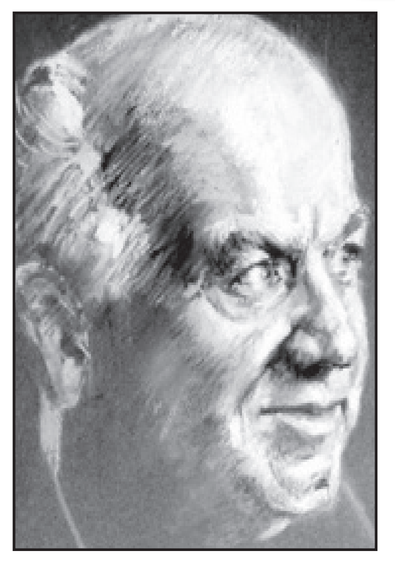
زيارة سعيد فريحة:

ننتقل بعد ذلك إلى بداية عقد الخمسينيات من القرن العشرين، والذي تغيرت خلاله الكويت، وتحولت من بلد فقير الموارد إلى دولة غنية تصدر النفط إلى أصقاع العالم، وبدأت تخطو خطوات واثقة في مجالات بناء الدولة الحديثة عن طريق توفير الرعاية السكنية والصحية والتعليمية، وتقدم وسائل الاتصال والترفيه لشعبها.

ونجد سعيد فريحة صاحب مجلة الصياد اللبنانية يزور الكويت سنة ١٩٥٠م، ولكن بالطائرة هذه المرة يصحبه زميله الصحافي أميل البستاني، وكان في استقباله في المطار عزت جعفر السكرتير الخاص لأمير البلاد وقتئذ الشيخ أحمد الجابر، وينقل فريحة عن الشيخ أحمد قوله أثناء لقائه به: (إن بلادي مفتوحة لأخواني اللبنانيين.. ينزلون أهلاً، ويحلون سهلاً بدون جواز سفر، ولا حواجز جمركية، وكل ما أتمناه أن يظل لبنان، ويظل العرب جميعاً بخير).



أحمد الشرباصي



سعيد فريحة

ويصف لنا فريحة ميناء الكويت في تلك الأيام بقوله: (صحبني الصديق عزت جعفر في سيارته إلى مرفأ الكويت، فاجتزنا مسافة أربعة كيلومترات لم تقع العين خلالها إلا على سفن شراعية وبخارية، وثلاث بواخر على الأقل معدة لنقل الماء من مختلف المرافئ إلى مئة وعشرين ألفاً من الناس يؤلفون مجموع سكان الكويت).

***

أيام الشرباصي في الكويت:

وفي سنة ١٩٥٢م (١٣٧١هـ) جاء إلى الكويت عالم مصري يرتدي الجبة والعمامة مبتعثاً من الأزهر الشريف للتدريس في المدرسة المباركية.

وبقي (أحمد الشرباصي)، وهذا اسمه في الكويت عاماً دراسياً كاملاً حافلة بالأحداث، والنشاطات، والأبحاث التي أسفرت عن كتاب أصدره حال عودته إلى مصر في (٥٤٤) صفحة من القطع العادي مزدانة بكثير من الصور الخاصة بعنوان (أيام الكويت).

وعلاقة الشرباصي بالكويت والكويتيين أقدم من تلك البعثة إذ أنها تعود إلى سنة ١٩٣٩م عندما هبطت إلى مصر بعثة دراسية كويتية مكونة من (عبد العزيز حسين، ويوسف عمر، وأحمد



أحمد الشرباصي يلقي أحد الدروس في الكويت

العدواني، وآخرين)، فتعرف عليهم أحمد الشرباصي، واستمرت علاقته بهم حتى بعد تأسيس بيت الكويت في القاهرة سنة ١٩٤٦م، وصدور مجلة البعثة عنه، وهي المجلة التي شارك فيها الشرباصي ببعض الكتابات ثم سنحت له الفرصة للقدوم إلى الكويت سنة ١٩٥٢م، والبقاء فيها عاماً دراسياً شارك خلالها بأنشطة التدريس كما أذاع حلقات أدبية في الإذاعة الكويتية الناشئة وقتئذ.

وفي بداية الوصول قابل الشرباصي يوم الثلاثاء ١٤ أكتوبر ١٩٥٢م (٢٤ محرم ١٣٧٢هـ) أمير البلاد الشيخ عبد الله السالم في قصر السيف، ويصفه الكاتب بالقول: (كان الحديث ذا شجون.. دار حيث دار ثم انتهى إلى المتنبي وشوقي، والأمير يفضل المتنبي، وأنا أقول أن أحمد شوقي قد تهيأت له ألوان من الثقافة جعلته يقول ألواناً كثيرة من الشعر، وأما المتنبي، فقد كان محدود الأغراض).

ومن ذكرياته في الكويت رحلة إلى الجهراء يوم الجمعة ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م (٢٤ ربيع الأول ١٣٧٢هـ) مخصصة للمدرسين، وبعض التلاميذ في المدرسة المباركية مستقلين سيارة قطعت الطريق غير الممهد من الكويت إلى الجهراء في ساعة وربع حيث بدأوا بزيارة القصر الأحمر، وتجولوا في المزارع كما اصطاد التلاميذ الجراد قرب المطلاع.

وكتب الشرباصي في ٢ مارس: (هطلت الأمطار غزيرة طيلة النهار، وطول الليل، ولم تشهد الكويت كما قالوا مثل هذا الغيث منذ سنة ١٩٤٨م، وقد فرح الكثيرون بهذا المطر لأن ماءه يحفظونه في البرك للانتفاع به، ولأن الخضروات مع المطر تزداد، وتنخفض أسعار الدهن، ولم يخل

سقوط المطر من بلايا، فقد سقطت به بعض المنازل، وتعطلت الإذاعة، ولا أدري كيف تترك الأجهزة الإذاعية هكذا تحت رحمة المطر؟).

في ١٥ مارس كتب في مذكراته: (بدأ الأستاذان عبد العزيز حسين وأحمد البشر في رحلة استطلاعية في إمارات الخليج للتفاهم على استقدام طلاب من هذه الإمارات للتعلم في مدارس الكويت على نفقة الكويت).

ويكتب الشرباصي عن مباراة لكرة القدم في يوم الجمعة ١٧ أبريل ١٩٥٣م (٢ شعبان ١٣٧٢هـ): (شاهدنا المباراة النهائية على كأس الأمير الحاكم، وكانت بين فريقي العروبة والنادي الأهلي، وقد تغلب الأهلي على العروبة بإصابتين لإصابة، وكان حكم المباراة انكليزياً).

وفي الجمعة التي تلتها يكتب: (رحلنا إلى منطقة الخيران، ومررنا على المقوع والأحمدي وقليعة العبيد حتى وصلنا إلى المنطقة المحايدة).

والشرباصي تلمس كثيراً من المشكلات خلال زيارته، وقدم في كتابه ما يراه من حلول ابتداء من مشكلة الإملاء والكتابة عند طلبة الثانوية مروراً بقضية البيوت التي بلا نوافذ انتهاء بالاقتصاد والنمو، وعن البيوت التي بلا نوافذ كتب: (من عجيب ما لاحظت في إمارة الكويت العزيزة أن حجرات أغلب البيوت فيها بلا نوافذ خارجية، وتسأل عن السبب، فيقال لك أنه الحرص على الحجاب، والرغبة في ستر المحارم عن عيون المارة).

ويجيب الشرباصي أن الغيرة محمودة، ولكن من الممكن أن توجد النوافذ دون هتك لحجاب بأن تجعل عالية أو تستخدم الستائر التي لا تحجب ضوءاً ولا هواء، وتأخذ هذه القضية أكثر من أربع صفحات من الكتاب في اقتراحات، وتبيين لأهمية النور والهواء لأهل البيت.

وبصراحة يحمد عليها يعدد الشرباصي في كتابه بعض ما أعجبه في الكويت، وما لم يعجبه، ومما أعجبه أمانة الأفراد، وذكاؤهم، وفسيح صدورهم لإخوانهم العرب، ومجانية العلاج والتعليم، والجدية في البناء والتعمير والنواحي الاقتصادية والعلمية، واستقرار الأمن، والعاطفة الدينية لدى الشعب، والرضى بالحياة.

أما ما لم يعجبه، فإهمال المرأة من النواحي المادية والعلمية، وتقبل الناس لكل ما يرد من الخارج من كتب وصحف ومجلات رغم عدم صلاحية بعضها، وعدم السعي لحل مشكلة المياه، وعدم ظهور الشخصية المحلية في مناهج التعليم، وعدم تسجيل أسماء المواليد والوفيات، والإبقاء على المنازل

القديمة، وعدم إصدار صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية إخبارية على الأقل.

وكتاب الشرباصي (أيام الكويت) ليس كتاب مذكرات فقط، فهو يحتوي أيضاً على فصول مطولة عن تاريخ الكويت، ومعالمها، وأهم شخصياتها من سياسيين وأدباء ومصلحين بالإضافة إلى حوارات صحفية أجراها المؤلف مع تلك الشخصيات أو أجريت معه كما تضمنت العديد من القصائد لشعراء كثر، ومقالات، وخطب مهمة بالإضافة إلى بعض الصور النادرة.

وكم أتمنى لو التفت مركز البحوث والدراسات الكويتية لهذا الكتاب، فأعاد طبعه، وبحث عن ذرية الشرباصي الذي انتقل إلى بارئه سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) للبحث عن أصول الصور الفوتوغرافية لإعادة نشرها بشكل أوضح مما ظهرت به في هذا الكتاب الذي قارب عمره على نصف قرن، وباتت نسخه الآن في غاية الندرة.

***

ممرضة تركية في الكويت:

بدأت الرحلة بإعلان نشر في إحدى الصحف التركية شتاء ١٩٥٢م يطلب ممرضة للعمل في الكويت حينها تساءلت الممرضة التركية الشابة (بلكة كونكور): (أين هي الكويت.. يا ترى)؟

هذا التساؤل لم يمنع الممرضة الشابة أن تتقدم للوظيفة، وتحصل عليها لتركب على متن طائرة كويتية إلى البلد الذي كانت تتساءل قبل أيام عن مكان وجوده على الخريطة!

كونكور التي سجلت ذكرياتها في كتيب صغير ترجم إلى العربية سنة ١٩٨٢م بعنوان (كنت أول ممرضة في الكويت) ربما ليتناسب مع الكتاب الشهير للأمريكية إليانور كالفري، والذي صدرت طبعته العربية بعنوان (كنت أول طبيبة في الكويت) سنة ١٩٨٢م، وفيه تشرح كونكور إعجابها بهذا الوطن الذي عاشت فيه مدة تسعة شهور انتهت باستدعاء أسرتها لها، وإلحاحات والدتها لتحزم الممرضة التركية حقائبها، وتعود إلى بلدها ، ورغم قصر الفترة التي عاشتها هذه الممرضة في الكويت إلا أنها استطاعت أن ترصد بعين ثاقبة جوانب عديدة من الحياة في الكويت مما جعلني لا أتردد في ضمها إلى سلسلة الرحالة الذين زاروا الكويت.

عن ليلتها الأولى في الكويت كتبت كونكور: (عندما حان الليل تنزهنا في شوارع الكويت،

وضواحيها، فخلتها بلداً أوروبياً من ناحية تنظيم الشوارع، والإنارة الحديثة).

وفي موقع آخر كتبت عن أهل البلاد: (كنت أشعر، وأنا في الكويت بأني محترمة، وأنني لست غريبة كما كنت أتوقع، وقد تجلى لي العطف، والسؤال المتكرر عني من جميع الكويتيات، فظهر أحساس من داخلي أنني في بلدي، ويتحتم عليّ بأن أخدم مرضى هذا البلد بكل قواي).

وعن مثال لتلك العلاقة تتحدث كونكور عن (حزنة تلك الشابة الجميلة العصرية في روحها، وبالرغم من أنها غير متعلمة، فهي تتقن الرماية، وسواقة السيارات، ولقد دعتني مرة بمناسبة شفائها من مرضها، فزرتها في دارها، ورحبت بي كثيراً، وذبحت حملاً تحت أقدامي عربوناً لشفائها).

ونشرت بلكة كونكور مذكراتها على حلقات في صحيفة (جريدة التركية) حال عودتها، وذكرت تفصيلات منبهرة عن الوضع الصحي المتطور في الكويت وقتئذ كما تحدثت عن بعض معالم الكويت الحضارية في تلك الفترة كثانوية الشويخ، وأثنت بشكل خاص على راعيي الصحة والتعليم في الكويت، وهما الشيخين فهد السالم الصباح، والشيخ عبد الله الجابر الصباح.

وتحت عنوان (الكويت بلد الطمأنينة والاستقرار) كتبت الممرضة التركية: (لقد اقتنعت بأن حب النظام، واحترام القانون صفة موجودة في الشخص الكويتي)، وتمتدح بشكل خاص الشيخين عبد الله المبارك، وصباح السالم المسئولين عن الأمن والشرطة في ذلك الوقت.

وتستمر الممرضة في ذكر جولاتها في الكويت، فهي تتحدث عن مدينة الأحمدي، وآبار النفط فيها، ودعوة وجهت إليها لزيارة مخيم في الصحراء كما تتحدث عن دور السينما التي بدأت كظاهرة جديدة في الكويت، وتتحدث أيضاً عن زيارتها لأحد مصانع المرطبات لتحاول في النهاية أن تقدم للقارئ صورة شاملة عن بلد كان بعيداً عن أذهان مواطنيها الأتراك في تلك السنوات.

ولرمضان أجواء خاصة في الكويت تصفها الممرضة باحتفالية رغم أنها قادمة من بلد أسلامي، ولكنها تتحدث عن ذهاب زملائها من الأطباء الذكور لتهنئة أمير البلاد بدخول الشهر الكريم، وتقول: (يتوجه الناس في كل ليلة لتهنئة الوجهاء والتجار في بيوتهم التي تبقى مفتوحة حتى السحور حيث الموائد الخضراء، وأنواع الفواكه، واللحوم، والحلويات تقدم للغادي والقادم).

أما عن العيد، فتقول كونكور، وحديثها كان قبل هدم السور: (البلد مقسمة إلى ثلاث مناطق للتهنئة: الشرق، والقبلة، والمرقاب، فكل من المنطقة الثانية والثالثة تهنئ المنطقة الأولى في اليوم الأول ثم يتم تبادل التهنئة في المناطق في اليوم التالي، وهكذا يزور الناس بعضهم بعضاً)، وتشير في معرض

حديثها عن احتفالات الأطفال بالعيد، وعن حديقة الحيوان الخاصة بالشيخ جابر العبد الله الجابر الصباح التي يفتحها في العطل للعموم.

وفي نهاية مذكراتها القصيرة تتحدث الممرضة بلكة كونكور عن رسائل أسرتها، وإلحاحات والدتها لها بالعودة مما جعلها تعود إلى وطنها، وتكتب في السطور الأخيرة من مذكراتها:

(أقلتني الطائرة بعد ذلك لتعيدني إلى بلدي ثانية، وكنت أستعرض وأنا محلقة في الجو حياتي طيلة هذه التسعة شهور، فمرت الحوادث أمام ناظري كالشريط السينمائي، وبالرغم من أنني كنت فرحة جداً بعودتي إلى وطني، وأهلي، فإن سروري كان ممزوجاً ببعض الأسى لأنني تركت خلفي بلداً كل الذين به أهلي وأخواني).

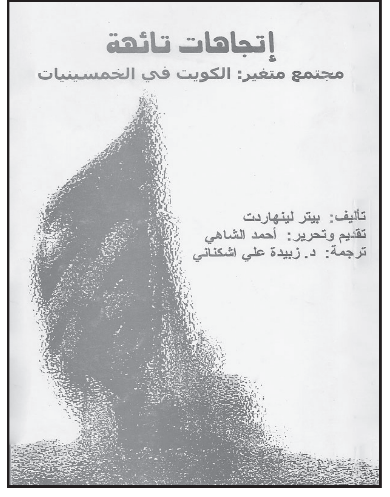
***

لينهاردت واتجاهات تائهة:

في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين قام الباحث الأنثربولوجي بيتر لينهاردت (١٩٢٨ – ١٩٨٦م) بدراسة ميدانية في دول الخليج العربي، ونشرها في كتاب، وقد ترجم منها الفصل المتعلق بالكويت، وطبع تحت عنوان (اتجاهات تائهة) عن دار قرطاس بترجمة د. زبيدة أشكناني، وقد اقتطفنا من تلك الاتجاهات ملامح تظهر رحلة لينهاردت إلى الكويت قبل حوالي ستين عاماً بالإضافة إلى مشاهداته خلال زياراته اللاحقة التي يبدو أنها تكررت إلى الكويت.

جاء لينهاردت إلى الكويت في أواخر نوفمبر ١٩٥٣م (ربيع الأول ١٣٧٣هـ) قادماً من البصرة عبر سيارة أجرة عمومية مكتظة بثمانية مسافرين، وأمتعتهم، وكانوا يمرون خلال الطريق بمجموعات تائهة من الرجال تتجه إلى الكويت مشياً على الأقدام.

وصل لينهاردت إلى الجهراء، وهي الواحة التي كان يخطط للإقامة فيها بعض الوقت، ولكنها لم تبد له وارفة وخصبة كما يجب أن تكون عليه الواحة حتى بالمقارنة من الجدب الكامل الذي يلفها، وبعد نصف ساعة من الجهراء وصلت السيارة إلى أطراف مدينة الكويت، فبدأ (التشويش العصري) كما سماه لينهاردت يظهر للعيان حيث مروا بمجموعة من أكواخ القصب تجاورها مبان من الإسمنت، وكلما اقتربوا من العاصمة ازدادت أكوام العوارض، والألواح الخشبية، ومياه المجاري،



غلاف الطبعة العربية لرحلة لينهاردت

وأكياس الإسمنت، والمولدات الكهربائية الصاخبة، ومشاعل القطران، وجماعات العمال الذين يحملون سلال الطابوق، وأوعية الملاط على رؤوسهم.

كتب لينهاردت انطباعه الأول عن المدينة كالآتي: (ونحن نقترب من بوابة الجهراء - دوار الشيراتون حالياً - كانت ضوضاء المرور، وفوضى الحفر، والبناء تشعر الإنسان بأن مدينة الكويت بأكملها كانت موقع بناء شاسع!).

في اليوم التالي لوصوله الكويت توجه لينهاردت إلى مدينة الأحمدي حيث كانت ستتم استضافته في شركة النفط، فاستغرب شوارعها المتشابكة معلقاً: (كما لو أن المخططين اعتقدوا أنه من المناسب لرجال النفط أن يعيشوا داخل لغز الكلمات المتقاطعة!)، والطريف أن الزائر للأحمدي إلى يومنا هذا يحس بما أحس به لينهاردت، وهو (يحوس) في شوارع الأحمدي!

ولكن لبعد الأحمدي عن العاصمة لم يجد لينهاردت بقاءه هناك مجدياً لأعمال بحثه التي تتطلب منه الالتقاء بسكان البلاد، وتلمس حياتهم، وهو الأمر الذي لا يتوفر كثيراً في الأحمدي التي تسكنها غالبية من الأجانب، ولذا انتقل لينهاردت إلى فندق شيرين الواقع داخل العاصمة الكويتية.

كتب لينهاردت يومها: (كان الفندق في الشارع الجديد، وهو شارع يمتد من الميناء القديم حيث ترابط بعض سفن الصيد، وبضعة أبوام، والصفاة التي تقابل صورة مغبرة لساحة كان كبار السن من الشيوخ وما يزالون يقومون فيها بالرقص بالسيوف على الطريقة البدوية في أيام العيد).

ومن العاصمة بدأ لينهاردت بتسجيل ملاحظاته، وحاول إقامة علاقات من الكويتيين، والوافدين من عرب وأجانب، وذكر معلومات تفيد بحثه الأنثربولوجي حول طبيعة عيش الناس على اختلاف طبقاتهم، فتحدث عن الشيوخ والتجار والموظفين والناس العاديين، والنظرة إلى وسائل النقل العامة، والسينما، والمقاهي، والأزياء الأوربية.

وزار المكتبة العامة، وقابل أمينها الذي كان رجلاً كويتياً مسناً من النوع المتدين المثقف الذي

كان يردد بلطف: (ممنونين... ممنونين) كما زار منزلاً صغيراً بناه أحد الشيوخ الشباب في الصحراء مع حديقة تحتوي حديقة حيوانات صغيرة، وهو يقصد حديقة (سلوى) التي كان يملكها الشيخ جابر بن عبد الله الجابر الصباح الذي كان في مقتبل العمر في تلك الأيام.

ومن القضايا التي تطرحها (الاتجاهات التائهة) للينهاردت بشكل مركز قضية وجود الأجانب في الكويت، والذين صاروا يشكلون أغلبية في البلاد مع استمرار أعمال البناء، وتطور البلاد، وقضية الجنسية، واستيعاب المهاجرين داخل نسيج المجتمع الكويتي، والوكالات التجارية التي حصلت عليها بعض العائلات، وغير ذلك من الأمور التي كانت تشغل مجتمع الكويت في الخمسينيات.

وبعد العاصمة قضى لينهاردت فترة لا بأس فيها في جزيرة فيلكا، والتي كان يسكنها في ذلك الوقت حوالي ثلاثة آلاف شخص، وتحدث عن الحياة الأسرية في تلك الجزيرة، واعتقادات الناس خاصة بالأضرحة التي كانت موجودة في ذلك الوقت كمقام الخضر وسعد وسعيد، وهو الأمر الذي جره للحديث عن المعتقدات الدينية، وبعض القضايا الدينية التي يبدو أنها موجهة للقارئ الغربي أكثر منها للقارئ العربي والمسلم.

ومن الشخصيات التي تحدث عنها لينهاردت في كتابه أولئك المدرسين الفلسطينيين والمصريين الذين التقى بهم في جزيرة فيلكا، وكانت هذه مناسبة للإشارة للقضية الفلسطينية التي كانت الشغل الشاغل لعواطف الناس في تلك الفترة.

كتب لينهاردت: (المدرس الذي أخذني في باص مع تلاميذه كان مصرياً. ذهبنا إلى البيت، وقابلنا بعضاً من زملائه. هؤلاء المصريين كانوا كلهم سعداء لأن بلدهم هو أول بلد عربي يسقط حكماً ملكياً فاسداً، ويسقط الطبقة المستفيدة، ويدخل إصلاحات على توزيع الثروة. لا أحد منهم كان غير مهتم في السياسة. لم يتحدثوا أمامي عن توزيع الثروة في الكويت ما عدا واحد منهم كان في السابق من الأخوان المسلمين في القاهرة، وقد هرب إلى الكويت تجنباً لتوقيفه بعد اغتيال أحد السياسيين في أيام الملك فاروق.

ولم يكن المصريون تعساء في الكويت، ولكنهم مع ذلك كانوا يفتقدون مصر، وطريقة الحياة المصرية. لقد أطلقوا النكات حول الصعوبات التي لاقوها مع اللهجة الكويتية كما حدث عندما استعمل أحدهم العامية المصرية طالباً الخبز في البقالة، فأعطي له الرز بدلاً من الخبز، فقد كانت الكلمة (عيش) التي استخدمها للخبز تعني رزاً في اللهجة الكويتية)!



سيفان بالزي الكويتي



سيفان أمام أحد آبار النفط في الأحمدي

ولعل آخر الاتجاهات التائهة التي تطرق إليها لينهاردت في كتابه هو حديثه عن النظام الاقتصادي في الكويت الحديثة التي ذكر أنها: (ورثت قيم الثقة والسمعة التجارية من تجارة البحر القديمة).

***

سيفان الهندي في الكويت:

من بين الرحالة الأجانب الذين بالمنطقة العربية تبرز فئة بالغة الخصوصية، وفائقة الأهمية تمكنت من توثيق فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، وما قبلها بالكلمة، والصورة الفوتوغرافية، والسينمائية.

وأعني هنا.. فئة موظفي شركات النفط، والذين جاؤوا إلى المنطقة في بدايات انفتاحها على العالم، وجاءوا مزودين بالكاميرات، ومن خلال صورهم ورسائلهم إلى أقاربهم في بلادهم الأصلية تكونت مادة غنية عن تاريخ المنطقة في تلك الفترة خاصة وأن المدة التي قضوها، واحتكاكهم المباشر مع أهل البلاد مكنتهم من تكوين صورة أوضح من الصور التي يكونها الرحالة خلال سفرهم السريع!

ولكن كثيراً من هذا التراث الفوتوغرافي، والمكتوب مازال بعيداً عن أيدينا، وغير متاح للنشر بسبب الطابع الشخصي لهذه المادة، والتي لم يكن مقصوداً منها أن تنشر للعامة، وبسبب التقصير



صورة التقطها سيفان لبوابة قصر دسمان سنة ١٩٤٨م



صورة التقطها سيفان للشيخ عبد الله الجابر الصباح سنة ١٩٤٨م

المشترك بين من يمتلكون هذه المواد من أهالي هؤلاء الموظفين الذين مات أغلبهم حالياً، وكذلك من مراكز البحث والتوثيق في منطقتنا، والتي تضيّع بإهمالها هذا كنوزاً قد تضيع إلى الأبد.

ولكن جاءت شبكة الإنترنت لتفتح لنا طاقة أمل، فقد بدأ بعض أبناء وأحفاد هؤلاء الموظفين بنشر صور لأجدادهم الذين عملوا في المنطقة في مواقع خاصة أو من خلال مواقع نشر الصور الفوتوغرافية والألبومات، وبالتالي تسرب إلينا بعض هذا التراث، ومن بينها موقع يتعرض لصور تركها أحد الهنود الذين عملوا في شركة نفط الكويت قبل ستين عاماً، ويدعى (سيفان سيركا)، ويبدو أنه عمل في الكويت فترة طويلة حيث نجد له صورة التقطها سنة ١٩٤٨م للشيخ عبد الله الجابر الصباح بالإضافة إلى صورة لسيفان وعائلته

التقطت سنة ١٩٦٦م في استديو بالأحمدي، وفي الموقع صور متنوعة لسيفان وأصدقائه التقطت في الأحمدي، والفحيحيل، ومواقع العمل عند آبار النفط، وصورة لبوابة قصر دسمان سنة ١٩٤٨م، ولقصر الشيخ خزعل قرب دسمان.

***

التازي في الكويت:

وفي أواخر الخمسينيات زار الكويت سفير ومؤرخ مازال يعيش بيننا، ورغم اقترابه من سن التسعين إلا أنه يتمتع بحضور ذهن، ومشاركة في الفعاليات العلمية حتى يومنا هذا.

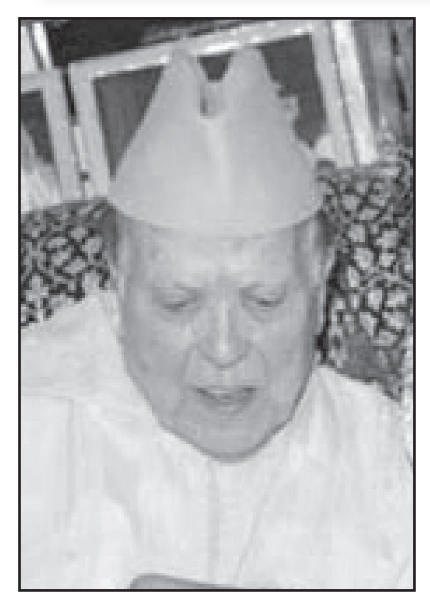
رحالتنا.. هو المؤرخ المغربي الدكتور عبد الهادي التازي، ومن بين رحلاته في العديد في أنحاء العالم خلال مشاركاته، وبحوثه كانت له رحلة إلى الكويت سنة ١٩٥٨م للمشاركة في مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في الكويت وقتئذ.

وصل عبد الهادي التازي إلى الكويت على متن طائرة جاءت به من بيروت يوم الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٥٨م (٦ جمادى الآخر ١٣٧٨هـ)، ومن نافذة الطائرة كتب: (أخذت بعض القصور الأميرية تتراءى من الطائرة، والسيارات الأمريكية الفخمة تجوب هذه الصحاري).

وعلى متن البونتياك التي أقلتهم من المطار كانت اللافتات ترحب بالأدباء: (إمارة الكويت وشعبها يرحبان بالأدباء العرب في مؤتمرهم الرابع – بيبسي كولا ترحب بأعضاء مؤتمر الأدباء العرب – مصنع الخليج يرحب بأعلام أدباء العرب)، وتوجهوا إلى ثانوية الشويخ (مقر الجامعة حالياً)، وشاهدوا برج الساعة الذي ما يزال قائماً إلى يومنا هذا ثم وصلوا إلى نادي الموظفين، والتقوا بالأدباء الكويتيين والعرب، ومن بينهم الشاعر الكويتي عبد الله سنان المحمد، واحتسوا القهوة العربية المبهرة بالهيل أو ما يسمونه في المغرب (قاع قلة)، وتصفحوا العدد الأول من مجلة العربي الذي صدر في ذلك الوقت بالإضافة إلى المجلات الأخرى في الكويت مثل (رسالة النفط، والكويت اليوم، والأندلس).

ويتجول بنا التازي في مشاهداته بالكويت، فمن الطعام بين شيش الكباب والكبة والمحاشي إلى السوق الذي وجدوه مسكّراً (أي مغلقاً) إلى معامل تصفية المياه المالحة، وبعض العمارات والفيلات، والعملة التي كانت الروبية وقتئذ، وهي تعادل مئة وخمسة وعشرين فرنكاً فرنسياً، ولاحظوا





صورتان للتازي الأولى خلال زيارته للكويت والثانية حديثة له في شيخوخته

خلو السوق من المتسولين لأن الكويتيين الفقراء يتسلمون إعانة شهرية أو يلحقون بدار الرعاية.

أما المرأة، فكانت لا تظهر إلا متفلعة في مرطها الأسود من الفرع إلى القدم، ولكن النساء مع ذلك يتبين الطريق عن طريق شبكة سوداء توجد فوق عيونهن (يقصد الشيلة).

وزارت الوفود الشيخ عبد الله السالم حاكم البلاد، ونائبه الشيخ عبد الله المبارك رئيس الأمن العام، والشيخ عبد الله الجابر رئيس دائرة المعارف والعدل والأوقاف كما حضرت الوفود مأدبة أقامها الشيخ عبد الله المبارك في قصر النزهة، وبعد القهوة التقليدية استدعي المؤتمرون لقاعة الطعام حيث عشرات الأكباش، ومئات الدجاج، وأكوام الأرز، والشعرية، والحلويات.

ويذكر التازي ضيوف المؤتمر الذي افتتحه الشيخ عبد الله الجابر، وألقى كلمة الكويت فيه عبد العزيز حسين، ومن ضمن من ألقوا الكلمات، واعتلوا منبر المؤتمر فيه: مندوب الجامعة العربية سعيد فهيم، والأردني إبراهيم القطان، والبحريني إبراهيم العريض، والتونسي محمد مزالي، والجزائري صالح الخرفي، والسوداني صالح عبد القادر، والعراقي محمد مهدي الجواهري، والسعودي سعد البواردي، وعن الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) مهدي علام، والعماني محمد أمين عبد الله، والفلسطيني رامز فاخرة، واللبناني سليم حيدر، والقطري عبد الرحمن السمرة، والليبي خليفة التليسي، والمغربي عبد الكبير الفاسي، واليمني القاضي عبد الله الشماحي.

كما ألقى إبراهيم الشطي محاضرة حول الخليج العربي في السياسة والتاريخ، وألقى السوداني محمد المهدي مجذوب محاضرة عن البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي، وتبعه العراقي الدكتور صلاح خالص بمحاضرة عن البطولة في الأدب العربي بعد ظهور الإسلام، وكان جدول المؤتمر حافلاً بالمحاضرات والأنشطة الثقافية.

ومن بين فعاليات المؤتمر أقيمت مسرحية شعرية بمسرح مدرسة الصديق، وهي بعنوان (مجنون ليلى) لأحمد شوقي، ومثلها فاخر فاخر، وأمينة رزق.

ويزور التازي خلال تواجده في الكويت ما سماه (السوق المفتوح)، وأعتقد أنه يصف منطقة المباركية، وأسواقها المتنوعة حيث يقول:

(هذه دكاكين لبيع السجاد الذي يصحبه الحجاج معهم، وهذا سوق لبيع العبايا والعقال والغطرات أي المناديل التي يغطي بها الرأس، ويجعل من فوقها العقال، وهذا سوق للنعال التقليدية بيد أن رجال البدو أو السياح هم الذين يقتنونها، وهناك دكاكين لبيع الطيب الشرقي بما فيه العود القماري، ومخازن مهمة لبيع التحف التي ترد غالباً من الهند أو بعض الدول الأوربية كانكلترا وبلجيكا وفرنسا، وهذا سوق للصياغين، وأصحاب اللؤلؤ ثم هذه متاجر خاصة ببيع الخزف الإيراني، وبين الحين والآخر تجد (فندقاً) على نحو ما عندنا في المغرب يضم طائفة من التجار الذين يتجرون في نوع واحد، والفرخات الخشبية العتيقة عندنا في فاس أو مراكش هي بعينها التي ما تزال مضروبة على بعض الأبواب القديمة.

سألنا عن أسعار بعض الأشياء.. عن التمر الهندي. عن لحم الضأن. لقد كان هذا يفوق الثمن المعهود عندنا بثلاث مرات، وعن الطماطم، وهي تفوق السوق المغربية بخمس مرات، والكتب هنا تباع بأثمنة فظيعة، وبعض اللاجئين المنحدرين من أصل إيراني يهتمون بأخبار إيران، فهم يعلقون في بعض الدكاكين صور الشاه، والإمبراطورة ثريا، ويقع بصرك أحياناً على ناس متقدمين في السن، وقد وضعت أمامهم الشيشة، وفي المقاهي كثيراً ما يلعبون بالضامة — يقصد الدامة –، والشيء الذي لا يمكن أن تراه هنا هو مطاردة الفتى للفتاة أو ميوعة هذه أمام ذاك، وقد سمعت بأذني من لم يتردد عن انتقاد السوافر الأجنبيات اللاتي يعملن في الكويت كمدرسات).

ومن الزيارات التي قام بها ضيوف المؤتمر زيارة إلى مدينة الأحمدي، والتي كانت على حد تعبير التازي: (ما تزال ناعمة الأظفار تتهادى في حلل الشباب الزاهية)، وقطعوا المسافة من ثانوية

الشويخ إلى الأحمدي في خمسة وأربعين دقيقة فقط، فمروا بمصنع الطابوق، وقرية أبرق خيطان، وفيها مدرستين شاهقتين إحداهما للذكور، والأخرى للإناث، وقرية الفروانية، وبعض البيوت المؤقتة – يقصد العشيش – وصولاً إلى المقوع حتى الأحمدي حيث شاهدوا فيلماً سينمائياً عن قصة النفط، وتجولوا في المدينة والميناء.

ومن الجولات التي قام بها الأدباء كان مرورهم بحديقة الحيوانات في سلوى، والفنطاس، والسالمية، والقصر المتواضع للشيخ عبد الله السالم (قصر الشعب)، ومدينة النقرة، ومنطقة واو (الدسمة حالياً)، والشامية كما زاروا قسم التغذية، ومتحف الكويت كما حضروا استعراضاً رياضياً، وعرضاً سينمائياً لفيلم (جميلة بو حريد) في سينما الحمراء.

ويستشهد التازي بقصيدة عن النفط من أجواء تلك الجولة قالها الشاعر محمود شوقي الأيوبي، ومنها:

هـذي ينابيعكم بالتبر سائلة ... سوداء خيراتها للغير تنحصر

فأنتمو أهلها صونوا منابعها ... بالعلم، والهمم الشماء، وادّكروا

إني أرى الشعب غير الشعب في سعةٍ ... من المعارف تروى عنده الذكر

يا ليلة النور هل يمتد لي عمرٌ ... لكي أرى العزّ أو يأتي لي القدر؟

وفي ظهيرة يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر ١٩٥٨م (١٧ جمادى الآخر ١٣٧٨هـ) غادر عبد الهادي التازي الكويت على متن طائرة لبنانية أقلته إلى بيروت.

***

عبد الله العثيمين في الكويت:

في سنة ١٣٧٩هـ (١٩٦٠م) قام وفد طلابي سعودي بزيارة للكويت، وبعد عودته نشر أحد أعضاء الوفد ثلاث مقالات يصف فيها رحلة الوفد في جريدة اليمامة السعودية، ولم يكن هذا الطالب سوى المؤرخ السعودي الشهير د. عبد الله العثيمين المولود سنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ)، فتعالوا نتجول في مشاهداته في الكويت في تلك الأيام.

ففي أول مقالاته كتب العثيمين: (بعد قليل ستصل الطائرة إلى الكويت.. يا ترى ماذا سيكون مصير تلك الفكرة التي تكونت في خاطري من السماع عن الكويت، وعن القراءة عن مظاهر

الكويت المختلفة؟

لقد سمعت عن ذلك القطر الشقيق الكثير السار، وقرأت عنه الصحائف المبشرة بنور فجرنا العربي، ولكني لم أطمئن لما سمعت، ولم أرتح لما قرأت، فكثيراً ما سمعت، ووجدت الحقيقة غير المسموع، وكثيراً ما قرأت، وألفيت الواقع غير ما قرأت، وكثيراً ما أضفى المتحدث على كلامه أثواباً مزخرفة تبعده عن الواقع، وكثيراً ما أضاف الكاتب إلى كتابته أشياء تنأى بالموضوع عن حقيقة الأمر.

كنت مشتاقاً لأن أرى بعيني، وأستمع إلى انطباعاتي، وانطباعاتي وحدها عن الكويت ونهضة الكويت، والشعب العربي هناك، وفوق الخليج العربي كنت أطل من نافذة الطائرة لأشبع عيني بمنظر مياهه العربية، وكنت أهفو إلى الهبوط إليها لأسعد جسدي، ولأدعه يسبح ويعوم، ويهنأ بملامسة مياه الخليج العربي المتدفق عروبة وحيوية.

وفي المقالة الثانية يصف العثيمين وصوله، والنشاطات التي قام بها الوفد، وبالأخص زيارة مدرسة ثانوية الشويخ التي كانت وقتئذ درة التعليم في الكويت، فيقول: (هبطت الطائرة في مطار الكويت، وكانت روحي تسبح في محيط السعادة، ونزلت من الطائرة، وكان الشوق يدفعني حتى كدت أقفز إلى الأرض، وهناك كان في استقبال الوفد مندوب رئاسة معارف الكويت، وكان يرفرف على السيارة التي أعدت لتحملنا العلمان الكويتي والسعودي، وبعد استراحة قليلة انطلقت بنا السيارة إلى ثانوية الشويخ أو بتعبير أصح إلى مدينة الشويخ الثانوية حيث المكان الذي أعدته المعارف الكويتية لإقامتنا هناك.

كانت السيارة تجري، وكان بودي لو اتسعت عيناي لتحيط بكل بقعة، وبكل مبنى. كنت أحملق بجميع المناظر من حولي بنهم، وكأنما تلك المناظر ستودعني، وأودعها، ولن تعود، وكانت الشوارع مزدهرة بالأشجار، وكان رجال المرور على درجة عظيمة من التنظيم، وبعد قليل كانت السيارة تدخل مدينة الشويخ الثانوية، وهي تضم المدرسة الثانوية التي يبلغ عدد طلابها مئتين وألف طالب، والتي أعدت لا لتكون ثانوية، وإنما لتكون جامعة كويتية عن قريب كما تضم مساكن للطلبة، والملاعب الرياضية الفخمة، ومن بينها ملعب لكرة القدم فيه ثلاثة مدرجات تتسع لخمسة وعشرين ألف متفرج، وفي ذلك الملعب تقام الاحتفالات العامة والأعياد القومية كما أن هناك ميادين أخرى لألعاب القوى، وغيرها.

قمنا بزيارة للمدرسة الثانوية، وكان أروع شيء في إنتاج الطلاب لتلك الرسوم التي تنم عن

وعي فني رائع، وليس غريباً أن يزدهر ذلك الفن مادامت الإمكانات اللازمة متوفرة، ومادام ذلك الفن يجد من المعارف التشجيع والتأييد بل مادامت الحرية موفورة للطالب ليرسم ما يشاء، وليمارس في رسمه ما يريد.

أما عن وسائل التعليم المتبعة فيها، والإمكانات الموفرة لها، فهي أمور تتناسب مع وضع لا تعوزه الإمكانات، ولا تنقصه الرغبة الأكيدة في تطوير العلم، ولا تقيده الأغلال والعادات المتعصبة في تنفيذ ما يريد.

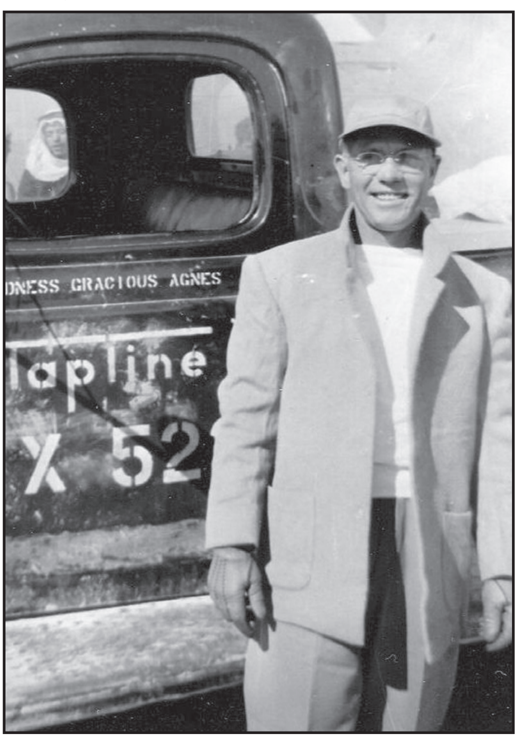
والدراسة الثانوية هناك أربع سنين كما هو الحال في كل من الدراسة المتوسطة والابتدائية، وودعنا المدرسة الثانوية، وكلنا انطباعات سعيدة، وكلنا مشاهد تفيض بالاستبشار، وببزوغ فجر النصر العربي.

وفي المقالة الثالثة والأخيرة التي نشرت بتاريخ الاثنين ١٦ رمضان ١٣٧٩هـ (١٤ مارس ١٩٦٠م) يقول العثيمين: (انتهت المدة التي قدر لنا أن نعيشها في الكويت الشقيق، وكان بودنا لو طالت الأيام الأربعة للتعرف أكثر فأكثر على ذلك القطر الحبيب، ولنندمج أعمق فأعمق مع إخواننا الشباب الذين نلتقي معهم في العواطف والمشاعر، وعدنا إلى بقعة أخرى من بقاع الوطن العربي الكبير. عدنا إلى الظهران ثم إلى المدرسة الرابعة في الدمام لنكون في الغد ضيوف الأرامكو).

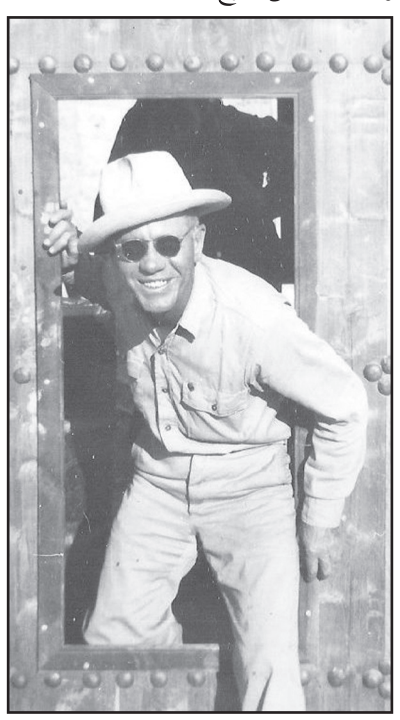
ألبوم فرانسيس آندرس في الكويت سنة ١٩٥٠م

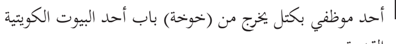
في سنة ١٩٥٠م كانت الكويت تعج بعشرات المهندسين الأجانب الذين يعملون في الشركات التي كانت تؤسس لصناعة النفط والتحديث الهندسي في الكويت، وحرص عدد من هؤلاء المهندسين على تسجيل حياتهم فوتوغرافياً، وكتابياً، وقد ظهرت العديد من الكتب التي تضيء جانباً من جوانب تلك الحياة.

وفي الفترة الأخيرة عثرت في شبكة الإنترنت على مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية التي لم تنشر سابقاً، والتي تسجل جوانب من الحياة في الكويت سنة ١٩٥٠م، والتقطها المهندس الأميركي (Francis Hadden Andrus = فرانسيس هيدن أندرس) الموظف في شركة (Bechtel = بكتل) المعروفة في عالم الإنشاءات الهندسية، ولأهمية هذه الصور، فقد آثرت أن أختتم هذا الكتاب بمجموعة مختارة من صور فرانسس، فكم من صورة أغنت عن شرح كثير.



فرانسيس هيدن أندرس





أحد موظفي بكتل يخرج من (خوخة) باب أحد البيوت الكويتية القديمة



أحد الموظفين الأجانب يتوسط رجلين من بدو الكويت



أحد موظفي بكتل من الأجانب يقف مع مجموعة من الكويتيين في السوق



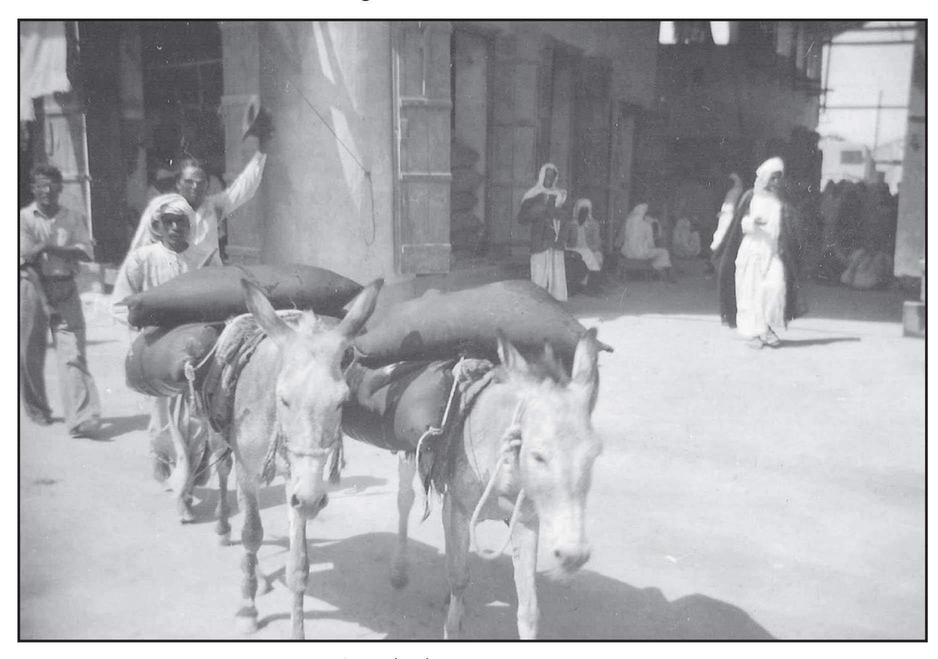
زملاء آندرس من موظفي بكتل في صورة جماعية بأحد أسواق الكويت



أحد زملاء آندرس يزاحم المشترين في أحد الدكاكين لشراء زجاجة من المرطبات

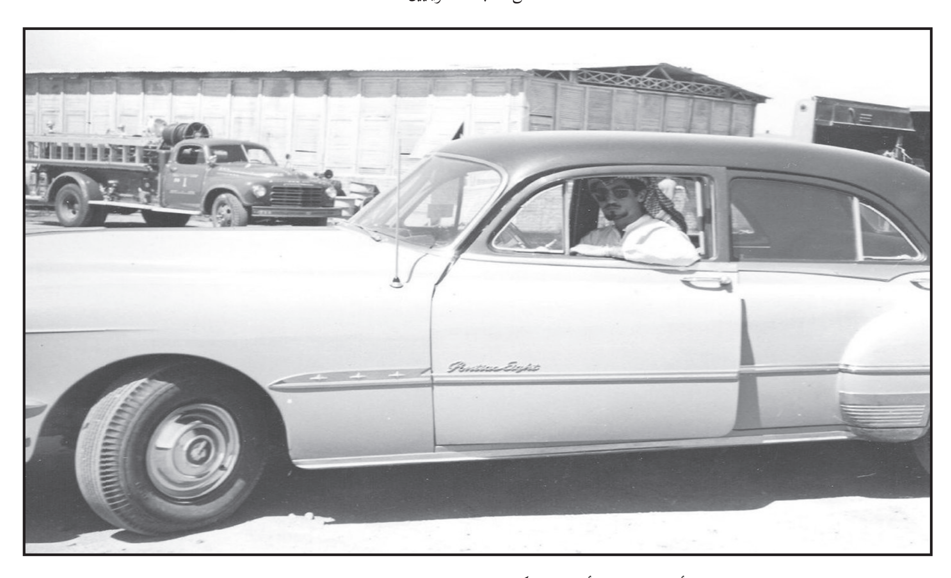


طفلتان كويتيتان تقفان أمام سيارة فارهة من نوع كرايسلر



نقل مياه بالقرب على ظهور الحمير في أحد أسواق الكويت

ثلاثة من الشبان الكويتيين

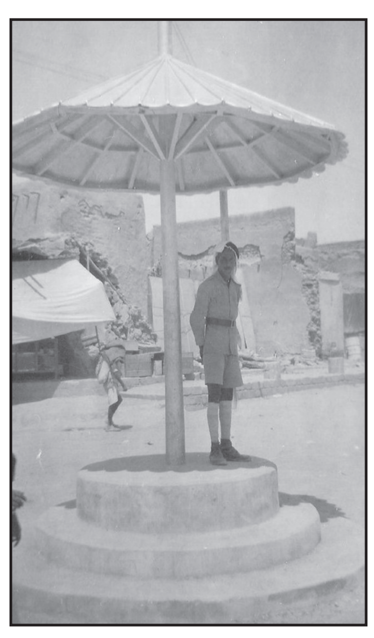


أحد الشباب الأثرياء في الكويت يقود سيارته الفاخرة سنة ١٩٥٠م

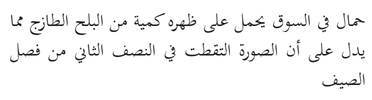


مبنى مديرية الأمن العام سنة ١٩٥٠م

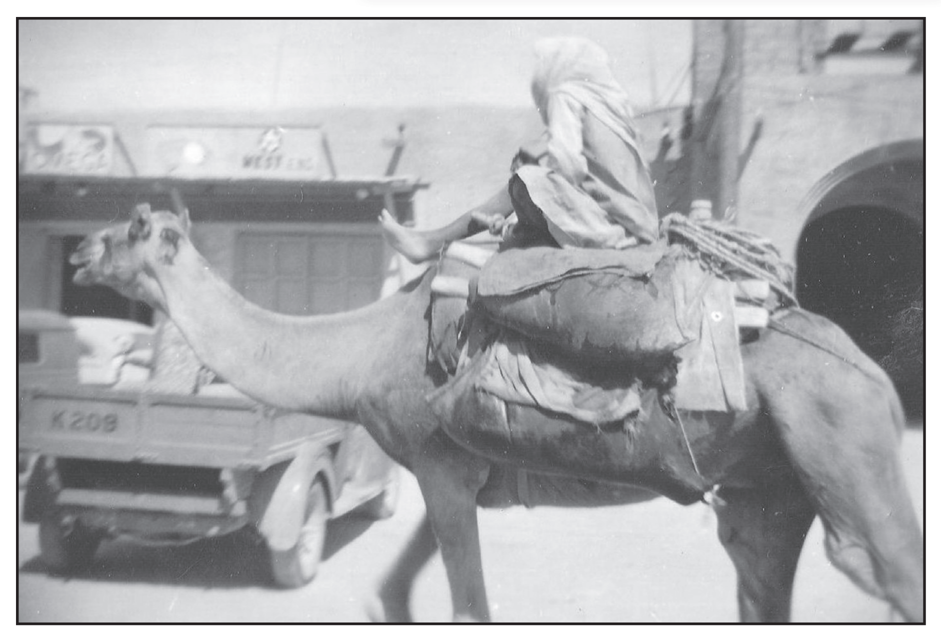




شرطي ينظم المرور في شوارع الكويت، وقد وقف تحت مظلته



حمال في السوق يحمل على ظهره كمية من البلح الطازج مما يدل على أن الصورة التقطت في النصف الثاني من فصل الصيف



جمال يعبر بجمله أمام مخزن بهبهاني في سوق الكويت القديم



أحد المقاهي الكويتية في وسط السوق



مجموعة من أبناء البادية الكويتية



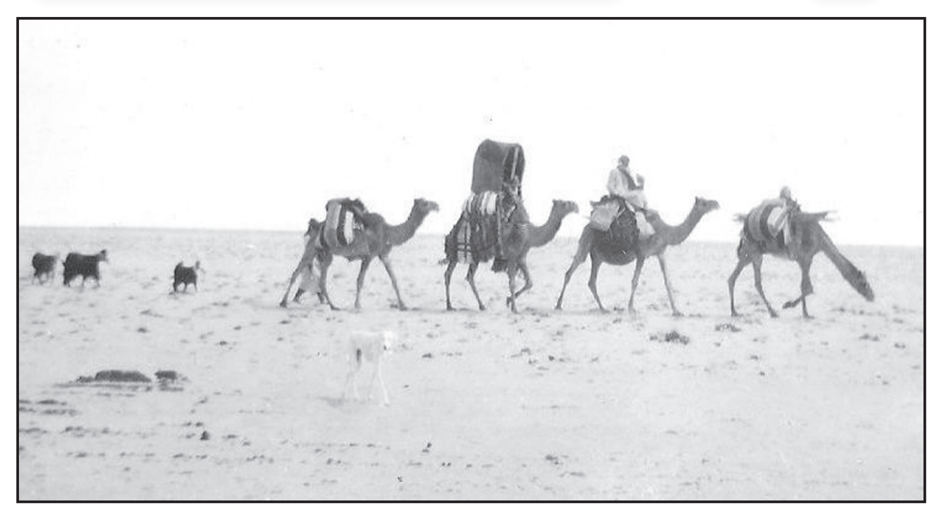
السقاة يحملون صفائح الماء، ويدورون بها في حواري الكويت القديمة



تجمع للسيارات والناس أمام مبنى مديرية الأمن العام قرب سوق الصفاة فيما يبدو أنه إحدى المناسبات العامة



بعض العمال الكويتيين يقومون بعملية حفر إحدى آبار النفط



عائلة بدوية (رجل وزوجته وأطفاله) تنتقل عبر الصحراء بجمالها القليلة وأغنامها المعدودة، وكلبها السلوقي

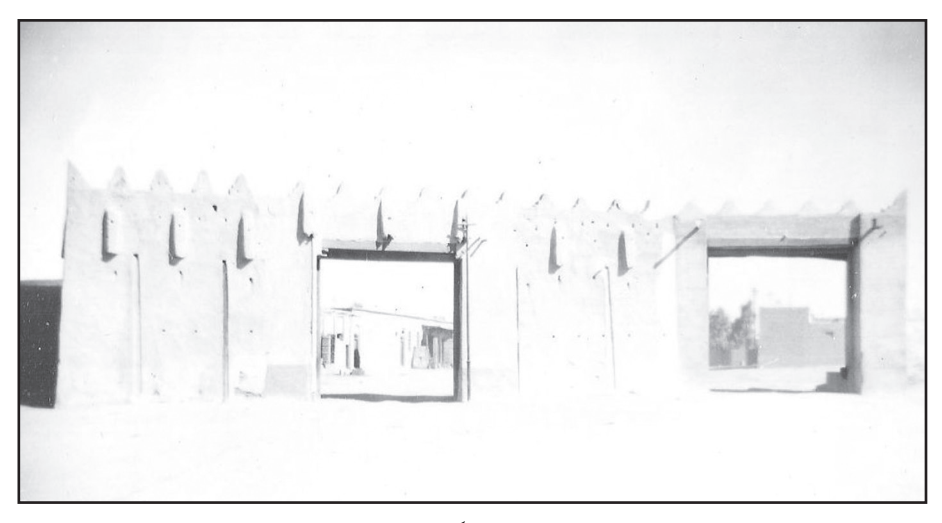
امرأة تحمل تنكة مكعبة تسير في وسط أحد الشوارع القديمة



الحمير تنقل العرفج من البادية إلى الكويت لاستخدامها في إشعال النار

مناخ الإبل والحيوانات في سوق الكويت

امرأتان تسيران في وسط السوق، وعلى رأسيهما زبيلان من السعف



إحدى بوابات سور الكويت من الخارج



مجموعة من الكويتيين في سيارة من نوع الجيب



قروي في الكويت يزن إحدى ثمار القرع، وإلى جانبه أحد موظفي بكتل



خيام بدوية، ولاحظ بناء بعض الجدران باستخدام تنكات التمر الفارغة



فلاحون من الجهراء يعملون في إحدى مزارعها

المحتويات

المقدمة ٥

الفصل الأول: شخصيات من الكويت ٧
أشعار في مدح عبد الله الأول ثاني حكام الكويت ٩
من سيرة ثالث حكام الكويت: (الشيخ جابر العيش) ١٢
ألبوم صور الشيخ مبارك الكبير ٣٦
من سيرة ثامن حكام الكويت: (الشيخ جابر المبارك) ٤٦
أعيان الكويت في أواخر القرن التاسع عشر ٥٤
أبطال منسيون في تاريخ الكويت ٦٨
شخصيات فلكلورية في تاريخ الكويت ٧٣

الفصل الثاني: حوادث وأبحاث في تاريخ الكويت ٨٩
أول رسالة تخرج من الكويت ٩١
حكاية أسوار الكويت ٩٥
رسالة نادرة تكشف أحداثاً تاريخية ١٠٠
تعداد السلاح في عهد الشيخ مبارك ١٠٥
الكويت في مجلة المنار ١٠٨

حكاية الماء في الكويت ١٢٣

سفن الكويتيين قبل ثمانين عاماً ١٣١

هجرة تجار اللؤلؤ سنة ١٩١٠م ١٤٢

السيارة في التاريخ الكويتي ١٤٦

من أحداث سنة المجلس ١٥٢

من تاريخ تهريب الذهب! ١٥٨

تاريخ الكويت في الأرشيف العثماني ١٦٨

الشعر.. مصدراً لتاريخ الكويت ١٧٧

حركة الشعر العربي الفصيح في الكويت من التأسيس حتى الاستقلال ١٨٤

نظرات في (سبائك العسجد) ١٩٠

تاريخ الطباعة والنشر في الكويت ١٩٩

صحافة كويتية في اندونيسيا ٢١٢

تقرير بريطاني عن التعليم في الكويت ٢٢٠

حكاية المصريين في الكويت ٢٣٠

حكاية (تلفزيون الكويت) ٢٣٨

حوادث في صحراء الكويت ٢٤٤

الفصل الثالث: من جغرافيا الكويت ٢٥١

جولة تاريخية وجغرافية في جزر الكويت ٢٥٣

الطرق البرية من الكويت قبل مئة عام ٢٦٥

جولة مع أسماء المناطق الكويتية ٢٧٢

الفصل الرابع: رحالة مروا بالكويت ٢٨٥
هؤلاء مروا بالكويت ٢٨٧
كتابات الرحالة عن بالكويت ٣٠٢
ابن علوان: الإشارة الأولى ٣٠٣
تقرير كنيبهاوزن سنة ١٨٥٤م ٣٠٧
نيبور وزيارة عن بعد ٣٠٨
السويدي هارباً من الطاعون ٣٠٩
تقارير أوربية عن الكويت ٣١٠
لويس بيلي في الكويت ٣١٣
رحلة لوشر ٣١٤
زيارة مدحت باشا ٣١٦
سفن روسية في الكويت ٣١٩
كورزون في زيارة رسمية ٣٢١
رحلة نوكس بين الجهراء وحفر الباطن ٣٢٧
رحلة نواب بهادر ٣٣٤
أول طبيبة في الكويت ٣٣٥
زيارة باركلي رونكيير ٣٣٧
شاب هندي في الخليج ٣٣٨
رحلة رونالد ستورس ٣٤٠
الجندي فوجن في الكويت ٣٤٢
آل ديكسون.. عشق بريطاني للكويت ٣٤٥

فاريا ستارك في الكويت ٣٥٤
رحلة الشرماني اليماني ٣٥٧
زيارة سعيد فريحة ٣٦٠
أيام الشرباصي في الكويت ٣٦١
ممرضة تركية في الكويت ٣٦٤
لينهاردت واتجاهات تائهة ٣٦٦
سيفان الهندي في الكويت ٣٦٩
التازي في الكويت ٣٧١
عبد الله العثيمين في الكويت ٣٧٤
ألبوم فرانسيس آندرس في الكويت سنة ١٩٥٠م ٣٧٧

المؤلف في سطور ٣٩٥

المؤلف.. في سطور



• إبراهيم حامد الخالدي.

• مواليد ٢٠ يونيو ١٩٧١م - الكويت.

• بكالوريوس تربية (رياضيات) — الكويت ١٩٩٩م.

• رئيس قسم بوزارة التربية (مادة الرياضيات).

• رئيس اللجنة الإعلامية برابطة الأدباء في الكويت - عضو جمعية الصحافيين الكويتية - عضو جمعية المعلمين الكويتية.

• أستاذ مادة القافية في أكاديمية الشعر بأبوظبي.

• شاعر كويتي ينتمي إلى تيار القصيدة الحديثة، ونشرت قصائده في العديد من الدوريات الثقافية داخل وخارج الكويت، وترجم بعضها إلى الانكليزية والفرنسية، وهو صحافي عمل بالصحافة الثقافية منذ سنة ١٩٩١م في عدد من الجرائد والمجلات الكويتية والخليجية حيث عمل صحافياً في صحيفة (صوت الكويت) ثم جريدة (الوطن) ثم جريدة (السياسة) ثم جريدة (عالم اليوم) كما عمل في مجلات (سمرة، ومرآة الأمة، وفنون، والغدير، وحياة الناس، وقطوف)، وحالياً هو معد ملف التراث (وسم) في مجلة المختلف.

• متزوج، وأب لستة أطفال: (هلا، وثامر، وبراك، وغالية، وشهد، وسعدون).

• صدر له عدد من الكتب، وهي تنقسم إلى الأصناف التالية:

أولاً- دواوين شعرية:

١- دعوة عشق للأنثى الأخيرة: الكويت ١٩٩٤م (مجموعة شعرية فصيحة)

٢- عاد من حيث جاء: الكويت ١٩٩٧م (مجموعة شعرية فصيحة)

٣- احتمالات المعنى: الكويت ٢٠٠٥ (مجموعة شعرية فصيحة)

ثانياً- دراسات تاريخية وفلكلورية:

٤- المستطرف النبطي (نوادر وقصائد ساخرة من الشعر النبطي): الكويت ١٩٩٨ - ٢٠٠٧م جزءان.

٥- طواريق النبط (أوزان القصيدة النبطية وعلاقتها بعلم العروض: تاريخها خصائصها آفاق التطوير): الكويت ٢٠٠٠م.

٦- الجامع المختصر للألقاب والعزاوي عند البدو والحضر: الكويت ٢٠٠٣م.

٧- المصور البدوي (١٠٠٠ صورة فوتوغرافية قديمة للبادية العربية ورجالاتها): الكويت ٢٠٠٤م.

٨- الزير سالم (القصة الكاملة لأبي ليلى المهلهل بين روايات التاريخ، والسيرة الشعبية، والمسلسل التلفزيوني): الكويت ٢٠٠٢م.

٩- المعلقات النبطية (١٠٠ قصيدة من أشهر ما قيل في تراث القصيدة النبطية): الكويت ٢٠٠٧م.

١٠- حديث الصحراء (بمشاركة الأستاذ ناصر السبيعي): الكويت ٢٠٠٢م.

١١- الفرّيس (سيرة بعض فرسان الجزيرة العربية - إشراف ومراجعة).

١٢- تاريخ الشعر النبطي: بيروت ٢٠١١م.

١٣- دخلنا بلداً يقال لها الكويت: الكويت ٢٠١١م، وهو هذا الكتاب.

ثالثاً- تحقيق مخطوطات ودواوين:

١٤- تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز لعبد الله بن محمد البسام: الكويت ٢٠٠٠م.

١٥- ديوان أمير الشعر الغزلي محسن الهزاني: الكويت ١٩٩٧م.

١٦- ديوان الفارس الشيخ تركي بن حميد: الكويت ١٩٩٧م.

١٧- ديوان الفارس الأمير عبيد العلي الرشيد: الكويت ١٩٩٧م.

١٨- ديوان الفارس الشيخ مشعان الهذال: الكويت ١٩٩٧م.

١٩- ديوان شاعر الحجاز بديوي الوقداني: الكويت ٢٠٠٥م.

٢٠- ديوان شاعر الزبير عبد الله بن ربيعة: الكويت ٢٠٠٥م.

وله تحت التمهيد للطبع كتب عدة.

• إصدارات سمعية وبصرية:

١. - سواليف وقصيد من الماضي (ألبوم صوتي بمشاركة الشاعر حامد زيد): الرياض ٢٠٠٨م.

٢. - برنامج تلفزيوني بعنوان (تصاوير) حول الصور الفوتوغرافية القديمة لصالح قناة البوادي (إعداد وتقديم): الكويت ٢٠١٠ / ٢٠١١م

• محاضرات قام المؤلف بإلقائها:

١ محاضرة في الملتقى الثقافي الأهلي في البحرين في ٢٦ فبراير ٢٠٠٢م بعنوان (بين أوزان الشعر العامي وبحور الخليل. دراسة مقارنة).

٢ محاضرة بعنوان (تاريخ الطباعة والنشر في دولة الكويت) في معرض الدار البيضاء للنشر والكتاب: فبراير ٢٠٠٥م.

٣ محاضرة بعنوان (الشعر مصدراً لتاريخ الكويت) في رابطة الأدباء بالكويت في أواخر مارس ٢٠٠٦م.

٤ محاضرة حول مخطوطات الشعر النبطي في مهرجان الدوحة الثقافي بدولة قطر في فبراير ٢٠٠٨م بمشاركة الباحثين: مبارك العماري، وعلي المسعودي.

٥ محاضرة حول مخطوطات الشعر النبطي في معرض الكتاب بأبوظبي في فبراير ٢٠٠٨م.

٦ محاضرة خلال الموسم الثقافي لأكاديمية الشعر في أبوظبي بعنوان (الحكاية في الشعر النبطي بين الوهم والحقيقة التاريخية) في سنة ٢٠٠٩م.

٧ محاضرة بعنوان (حركة الشعر الفصيح في الكويت) في ثانوية جابر الأحمد بالكويت في سنة ٢٠٠٩م.

٨ محاضرة بعنوان (الرجز والحداء بين الفصحى والعامية) في في رابطة الأدباء بالكويت في ٢٧ أكتوبر ٢٠١٠م.

٩ محاضرة بعنوان (الشعر النبطي في الجزيرة العربية، وعلاقته بالشعر العامي في البيئة العربية عامة: تأثيراً وتأثراً) ضمن ندوة الشعر الشعبي العماني. مسقط. يناير ٢٠١١م

١٠ محاضرة بعنوان (منصور الخرقاوي.. نظرات في حياته وشعره) في مهرجان القرين الثقافي ١٧. الكويت. يناير ٢٠١١م.

١١ محاضرة بعنوان (السيرة الهلالية بين الحقيقة والخرافة) في الخبر. السعودية. أغسطس ٢٠١١م.

* للمراسلة:

العنوان البريدي: دولة الكويت - الرقة - ص.ب: ٥١٨٨٣

العنوان الالكتروني: yahoo.com@ebraheem٩٨٧٦ أو صفحة: ابراهيم حامد على الفيس بوك

الموقع الالكتروني: www.al-wasim.com



دخلنا بلداً يقال لها الكويت بالتصغير. بلد لا بأس بها. تشابه الحسا إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها، وكان معنا حج من أهل البصرة فرق عنا من هناك على درب يقال له الجهرا، ومن الكويت إلى البصرة أربعة أيام، وفي المركب يوم واحد لأن مينا البحر على كتف الكويت، وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب لأنها أسلكة البحر.

أقمنا بها يوماً وليلتين، وتوجهنا على بركة الله تجاه النجف الأشرف نهار الحادي عشر من الشهر المذكور (جمادى الأولى 1121هـ - 18 يوليو 1709م).

وهذه الكويت المذكورة اسمها (القرين)، ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار البحر ثلاثة أيام، والمراكب مسايرتنا، والميناء على حدود البلدة من غير فاصلة، وهذه البلدة يأتيها سائر الحبوب من البحر.. حنطة وغيرها لأن أرضها لا تقبل الزراعة حتى ما فيها شيء من النخيل، ولا غير شجر أصلاً، وأسعارها أرخص من الحسا لكثرة الدفع من البصرة.

مرتضى بن علوان

سعر النسخة: 3.5 د.ك أو ما يعادلها